كتب نادرة

تراجم رجال القرنين
السادس والسابع

« المعروف بالذيل على الروضتين »

للحافظ المؤرخ شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل
المعروف بأبي شامة المقدسي الدمشقي
المتوفى سنة ٦٦٥ هـ

عرف الكتاب ، وترجم للمؤلف ، وصححه
مولانا الأستاذ الكبير صاحب الفضيلة
محمد زاهد بن الحسن الكوثري
وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية سابقاً

عني بنشره ، وراجع أصله ، ووقف على طبعه
السيد عزت العطار الحسيني
مؤسس ومدير مكتب نشر الثقافة الإسلامية
من أقدم عصورها إلى الآن

« روجع على النسخة الفوتوغرافية المحفوظة »
« بدار الكتب الملكية بالقاهرة »

سنة ١٣٦٦ هـ — الطبعة الأولى — سنة ١٩٤٧ م

كتب نادرة

تراجم رجال القرنين

السادس والسابع

« المعروف بالذيل على الروضتين »

للحافظ المؤرخ شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل

المعروف بأبي شامة المقدسي الدمشقي

المتوفى سنة ٦٦٥

عرف الكتاب ، وترجم المؤلف ،

مولانا الأستاذ الكبير صاحب الفضيلة

محمد زاهد بن الحسن الكوثري

وكيل المشيخة الإسلامية فى الخلافة العثمانية سابقاً

عنى بنشره ، وراجع أصله ، ووقف على طبعه

السيد عزت العطار الحسيني

مؤسس ومدير مكتب نشر الثقافة الإسلامية

من أقدم عصورها إلى الآن

« روجع على النسخة الفوتوغرافية المحفوظة »

« بدار الكتب الملكية بالقاهرة »

سنة ١٣٦٦ هـ — الطبعة الأولى — م سنة ١٩٤٧

اهداء الكتاب

« الى الروح الطاهرة الكبيرة التى كانت تهيم بفعل الخير وتتفانى فى »
« اسداء المبرات والخيرات ، الى من ظل طول حياته مثالا لكرم »
« النفس واليد ، وعفة اللسان وطهارة الخلق . الى من نفع العالم »
« الاسلامى وبلاده بعلمه وجاهه ، الى من أحببته وأحبه كل من »
« عرفه لنقاء قلبه ، ودماثة خلقه ، الى المغفور له المبرور ساكن »
« الجنان المرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ »
« الأزهر السابق اهدى هذا الكتاب إحياء لذكره ووفاء بحقه بعد »
« موته ، واعترافا بفضله وفضل بيته الرفيع العماد الخالد الآثار . »

المخلص الحزين

السيد عزة العطار الحسينى الدمشقى

كلمة عن « ذيل الروضتين »
ومؤلفه أبى شامة

لا يخفى انه اذا انقرضت دولة كبيرة فى قرن من القرون يشعر الباحث بفراغ كبير فى وسائل معرفة تاريخ ذلك القرن فلا يهتدى الى تراجم رجاله ولا الى جلية أنبائه بسهولة من غير أن يكد ويتعب، وذلك لفقد انتاج أهل العلم فى أثناء الفتن الشاغلة، والتهام نار الكوارث لغالب منتجات العلماء اذ ذاك على قلتها

فمن ذلك القرن السابع الذى انقرضت فى أواسطه الدولة العباسية ببغداد نجد فيه الفراغ ملموساً جداً من تلك الناحية، ومن هنا تتضاعف أهمية كتاب « ذيل الروضتين » لأبى شامة لانه ليس تكملة فقط لانباء الدولتين النورية والصلاحية اللتين هما أنشط الدول الاسلامية فى الذب عن حوزة الاسلام فى تلك القرون، وأحرصها على الاحتفاظ بالطابع الاسلامى فى شئون الحكم كلها بكل اخلاص. بل فيه ما يسد أجل حاجة الباحث فى أنباء القرن المذكور وفى تراجم رجاله، والعلم لا يعرف التحيز فشكراً باسم العلم للناشر - السيد عزت العطار الحسينى الدمشقى - فى هذه الفترة

اسم المؤلف، ومولده، وشيوخه، وتلاميذه: هو الامام الحافظ المؤرخ الثقة، الفقيه البارع، اللغوى المقرىء أبو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسى الاصل الدمشقى، ولد فى احد الربيعين من سنة ٥٩٩ وتلقى العلم من أمثال: العلم السخاوى، والعز بن عبد السلام، والموفق المقدسى، وأبى اسحاق بن الخشوعى، وداود بن ملاعب، وكريمة. وأخذ عنه أمثال: الشرف الفزارى والشهاب الكفرى، وابراهيم بن فلاح الاسكندرى.

لقب بأبى شامة لشامة كبيرة فوق حاجبه الايسر.

براعته فى العلوم: كان بارعا فى علوم الحديث، والقراءة، والفقه، والتاريخ، والعربية اماما فيها. يترجم له فى طبقات الحفاظ، والفقهاء، والقراء، واللغويين بالثناء البالغ عليه فى تلك العلوم وكان التاج الفزارى الفقيه الشافعى المشهور يقول: عجبت من أبى شامة كيف قلد الشافعى. يريد أنه بلغ رتبة الاجتهاد ومع ذلك استمر على الانتساب للامام الشافعى وكان له ميل الى كتب ابن حزم

مؤلفاته: مؤلفاته فى العلوم ممتعة كثيرة منها: المحقق فى الاصول، والمرشد الوجيز فى علوم تتعلق بالقرآن العزيز، وضوء السارى الى معرفة البارى، والحديث المقتفى فى مبعث المصطفى، والمؤمل فى الرد الى الامر الاول، والباعث على انكار البدع والحوادث، وكتاب السواك، وكتاب البسملة الكبير والصغير، وشرح الشاطبية الكبير والصغير، ومفردات القراء، ونور المسرى فى تفسير آية الاسرا، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر فى خمسة عشر مجلداً، وآخر فى خمسة مجلدات، وكشف حال بنى عبيد « الفاطمية » والروضتين فى أخبار الدولتين، وذيل الروضتين هذا، ونظم المفصل للزمخشرى، وشرح

المفصل، ومقدمة في النحو، وأرجوزة في العروض والقوافي، وغير ذلك. وولي مشيخة الإقراء بالتربة الأشرفية ومشيخة الحديث بدار الحديث الأشرفية بدمشق.

أقوال المؤرخين فيه ووفاته: قال الذهبي: كان مع براعته في العلوم متواضعا، تاركا للتكلف، ثقة اهـ

وقال ابن ناصر الدين: كان شيخ القراء، وحافظ العلماء، حافظا ثقة، علامة مجتهدا، وقال الإسنوي: جرت له محنة في سابع جمادى الآخرة سنة خمس وستين وستمائة في داره بطواحين الأشنان إذ دخل عليه رجلان جبليان في صورة مستفتيين ثم ضرباه ضربا مبرحا، ولم يزل عليلا من هذا الضرب إلى أن توفي في ١٩ رمضان سنة ٦٦٥ - وما في تذكرة الحفاظ سهو من الطابع - ودفن خارج باب الفراديس بدمشق، فضاعف الله أجوره، وأسكنه في أعلى غرف الجنة، وغفر لنا وله ونفعنا بعلومه وترجمته مستوفاة في طبقات «الحفاظ للذهبي» و«مرآة الجنان لليافعي» و«طبقات الشافعية» للتاج السبكي و«طبقات القراء» للجزري و«بغية الوعاة للسيوطي» و«شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد الحنبلي وغيرها؟

محمد زاهد الكوثري

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

الحمد لله الذي انفرد بالبقاء وكتب على غيره الزوال ، وجعل الدنيا متنقلة لاتدوم على حال ، وقضى على أهلها بالإدبار والإقبال . فكم من يؤمل الآمال فتحرمه دونها الآجال . وكم من يفجأه النوال ولم يكن يخطر له ببال . وصلى الله على خير خلقه من الملائكة والنبيين ، وآلهم الطاهرين ، وكرم نبينا خاتم الأنبياء وصحبه وآله سادة الأولياء . نعم الصحب وحبذا الآل .

أما بعد فان فى مطالعة كتب التواريخ معتبرا ، وفى ذكرها عن الغرور مزدجرا . لاسيما إذا ذكر بعض من مات فى كل عام من المعارف والاخوان ، والأقارب والجيران . وذوى الثروة والسلطان ، فان ذلك مما يزهد ذوى البصائر فى الدنيا . ويرغبهم فى العمل للحياة العليا . والاستعداد لما هم ملاقوه ، والاقلاع عما هم عن قليل مفارقوه .

وكان قد سهل الله تعالى على ، وحبب إلى إلى أن جمعت فى كتاب الروضتين ، كثيرا من الحوادث الواقعة فى زمن الدولتين النورية والصلاحية سقى الله عهدهما وأصلح مابعدهما وانتهى ذلك إلى السنة التى توفى فيها صلاح الدين رحمه الله تعالى وهى سنة تسع وثمانين وخمسمائة وذكرت تبعا لذلك أشياء مفرقة فيما يتعلق بأحوال أولاده ومن يتعلق بهم .

ثم خطر لى أن أجمع كتابا يتضمن كثيرا من الحوادث بعد ذلك إلى آخر ماتدركه حياتى ختمها الله بالعمل الصالح والفعل الراجح . وكان فيما حملنى على ذلك كثرة موت المعارف فأردت اثباتهم لعلى بمطالعتهم أجد قلبا على الآخرة يساعف .

ولقد بلغنى أن بعض الوعاظ ببلاد المغرب وعظ فقال كلاما معناه : أيها الناس كيف حالكم لو أن السلطان نادى فيكم أنه عازم على أن يقتل كل يوم منكم جماعة أما كانت الأرض عليكم تضيق؟ وحسب كل أحد أنه فى غد من ذلك الفريق ، فكيف لا تعقلون . وهذا الموت يأخذ منكم كل يوم ما تشاهدون وأنتم فى غفلة أفلا تعقلون .

قال : فأكثر الناس من البكاء . ثم ما أغنى ذلك شيئا . فيالها موعظة لو صادفت قلبا حيا .

فاستخرت الله وابتدأت من سنة تسعين التى تتلو سنة وفاة صلاح الدين فذكرت فيها وفيما بعدها مافاتنى ذكره فى كتاب الروضتين سنة بعد سنة .

ونسأل الله الكريم بفضله محو السيئة وتضعيف الحسنة وسميته (الذيل على الروضتين) من أول سنة تسعين على ترتيب السنين .

سنة ٥٩٠ ه .

ففيها استعادت الفرنج خذلهم الله حصن جبيل بمعاملة من كردي فقيه كان فيه في مستهل صفر . وفيها وصل العزيز عثمان بن صلاح الدين صاحب مصر في صفر لأخذ الشام وأقام يحاصرها عشرة أشهر وقطع الماء عنها .

ووصل العادل من الشرق فاجتاز بحلب وصعد إلى قلعتها وبات بها واستخلص ولديه وبني عمه كبراء البارزقية من اعتقال الظاهر صاحبها . ثم سار إلى دمشق معينا لاخيه الأفضل فأصلح بينهما على أن للعزيز من بيسان إلى إلى أسوان . وقدم الظاهر من حلب أيضاً ثم عاد كل إلى بلاده . وتزوج العزيز بابنة عمه العادل .

وأخذ الملك الأفضل من الفرنج في هذه السنة جبلة واللاذقية وفيها كانت محنة الشيخ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الواعظ . وشي به إلى الخليفة الناصر أحمد بن المستضيء بأمر الله اختلاف به وكان الزمان صيفاً . فبينا هو جالس في السرداب يكتب جاءه من اسمعه غليظ الكلام وختم على كتبه وداره وشتت عياله . فلما كان أول الليل حملوه في سفينة وحدروه إلى واسط خمسة أيام ما أكل طعاما إلى واسط ، وكان قد قارب ثمانين سنة فأقام في دار درب الديوان وعلى بابه بواب فكان يخدم نفسه ويغسل ثوبه ، ويطبخ ويستقي الماء من البئر ولم يدخل الحمام مدة خمس سنين مقامه بواسط . ولما عاد إلى بغداد كان يقول قرأت بواسط مدة مقامي كل يوم ختمة ما قرأت فيها سورة يوسف من حزني على ولدي يوسف . وكان يكتب إلى بغداد أشعارا كثيرة

وفيها : توفي القزويني الواعظ واسمه أحمد بن اسماعيل بن يوسف وكنيته أبو الخير الشافعي . تفقه بنيسابور على محمد بن يحيى صاحب الغزالي وسمع بها وبغيرها الحديث من أبي عبد الله الفراوي ، وأبي القاسم الشحامي ، وأبي محمد البيهقي وغيرهم ، وكان عالما بالتفسير والفقه متعبداً وكان يختم القرآن كل يوم مرة . ولد بقزوين سنة اثنتي عشرة وخمسمائة .وقدم بغداد حاجا سنة خمس وخمسين وخمسمائة فوعظ بالنظامية ومال إلى مذهب الأشعري رحمه الله وجلس يوم عاشوراء فقيل له العن يزيد بن معاوية . فقال ذاك إمام مجتهد فجاءه أحدهم فكاد يقتل . فسقط عن المنبر فأدخل بيتا من النظامية . ثم أخرجوه إلى قزوين فمات بها في المحرم.

وفيها :قتل السلطان طغريل شاه بن ارسلان شاه بن طغريل شاه بن محمد بن ملكشاه وهو آخر الملوك السلجوقية سوى صاحب الروم وهو الذي كان عسكر الخليفة على همذان وكان طغريل قد بعث إلى الخليفة يطلب السلطنة فأرسل إليه جيشاً مقدمه وزيره ابن يونس فكسرهم طغريل ومزقهم كل ممزق ، وأخذ ابن يونس وكان محلوق الرأس فاحضروه بين يدي السلطان والبسوه طرطورا أحمر فيه جلاجل وجعل يضحك عليه وذلك سنة أربع وثمانين وخمسمائة فهابه الملوك ثم إن خوارزم شاه سار إليه في عساكره والتقيا على الري فقتل وقطع رأسه وبعث إلى بغداد فدخلوا به في جمادى الأولى على خشبة وكم انه مشققة وسنجقه وراءه مكسور منكس وكان من أحسن الناس صورة ثم رد إلى خزانة الرؤس فجاءت فأرة فأكلت أنفه وأذنيه وبقي الرأس إلى سنة إحدى وستمائة فوقع حريق في خزانة الرؤس فاحترق الجميع وكان عدة الملوك السلجوقية نيفا وعشرين ملكا أولهم طغريل الذي أعاد القائم إلى بغداد وآخرهم هذا . ومدة ملكهم مائة وستون سنة .

وفيها : فى جمادى الآخرة توفى بالقاهرة الشيخ الشاطبي العالم الزاهد ناظم القصيدة فى القراءات السبع رحمه الله ودفن بالقرافة بالقرب من التربة الفاضلية بسارية . وقد زرت قبره . وشاطبة المنسوب هو إليها مدينة بالمغرب شرق الأندلس . أخبرنى شيخنا أبو الحسن على بن محمد (١) رحمه الله أن سبب انتقاله من بلاده إلى الديار المصرية أنه أريد على أن يتولى الخطابة بها فاحتج بأنه قد وجب عليه الحج وأنه عازم عليه فتركها ولم يرجع إليها تورعا مما كان يلزمون به الخطباء من ذكرهم على المنابر بأوصاف لم يرها سائغة شرعا . وصبر على فقر شديد وسمع بالاسكندرية على الحافظ أبى طاهر السلفى ، ثم قدم القاهرة فطلبه القاضى الفاضل للاقراء بمدرسته فأجاب بعد شروط اشترطها عليه على ما كان فيه من الفقر . وقدم بيت المقدس زائرا قبل موته بثلاث سنين فصام به شهر رمضان واعتكف . قال لى الشيخ أبو الحسن : سمعته وقد جاءه رجل يودعه والرجل عازم على المسير إلى القدس فقال : ذكر الله عنا ذلك الموضع بخير . وقال لا أعلم موضعا أقرب إلى السماء منه بعد مكة والمدينة قال الشيخ : فعلمت أنه رزق ثم قبولا وقال : اقطع بأنه كان مكاشفا وأنه سأل الله تعالى كتمان حاله ما كان أحد يعلم أى شىء هو قلت : وقد ذكرت طرفا صالحا من أخباره وأوصافه فى أول شرحى الكبير لقصيدته الكبرى وأخبرنى عنه جماعة من أصحابه رحمهم الله تعالى .

سنة ٥٩١ هـ :

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وفيها قدم العزيز بن صلاح الدين إلى الشام مرة ثانية فنزل على الفوار فى شهر رمضان ثم رحل إلى مصر لما سمع بقدوم العساكر مع عمه العادل وأخيه الأفضل فرحل عائداً إلى مصر وتبعاه إلى القاهرة وخرج الفاضل فأصلح الحال فدخل العادل مصر مع العزيز ورجع الأفضل إلى الشام . وفيها : حج بالناس من بغداد سنجر الناصرى ، ومن الشام سراسنقر ، وايك فطيس الصلاحيان ، ومن مصر الشريف اسماعيل بن ثعلب الجعفرى من ولد جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه .

وفيها : كانت بالمغرب وقعة الزلاقة وكانت وقعة عظيمة بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وبين الفنس (٢) ملك طليطلة ، وكان الفنس قد استولى على جزيرة الأندلس وقهر ولاتها ، وكان يعقوب بن المنصور متشوفا على نصرتهم بالخوارج الخارجين عليه وبينه وبين الأندلس زقاق سبتة وعرضه ثلاثة فراسخ ويحتاج فى عبوره إلى مشقة عظيمة . وطمع الفنس فى المسلمين بهذا السبب وكتب إلى يعقوب ينخيه عن العبور إليه فسار إلى زقاق سبتة فنزل عليه ، وجمع الشوانى ، والمراكب وعرض جيشه فكانوا مائتى ألف مقاتل : مائة ألف يأكلون من الديوان ، ومائة ألف مطوعة وعبر الزقاق إلى مكان يقال له الزلاقة وجاءه الفنس فى مائتى ألف وأربعين ألفاً من أعيان الفرنج والمقاتلة والتقوا فنصر الله المسلمين وهرب الفنس فى نفر يسير إلى طليطلة ، وغنم المسلمون ما كان فى عسكره فكان عدة من قتل من الفرنج مائة ألف وستة وأربعون ألفا ، وعدة الاسارى ثلاثين ألفا ، ومن الخيام مائة ألف

---

(١) هو العلم السخاوى .ز.

(٢) ولعل هذا هو الصواب وان قيده بعضهم بلفظ اذوفنش .ز.

خيمة وخمسون ألفا ، ومن الخيل ثمانون ألفا ، ومن البغال مائة ألف ، ومن الحمير اربعمائة ألف حمار يحمل أثقالهم لأنهم لاجمال عندهم ، ومن الأموال والجواهر والثياب مالا يحد ولا يحصى ، وبيع الأسير بدرهم ، والسيف بنصف درهم ، والحصان بخمسة دراهم ، والحمار بدرهم . وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين على مقتضى الشريعة فاستغنوا إلى الأبد . ووصل الفنس إلى طليطلة على أقبح حال وحلق رأسه ولحيته ونكس صليبه وآلى أن لاينام على فراش ، ولا يقرب النساء ، ولا يركب فرساً ولا دابة حتى يأخذ بالثار وأقام يجمع من الجزائر والبلاد ويستعد . وقيل أنها كانت هذه الواقعة فى سنة تسعين وخمسمائة والله أعلم .

سنة ٥٩٢ هـ :

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وفيها : نقل تابوت صلاح الدين رحمه الله من القلعة إلى التربة المستجدة له شمالى الجامع . وفيها : قدم العزيز إلى الشام مرة ثالثة مع العادل ونزلا على جسر الخشب وانفصل الحال على أن خرج الأفضل منها إلى صرخد وتسلمها العزيز وسلمها إلى عمه العادل وأسقط مكوسها والخطبة والسكة باسم العزيز . وأخذت قلعة بصرى من الظافر خضر بن صلاح الدين . ورجع العزيز إلى مصر . وفيها : حج من مصر الشريف بن ثعلب فى جماعة من الأعيان وأنفق أموالا كثيرة

وفيها : بعد خروج الحاج من مكة هبت ريح سوداء عمت الدنيا ووقع على الناس رمل أحمر ووقع من الركن اليمانى قطعة وتجرد البيت الحرام مرارا .

وفيها : فى غرة شعبان كسر عسكر الخوارزم شاه الأحول والد علاء الدين بن محمد وكان مقدمه مملوكا له عسكر الخليفة فى عشرين ألفا مقدمه ابن القصاب وزير الخليفة فكسروا أشنع من كسرة ابن يونس . عادوا إلى بغداد عرايا جياعا . وقطع رأس الوزير وبعث به وباعلام الخليفة والخزائن وكانت الكسرة على باب همذان وكان خوارزم شاه قد قطع جيحون فى خمسين ألفا ثم وصل همذان وشحن على البلاد إلى باب بغداد وبعث إلى الخليفة يطلب السلطنة وإعادة دار السلطنة إلى ما كانت ويجىء إلى بغداد ويكون الخليفة من تحت يده كما كانت السلجوقية فانزعج الخليفة وأهله ، وغلب الأمصار وقيل أن خوارزم شاه توفى فى هذه السنة . وقيل فى سنة ست وتسعين كما سيأتى .

وفيها : كانت وقعة أخرى ليعقوب بن يوسف مع الفنس . وكان الفنس قد جند وجمع جمعا أكثر من الأول والتقوا فهزمه يعقوب وساق خلفه إلى طليطلة وضربها بالمجانيق وضيق عليها ولم يبق إلا فتحها فخرجت إليه والدة الفنس وبناته ونساؤه وأهله وبكين بين يديه وسألنه إبقاء البلد عليهن فرق لهن ومن عليهن به ووهب لهن المال والجواهر وردهن مكرمات بعد القدرة ، ولو فتح طليطلة لفتح إلى مدينة النحاس . وعاد إلى قرطبة فأقام شهراً يقسم الغنائم وجاءته رسل الفنس تسأله الصلح فصالحه مدة وأمن أهل الأندلس . وقيل أن هذه الوقعة كانت سنة إحدى وتسعين .

وفيها : توفى عبيد الله بن المظفر بن هبة الله ابن رئيس الرؤساء ويلقب بالاثير هبة الله هو : الوزير الذى قتلته الباطنية وهو خارج الى الحج فى أيام المستضىء ، وكان عبيد الله فاضلا عاقلا ومن شعره :

إن حاول الدهر اخفائى فان له ... فى حبسى الآن سراً سوف يبديه
أعدنى للعلا ذخراً ومن ذخرت ... يداه فى الدهر شيئا فهو يخفيه

وفيها: توفى محمد بن أحمد بن يحيى أبو منصور ويعرف بابن باقة ولد بالكوفة سنة ثلاثين وخمسمائة، وأشتغل بالادب. ومات ببغداد وحمل الى الكوفة، وكان أبوه فاضلا أيضا فمن شعره:

وكم شامت بى ان هلكت بزعمه ... وجاذب سيف عند ذكر وفاتى
ولو علم المسكين ماذا يصيبه ... من الذل بعدى مات قبل مماتى

وفيها: قتل الوزير ابن القصاب المقدم ذكره وهو: أبو الفضل محمد بن على بن أحمد ولقبه مؤيد الدين أصله من شيراز وقدم بغداد سنة أربع وثمانين واستخدم فى ديوان الانشاء ثم ترقى الى الوزارة وقرأ الأدب على ابى السعادات ابن الشجرى. وكان داهية له خبرة بامور الحرب وفتح البلاد، وكان الناصر الخليفة يثنى عليه ويقول: لوقبلوا من رأيه ماجرى ماجرى. ولقد اتعب الوزراء بعده وكان الخليفة قد سلم اليه ابن يونس استاذ الدار لما قبض عليه فسلمه ابن القصاب الى ولده احمد. ولما خرج عن بغداد كتب الوزير الى ابنه احمد وهى له:

يا عازب النار خذ إليك ابا ... السائب حلف الفضول والحمق
ولا تكله الى زبانية ... يأخذهم بالخداع والملق
فلست تدرى اى ابن زانية ... عندك ملق فى القد والحلق

وقيل إن رأس المؤيد ابن القصاب دفن بالرى بعد أن طافوا به البلاد. ومن العجائب انه وصل خبره مع الركابية يوم الجمعة رابع عشر شعبان وقد اجتمع على باب ولده شمس الدين احمد ارباب الدولة ليعبروا فى خدمته الى تربة الخلاطية نيابة عن ابيه فجاء خادم من عند الخليفة فرد بابه وصرف ارباب الدولة عن بابه ونقل ابنه من دار الوزارة التى تقابل باب المتولى واسكنها ناصر بن مهدى.

وفيها: توفى ابو شجاع محمد بن على بن شعيب بن الدهان الفرضى الحاسب البغدادى، وكان فاضلا وصنف تاريخا من سنة عشر وخمسمائة الى هذه السنة، وكانت وفاته بالحلة السيفية، وكان قدم الشام ومدح الشيخ تاج الدين الكندى واسمه زيد بن الحسن رحمهما الله تعالى بأبيات حسنة فقال:

لا بدل الله حالا قد حباك بها ... ما دار بين النحاة الحال والبدل
النحو انت احق العالمين به ... أليس باسمك فيه يضرب المثل

وفيها: فى رجب توفى ابن المعلم الشاعر واسمه ابو الغنائم محمد بن على بن فارس الهرثى (والهرث بضم الهاء وسكون الراء وآخره ثاء مثلثة قرية تحت واسط فى نهر جعفر بينها وبين واسط عشر فراسخ) توفى ابن المعلم بها واصله منها وكان رقيق الشعر، مليح المعانى اكثر فى الغزل ووصف المحبة والشوق والصبابة فمالت القلوب اليه. ومولده سنة احدى وخمسمائة. ومدح الامراء والرؤساء والاعيان وديوانه مشهور ومن شعره:

يا نازلين الحمى رفقا بقلب فتى ... إن صاح للبين داع باح مضمره
لا تحسبوا الصد عن عهدى يغيرنى ... غيرى ملازمة البلوى تغيره
وما ذكرتكم إلا وهمت جوى ... وآفة المبتلى فيكم تذكره
يزداد فى مسمعى تكرار ذكركم ... طيبا ويحسن فى عينى تفكره(١)

(١) وفى نسخة تكرره. ز.

وقال ابن المعلم : اجتزت ببغداد بباب بدر تحت منظرة الخليفة وقد ازدحم الناس فقلت ماهذا ؟ قالوا : الشيخ ابو الفرج ابن الجوزى جالس فزاحمت الناس حتى شاهدته وهو يعظ فاستشهد بهذا البيت :

يزداد فى مسمعى تكرار ذكركم

ثم قال : لقد احسن ابن المعلم حيث يقول هذا البيت قال فعجبت حيث اتفق حضورى وانشاد الشيخ هذا الشعر ولم يعرفنى هو ولا احد من الحاضرين .

وفيها : فى ثالث صفر توفى الفخر النوقانى الشافعى واسمه محمد بن ابى على ولد سنة عشر وخمسمائة ، وتفقه على محمد بن يحيى صاحب الغزالى ، وقدم بغداد فاستوطنها وولى التدريس بمدرسة ام الخليفة المجاورة لتربتها عند قبر معروف ، وكان فاضلا مناظرا ، وله تصانيف وجدل . خرج حاجا وعاد الى الكوفه وهو مريض فتوفى بها ودفن بمشهد امير المؤمنين .

وفيها : توفى الصدر ابن الخجندى واسمه محمد بن عبد اللطيف بن محمد ابو بكر رئيس اصبهان وابن رئيسها وبيته مشهور بالرئاسة والتقدم والجاه العظيم . قدم بغداد فى سنة ثمان وثمانين فانعم عليه الخليفة انعاما كثيراً وقربه وخلع عليه واحترمه وولاه تدريس النظامية واوقافها . فلما خرج الوزير ابن القصاب الى همذان خرج معه ودخل معهم الى اصبهان ، وولى ابن القصاب سنقر الطويل اصبهان . وكان ابن الخجندى ليس على يده يد فحسده سنقر الطويل على مكانته فجرت بينهما منافره . وقيل اتهموه بمكاتبة خوارزم شاه فذبحوه .

وفيها : توفى المجير مدرس النظامية واسمه محمود بن المبارك بن على بن المبارك ابو القاسم ولد فى رمضان سنة سبع عشرة وخمسمائة واشتغل بالاصولين والمذهب وعلم النظر ، والحساب وبرع فيها وقرأ على ابى الفتوح الاسفرايني وغيره وسمع الحديث وكان تفقه اولا على مذهب احمد بن حنبل ثم انتقل الى مذهب الشافعى ، واعطى تدريس النظامية وخرج الى همذان فتوفى بها فى ذى القعدة سمع قاضى المارستان ، وابا القاسم ابن السمرقندى ، والانماطى وغيرهم وكان صالحا ديناً ثقة .

وفيها : توفى زعيم الدين ابن الناقد واسمه نصر بن على بن محمد ابو طالب ولى حجبة الباب ثم ولى صاحب ديوان ، ثم ولى المخزن وهو الملقب بقنبر وانما لقب بقنبر لانه صاد ولده قنبرا وخباه الى جانب مسنده فخرج القنبر فصاح قنبر قنبر فلقب به ، وكان اذا بلغه ان احداً لقبه قنبر يسعى فى هلاكه وقيل انه كان يميل الى التشيع ، وكانت عمامته طويلة فالتقبه اهل باب الازج قنبر (وهو ذكر العصافير) وكان اذا ركب صاحوا : قنبر قنبر . وقرب العيد فأمره الخليفة بالركوب فى صدر المركب فجمع العوام قنابر كثيرة وعزموا على أن يرسلوها حوله فى الموكب فقيل للخليفة ان وقع هذا فى الموكب هتكه فعزله وولى ابا سعيد بن المعوج

وفيها : فى جمادى الآخرة من نقل الخبر بوفاة سابق الدين عثمان صاحب شيزر بها الى دمشق ، وعمل عزاه بالكلاسة وهو احد اولاد الداية الاربعة وامهم داية نور الدين ابن زنكى رحمه الله تعالى .

سـنة ٥٩٣ هـ :

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين فيها : فتح الملك العادل يافا فى شوال بالسيف واستولى على من فيها قتلا ونهبا وسلبا ثم أمر بهدمها فرميت حجارتها فى البحر فى مينائها . ومن عجيب ما بلغنى انه كان فى قلعتها من الخيالة اربعون فارسا من الفرنج العزب البحرية ، فلما تحققوا نقب القلعة واخذها دخلوا الى

كنيستها واغلقوا عليهم بابها وتجالدوا بسيوفهم بعضهم لبعض الى ان هلكوا جميعا وكسر المسلمون الباب وهم يرون الفرنج ممتنعين فألفوهم تلى عن آخرهم فتعجبوا من حالهم .

وفيها : عاد الاسطول المصرى الى القاهرة غانماً سبعين فارسا بذل احدهم فى فدائه ثمانين الف دينار .

وفيها : استعادت الفرنج خذلهم الله قلعة بيروت من نواب سامة .

وفيها : قدم حسام الدين ابو الهيجاء السمين بغداد وخرج الموكب للقائه فى زى عظيم رتب الاطلاب على ترتيب الشام ، وكان فى خدمته عدة من الامراء وكان معه ولد اخيه عز الدين كرو الفرس ، وكان رأسه صغيرا وبطنه كبيرا جدا بحيث كان على رقبة البغلة وكان قد رآه عند الخريبة رجل كواز فعمل فى ساعته كوزا على شكله وسبقه فعلقه فى السوق فلما اجتاز به ضحك ، وعمل بعد ذاك اهل بغداد كيزانا وسموها ابا الهيجاء السمين على صورته ، وأنزله الخليفة بدار العميد غربى بغداد بعد أن عبر الى الجانب الشرقى وقبل عتبة باب النوبى واكرمه الخليفة وقام له بالضيافات ثم امره ان يجرد جماعة من أصحابه مع عسكر الخليفة الى همذان فجرد جماعة فلما بعدوا عن بغداد نهبوا خزانة الخليفة وقتلوا جماعة من عسكره ومضوا الى الموصل والجزيرة وعاد عسكر الخليفة الى بغداد وقد خرجوا فنقله الخليفة الى الجانب الشرقى الى دار عند النظامية كانت لسلطان دمشق قبل نور الدين ابن زنكى . وهو : مجير الدين ابق ووكل به ثم خلع عليه بعد ذلك الجبة والفرجية والعمامة السوداء والقباء الاسود وبين يديه الخيل بمراكب الذهب وسار الى همذان .

وفى عاشر محرم : توفيت الست عذراء بنت شاهنشاه بن ايوب اخت عز الدين فرخشاه وهى التى تنسب اليها المدرسة العذراوية بدمشق بحضرة باب النصر وفيها دفنت . وفى تاسع عشر شوال : توفى عمها سيف الاسلام طغتكين بن ايوب بموضع يعرف بالخراء باليمن وولى اليمن بعده ابنه اسماعيل فسفك الدماء ثم ادعى الخلافة وانتسب الى بنى امية فقتل . وفى ثانى عشر ذى الحجة : توفيت والدة الملك العادل بدارها من دمشق المجاورة لدار أسد الدين شيركوه .

وفيها : حج عز الدين سامة من الشام وله آثار بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم من القناة وعمارة القبة على قبر أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه . وفيها : توفى احمد بن عيسى الهاشمى والد الواثق بالله ويعرف بابن الغريق من أهل الحريم الظاهرى وكان شاعرا فاضلا فن شعره مااعتذر به عن الاكتحال يوم عاشوراء :

لم اكتحل فى صباح يوم … أريق فيه دم الحسين
إلا لحزنى وذاك أنى … سودت حتى بياض عينى

وكانت وفاته فى ذى القعدة عن ثمانين سنة ودفن بباب حرب .

وفيها : توفى الحسن بن على بن حمزة ابو محمد بن الاقساسى النقيب الطاهر نقيب العلويين ببغداد كان فاضلا أديبا وقال نمت ليلة عن صلاتى فرأيت أمير المؤمنين عليا عليه السلام فى جامع الكوفة وحوله جماعة فسلمت عليه فلم يرد على ودفعنى بيده فخطر لى أنه بسبب نومى عن الصلاة .

وفيها : توفى صندل بن عبد الله الخادم المقتفوى ويلقب عماد الدين كان اكبر الخدم واعقلهم ارسله الخليفة الناصر الى صلاح الدين مرارا . وكان كثير الصدقات والخير وولى ناظرا بواسط ومدحه ابن المعلم الشاعر بقصائد ودفن بالتربة التى انشأها عند الجامع غربى بغداد .

وفيها : توفى ابن الباقلانى واسمه عبد الله بن منصور بن عمر بن أبى بكر ولد سنة خمسمائة وقرأ بواسط على أبى العز محمد بن الحسين بن بندار القلانسى وغيره وانفرد بالرواية فى القراءات العشر عن القلانسى ، وقدم بغداد فقرأ على أبى محمد عبد الله بن على سبط أبى منصور الخياط وغيره . وكان حسن التلاوة . وكان قدومه إلى بغداد فى سنة عشرين وخمسمائة وبعدها ، وآخر ما قدمها سنة ست وسبعين وخمسمائة ، وكانت وفاته بواسط سلخ ربيع الآخر ودفن عند أبيه بمقبرة المصلى ، وكان يوماً مشهوداً ورآه بعض الأعيان فى المنام فقال له مافعل الله بك ؟ فقال : قد صلى على سبعون ألفا من الأبدال . سمع أبا القاسم ابن الحصين ، وابن السمرقندى ، وقاضى المارستان وغيرهم .

وفيها : توفى : عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر الجيلى ولد سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وتفقه ، ووعظ . وكان ذكياً ولاه الخليفة المظالم وتربة الخلاطية . وكانت مجالس وعظه تمضى فى الهزل والمجون قيل له يوماً ما تقول فى أهل البيت ؟ فقال : اعمونى . وكان أعمش والسائل انما سأل عن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجاب عن أهل بيت نفسه ، وقيل له بأى شىء تفرق بين المحق والمبطل ؟ قال : بليمونة . أراد من تخضب يزول خضابه بليمونة ، وكانت وفاته فى شوال ودفن فى الحلبة ، سمع أباه ، وأبا القاسم ابن الحصين ، وابن السمرقندى وأبا الوقت وغيرهم .

وفيها : توفى الوزير أبو المظفر عبد الله بن يونس بن أحمد الجيلى ولقبه جلال الدين كان فى بدء أمره أحد العدول ببغداد . ثم خدم فى ديوان الأبنية . ولما مات أبوه يونس توكل لأم الخليفة . ثم ولى صاحب ديوان ثم استوزره الخليفة وبعثه إلى طغريل فكسر على ماذكر وعاد إلى بغداد فولاه الخليفة الديوان والمخزن ، ثم ولاه أستاذ دار ثم عزله . وكان قد قرأ القرآن على صدقة بن الحداد وغيره ، وتفقه على أبى حكيم النهروانى ، وسمع أبا الوقت وغيره . ولما سافر إلى همذان سمع من أبى العلاء الحافظ الهمذانى وكان فاضلا فى الأصولين ، والحساب ، والهندسة . وله تصنيف فى الأصول غير أنه شان فضله بمقاصده السيئة ، ورأيه الفاسد ، وحقده وحسده ، ولجاجه وكسر عسكر الخليفة بلجاجه ومخالفته للأمراء وكونه استعجل على لقاء طغريل ، وأخرب بيت الشيخ عبد القادر وشتت أولاده ويقال أنه بعث فى الليل من نبش الشيخ عبد القادر ورمى عظامه فى اللجة ، وقال هذا وقف ما يحل أن يدفن فيه أحد . ولما اعتقله الخليفة كتب فتوى بأنه كان سبب هزيمة عسكر الخليفة . وذكروا أشياء أخر فأفتوا بإباحة دمه . فسلم إلى أحمد بن الوزير ابن القصاب فبقى فى داره . فلما مات ابن القصاب اعتقل فى التاج وأخرج فى سابع عشر صفر ميتاً ودفن بالسرداب .

وأما صدقة بن الحداد الذى قرأ عليه بن يونس القرآن فهو صدقة ابن الحسين بن الحسن أبو الفتح الناسخ الحنبلى يعرف بابن الحداد حفظ القرآن ، وتفقه ، وأفتى وناظر لكنه قرأ الشفا لابن سينا ، وكتب الفلاسفة فغير اعتقاده . وكان يبدر من فلتات لسانه مايدل على سوء عقيدته ، وتارة يشتق من حبس ابن الراوندى . وتارة يشير إلى عدم بعث الأجساد ، وتارة يعترض على القضاء والقدر . وله أشعار تتضمن شيئاً من ذلك . توفى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة .

وفيها : توفى يحيى بن أسعد بن يحيى بن بوش أبو القاسم الخباز البغدادى سمع الكثير وكان قد افتقر فى

آخر عمره فكان يأخذ على التسميع أجرة . جلس ليلة الأربعاء ثالث ذى القعدة يأكل خبزا فغص به بلقمة فمات لجأة . سمع قاضى المارستان، وأبا العز ابن كادش، وابن الطيورى، وأبا طالب بن يوسف وهو آخر من روى عن أبي طالب . وكان ثقة .

سنة ٥٩٤ هـ :

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وخمسمائة فيها : نزل الفرنج على تبنين وانفذ العادل محى الدين بن الزكى إلى العزيز بمصر مستصرخا فأرسل العساكر وقدم بنفسه فرحل الفرنج خائبين لما تحققوا من قوة العسكر الإسلامى بعد أن أقاموا عليها شهرين وسبعة أيام واطمعتهم أنفسهم بأخذها . ورجع العزيز إلى مصر والعادل إلى دمشق بعد أن تقررت الهدنة مع الفرنج لمدة خمس سنين وثمانية أشهر أولها رابع عشر شعبان سنة أربع وتسعين وخمسمائة

وفيها : عاد الأسطول المصرى من الغزو بعد أن اجتاز ببلاد لاون ووصل معه إلى مصر من السبي اربعمائة وخمسون أسيرا .

وفيها : حج بالناس من الشام تقى الدين قراجا مملوك صلاح الدين .

وفيها : توفى جرديك النورى . وكان من أكابر امراء نور الدين . وخدم صلاح الدين فى جميع غزواته وهو الذى قتل شاور بمصر وابن الخشاب بحلب وكان شجاعا جوادا وولاه صلاح الدين القدس.

وفيها : توفى الشيخ أبو على الحسن بن مسلم الزاهد القادسى من قرية بنهر عيسى يقال لها القادسية . كان من الأبدال لازماً لطريق السلف أقام أربعين سنة لم يكلم أحدا من الناس وكان صائم الدهر قائم الليل يقرأ كل يوم وليلة ختمة ذكره أبو الفرج ابن الجوزى فى صفوة الصفوة . وكان زاهد زمانه . وكانت السباع تأوى إلى زاويته . وكان الخليفة وأرباب الدولة يمشون إلى زيارته . وكانت وفاته يوم عاشوراء ودفن فى رباطه بالقادسية .

وحكى عنه جماعة من مشايخ القرية أن السباع كانت تنام طول الليل حول زاويته وإذا خرج أحد من القرية فى الليل إلى نهر عيسى لم يتعرض له . وأن فقيراً نام فى الزاوية فى ليلة باردة فاحتلم فنزل ليغتسل لجاء السبع فنام على جبته فكاد الفقير يموت من البرد والخوف فخرج الشيخ حسن وجاء إلى السبع وضربه بكمه وقال يامبارك قد قلنا لك لا تتعرض أضيافنا فقام السبع يهرول . سمع قاضى المارستان، وابن الحصين، وابن الطيورى وغيرهم

وفيها : توفى فى المحرم بسنجار صاحبها عماد الدين زنكى ابن مودود بن زنكى ابن أخى نور الدين وختنه على ابنته وكان عاقلا جوادا ولم يزل مع صلاح الدين فى غزواته مجاهدا وكان ميموناً . وكان صلاح الدين يحترمه مثل ما كان يحترم نور الدين ويعطيه الأموال والهدايا والتحف الكثيرة . ولما توفى صلاح الدين خرج مع أخيه عز الدين إلى لقاء العادل . فلما عاد عز الدين إلى الموصل صالح عماد الدين العادل ولما احتضر أوصى إلى أكبر أولاده وهو قطب الدين محمد ويلقب بالمنصور .

وفيها : توفى أبو الحسن على بن جابر زهير قاضى البطائح ولد سنة تسع وعشرين وخمسمائة . وقدم بغداد فسمع بها الحديث من أبي الوقت وابن ناصر وابن الجواليقى وغيرهم وخرج إلى رحبة مالك بن طوق فقرأ الفقه والأدب على أبي عبد الله ابن المتقنة وعاد إلى البطائح فولى القضاء بالعراق ثم عاد إلى

بغداد فأقام بها ثم انحدر إلى البطايح فتوفى بطريق واسط وكان ثقة صالحاً . وقال أنشدنى القاسم بن على صاحب المقامات لنفسه :

لاتخطون إلى خطط ولا خطأ   من بعد ما الشيب فى فوديك قدوخطا
فأى عذر لمن شابت ذوائبه   إذا سعى فى ميادين الصبا وخطا

وفيها : توفى أبو المجد على بن على بن ناصر السيد العلوى مدرس الحنفية ببغداد ولد سنة خمس عشرة وخمسمائة وتفقه وافتى وناظر وكان المستنجد الخليفة قد حبسه وطالبه بمال فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له : يايوسف استوص بولدى خيرا فهو وديعتى عندك . فاتتبه الخليفة مرعوباً واحضره وخاطبه وقال اجعلنى فى حل فقد شفع فيك من لايمكننى رده واحسن إليه وكانت وفاته فى ربيع الأول ودفن عند مشهد عبيد الله شرقى بغداد وكان صالحاً شريفاً على الحقيقة . سمع ابن الحصين وقاضى المارستان، وابن السمرقندى وغيرهم .

وفيها : توفى مجاهد الدين قايماز الخادم الرومى الحاكم على الموصل الذى بنى الجامع المجاهدى والمدرسة والرباط والمارستان بظاهر الموصل على دجلة ووقف عليها الأوقاف وكانت رواتب كثيرة بحيث لم يدع فى الموصل بيتا فقيرا إلا واغنى أهله . وكان دينا صالحا عادلا كريما يتصدق كل يوم خارجا عن الرواتب بمائة دينار وله حكايات مشهورة . ولما مات عز الدين مسعود وولى ابنه ارسلان شاه حبسه وضيق عليه وآذاه فتوفى فى الحبس فأخرج ملفوفاً فى كساء فلما وصل إلى باب البلد قال البوابون. قفوا حتى نستأذن له فألقى على قارعة الطريق حتى أذن له . وكان لعز الدين مسعود جارية يقال لها اقصرا أولدها الجهة الاتابكية التى تزوجها الملك الاشرف موسى بن العادل أبى بكر بن أيوب . وبنت فى جبل قاسيون التربة ، والمدرسة والمأذنة المنسوبات إليها . وكان عز الدين قد زوج مجاهد الدين هذا أم الاتابكية اقصرا المذكورة

وفيها : توفى أبو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله بن زيادة الواسطى . ولد سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، وقدم بغداد واشتغل بالأدب فبرع فى الانشاء ، والكتابة وانتهت إليه الرياسة فيهما مع تخصصه بفنون كالفقه ، وعلم الكلام ، والأصول ، والحساب ، والشعر جالس أبا منصور الجواليقى وقرأ عليه، وسمع أبا القسم الصباغ وغيره ، وولى للخليفة عدة خدم : حجبة الباب ثم استاذية الدار، ثم كتابة الانشاء فى آخر أمره . وكانت وفاته فى ذى الحجة . ودفن فى مقابر قريش . ومن شعره .

قد سلوت الدنيا ولم يسلها   من علقت فى آماله والاراجى(١)
وإذا ما صرفت وجهى عنها   قذفونى فى بحرها العجاج
يستضيئون بى وأهلك وحدى   فكأنى ذبالة فى سراج

وفيها : توفى أبو الهيجاء السمين الكردى ولقبه حسام الدين وقد تقدم أنه قدم بغداد وبعثه الخليفة إلى همدان فلم يتم له أمر ، واختلف الأمر عليه ، وتفرق عنه أصحابه فخاف من الخوارزمى واستحيا

(١) هكذا فى الأصول الثلاثة وفيه خلل عروضى .

أن يعود إلى بغداد فسار يطلب الشام على دقوقا فلما وصل إليها مرض وأقام بها أياما فتوفى . وبلغنى أنه كان نازلا على تل فقال : ادفنونى فيه فحفروا له قبرا على رأس التل فظهرت بلاطة عليها اسم أبيه فدفنوه عليه . وقيل كانت وفاته فى آخر السنة الثالثة والتسعين .

سنة ٥٩٥ هـ :

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ففيها : استدعى الخليفة ضياء الدين ابن الشهرزورى إلى بغداد وولاه القضاء بها ، وحج بالناس مظفر الدين وجه السبع . وفيها . أفرج عن الشيخ أبى الفرج ابن الجوزى فقدم بغداد فى شعبان . وخلع عليه . وجلس عند تربة أم الخليفة وكانت تتعصب له ، وساعدت فى خلاصه . وأنشد بيت الرضى الموسوى

إن كان لى ذنب ولم آته   فاستأنف العفو وهب ما مضى

وأنشد أيضا .

شقينا بالنوى زمنا فلما   تلاقينا كأنا ما شقينا
سخطنا بعد ما جنت الليالى   فما زالت بنا حتى رضينا
سعدنا بالوصال وكم سقينا   بكاسات الصدود وكم ضنينا
فمن لم يحى بعد الموت يوما   فانا بعد ما متنا حيينا

وفيها : توفى القاضى العباسى وهو : أبو جعفر محمد بن جعفر بن أحمد وقيل أبو الحسين . ويلقب فخر الدين وعماد الدين ولد سنة أربع وعشرين وخمسمائة . تفقه على أبى الحسن ابن الخل . وسمع الحديث الكثير ، وولى قضاء بغداد سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، وولى قضاء مكة والخطابة . ثم عزل فى جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين بحضرة الوزير عبد الله بن يونس بسبب أنه حكم بكتاب مزور . وكانت وفاته فى جمادى الآخرة . ودفن بمقبرة العطافية عند جده النقيب أبى جعفر العباسى . سمع أبا الوقت وغيره . وابنه جعفر بن محمد العباسى قدم دمشق وسمع بها كثيرا وببغداد من مشايخهما ، ومولده سنة سبعين وخمسمائة وتوفى بحماة فى ذى الحجة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة .

وفيها : فى ذى الحجة توفى تقى الدين طرخان بن ماضى بن جوشن بن على بن معا فى الضرير الشاغورى الشافعى ، وكان إماما لنذك العادل نور الدين محمود بن زنكى رحمهما الله مدة طويلة . ودفن خارج باب الصغير ، ومولده بدمشق سنة ثمانى عشرة وخمسمائة .

وفيها : توفى ابن فضلان مدرس النظامية ، وهو : أبو القاسم يحيى بن على بن الفضل . ولد سنة خمس عشرة وخمسمائة . وتفقه على محمد بن يحيى صاحب الغزالى بنيسابور ، وقدم بغداد فناظر وافتى ودرس وكان مقطوع اليد وقع من الجمل فاعتلت يده فخيف عليه فقطعت وانتفع به خلق كثير ببغداد وغيرها . وكانت وفاته فى شعبان . وحمل الفقهاء جنازته إلى الوردية . سمع بنيسابور من محمد بن يحيى ، وببغداد من محمد بن ناصر ، وأبا الوقت وغيرهما وسمع منه ينشد :

وإذا أردت منازل الاشراف   فعليك بالاسعاف والانصاف
وإذا بغى باغ عليك فخله   للدهر فهو له مكافٍ كاف

وفيها : توفى خليفة المغرب أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الذى كسر الفنس عام الزلاقة . وكان قام بالملك بعد أبيه أحسن قيام . نشر كلمة التوحيد . ورفع راية الجهاد . وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر . وأقام الحدود على عشيرته وغيرهم . وكان جواداً سمحا ، عادلا . يكرم العلماء ، متمسكا بالشرع ، يصلى بالناس الصلوات الخمس ، ويلبس الصوف ، ويقف للمرأة والضعيف ويأخذ لهم بالحق ، حافظا للسانه . وأوصى فى مرض موته إلى ولده أبى عبد الله محمد . وأن يدفن على قارعة الطريق ليترحم عليه من عبر به . وتوفى فى ربيع الأول . فكانت مدة أيامه خمس عشرة سنة . وهو الذى كتب إليه سلطاننا الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة سبع وثمانين يستنجده على الفرنج الخارجين عليه بساحل البلاد المقدسة ، ولم يخاطبه بأمير المؤمنين . فلم يجبه إلى ما طلب وقد ذكرنا من أخباره فى كتاب الروضتين فى سنة سبع وثمانين . وبايع الناس بعده ولده محمداً واستمر على سيرة أبيه . ثم اختلفت الأهواء وحصل النقض على البيت بموت يعقوب رحمه الله

وفيها : كانت فتنة عبد الغنى الحافظ الحنبلى وذلك يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذى القعدة . ذكر العز تاج الأمناء أنه اجتمع الشافعية ، والحنفية ، والمالكية عند المعظم عيسى ، والصارم برغش والى القلعة وكانا يجلسان بدار العدل للنظر فى المظالم فكان ما انتهى من احضار اعتقاد الحنابلة ، وموافقة أولاد الفقيه النجم بن الحنبلى الجماعة ، واصرار عبد الغنى المقدسى على لزوم ما ظهر من اعتقاده وهو الجهة ، والاستواء ، والحرف . واجماع العلماء على الفتيا بكفره ، وأنه مبتدع لا يجوز أن يترك بين المسلمين ، ولا يحل لولى الأمر أن يمكنه من المقام معهم . فسأل أن يمهل ثلاثة أيام لينفصل عن البلد فأجيب . ورفعت جميع الخزائن والسناديق من الجامع . وبطلت صلاة الحنابلة من الجامع الظهر ومنعوا منها ، ثم أذن لهم فصلوا العصر من ذلك اليوم قلت : وسيأتى ذكر هذه الفتنة أيضا فى أخبار سنة ستمائة إن شاء الله تعالى .

سنة ٥٩٦ هـ :

ثم دخلت سنة ست وتسعين . وفيها : توفى الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين صاحب الديار المصرية وعمره سبع وعشرون سنة وثمانية أشهر وأيام ، وتوجه أخوه الأفضل من صرخد إلى مصر فدخل القاهرة . ثم استصحب ولد العزيز على أنه أتابكه وخرجا إلى الشام بالعساكر لحصر دمشق وأحرق جميع ما هو خارج باب الجابية من الفنادق ، والحوانيت ، وأحرق النيرب وأبواب الطواحين وقطعت الأنهار ، واحترقت غلة ، حرستا ، فى بيادرها

وفيها : ظهر العجمى الداعى بدمشق المدعى أنه عيسى بن مريم وافسد جمعا من العوام فقبض عليه صارم الدين برغش العادلى ، وصلب بعد استفتاء الفقهاء فى أمره ظاهر باب الفرج على الصفصاف المجاور لحمام العماد الكاتب ، وقد خرب الحمام وما يجاوره من العمران فى هذا الزمان . وكان غربى جسر الصيق مقابل الطاحونة المستجدة خارج باب الفرج من البابين .

وفيها : كان قيام العامة على الشيعة وخروجهم إلى باب الصغير ونبشهم وثابا المرحل من قبره وتعليقهم رأسه مع كلبين ميتين ثالث عشر ربيع الآخر بعد صلب العجمى بيومين .

وفيها : توفى الأمير أبو الحسين أحمد بن حيوس الشاعر ثامن عشر ذى القعدة .

وفيها : توفى خوارزم شاه واسمه تكش بن رسلان شاه بن آتسز من ولد طاهر بن الحسين . كان شجاعا جوادا ملك الدنيا من الصين ، والهند ، وما وراء النهر إلى خراسان إلى باب بغداد ، وكان نوابه فى حلوان . وكان فى ديوانه مائة ألف مقاتل ؛ وهو الذى كسر ملوكه عسكر الخليفة وأزال دولة بنى سلجوق ، وكان حاذقا بعلم الموسيقى يقال لم يكن فى زمانه ألعب منه بالعود . وحكى أن الباطنية جهزوا رجلا ليقتله وكان يحترس كثيرا فجلس ليلة يلعب بالعود ، وشرع الخيمة فاتفق أنه غنى بيتا بالعجمية وفيه ما معناه : قد أبصرتك ، وفهم الباطنى فخاف منه وارتعد فهرب فأخذ وحمل اليه فقرره فأقر فقتله

وكان يباشر الحروب بنفسه حتى ذهبت إحدى عينيه فى الحروب ؛ وكان يقول : الملك إذا لم يباشر الحرب بنفسه لا يصلح للملك لأنه يكون مثل المرأة . وكان قد عزم على قصد بغداد وجمع وحشد فوصل إلى دهستان فتوفى بها فى رمضان ، فحمل فى تابوت إلى خوارزم فدفن عند أهله . وقام ولده محمد مقامه . وهو الذى خرج عليه التاتار وعلى ولده جلال الدين وماتا فى محاربتهم كما سيأتى ذكره .

وفيها : توفى عبد اللطيف بن اسماعيل بن شيخ الشيوخ أبى سعد وكنيته أبو الحسن ولقبه ضياء الدين وهو أخو شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن اسماعيل الذى قدم رسولا على صلاح الدين من بغداد مرارا وتوفى بالرحبة سنة ثمانين . وأما عبد اللطيف فولد سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وسمع الحديث من والده أبى البركات اسماعيل ، ومن قاضى المارستان ، وابن السمرقندى وغيرهم وكان صالحا ثقة وكان شيخ الرباط الذى بالمشرعة شرقى بغداد ، وحج ثم ركب البحر إلى مصر وزار الشافعى والقدس ، والخليل وقدم دمشق فتوفى بها فى ذى القعدة ودفن بمقابر الصوفية عند المنيبع رحمه الله .

وفيها : توفى الشيخ أبو جعفر أحمد بن على بن أبى بكر بن اسماعيل القرطبى إمام الكلاسة الزاهد العابد يوم الاثنين تاسع عشر شهر رمضان . قرأ بالموصل القرآن بالروايات على يحيى بن سعدون القرطبى

وفيها : توفى القاضى الفاضل : وقايماز النجمى والشهاب الطوسى ، وابن المغاره(١) بدر الدين عسكر

وفيها : توفى الرئيس مؤيد الدين بن العساكر بن الصوفى رابع عشر ذى الحجة .

وفيها : فى رجب توفى بالقدس الفقيه مجد الدين أبو محمد طاهر بن نصر الله بن جهبل الكلابى الحلبى الشافعى ، وكان فاضلا فى علم الوصايا والفرائض ، ودرس بالقدس الشريف ومولده بحلب فى نيف وثلاثين وخمسمائة ، وهو والد الفقهاء بنى جهبل الذين كانوا عندنا بدمشق بالمدرسة الجاروخية . بهاء الدين نصر الله ، وتاج الدين اسماعيل ، وقطب الدين .

---

(١) وفى بعض التواريخ أنه لم يزد نيل مصر واشتد عليهم الغلاء ، والوباء حتى مات أكثر الناس بها جوعا ، وأكل بعضهم بعضا . وذلك فى سنة ست وتسعين . وفيها : ولى ضياء الدين الشهرزورى قضاء القضاة ببغداد . وفيها ورد القاضى زين الدين أبو الفضل ابن القاضى مجد الدين ابن هندى الحاكم بمدينة حمص إلى مدينة حماة مفارقا حمص وقضاءها فتلقاه الملك المنصور صاحب حماة بالاعزاز والاكرام والمصنف ذكر ذلك فى سنة سبع وتسعين والله أعلم بذلك . اﻫ من هامش الأصل .

وفيها : توفى أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن صدقة بن كليب الحرانى راوى جزء ابن عرفة عن أبى على بن نبهان ، وهو آخر من حدث عنه ، وعن أبى القاسم ابن بيان ، وأحمد بن على الحلوانى . وكانت وفاته فى ربيع الأول ، ودفن بباب حرب وله خمس وتسعون سنة . وكان ثقة صحيح السماع ، وكان يأخذ على سماعه جزء ابن عرفة دينارا .

وفيها : توفى كامل ابن الفتح أبو تمام ابن سابور الضرير ويلقب بالظاهر النحوى بغدادى اشتغل بالأدب والشعر فبرع فيهما . ومن شعره .

وفى الأوانس من نعمان آنسة	لها من القلب ما تهـوى وتختار
ساومتها نفثة من ريقها بدمى	وليس إلا خفى الطرف سمسار
عنـد العزول اعتراضات ولائمة	وعند قـلبى جوابات وأعـذار

وكانت وفاته فى جمادى الآخرة ودفن بباب حرب . وفيها : توفى البلخى الواعظ واسمه محمد بن عبد الله ويلقب بالنظام وبابن الشريف ، ولد ببلخ سنة ست وعشرين وخمسمائة ، وقدم بغداد فوعظ بها فى النظامية ، وباب بدر ، وجامع القصر ، ومدرسة ابن النجيب ، ودار بن حديدة الوزير وكان فصيحا مليح الصوت ، وكان متشيعا . وأنشد يوما فى النظامية .

سقاهم الليل كاسات السرى فغدوا	منـه سكارى كأن الليـل خمار
وصير الشرق أطواقا عمائمهم	لايعقلون أقام الحى أم ساروا
ونسمة الفجر إذ مرت بهم سحرا	تمـايلوا وبدا للسكر آثار

فلم يبق فى المجلس الأمن قام وصاح وتواجد . وأنشد أيضاً :

مددت يدى فى الحب نحوك سائلا	وقـالت لجفنى أذر دمعـك سائـلا
تفقهت فى علم الصبابة والهـوى	فمن شاء فليسـألنى على المسائـلا

وحكى أنه نقل إلى الخليفة عنه أنه يعاشر النساء ، ويرتكب المحرمات ، فأرسل إليه الوزير وهو على المنبر فقال . قد رسم أن تخرج من البلد فأنشد .

أبابـل لا واديـك بالجـود منعم	لدى ولا واديـك بالرفـد آهـل
لئن ضقت عنى فالبلاد فسيحة	وحسبك عاراً أننى عنـك راحـل
وإن كنت بالسحر الحـرام مـدله	فعنـدى من السحر الحـلال دلائـل
قواف تعير الأعين النجل حسنها	فأى مـكان فيـه حيـمت بابـل

وإخرج إلى الجانب الغربى من بغداد فمات ودفن فى مقابر قريش فى صفر .

وفيها : توفى بمصر الفقيه شهاب الدين محمد الطوسى مدرس منازل العز وقد ذكرته فى آخر كتاب الروضتين .

قيل لما كان قدم بغداد ركب بالسنجق والسيوف المسالة والغاشية المرفوعة والطوق فى عنق البغلة فمنع من ذلك فسافر إلى مصر ووعظ واظهر مذهب الأشعرى وثارت الحنابلة فكان يجرى بينه وبين الزين ابن نجية العجائب من السباب والتكفير . وبلغنى أنه سئل : أيما أفضل دم الحسين ، أم دم الحلاج فاستعظم ذلك وقال : كيف يجوز أن يقال هذا ؟ قطرة من دم الحسين أفضل من مائة الف دم مثل دم الحلاج فقال السائل : فدم الحلاج كتب على الأرض الله ولا كذلك دم الحسين . فقال الطوسى : المتهم يحتاج إ

إلى تزكية . قلت : وهذا جواب فى غاية الحسن فى هذا الموضع على أنه لم يصح ماذكر عن دم الحلاج والله أعلم .

وكانت وفاته فى الحادى والعشرين من ذى القعدة وكان يومه مشهوداً ركب فيه الملك العادل وكبراء الدولة وخرج أهل مصر والقاهرة جميعاً مشيعين نعشه الى حيث دفن من القرافة .

وفيها : توفى الهمام العبدى الشاعر واسمـه الحسن بن على العبقسى البغدادى . وذكر القوصى فى معجمه أنه وفد على قاضى القضاة محيي الدين محمد بن على القرشى وهو على رسالته المحنوية على التعزية فأنشد .

ألا قل لناعى الفضل أقصر فاننى تيقنت حقاً أن نعيك باطل
إذا كان محيي الدين فى الدست جالساً فما مات فى الدنيا من الناس فاضل

وفيها : توفى محمد بن عبد المنعم بن أبى الفضائل الصوفى المهى شيخ رباط البسطامى ويلقب بالركن ، كان جواداً سمحاً لم يكن فى أبناء جنسه من يضاهيه فى الكرم ماطلب منه أحد شيئاً فمنعه حتى كان يخرج وفى رجليه مداس فيرجع حافياً ، ويخرج وعليه ثوبان فيرجع عريانا . وكانت له خلوات ومحاضرات . سمع من شهدة وغيرها . وتوفى فى ذى الحجة ودفن فى الشونيزية عند والده أبى الفضائل . وفى هذه السنة كان الأفضل والظاهر ومن تابعهما على حصر دمشق والعسكر جائعة بمنزلتهم وقد حفروا عليها خندقاً من أرض اللوات إلى أرض يلدا مشرقاًاحترازامن مهاجمة من بدمشق لهم فيها . ثم رحل الافضل والظاهر إلى رأس الماء وافترقا . فسار الأفضل إلى مصر ، والظاهر إلى حلب تاسع ربيع الأول . وخرج العادل تابعاً للافضل فكسر عسكره بموضع يعرف بالقصرين بين الغرابى والسائح ودخل العادل القاهرة ورجع الأفضل إلى صرخد .

سنة ٥٩٧ هـ :

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة فيها . توفى بهاء الدين قراقوش الأسدى . وقيل إنه لم يكن مملوكا لأسـد الدين وإنما كان لابن الطقطق فصحب أسد الدين وتقدم عنده بعد وفاة سيده .

وفيها : كانت حوادث كثيرة عظيمة منها هبوط نيل مصر فهرب الناس إلى المغرب ، والحجاز ، واليمن والشام تفرق أيدى سبا ومزقوا كل ممزق أعظم من سنة اثنين وستين واربعمائة فى أيام الملقب بالمستنصر ابن الظاهر بن الحاكم أحد الخلفاء المصريين . فان الناس فى هذه السنة كان الرجل يذبح ولده الصغير وتساعده أمه على طبخه وشيه ، وأحرق السلطان جماعـة فعلوا ذلك ولم ينتهوا . وكان الرجل يدعو صديقه وأحب الناس اليه الى منزله ليضيفه فيذبحه ويأكله ، وفعلوا كذلك بالأطباء كانوا يدعونهم ليبصروا المرضى فيقتلونهم ويأكلونهم ، وفقـدت الميتات والجيف من كثرة ما أكلوها . وكانوا يخطفون الصبيان من الشوارع فيأكلونهم ، وكفن السلطان فى مدة يسيرة مائتى ألف وعشرين ألفا ، وامتلأت طرقات المغرب والحجاز والشام برمم الناس وصلى امام جامع الأسكندرية فى يوم على سبعمائة جنازة .

قال العز تاج الأمناء : وجاءت فى شعبان زلزلة هائلة من الصعيد فعمت الدنيا فى ساعة واحدة هدمت بنيان مصر فمات تحت الهدم خلق كثير . ثم امتدت الى الشام والساحل فهدمت مدينة نابلس فلم يبق فيها جدار قائم الا حارة السمرة وكان امتداد الغلاء والوباء بالديار المصرية من شهر رمضان بحيث بلغ ثمن الأردب ستة دنانير مصرية وخلا أهل الأعمال وصار الى بلاد الفرنج منهم جمع حملوا إلى الجزائر البحرية . وأقر كثير من تفرق فى البلاد الاسلامية الموجودة لمن يؤويه ويطعمه وأشرفت الأعمال المصرية على الخراب الكلى لولا تدارك لطف الله تعالى باجراء نيلها والاسعاد بما كان الملك العادل فيها من الغلال التى صرفها فى تقاوى البلاد ومؤن .إعانة ، وبيعا ، وصدقة فتماسك من كان مقيما بها (وتراجع اليها من قدر على الرجوع من أهلها . قال أبو المظفر . ومات تحت الهدم ثلاثون ألفا وهدمت عكا ، وصور وجميع قلاع الساحل وامتدت الى دمشق فرمت بعض المنارة الشرقية بجامع دمشق ، وأكثر الكلاسة ، والبيمارستان النورى وعامة دور دمشق إلا القليل وهرب الناس الى الميادين وسقط من الجامع ست عشرة شرفة وتشققت قبة النسر وتهدمت بالناس وهو بين بين . وخرج قوم من بعلبك يجنون الريباس من جبل لبنان فالتقى عليهم الجبلان فماتوا بأسرهم . وتهدمت قلعة بعلبك مع عظم حجارتها ووثيق عمارتها وامتدت إلى حمص ، وحماة ، وحلب ، والعواصم وقطعت البحر إلى قبرص وانفرق البحر فصار أطوادا وقذف المراكب الى الساحل فتكسرت ، ثم امتدت الى اخلاط ، وأرمينية ، واذربيجان ، والجزيرة واحصى من هلك فى هذه السنة على سبيل التقريب فكان الف الف انسان ومائة الف انسان وكان قوة الزلزلة فى مبدأ الأمر بمقدار ما يقرأ الانسان سورة الكهف ثم دامت بعد ذلك أياماً . نقلت جميع ذلك من تاريخ أبى المظفر سبط الجوزى رحمه الله . قال : وفى مستهل ذى القعدة حوصرت دمشق ، جاء الأفضل ، والظاهر وكان العادل بمصر . وجاء حسام الدين بشارة من بانياس نجدة لها فقاتلوا دمشق أياماً ، وكان بها المعظم عيسى بن العادل . وبلغ العادل فجاء ونزل نابلس وبعث فأصلح الأمراء ، وزحف الأفضل ، والظاهر ووصلوا إلى باب الفراديس وأحرقوا فندق تقى الدين فقاتلهم المعظم وحفظ البلد فأقاموا نحو شهرين . و بعث العادل فأوقع الخلف بين الاخوين فرحلوا سلخ ذى الحجة ، وجاء العادل فدخل دمشق ومضى المعظم . وشركس ، وقراجا فحاصروا بانياس وبها حسام الدين بشارة فقاتلهم فقتل ولده وأخرجوه من البلاد وتسلمها شركس وتسلم قرجا صرخد . وحج بالناس طاشتكين وكان الخليفة قد أفرج عنه ورد اليه إقطاعه وماله .

وفيها : توفى عز الدين ابراهيم بن المقدم وكان شجاعا عاقلا وله قلعة بارين ، وفامية ، ومنبج ، والراوندان ودفن بدمشق بمقبرة باب الفراديس . وكان له بنات وابن وهو المقتول بعرفات .

وفيها توفى تاتار نهر الملك ببغداد واسمه ابراهيم بن محمد بن ابراهيم وكان متزهدا يلبس القطن الخوص ويعدل فى الرعية ويحسن اليهم . أمر الخليفة الناصر بصلبه فصلب على كرسى جسر بغداد وعليه القميص الخوط على جانب تم عيسى . مر به الخليفة وهو مصلوب فى وسط الجذع . فقال : يتنمس علينا ارفعوه إلى رأس الجذع . وكان شجاعاً مهيبا وحزن الناس عليه .

وقبل ذلك فى سنة ست وثمانين واقعة أبشع من هذه كان ببغداد عبد الرشيد بن عبد الرزاق الكرجى

(بالجيم) الصوفى بتفقه بدار الذهب . وكان ورعا عاقلا عابدا ، وكان ببغداد صوفى يقال له النفيس يضحك منه ويسخر به ، وكان يدخل على الخليفة فدخل يوماً مدرسة دار الذهب فجعل يتمسخر. فقال له الكرجي : اتق الله نحن نبحث العلم وأنت تهزل ماهذا موضعه . فدخل على الخليفة وبكى بين يديه وقال : ضربنى الكرجي وعيرنى . فغضب الخليفة وأمر بصلبه . فأخرج وعليه ثوب أزرق من ثياب الصوفية إلى الرحبة ونصبوا له خشبة ليصلبوه . فقال . دعونى أصلى ركعتين فصلى وصلبوه فجاء خادم من عند الخليفة فقال لاتصلبوه وقد فات فلعن الناس النفيس الصوفى وبقى أياما لايتجاسر يظهر ببغداد ورأى الكرجي بعض الصالحين فى المنام فقال ما فعل الله بك ؟ فقال : وقفنى الحق بين يديه فقلت يا الهى رضيت ماجرى على ؟ فقال . أو ماسمعت ماقلت فى كتابى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا) الآية . أى انى أردت أن تصل إلى مرتبة الشهداء .

وفيها : توفى الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى الواعظ واسمه عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبدالله بن حمادى بن احمد بن محمد بن جعفر الجوزى ابن عبدالله بن القاسم بن عبدالله بن النصر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه . أبو الفرج ابن أبى الحسن القرشى التيمى . وجعفر الجوزى منسوب الى فرضة من فرض البصرة يقال لها جوزة . وفرضة النهر ثلمته التى يستقى منها . قال سبطه أبو المظفر . ولد جدى ببغداد بدرب حبيب . فى سنة عشر وخمسمائة تقريبا . وتوفى أبوه وله ثلاث سنين . وكانت له عمة صالحة ، وكان أهله تجارا فى النحاس ولهذا رأيت فى بعض سماعاته وكتب عبد الرحمن الصفار . فلما ترعرع حملته عمته إلى مسجد أبى الفضل ابن ناصر فاعتنى به وأسمعه الحديث ، وقرأ القرآن ، وتفقه . وقد ذكر من مشايخه فى المشيخة نيفاً وثمانين شيخا . وعنى بأمره شيخه ابن الزاغونى وعلمه الوعظ واشتغل بفنون العلم وأخذ اللغة عن أبى منصور الجواليقى ، وصنف الكتب فى فنون قيل بلغت مصنفاته نحو ثلاثمائة مصنف ، وحضر مجالسه الخلفاء ، والوزراء ، والأمراء والعلماء ، والأعيان وأقل ما كان يحضر مجالسه عشرة آلاف . وربما حضر عنده مائة ألف واوقع الله له فى القلوب القبول والهيبة . وكان زاهدا فى الدنيا متقللا منها . وسمعته يقول على المنبر فى آخر عمره . كتبت باصبعى هاتين ألفى مجلدة ، وتاب على يدى مائة ألف ، واسلم على يدى عشرة آلاف يهودى ونصرانى ، وكان يجلس بجامع القصر الرصافة ، وجامع المنصور وباب بدر ، وتربة أم الخليفة وغيرها وكان يختم القرآن فى كل سبعة أيام ولا يخرج من بيته الا الى الجامع للجمعة والمجلس ومامازح أحدا قط ، ولا لعب مع صبى ولا أكل من جهة لايتيقن حلها . وما زال على ذلك الأسلوب حتى توفاه الله تعالى .

وقد ذكرنا محنته التى زاحم بها الأنبياء ، والعلماء ، والفضلاء ، والأولياء وتلقى ذلك بالصبر والحمد والشكر وقد أثنى عليه العلماء فذكره أبو عبد الله محمد بن الدبيثى فى الذيل الذى ذيله على تاريخ السمعانى فقال :

شيخنا الإمام جمال الدين ابن الجوزى صاحب التصانيف فى فنون العلم من التفاسير ، والفقه ، والحديث ، والتواريخ وغير ذلك . واليه انتهت معرفة الحديث وعلومه والوقوف على صحيحه من سقيمه وله فيه المصنفات من المسانيد والأبواب والرجال ومعرفة الأحاديث الواهية ، والموضوعة ،

والانقطاع . والاتصال . وكان من أحسن الناس كلاما وأتمهم نظاماً وأعذبهم لسانا وأجودهم بياناً .
تقدمه على أبي بكر الدينورى ، وقرأ الوعظ عن الشريف أبى القاسم العلوى وأبى الحسن ابن الزاغوانى . وبورك له فى عمره وعمله فروى الكثير وسمع الناس منه أكثر من أربعين سنة . وحدث بمصنفاته مراراً .

قال وأنشدنى بواسط لنفسه :

ياساكن الدنيا تأهب وانتظر يوم الفراق
وأعد زادا للرحيـــــل فسوف تحدى بالرفاق
وابك الذنوب بادمع تنهل من سحب المآق
يامن أضاع زمانه أرضيت مايفنى بباق

فصل فى نتف من كلامه :

قال له قائل ما نمت البارحة من شوق إلى المجلس . فقال نعم . لأنك تريد أن تتفرج ، وإنما ينبغى أن لا تنام الليلة لأجل ما سمعت .

وقيل له : إن فلانا أوصى عند الموت . فقال : طين سطوحه فى كانون .

وقال له قائل : أيمـــا أفضل أسبح . أم أستغفر ؟ فقال : الثياب الوسخة أحوج إلى الصابون من البخور .

وقال فى قوله عليه السلام . وأعمار أمتى مابين الستين إلى السبعين ، . إنما طالت أعمار القدماء لطول البادية ، فلما شارف الركب بلد الاقامة قيل جثوا المطى .

ووعظ الخليفة يوماً فقال ياأمير المؤمنين : إن تكلمت خفت منك ، وان سكت خفت عليك ، فأنا أقدم خوفى عليك على خوفى منك لمحبتى لدوام أيامك . إن قول القـــائل اتق الله خير من قول القائل إنـكم أهل بيت مغفور لكم ، وقد قال الحسن البصرى . لئن تصحب أقواماً يخوفونك حتى تبلغ المأمن خير من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى تبلغ المخاوف ، وكان عمر بن الخطاب يقول . إذا بلغنى عن عامل أنه ظلم الرعية ولم أغيره فأنا الظالم .

يا أمير المؤمنين . كان يوسف عليه السلام لا يشبع فى زمان القحط لئلا ينسى الجياع . وكان عمر يضرب بطنه عام الرمادة ويقول . قرقر إن شئت أولا تقرقر فوالله لاشبعت والمســـلمون جياع . فتصـــدق الخليفة المستضىء بصدقات كثيرة وأشبع الجيــاع وأطلق المحبوس .

وقال فى (فرعون أليس لى ملك مصر) ايفتخر فرعون بنهر ماء أجراه ما اجراه . وقال فى قصة الذين عبدوا العجل . لو أن الله خار لهم ماخار لهم .

وذكر قصة معاذ بن جبل فى القراءة فقال : طاب له ارتضاع ثدى التلاوة فمر على وجهه فقيل له افتان أنت ؟ ليس الـكل على طريقتك الولد لاتدر عليه الرضعات انما تدر على الأجانب لاثبات نسب الرضاع .

وقال يوما وقد طرب أهل المجلس : فهمتم ، فهمتم .

وسئل عن قوله عليه السلام : « لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » . فأعطاها علياً . فأين كان أبو بكر . فقال . لما كان يوم بدر قام أبو بكر ليقاتل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « متعنا بنفسك » ولما كان يوم خيبر سلم الراية إلى على فقال له : « أخرج » فقعود من قعد بالأمر كخروج من خرج بالأمر ، ولكن فى قوله متعنا بنفسك . فضيلة .

وسئل . لم لم ينص النبى صلى الله عليه وسلم على خلافة أبى بكر ؟ فأجاب : أنه قد جرت أشياء تجرى مجرى النص منها قوله : « مروا أبا بكر فليصل بالناس » و « اقتدوا باللذين من بعدى » و « هلموا أكتب لأبى بكر كتاباً لئلا يختلف عليه المسلمون » فهذه أحاديث تجرى مجرى النص فهمها الخصوص غير أن الرافضة فى إخفائها كاللصوص .

قال السائل : لما قال أقيلونى ما سمعنا مثل جواب على . والله لا أقلناك فقال : لما غاب على عن البيعة فى الأول أخلف ما فات بالمدح فى المستقبل ليعلم السامع والرائى أن بيعة أبى بكر وأن كانت من ورائى فهى رأيى ، ومثل ذلك الصدر لا يرائى . وما أحسن استدلاله حين قال رضيك رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاك لدنيانا .

وسأل سائل: ما الذى وقر فى صدر أبى بكر ؟ فقـــال : قوله ليلة المعراج إن كان قال فقد صدق فله السبق .

وسأل آخر : سيف على نزل من السماء فسعفة أبى بكر من أين ؟ فقال . إن سعفة أبى بكر هزت يوم الردة فأثمرت سبيا جاء منه مثل ابن الحنفية لأمضى من سيوف الهند .

ثم قال ياعجبا الرافضة إذا مات لهم ميت تركوا معه سعفة من أين ذا الصلح ؟!

سأل سائل : مامعنى قوله صلى الله عليه وسلم « من أراد أن ينظر إلى ميت يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى أبى بكر » فقـــال : الميت يقسم ماله ، ويلبس الكفن . وأبو بكر أخرج المال كله وتجلل بالعباء .

وقال فى قوله تعالى : (ونزعنا ما فى قلوبهم من غل) قال على والله إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان ، وطلحة ، والزبير منهم .

ثم قال أبو الفرج : إذا أصطلح الخصوم فما بال النظارة .

وقال . قال جبريل للرسول عليه السلام : سلم على عائشة ولم يواجهها بالخطاب احتراماً لزوجها ، وواجه لمريم لأنه ما كان لها زوج فمن يحترمها جبريل كيف يجوز فى حقها الأباطيل .

وسئل عن لعنة يزيد بن معاوية فقال : قد أجاز أحمد بن حنبل لعنته ونحن نقول ، مانحبه لما فعل بابن بنت نبينا ، وحمله آل رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا إلى الشام على أقتاب الجمال . وتجرئه على الله ورسوله فان رضيتم بهذه المصالحة فى قولنا مانحبه والا رجعنا إلى أصل الدعوى يعنى جواز لعنته . ثم قال أما ابوه فى خفسارة الصحبة يدعو من ايديكم وأنتم فى حل من الان قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن » وما رآها يزيد قط ودخلها .

ثم قال : لاتدنسوا وقتنا بذكر من ضرب بالقضيب ثنايا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلها جعلها يزيد غرضا لبلوغ غرضه .

قلت : كان أبو الفرج رحمه الله مبتلى بالكلام فى مثل هذه الاشياء لكثرة الرافضة ببغداد وتعنتهم له فى السؤآلات فيها . وكان بصيرا بالخروج منها بحسن إشاراته . وذكر يوماً حديث داود وهبة آدم له من عمره ستين سنة . وأن الله تعالى أتم لداود مائة ولآدم ألفا . ثم قال : المتوسط بين اثنين إذا كان كريما غرم .

ولأبى الفرج أشعار كثيرة . قيل إنها نحو عشر مجلدات . وقد ذكره العماد الكاتب فى الخريدة وأثنى عليه فمن الأشعار المنسوبة إليه :

ياصاحبى إن كنت لى أو معى	فعج على وادى الحمى نرتع
وسل عن الوادى وسكانه	وأنشد فؤادى فى ربا المجمع
حى كثب الرمل رمل الحمى	وقف وسلم لى على لعلع
واسمع حديثا قد روته الصبا	تسنده عن بانة الاجرع
وابك فما فى العين من فضلة	ونب فدتك النفس عن مدمعى
وانزل على الشيح بواديهم	وقل ديار الظاعنين اسمعى
رفقا بنضو قد براه الأسى	ياعاذلى لو كان قلبى معى
لهفى على طيب ليال خلت	عودى تعودى مدنفا قد نعى
إذا تذكرت زمانا مضى	فويح أجفانى من مدمعى
يانفس كم اتلو حديث المنى	ضاع زمانى بالمنى فاقطعى

ومنها :

فى شغل من الرقاد شاغل	من هاجه البرق بسفح عاقل
ياصاحبى هذى ديار ربعهم	قد أخبرت شمائل الشمائل
واطرق إذا رأيت أرضهم	هذا وفيها رميت مقاتلى
ماالصبا مولعة بذى الصبا	أصبا فوق الغرام القاتل
ماالهوى العذرى فى بلادنا	أين العذيب من قصور بابل
يابانة الشيح سقيت أدمعى	ولا ابتليت بالهوى تمايلى
ميلك عن زهو وميلى أسى	ما طرب المخمور مثل الثاكل
لله در العيش فى ظلالهم	ولى وكم أسار فى المفاصل

ومنها :

تملكوا واحتكموا	وصار قلبى لهم
تصرفوا فى ملكهم	فلا يقال ظلموا
إن وصلوا محبهم	أو قطعوا فهم هم
اصبر على ما شاءوا	شاء الذى قد حكموا
يا أرض سلع خبرى	وحدثينى عنهم

يا أرض سلع خبرى وحدثينى عنهم
ياليت شعرى إذ غدوا أأنجدوا أم أتهموا
تشتاقهم أرض منى ومكة وزمزم

فصل فى وفاة أبى الفرج رحمه الله

جلس يوم السبت سابع شهر رمضان تحت تربة أم الخليفة المجاورة لمعروف الكرخى . قال سبطه أبو المظفر : وكنت حاضراً فانشد أبياتاً قطع عليها المجلس وهى : —

الله أسأل أن تطول مدتى وأنال بالانعام مافى نيتى
لى همة فى العلم ما من مثلها وهى التى جنت النحول هى التى
خلقت من العلق العظيم الى المنى دعيت إلى نيل الكمال فلبت
كم كان لى من مجلس لو شبهت حالاته لتشبهت بالجنة
اشتاقه لما مضت أيامه عطلا وتعذر ناقة ان حنت
ياهل لليلات تقضت عودة أم هل الى وادى منى من نظرة
قد كان أحلى من تصاريف الصبا ومن الحمام مغنيا فى الايكة
فيه البديهات التى ما نالها خلق بغير تصبر ومبيت
برجاحة وفصاحة وملاحة يقضى لها عدنان بالعربية
وبلاغة وبراعة وبراعة ظن النباتى أنها لم تنبت
وإشارة تبلى الأديب وصحبة فى رقة ماقالها ذو الرمة

قلت : أظن هذه الأبيات نظمها فى أيام محنته إذ كان محبوسا بواسط فمعانيها دالة على ذلك والله أعلم ثم قال ابو المظفر : ونزل من المنبر فرض خمسة أيام وتوفى ليلة الجمعة بين العشائين فى داره ببغداد . قال : وحكت لى والدتى رحمها الله أنها سمعته يقول قبيل موته : ايش أعمل بطواويس (يرددها) قد جبتم لى هذه الطواويس . وحضر غسله شيخنا ضياء الدين ابن الجيبر وقت السحر ، واجتمع أهل بغداد وغلقت الأسواق ، وجاء أهل المحال وشددنا التابوت بالحبال وسلمناه إليهم فذهبوا به إلى تحت التربة مكان جلوسه فصلى عليه ابنه أبو القاسم على اتفاقا لأن الأعيان لم يقدروا على الوصول إليه ، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور فصلوا عليه وضاق بالناس . وكان يوما مشهوداً لم نصل إلى حفرته عند قبر أحمد بن حنبل إلى وقت صلاة الجمعة ، وكان فى تموز وأفطر خلق كثير ممن صحبه ورموا نفوسهم فى خندق الظاهرية فى الماء ، وما وصل إلى حفرته من الكفن إلا قليل . وأنزل فى الحفرة والمؤذن يقول : الله أكبر . وحزن الناس عليه حزنا شديداً ، وبكوا بكاء كثيراً ، وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات بالقناديل والشموع والجماعات . ورآه تلك الليلة رجل صالح فى منامه وهو على منبر من ياقوت مرصع بالجواهر وهو جالس فى مقعد صدق والملائكة جلوس بين يديه والحق سبحانه حاضر يسمع كلامه . قال : وأصبحنا يوم السبت عملنا عزاءه وتكلمت فيه وحضر خلق عظيم .

قال : ومن العجائب إنا كنا جلوسا عند قبره عند انقضاض العزاء وإذا بخالى محى الدين يوسف قد

صعد من الشط وخلفه تابوت فعجبنا وقلنا ترى من مات فى الدار ؟ وإذا بها خاتون أم ولد جدى والدة محيى الدين وعهدى بها فى ليلة الجمعة التى مات فيها جدى فى عافية قائمة ليس بها مرض فكان بين موتها وموته يوم وليلة ، وعد الناس ذلك من كراماته لأنه كان مغرى بها فى حال حياته . وأوصى جدى أن يكتب على قبره :—

يا كثير العفو عمن كثر الذنب لديه
جاءك المذنب يرجو الصفح عن جرم يديه
أنا ضيف وجزاء الضيف إحسان إليه

وهذا البيت تضمين .

فصل فى ذكر أولاده

قال ابو المظفر : وكان له من الأولاد الذكور ثلاثة عبد العزيز وهو أول أولاده ، وأبو القاسم على ، وأبو محمد يوسف . فأما عبد العزيز وكنيته ابو بكر : تفقه على مذهب أحمد وسمع أبا الوقت ، وابن ناصر ، والأرموى ، وجماعة من مشايخ والده . وسافر إلى الموصل ووعظ وحصل له القبول التام فيقال إن بنى السهروردى حسدوه فدسوا إليه من سقاه السم فمات بالموصل سنة أربع وخمسين فى حياة والده .

وأما أبو القاسم : فكتب الكثير وسمع الحديث من ابن البطى وغيره ، وهو الذى أظهر مصنفات والده وباعها مع العصر فيمن يزيد ، ولما مضى والده إلى واسط كانت كتبه فى داره بدرب دينار فتحيل عليها بالليل والنهار حتى أخذ منها ما أراد وباعها ولا بثمن المداد ، وكان أبوه قد هجره منذ سنين فلما امتحن أبوه صار إلبا عليه للمعادين . وتوفى سنة ثلاثين وستمائة وله ثمانون سنة .

وأما أبو محمد يوسف ولقبه محيى الدين ، فولد فى سنة ثمانين وخمسمائة وسمع الحديث الكثير وتفقه وناظر ونشأ على الطريق الرشيدة والخلائق الحميدة ، وهو كان السبب فى خلاص والده من واسط . ووعظ بعد وفاة أبيه تحت تربة والدة الخليفة ، وقامت بامره أحسن قيام ، ثم ولى الحسبة جانبى بغداد فى سنة أربع وستمائة إلى تسع وستمائة . ثم وليها من سنة خمس عشرة وستمائة إلى (١) وسلك طريق العزل والسداد وترسل عن الخلفاء إلى الملوك . وأول ترسله عن الإمام الظاهر ابن الناصر فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة إلى أولاده العادل الأشرف والمعظم والكامل وآخر ما انفصل عن الشام (٢) فى سنة خمس وثلاثين وستمائة إلى بغداد وفى تلك السنة توفى صاحب الروم والاشرف والكامل ثم ولى أستاذية الدار فى سنة أربعين للإمام المستعصم بن المستنصر بن الظاهر . قال : وبقى على ذلك إلى أن قتله التاتار لعنهم الله . استولوا على بغداد وهى سنة خمس وخمسين وستمائة مع من قتلوه من الأكابر الذين خرجوا مع الخليفة إليهم على ما سنذكره إن شاء الله .

قال ابو المظفر : كان لجدى عدة بنات منهن والدتى رابعة ، وشرف النساء ، وزينب ، وجوهرة

---

(١) بالأصل بياض

(٢) ومحيى الدين بن الجوزى هذا هو الذى بنى المدرسة الجوزية بالبزورية (سوق القمح) بدمشق أيام كان به . « ز »

وست العلماء الكبرى ، وست العلماء الصغرى . وكلهن سمعن الحديث من جدى وغيره :

وقال الشيخ أبو الفرج فى كتابه المنتظم فى أخبار سنة إحدى وسبعين وخمسمائة : وفى هذه السنة عقد عقد ابنتى رابعة بباب حجرة الخليفة وحضر قاضى القضاة والعدول والخدم والأكابر على أبى الفتح بن رشيد الطبرى ، قال : وزوجت ابنى أبا القاسم بابنة الوزير يحى بن هبيرة فى ذلك اليوم وكان الخاطب ابن المهتدى .

قال ابو المظفر : هذه رابعة والدتى هى تزوجها ابن رشيد الطبرى وهو أول أزواجها ولم يطل عمره معها ثم زوجها جدى بوالدى بعد موت ابن رشيد . وقد سمعت الحديث على ابن البطى ، وثابت بن بندار ، ومعظم مشايخ جدى . قال أبو الفرج : وزفت إلى ابن رشيد فى المحرم سنة اثنتين وسبعين فى دار الجهة بنفشا جهة الخليفة وجهزتها بمال عظيم .

قال أبو المظفر : ماقصد جدى بهذا الكلام إلا إعلام بمكانته وعلو منزلته عند الخليفة . وإن أحداً من ابناء جنسه لم يصل إلى مرتبته .

فصـــل :

وفى هذه السنة أيضا وهى سنة سبع وتسعين وخمسمائة توفى فى مستهل شهر رمضان العماد الكاتب الأصفهانى وكان كاتب الإنشاء فى الدولتين النورية . والصلاحية ، وكان مبرزا فى النظم والنثر ، عارفا بالأدب ، حافظا لدواوين العرب . وقد ذكرت له ترجمة حسنة فى تاريخ دمشق فى حرف الميم ، وأخباره مفرقة فى كتابى الذى سميته بالروضتين وقد ذكر هو نفسه أيضا فى كتابه الذى سماه بالخريدة . ومن شعره : —

بالله ياريح الشمال تحملى	منى التحية نحو ذاك المنزل
خفى على حمل السلام وخففى	عن قلب صب بالصبابة مثقل
قولى لمن شغل الفؤاد بحبه	ويخال أن فؤاده منه خلى
حلت عقود دموعه وعقوده	وعهوده معقودة لم تحلل
سقيا لأحباب تبدل ودهم	بعدى ولم أنقض ولم أتبدل
الظاعنين وودهم مستوطن	والراحلين وذكرهم لم يرحل
لى بعدهم حال المعنى المبتلى	حزنا وعين الساهر المتململ
ياراكبا يطوى الفلا مستعجلا	هيجت أحزانى فلا تستعجل
أقفلت باب مسرتى وفتحت من	دمعى وحزنى كل باب مقفل
عرج وعج نحو الحمى سق الحمى	واعدل فليس عن الحمى من معدل

ومنـــه :

أياساكنى مصر عفا الله عنكم	وعفا كم مما ألاقيه منكم
أبيت على هجرانكم متندما	ومن بنا عنكم كيف لا يتندم
فان كنتم لم تعلموا ما لقيته	من الوجد والأشواق فالله يعلم

بقيتم وعشتم سالمين من الأذى ومنية قلبي أن تعيشوا وتسلموا

وفيها : توفى مكلبة بن عبد الله المستنجدى . وكان صالحاً يقوم الليل سمع المؤذن يقول وقت السحر فى المئذنة : —

يا رجال الليـل جدوا رب صـوت لا يرد

ما يقوم الليـل إلا من له عزم وجـد

فبكى مكلبة بكاء شديدا وصاح يا مؤذن زدنى . فقال المؤذن : —

قد مضى الليل وولى وحبيبى قد تجـلى

فصاح مكلبة ومات . فأصبح جمع من بغداد على باب داره وكان يوما عظيما لم ير ببغداد مثله فالسعيد من وصل إلى كفنه ، وقطع الكفن . ودفن بالوردية .

وفيها : توفى أبو منصور بن نقطة المزكلش . كان يقول :

كان . وكان . ولا يعرف الخط . وهو : أخو عبد الغنى بن نقطة الزاهد . وهو : عبد الغنى بن أبى بكر بن شجاع . كان له زاوية ببغداد يأوى اليهـا الفقراء ، وكان دينا جوادا سمحا لم يكن ببغداد فى عصره من يقاومه فى التجريد . كان يفتح عليه قبل غروب الشمس بألف دينار فيفرقها والفقراء صيام لا يدخر لهم منها شيئا ويقول : نحن لا نعمل بأجرة (يعنى لا نصوم ونذكر ما نفطر عليه) . وكانت والدة الخليفة الناصر تحسن الظن به ، زوجته بجارية من خواصها ، ونقلت معها جهازا يساوى عشرة آلاف دينار فما حال الحول وعنده منه سوى هاون . لجاء فقير فوقف على الباب وقال : لى ثلاثة أياماً كلت شيئاً . فأخرج الهـاون وقال : لا تشنع على الله كل بهذا ثلاثين يوما . وتوفى عبـد الغنى رابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ودفن بزاويته .

وأخوه أبو منصور ابن نقطة المزكلش كان ينشد كان.وكان فى الأسواق ، ويسحر الناس فى رمضان فقيل له ما تستحى اخوك زاهد العراق وانت تزكلش فى الأسواق فقال مواليا : —

قد غاب من شبه الجزعة إلى الدرة وشابه قحبـة إلى مستجنة حرة

أنا مغنى واخى زاهد إلى مرة فى الدار بئرين ذى حلوة وذى مرة

وأجرى حديث قتل عثمان وأن عليا كان بالمدينة ولم يقدر على الوصول اليه . فقال ابن نقطة :

« ومن قتل فى جواره مثل ابن عفان واعتذر »

« يجب عليه أن يقبل فى الشام عذر يزيد »

فأراد الشيعة قتله فوثب عليه ليلة وكان يسحر الناس فى شهر رمضان . وكان الإمام الناصر تلك الليلة فى المنظرة وهو واقف يسحر ويقول : أى نياما : قوما .قوما للسحور .قوما .فعطس الخليفة. فقال ابن نقطة : يامن عطس فى الروزنة ، يرحمك الله قوما . فبعث الخليفة اليه مائة دينار وحماه من الشيعة فمات بعد قليل .

وفيها : توفى مسند الشام فى وقته أبو طاهر بركات بن إبراهيم بن طاهر الخشوعى . شارك الحافظ

أبا القاسم فى كثير من شيوخه الدمشقيين سماعا والغرباء إجازة وعمر حتى ألحق الصغار بالكبار. أخبرنا عنه جماعة رحمه الله.

سنة ٥٩٨ ﻫ :

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين والغلاء بمصر مستمر ثم تناقص لاستقبال جمادى الآخرة لما ظهر من زيادة نيلها وأقلع فى أواخرها ولله الحمد.

قال أبو المظفر: كان الملك الأفضل بحمص عند شيركوه وهو أخو زوجته سعدى ابنة ناصر الدين محمد شيركوه الكبير فجاء إلى عمه العادل فالتقاه عند ثنية العقاب فأكرمه وعوضه عن ميافارقين بسميساط وسروج، وقلعة نجم وقرايا فى المرج ومصر وتسلم الظاهر فامية من ابن المقدم. ونزل العادل على حماة فصالحه الظاهر ورجع العادل إلى حمص

وجاءت فى شعبان زلزلة عظيمة فشققت قلعة حمص، ورمت المنظرة التى على القلعة، وأخربت حصن الأكراد، وتعدت إلى جزيرة قبرس، وامتدت إلى نابلس فأخربت ما بقى.

وقال العز بن تاج الأمناء: هذه الزلزلة العظمى التى هدمت بلاد الساحل صور، وطرابلس، وعرقة، وشعثت كثيرا من البلاد الإسلامية الشمالية. ورمت بدمشق رؤس منائر الجامع وبعض شراريفه من شماله فقتلت رجلا مغربيا بالكلاسة، ومملوكا تركيا لرجل صيرفى ساكن فى درب السميساطى عند تنفس الصبح من يوم الاثنين السادس والعشرين من شعبان الموافق العشرين من آب وأعقبها زلزلة خفيفة فى ضحوة الغد.

قال أبو المظفر: وفيها شرع الشيخ ابو عمر محمد بن احمد بن محمد بن قدامة شيخ المقادسة رحمه الله تعالى فى بناء الجامع بالجبل، وكان بقاسيون رجل فامى يقال له ابو داود محاسن فوضع أساسه وبلغ قامة، وأنفق عليه ما كان يملكه. وبلغ ابن زين الدين مظفر الدين صاحب إربل فبعث إلى الشيخ أبى عمر مالا فتممه ووقف عليه وقفا. وبعد ذلك أراد ابن زين الدين أن يسوق الماء اليه من برزة وبعث ألف دينار لذلك. فقال الملك المعظم عيسى بن العادل: طريق الماء كلها قبور. وكيف يجوز أن تنبش عظام المسلمين اشتروا بغلا واعملوا مدارا وبالباقى مكانا أوقفوه عليه ولاتؤذوا أحدا. ففعلوا. وحج بالناس من العراق وجه السبع. ومن الشام خشتر بن الهكارى.

وفيها: توفيت بنفشا ابنة عبد الله جارية المستضىء. وكانت كريمة صالحة، كثيرة الصلاة والصدقات عمرت الربط والمساجد والجسر ببغداد وتصدقت بأموال كثيرة على العلماء والفقراء والمساكين. وهى التى اشترت دار الوزير بن جهير بباب الأزج ووقفتها على الحنابلة وفوضت نظرها إلى الشيخ ابى الفرج ابن الجوزى. وهى التى أشارت على المستضىء بولاية الإمام الناصر وكان فى عزمه أن يولى الخلافة ولده الأمير أبا منصور فرأى الناصر لها ذلك. فلما ولى الخلافة أنزلها فى الدار التى كانت بها والدته وأحسن إليها. ولما توفيت تولى أمرها والدة الخليفة وجهزتها أحسن جهاز ودفنتها فى تربتها المجاورة لمعروف الكرخى وذلك فى ربيع الأول.

وفيها: توفى أبو الثناء حماد بن هبة الله بن حماد الباخرزى. ولد سنة إحدى عشرة وخمسمائة. وهى

السنة التى ولد فيها نور الدين محمود بن زنكى رحمه الله تعالى . وسمع الحـــديث ببغداد ، ومصر ، والاسكندرية . سمع بمصر أبا محمد بن رفاعة السعدى ، وبالاسكندرية الحافظ أبا طاهر السلفى ، وببغداد ابن السمرقندى وغيرهم . وحدثنا عنه جماعة . ومات بحران فى ذى الحجة وأنشد لنفسه : —

تنقل المرء فى الآفاق يكسبه محاسنا لم يكن فيها ببلدته

أما ترى بيدق الشطرنج أكسبه حسن التنقل فيها فوق رتبته

وفيها : توفى هبة الله بن الحسن بن المظفر أبو القاسم الهمذانى . ويقال له ابن السبط والسبط هو جده المظفر . كان سبطا لأحمد بن على بن لال الفقيه الهمذانى . ولد هبة الله فى سنة عشر وخمسمائة وهو محدث ، ابن محدث ، ابن محدث ، وكانت وفاته فى باب المراتب ببغداد فى المحرم . ودفن بالريان سمع أبا القاسم ابن الحصين ، وقاضى المارستان ، وابن السمرقندى وأنشد لغيره :

إذا الفتى ذم عيشا فى شبيبته فما يقول إذا عصر الشباب مضى

وقد تعوضت عن كل بمشبهه فما وجدت لأيام الصبا عوضا

وفيها : توفى الشيخ على بن محمد بن غليس اليمنى الزاهد . كان مقيما بكلاسة جامع دمشق فى شرقيها وتوفى يوم الاثنين سابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ودفن بمقبرة باب الصغير قبلى الحظيرة التى فيها قبر معاوية وغيره بغرب . وحكى عنه كرامات جلية حكى عنه جماعات من المشايخ السادة مثل شيخنا أبى الحسن السخاوى ، وأبى القاسم الصقلى ، وأبى البركات ميمون الضرير . وأبى الحسن ابن أبى جعفر وغيرهم . أخبرنى أبو على حسن بن عبد الله بن صدقة الصقلى الشيخ الصالح وفقه الله قال: سمعت شيخنا السخاوى يقول : سمعت ابن غليس يقول : كنت مسافرا مع قافلة فرأيت فى المنام كأن سبعا اعترضهم فقطع الطريق عليهم فوقفوا حائرين فتقدمت اليه وقلت يا كلب الله أنت كلب وأنا عبد الله فاخضع وارجع لمن سكن له ما فى السموات والأرض وهو السميع العليم . فذهب وانفتحت الطريق للقافلة . ثم انتبهت فسرنا قليلا وإذا بالقافلة قد وقفت فسألت ما الخبر ؟ فقيل السبع على الطريق فتقدمت اليه وهو مقع على ذنبه فقلت ذلك الكلام وتقدمت إليه فادخلت يدى فى فمه وقلبت أسنانه وشممت من فيه رائحة كريهة .

قال الشيخ السخاوى فقلت له : انه يأكل اللحم وما يتخلل . قال : وأدخلت يدى فقلبت خصيبه وإذا هما مثل خصى القط . قال : وأخبرنى الشيخ ميمون الضرير عن صاحب لابن غليس قال : أمرنى بايقاد السراج ولم يكن به زيت فاوقدت الفتيلة فوقدت . ثم أمرنى فى الليلة الثانية فأوقدتها فوقدت ، ثم أمرنى فى الليلة الثالثة بايقادها فقلت : أفلا زيت فى السراج . قال : وإيش فضولك فى هذا لو سكت لكانت تقد أبدا . أو كما أخبرنى الشيخ أبو القاسم الفضل قال : مات مهر لابن غليس فحزن عليه كثيرا فقيل له لم تحزن عليه ؟ غيره يقوم مقامه . فقال إنه فرس صالح كان معى فى سفرى بالعراق فآوانى الليل مع جماعة إلى قرية وكانت ليلة باردة ذات ريح ومطر فلم يقدر لنا مكان نأوى اليه إلا موضع صغير فقلت لأصحابى : إن تركنا الفرس خارج البيت هلك بالبرد وخفنا عليه وإن أدخلناه معنا خفنا من بوله وتأويه الجماعة لصغر المكان فتقدمت اليه وقلت له : نحن ندخلك معنا بشرط أن لا تفعل ما يتأذى

به الجماعة من بول وغيره ، ثم أدخلناه فبات ليلته لم يتحرك بحركة يتأذى منها ، ولم يبل . فلما أصبحنا أخرجناه معنا فلما صار خارج الباب بال نحو قربة ماء ، أو كما قال : قال وحدثني محمد بن أبي جعفر قال : ابن غليس يقول عن نفسه ابن غليس مايسوى فليس رحمه الله .

وفيها : توفي بدمشق خطيبها الدولعي الكبير الملقب بضياء الدين واسمه : أبو القاسم عبد الملك بن زيد بن ياسين التغلبي . والدولعية قرية من قرى الموصل ولد سنة ثماني عشرة وخمسمائة قبل جمال الدين ابن الحرستاني بسنتين وقدم بغداد فتفقه بها على مذهب الشافعي وسمع الحديث ، ثم قدم دمشق فاستوطنها وصار خطيبها ودرس بالزاوية الغربية من جامع دمشق المنسوبة الى الشيخ نصر المقدسي رحمه الله تعالى . وكان متزهداً ، حسن الأثر ، حميد الطريقة ، مهيبا صارما في قول الحق سمع جامع الترمذي من أبي الفتح الكروخي ، وكتاب السنن للنسائي من أبي الحسن علي بن احمد اليزدي ، وسمع من الحافظ أبي القاسم ابن عساكر ، والقاضي أبي سعد ابن أبي عصرون وقرأ عليه الفقه وغيرهم . وكانت وفاته يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الأول ودفن بباب الصغير في قبور الصحابة وقبره ثم مشهور يزار . وكانت جنازته مشهودة امتلأ بها جامع دمشق مثل صلاة يوم الجمعة المسقف ، والصحن، والرواقات وخارج الأبواب . حدثنا عنه والدي رحمه الله . وابن أخيه جمال الدين محمد الذي تولى الخطابة بعده وغيرهما ، وطلبه شرف الدين ابن عصرون أن ينوب عنه في القضاء فأبى . فاستناب جمال الدين بن الحرستاني . وأخبرني القاضي الخطيب عماد الدين ابن الحرستاني أن قاضي القضاة محيي الدين يوم مات الخطيب حضر إلى الجامع وقدم ولده الزكي الطاهر فصلى بالناس صلاة واحدة وأراد أن يأخذ المنصب له فمضى جمال الدين الدولعي إلى عز الدين أخي السلطان فاخذ أمر أخيه توقيعا بمنصب الخطابة مكان عمه فبقي فيه سبعا وثلاثين سنة على ماسنذكره في سنة وفاته وهي سنة خمس وثلاثين وستمائة .

وفيها : توفي المؤيد أسعد بن القلانسي بدمشق فجأة رابع عشر ربيع الآخر .

وفيها : توفي حسام الدين بشارة الذي كان صاحب بانياس قبل شركس في السادس والعشرين من ربيع الآخر .

وفيها : توفي قاضي دمشق محيي الدين أبو المعالي محمد بن علي بن محمد بن يحيي القرشي . وجميع من ذكرنا من أجداده ولوا القضاء بدمشق . وجده الأعلى يحيي بن علي بن عبد العزيز هو جد الحافظ أبي القاسم ابن عساكر لامه ويعرف بابن الصائغ . ذكر الحافظ في ترجمته وترجمة والده في تاريخ دمشق . وذكر أيضا ترجمة ولديه محمد بن يحيي ، وسلطان بن يحيي وهما خالا الحافظ أبي القاسم ولم يرفع نسب أحد منهم بما يتصل بأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه كما تدعيه ذريته في زماننا ولو كان ذلك الاتصال صحيحاً لما خفي على الحافظ ابي القاسم ولو كان يعرفه لما أغفل ذكر هذه المنقبة لأجداده وأمه وأخواله .

تولى أبو المعالي قضاء دمشق أولا نيابة عن الشيخ شرف الدين أبي سعد عبد الله بن محمد بن عصرون ثم تولى قاضي القضاة في أيام السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله وبأمره في

سنة (ثمان وثمانين) وخمسمائة وبقي على ذلك إلى أن توفي في هذه السنة في سابع شعبان ودفن بتربته في الجبل . ولما فتح صلاح الدين مدينة حلب أضاف اليه أيضا قضاءها ، وكان عالما صارما ، كاتبا حسن الخط واللفظ . وهو أول من خطب بالبيت المقدس شرفه الله تعالى لما فتحه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة بخطبة فائقة من انشائه قد ذكرتها في كتاب الروضتين . وكان بيده الأوقاف التي للجامع وغيره ، ثم عزل عنها في جمادى الاولى سنة وفاته . وتولاها شمس الدين ابن التيتي ضمانا ، ثم في صفر من سنة أربع وستمائة عزل الشمس ابن التيتي عنها وتولاها الرشيد ابن أخته ضمانا بزيادة ثلاثة آلاف دينار ، ثم في تاسع شعبان من هذه السنة سنة أربع وستمائة أبطل ضمانها وتولاها المعتمد والى دمشق ، وكان محيي الدين قد اختل في آخر عمره وجرت له قصة مع الاسماعيلية بسبب قتل شخص منهم يعرف بالفافا ولذلك فتح له بابا سرا إلى الجامع لصلاة الجمعة . ودرس عنه عماد الدين ابن الحرستاني وأثنى عليه في فصاحته وحفظه لما يلقيه في درسه . قال : وتوفي وله ثمان وأربعون سنة . وكذا ولده الزكي الطاهر . وكان رحمه الله يحرض على كتابة عقيدة الغزالي الملقبة بالمصباح ويأمر بتحفظ الصغار لها وكذا أخيه من بعده ، وكان ينهى عن الاشتغال بكتب المنطق والجدل ولقد استدعى بكتب من كانت عنده من سكان مدرسته التقوية فقطعها بحضور الجمع في مدرسته بالكلاسة قبالة الشباك الصلاحي وثم كان يذكر الدرس العام للتفسير فقطعها ومالكها حاضر . قال : وكان قد تنزل ذكر نيابته عن ابن عصرون فأرسل السلطان صلاح الدين مجد الدين ابن النحاس والد العماد اليه وأمره أن يضرب على علامته في مجلسه ففعل به ذلك فلزم بيته حياء من الناس فطلب ابن عصرون من يستنيبه فأشير عليه بالخطيب ضياء الدين الدولعي فأرسل اليه خلعة مع البدر ابن يونس الفارقي فرده وشتمه ورمى بالخلعة فأرسل إلى جمال الدين ابن الحرستاني فناب عنه وعن ابنه إلى أن عزل . قال : وكان قد اختلط عقله في آخر عمره فبينا هو في داره يوما وعنده جماعة من أكابر دمشق ثار به الخلط فخرج من ساعته على الهيئة التي كان عليها في داره فوجد بغلة لبعض من كان عنده فركبها فخيف عليه فارتدفه غلام صاحب البغلة فخرج على وجهه إلى الميدان فلحقه الجماعة وأمر له بضرب خيمة وبات والناس عنده تلك الليلة ثم أدخل من الغد فبقي أياما ومات.

سنة ٥٩٩ هـ :

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وهي سنة مولدي ففي سلخ المحرم ليلة السبت ماجت النجوم في السماء شرقا وغربا ، وتطايرت كالجراد المنتشر يمينا وشمالا ، ولم ير هذا إلا في مبعث النبي صلى الله علية وسلم ، وفي سـنة إحدى وأربعين ومائتين ، وكانت هذه السنة أعظم . قاله أبو المظفر سبط ابن الجوزي .

وقال العزبن تاج الأمناء . في سلخ المحرم رؤي في السماء نجوم متكاثفة متطايرة شديدة الاضطراب إلى غاية. قال وشرع في عمارة سور قلعة دمشق في الشهور الأواخر من هذه السنة وابتدىء ببرج الزاوية الغربي القبلي منها المجاور لباب النصر .

قال أبو المظفر : وتمت عمارة رباط المرزبانية الذي بناه الخليفة على نهر عيسى ورتب فيه الشيخ

شهاب الدين عمر السهروردي وعنده جماعة من الصوفية

وفيها : بعث الخليفة الخلع وسراويلات الفتوة إلى العادل وأولاده فلبسوها في شهر رمضان وأخذ الظاهر قلعة نجم من أخيه الأفضل بأمر العادل . وابتدىء بعمارة قلعـة دمشق ، وحج بالناس من العراق طاشتكين.

قال وفيها : توفيت والدة الإمام الناصر واسمها زمرد خاتون أم ولده المستضيء ، كانت صالحة كثيرة المعروف والصدقات . دائمة البر والصلات ، متفقدة لأرباب البيوت ، وحجت فأنفقت مالا عظيما نحو ثلاثمائة الف دينار كان معها نحو ألفي جمل . وتصدقت على أهل الحرمين وأصلحت البرك والمصانع ، وعمرت التربة عند قبر معروف والمدرسة إلى جانبها ، ووقفت عليها الأوقاف وتوفيت في جمادى الأولى وحزن الخليفة عليها حزنا لم يحزنه ولد على والده ، وفعل في حقها ما لم يفعله أحد من أمثاله صلى عليها في صحن السلم ومشى بين يدى تابوتها إلى دجلة من ناحية التاج . ثم حملت في الشبارة نهاراً والوزير ناصر ابن مهدى قائم مشدود الوسط وأرباب الدولة في السفن ، وصعدوا بتابوتها إلى التربة وأمر الخليفة أن يمشي الناس من دجلة إلى تربتها المجاورة لمعروف والمسافة بعيدة . وكان الوزير سمينا فكاد يهلك وقعد في الطريق نحو من ثلاثين مرة وعمل لها العزاء شهرا كاملا وأنشدت المراثي . وختمت الختمات طول الشهر ، وفرق الخليفة بعد الشهر أموالا كثيرة في الزوايا ، والربط ، والمدارس ، وخلع على الأعيان ومن لم يخلع عليه أعطاه مالا ، وأمر بأن يفرق جميع ما خلفته من ذهب ، وفضة ، وحلى ، وجواهر ، وثياب في جواريها ومماليكها نقسم بينهم ، وحمل ما كان في خزائنها من الأشربة ، والمعاجين ، والعقاقير إلى المارستان العضدى وكان يساوى ألوفا وحزن عليها أهل بغداد حزنا عظيما لأنها كانت محسنة إلى الناس .

قال وفيها : توفى القاضي أبو الفضل أحمد ابن قاضي القضاة أبي طالب على بن هبة الله بن محمد بن البخاري استنابه أبوه في القضاء بحريم دار الخلافة فلم يزل على ذلك حتى توفى والده فانعزل ، ثم ولى سنة أربع وتسعين فاقام حتى ولى ضياء الدين ابن الشهرزورى في رمضان سنة خمس وتسعين وخمسمائة فأقره على حاله ، ثم عزله في ذى الحجة من السنة المذكورة فلزم بيته إلى أن توفى في ذى الحجة من هذه السنة وصلى عليه بالنظامية ودفن عند أبيه بمشهد موسى بن جعفر وكان نزها عفيفا .

وفيها : توفى عبد الله بن الحسن بن زيد أبو محمد الكندى أخو الشيخ تاج الدين زيد بن الحسن الكندى العلامة . وكان عبد الله أصغر من الشيخ وكان جوادا . سمع ببغداد أبا الفضل بن ناصر وغيره واستوطن دمشق إلى أن توفى بها في ذى القعدة وصلى عليه أخوه تاج الدين بجامع دمشق ودفن بجبل قاسيون . قلت : وهو والد أمين الدين أبي العباس أحمد الذى ورث عمه تاج الدين وكان آدم اللون رحمهم الله .

وفيها : توفى علم الدين سليمان بن شيرويه بن جندر أخو العادل لأمه في التاسع والعشرين من المحرم ودفن بداره بدمشق ، وهى التى وقفها مدرسة للشافعية المعروفة بالفلكية بحارة باب الفراديس ووقف عليها قرية الحنان .

وفيها : توفى الأمير سيف الدين أيازكوج الأسدى بمصر سابع عشر ربيع الآخر .

وفيها : توفى الفقيه برهان الدين مسعود بن شجاع الحنفى مدرس المدرسة النورية بدمشق فى خامس عشر جمادى الآخرة ودفن بالمقبرة التى بجبل قاسيون غربى دار ابن سمندار . وكان هو وابن العقادية ممن يشتغل على الشيخ على البلخى رحمه الله .

قال أبو المظفر وفيها : توفى عبيد الله بن على بن نصر أبو بكر البغدادى . يعرف بابن المارستانية أحد الفضلاء المعروفين بجمع الحديث ، والطب ، والنجوم ، وعلوم الأوائل وأيام الناس ، وصنف كتابا سماه ديوان الإسلام فى تاريخ دار السلام قسمه ثلاثمائة وستين كتابا إلا أنه لم يشتهر . وهو الذى صنف سيرة ابن هبيرة ، وهو الذى قرأ كتب عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر يوم احرقت كان يقرأ الكتاب ويقول : يا عامة هذا عبد السلام يقول فى هذا الكتاب من بخر زحل بكذا وكذا وقال: يا الهى ياعلة العلل نال ما أراد . وكان ابن المارستانية محمولا على ابن عبد القادر وكان الخليفة قد أمر الوزير أن يخلع عليه ويبعثه رسولا إلى الكرج بتفليس فخلع عليه خلعة سوداء سنية وخرج من دار الوزير بين يديه الحجاب وأرباب الدولة فوقف له عبد السلام بن عبد الوهاب الذى أحرق كتبه وتقدم إليه وقال له سرا بينهما . الساعة من بخر زحل أنا أم أنت ؟ فقال : انا . ولما قضى الرسالة وعاد من تفليس توفى بمكان يقال له جرخ بند فى ذى الحجة وقد تكلموا فيه ذكره ابن الدبيثى فى الذيل فقال عبيدالله بن على بن نصر بن حمزة (بحاء مهملة وراء مهملة) أبو بكر ابن أبى الفرج ويعرف بابن المارستانية جمع الكتب ، وادعى الحفظ وسعة الرواية عمن لم يلقه ولم يأخذ عنه ، وكان ينتسب إلى أبى بكر الصديق وكان أبوه ينكر ذلك وكان أبوه وأمه يخدمان المارستان ، ولهذا نسبت أمه اليه وأطلق الناس القول فى جرحه بهذه الأسباب حتى قال أبو جعفر الواثق : —

دع الأنساب لا تعرض لتيم فأين الهجن من ولد الصميم
لقد أصبحت من تيم دعيا كدعوى حيص بيص إلى تميم

فطعن فيه ابن الدبيثى طعنا كثيرا . وقال فى كتابه أخبرنا : والدى. أنبانا : قاضى المارستان وهذه قحة عظيمة وأبوه عامى لايعرف الحديث ولا سمعه وكان قصده أن يقال عنه محدث ابن محدث

قلت : هذا غلو من قائله لايلزم من كونه عاميا أن لا يكون له سماع فى صغره يوما فلا يسمع قوله ، ولاسمعه ، فانها شهادة على نفى . قال : وماتم كتابه المسمى بديوان الإسلام ولو تم لظهرت فضائحه سمع الكاتبة شهدة ، وشيوخ ذلك العصر .

وفيها : توفى زين الدين ابن نجية الواعظ . واسمه أبو الحسن على بن ابراهيم بن نجا الحنبلى ولد بدمشق سنة ثمان وخمسمائة ونشأ بها وهو سبط الشيخ أبى الفرج الحنبلى جد بنى الحنبلى الدمشقيين فهو ابن عمة نجم بن عبد الوهاب بن أبى الفرج ، ونجم هذا والد الناصح ابن الحنبلى وإخوته . اشتغل ابن نجية المذكور بالتفسير ، والوعظ وبعثه نور الدين محمود بن زنكى رحمه الله رسولا إلى بغداد فى سنة أربع وستين وخمسمائة . فسمع بها عبد الخالق بن أحمد بن يوسف وغيره ، وصاهر سعد الخير الأنصارى

على ابنته ثم سكن مصر قبل دولة صلاح الدين وفى أيامه وكان له منه منزلة جليلة . وهو الذى نم على عمارة اليمنى الشاعر وأصحابه بما كانوا عزموا عليه من قلب الدولة فشنقهم صلاح الدين على ماذكرناه فى كتاب الروضتين . وقد ذكرنا من أحوال زين الدين هذا فى كتاب الروضتين أشياء . منها : ما كاتب به صلاح الدين فى تفضيل مصر على الشام وغير ذلك . وكان صلاح الدين يكاتبه ويحضره بمجلسه هو وأولاده العزيز وغيره . وكان له جاه عظيم وحرمة زائدة وكان يجرى بينه وبين الطوسى العجائب لأن الطوسى أشعرى . وابن نجية حنبلى وكلاهما واعظ . جلس يوما ابن نجية فى القرافة بالجامع فوقع عليه وعلى جماعة ممن عنده السقف فعمل الطوسى خطبة وذكر فيها قوله تعالى: (فخر عليهم السقف من فوقهم) وعابوا كلما يشق الصفوف فقال ابن نجيـة : هذا من هناك وأشار إلى مكان الطوسى . وكان ابن نجيـة ينشد على المنبر شعر الملك الصالح طلائع ابن رزيك وزير خليفة مصر فمنه : ـــ

مشيبك قد نضا صبغ الشباب ... وحل الباز فى وكر الغراب
تنام ومقـــلة الحدثان تعطى ... وما ناب النوائب عنك ناب
وكيف بقاء عمرى وهو كنز ... وقد أنفقت منه بلا حساب

قال أبو المظفر : وكان ابن نجية قد اقتنى أموالا عظيمة وتنعم تنعما زائداً بحيث أنه كان فى داره عشرون جارية للفراش تساوى كل جارية ألف دينار . وأما الأطعمة فقد كان يعمل فى داره ما لا يعمل فى دور الملوك ، وتعطيه الخلفاء والملوك أموالا عظيمة كثيرة . ومع هذا مات فقيراً كفنه بعض أصحابه وتمزقت الأموال وحالت الأحوال وكانت وفاته بمصر ودفن بالقرافة .

وفيهـا : توفى أبو الحسن على بن الحسن بن اسماعيل العبدى من عبد القيس ولد سنة أربع وعشرين وخمسمائة بالبصرة وبرع فى علم الأدب والترسل ، وسمع الحديث ببغداد من ابن ناصر وطبقته ثم عاد إلى البصرة فتوفى بها فى شعبان .

وأنشـــد لنفسه : ـــ

لاتسلك الطرق إذا اخطـــرت ... لو أنهـــا تفضى إلى المملـــكة
قـــد أنزل الله تعـــالى (ولا ... تـــلقوا بأيدكم إلى التهلـــكة

وفيهـا : توفى أبو القاسم على ابن يحى بن أحمد الصوفى البغدادى ويعرف بسبط حامد البناء سمع قاضى المارستان وطبقته ، وتوفى ببغداد ودفن بباب الأزج وكان أنشد لنفسه : ـــ

أى شىء يـــكون أعجب من ذا ... ان تفكرت فى صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا ... والبـــلا ما تكال بالقفزان

وفيهـا : توفى القاضى ضياء الدين الشهرزورى وهو : أبو الفضائل القاسم بن يحيى بن عبدالله بن القاسم وهو ابن أخى القاضى كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم قاضى قضاه الشام فى الأيام النورية وبعض الصلاحية إلى أن توفى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وأوصى بالقضاة لابن أخيه ضياء الدين المذكور فأقام قليلا ثم استقال من القضاء لما فهم من غرض صلاح الدين تولية أبى سعد ابن عصرون فأقاله ورتبه الرسالة بينه وبين الخليفة فيرسل عنه إلى بغداد مراراً . ولد ضياء الدين فى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة

وتفقه ببغداد على يوسف الدمشقي بالنظامية،وسمع الحديث وعاد إلى الشام وبيته مشهور بالرئاسة والتقدم والقضاء ، والفضل وآخر قدومه رسولا عن صلاح الدين فى سنة ثمان وثمانين ، ثم قدمها رسولا عن الأفضل عقيب موت صلاح الدين ولما أخذ العادل دمشق أخرجه منها بسبب الأفضل فاستدعى إلى بغداد فى سنة خمس وسبعين فولاه الخليفة قضاء القضاة،ورد إليه أمور المدارس والأوقاف الشافعية والحنفية وغيرها . وكانت مطالعات الخليفة تصدر إليه دائما وحظى عنده وحصلت له منه منزلة لم تحصل لغيره من الغرباء ، وكانت زوجته ست الملوك تدخل على أم الخليفة الناصر وتحسن إليها. وأقام ببغداد فلم تطب له واشتاق إلى الشام فطلب الانفصال فلم يجبه الخليفة فدخلت ست الملوك على أم الخليفة وسألتها فى مخاطبة الخليفة فى الإذن له فى العود إلى الشام فسألته فأذن له .

قال أبو المظفر : وسمعت بعض عوام بغداد يقولون كان سبب عزله انه مسح يوما القلم فى شراية الدواة ولم يمسحه فى الخرقة الزرقاء التى عند الدواة وبلغ الخليفة فعزله . قال : وهذا ليس بشيء ، ولم يعزله الخليفة إنما هو اشتاق إلى الشام ولم يعتد قواعد العراق . وخاف على نفسه أن يبدو منه مالا يليق فطلب الخروج إلى الشام وكان قد حسده أرباب الدولة على قربه ومنزلته من الخليفة وميله إليه فخاف من التحريف عليه ، فكانت مدة ولايته بها سنتين وأربعة أشهر . ولما سافر عن العراق جاء إلى حماة فأقام بها وولى القضاء فعتب عليه ذلك بعد قضاء بغداد فقال : ماعزلت من قضاء بغداد ، وحماة ، والشام ، والشرق ، والغرب ، فى ولايتى فاذا نظرت فى بعض ولاياتى فليس ذلك بعيب . وكانت وفاته بحماة منتصف رجب ودفن بها . ولقد حكى لى أنه لما احتضر جعل يسبح ويذكر الله وتفرقع أصابعه حتى قضى . وكان فاضلا جواداً ، سخياً ، لم يكن فى أبناء جنسه أكرم منه . وذكره العماد الكاتب فى الخريدة وأثنى عليه ومن شعره :

فى كل يوم ترى للبين آثار ... وماله فى التئام الشمل ايثار
يسطو علينا بتفريق فواعجبا ... هل كان للبين فيما بيننا ثار
يهزنى أبدا من بعد بعدهم ... إلى لقائهم وجد وتذكار
ماضرهم فى الهوى لو واصلوا دنفا ... وما عليهم من الأوزار لو زاروا
يانازلين حمى قلبى وإن بعدوا ... ومنصفين وإن صدوا وإن جاروا
ما فى فؤادى سواكم فاعطفوا وصلوا ... وما لسكم فيه إلا حبكم جار

وفيها : توفى أبو البركات محمد ابن أحمد بن سعيد البكرى ، ويعرف بالمؤيد وكان أديباً ، فاضلا ، شاعراً ومن شعره أبيات حسنة شائعة قالها فى الوجيه النحوى . وكان الوجيه قديما على مذهب أحمد فآذاه الحنابلة فتحنف ، فآذاه الحنفية فانتقل إلى مذهب الشافعى . فجعلوه يدرس النحو فى النظامية فقال المؤيد :

ألا مبلغ عنى الوجيه رسالة ... وإن كان لاتجدى لديه الرسائل
تمذهب للنعمان بعد ابن حنبل ... وذلك لما أعوزتك المآكل
وما اخترت رأى الشافعى تدينا ... ولكنما تهوى الذى هو حاصل
وعما قليل أنت لاشك صائر ... إلى مالك فافطن لما أنا قائل

وفيها : توفى أبو ذكريا يحى بن طاهر بن محمد الواعظ . ويعرف بابن النجار البغدادى . ولد يوم

عرفة سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وسمع الحديث الكثير من أبي الفضل الأرموى وطبقته ، وتوفى فى ذى الحجة ودفن بالخيارة شرقى بغداد وأنشد فى مجلسه : —

عاشر من الناس من تبقى مودته فأكثر الناس جمع غير مؤتلف
منهم صديق بلا قاف ومعرفة بغير هاء وأخوان بلا ألف

وفيها : ولد مصنف هذا الكتاب الفقير إلى الله تعالى عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان ابن ابى بكر بن ابراهيم بن محمد المقدسى الشافعى ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر عفا الله عنه عرف بأبى شامة لأنه كان به شامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر يكنى ابا القاسم محمد . وكانت ولادته من هذه السنة برأس درب الفواخير بدمشق داخل الباب الشرقى . وأصل جده أبى بكر من بيت المقدس كان أبوه أحد الأعيان بها وله محمد الذى انتهى إليه النسب هو أبو بكر محمد بن أحمد بن أبى القاسم على الطوسى المقرىء الصوفى إمام صخرة بيت المقدس ذكره الحافظ أبو القاسم فى تاريخ دمشق .

قال ابن الأكفانى : قتله الفرنج خذلهم الله عند دخولهم بيت المقدس فى شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة . وهو أحد الشهداء الذين رؤسهم بالمغارة المقصودة بالزيارة فى مقبرة ماملا بالقدس الشريف فانتقل ولده أبو بكر إلى دمشق فأقام بها فولد له ولدان عثمان بن أبى بكر ، وعبد الرحمن بن أبى بكر الذى كان معلما بباب الجامع الشامى وسيأتى ذكره . وكثر الله نسلهم بدمشق ومسكنهم بنواحى الباب الشرقى فأولد عثمان بن إبراهيم بن عثمان جد مصنف الكتاب توفى فى شعبان سنة خمس وسبعين وخمسمائة ودفن بمقبرة باب الفراديس فأولد ابراهيم بن عثمان ولدين أبا القاسم بن ابراهيم توفى فى يوم الجمعة تاسع شهر رمضان سنة أربع وستمائة ودفن بمقبرة بين الباب الشرقى وباب توما واسماعيل بن ابراهيم توفى ثالث عشر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وستمائة فأولد اسماعيل ولدين إبراهيم بن اسماعيل ومولده ليلة الاثنين الخامس والعشرين من محرم سنة احدى وتسعين وخمسمائة ومصنف الكتاب عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم وحبب الله تعالى إليه من صغره حفظ الكتاب العزيز وطلب العلم فجعل ذلك همته فلم يشعر والده به إلا وهو يقول له قد ختمت القرآن حفظا ، ثم أخذ فى معرفة القراءات السبع والفقه ، والعربية ، والحديث ، وأيام الناس ومعرفة الرجال وغيرها من العلوم وصنف فى ذلك مصنفات كثيرة سيأتى ذكرها وحج مع والده سنة إحدى وعشرين وستمائة ، ثم حج فى التى بعدها أيضا ثم سافر إلى البيت المقدس زائرا سنة أربع وعشرين وسافر إلى الديار المصرية سنة ثمان وعشرين ، واجتمع بشيوخ هذه البلاد فى ذلك الوقت بمصر والقاهرة ودمياط والاسكندرية ثم لزم الاقامة بدمشق عاكفا على ماهو بصدده من الاشتغال بالعلم وجمعه فى مؤلفاته والقيام بفتاوى الأحكام وغيرها وكان فى صغره يقرأ القرآن فى جامع دمشق ينظر إلى مشايخ العلم كالشيخ فخر الدين أبى منصور ابن عساكر ويرى طريقته فى فتاوى المسلمين وحاجة الناس إليه وسماع الحديث النبوى عليه وهو يمر من مقصورة الصحابة رضى الله عنهم إلى تحت قبة النسر لسماع الحديث إلى المدرسة التقوية لإلقاء دروس الفقه ويرى إقبال الناس عليه وترددهم إليه مع حسن سمته واقتصاده فى لباسه فيستحسن طريقته ويتمنى رتبته فى العلم ونشره له وانتفاع الناس بفتاويه فبلغه الله من ذلك فوق ماتمناه وظهر الشيب فى لحيته ورأسه وله خمس وعشرون سنة فجعل الله تعالى له الشيخوخة صورة ومعنى فنظم فى ذلك بعض الفضلاء :

ان يَعب إذا بلغ خمسا وعشرين … فما كان المشيب فيه بعاب
جهل الناس قدر شيخوخة العلـ … ـم لجلت أنواره فى الشباب
نور الله الوجه والقلب منـه … ان فيـه هداية المرتاب
هو شيخ معنى فعاجله الشيـ … ـب وقاراً له على الأتراب
لحرى الفضل يافعـا ومسنا … ان زلفى له وحسن مآب

ورؤيت له منامات حسنة كانت مبشرات له بما وصل اليه من العلم وما رجوه من الخير منها : أن والدته رحمها الله أخبرته وهو إذ ذاك صغير يتردد إلى المكتب وأبوه رحمه الله يعجب من حبه المكتب وحرصه على القراءة على خلاف المعروف من عادة الصبيان فقالت الوالدة : لا تعجب فانى لما كنت حاملا به رأيت فى المنام كأنى فى أعلى مكان من المئذنة عند هلالها وأنا أؤذن فقصصتها على عابر فقال: تلدين ذكرا ينتشر ذكره فى الأرض بالعلم والخير . ورأى هو فى صفر سنه أربع وعشرين وستمائة كأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد أقبل إلى الشام منجداً لأهله على الفرنج خذلهم الله ، وكان له بخصوصية من إفضاء أمره اليه والتحدث معه فى أمور المسلمين وهو يمشى إلى جانبه ملاصقا منكبه حتى كان الناس يسألونه عنه وعما يريد أن يفعل وهو يخبرهم وكأنه واسطة بينه وبين الناس . وفى هذه السنة رأى أيضا كأنه والفقيه عبد العزيز بن عبد السلام سلمه الله داخل باب الرحمة بالبيت المقدس وقد أراد فتحه وثم من يمنع من فتحه ويدفعونه لينغلق فمازالا يعالجان الأمر حتى فتحا مصراعيه فتحا تاما بحيث أسند كل مصراع إلى الحائط الذى خلفه . ورأى أيضا فى جمادى الآخرة من هذه السنة كأن المسلمين فى صلاة الجمعة فى حر شديد وهو خائف عليهم من العطش ولا ماء ثم يعرف فنظر إلى قليب ماء قريبا منه وحوض فخطر له ان يستى من ذلك القليب ويسكب فى الحوض حتى يشرب منه الناس إذا انصرفوا من الصلاة فاستقى شخص قبله لا يعرفه دلواً أو دلوين ثم أخذ الدلو منه فاستقى دلاء كثيرة لم يعرف عددها وسكب فى الحوض . ورآه المهتار هلال بن مازن الحرانى متقلداً هيكلا وهو يقول : انظروا فلانا كيف تقلد كلام الله . ورأت امرأة كبيرة كأن جماعة صالحين اجتمعوا بمسجد قرية بيت سوا وهى قرية من قرى غوطة دمشق وكأنهم سئلوا ماشأنهم قالوا ننتظر النبى صلى الله عليه وسلم يصلى بنا قالت فحضر يعنى مصنف هذا الكتاب فصلى بهم . وجاءه رجل يستفتيه وهو بالمجلس الكبير الذى للكتب فى صدر الإيوان بالمدرسة العادلية وهو الموضع الذى يجلس فيـه غالبا للفتوى وغيرها ومنه يخرج إلى الصلاة بالمدرسة فتعجب فقيل له مم تتعجب ؟ قال: هذا مكان ما رأيته قط قال: ورأيت فى المنام كأنى كنت بهذه المدرسة العادلية وفيها خلق كثير وكأن قائلا يقول للناس تنحوا فالنبى صلى الله عليه وسلم يمر . قال فنظرت لخرج علينا من المجلس الذى للكتب ومركا هو الى المحراب . ورأى الصلاح الصوفى أول ليلة من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين وستمائة كأن مصنف الكتاب متوجه إلى الحج ومعه من الزاد جميع ما يحتاج إليه تزوداً تاماً يعجب منه الرائى . ورأى حسن الحجازى فى شهر رمضان سنة سبع وخمسين وستمائة كأن قائلا فى عالم الغيب لا يراه بل يسمع صوته يقول: الشيخ أبو شامة نبى هذا الوقت أو كما قال : ورآه مرة أخرى فوق قنطرة عالية وتحت القنطرة حيطة كثيرة . ومن ذلك منامات حسنة رآها له أخوه الشيخ برهان الدين أبو اسحاق إبراهيم بن اسمعيل وهو أسن منه بنحو تسع سـنين وكان من الصالحين رأى

والدهما رحمه الله يقول له : عليك بالعلم انظر إلى منزلة أخيك فنظر فاذا هو فى رأس جبل والوالد والراقى بمشيان فى اسفله . ورأى فى صفر سنة سبع وخمسين وستمائة كأن مصنف الكتاب متمسك بحبل قد دلى من السماء وهو مرتفع فيه فسأل إنسانا عن ذلك فى المنام فانكشف لهما البيت المقدس والمسجد الأقصى فقال له ذلك الإنسان من بنى هذا المسجد ؟ فقال: سليمان بن داود . فقال: اعطى أخوك مثل ما أعطى سليمان فقال له : كيف ذلك ؟ فقال : أليس سليمان أوتى ملكا لا ينبغى لأحد من بعده أليس أعطى كذا وكذا وعدد أنواع ما أوتى فقال: بلى. قال : وكذا أخوك أوتى أنواعا من العلم كثيرة أو كما قال. قال : ورآه الشرف الصرخدى فوق سطح بيت منعزل وهو يؤذن ثم بعد الأذان قرأ : (واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب) . ورأى أيضا كأن القيامة قد قامت ومصنف الكتاب راكب على حمار وهو مسرع فقيل له فى ذلك فقال : اطلب النبى صلى الله عليه وسلم على الحوض. ورأى الشرف ابن الرئيس أيضا القيامة ويصف من اهوالها . قال : ورأيت فلانا يعنى صاحب هذا الكتاب فسألته عن حاله فقال له . ماذا ما لقيت ؟ قال . لقيت خيرا .

وإنما سطرت هذه المنامات وغيرها تحدثاً بنعم الله تعالى كما أمر سبحانه فى قوله تعالى: (وأما بنعمة ربك فحدث) وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم: لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له ، اللهم أوزعنا شكر هذه النعم واختم بخير واسترنا فى الدنيا والآخرة وآمنا مكرك ولا تنسنا ذكرك(١)

سمع المذكور جماعة من المشايخ والعلماء من أصحاب أبى الوقت ، والحافظ أبى طاهر السلفى ، وأبى الفرج الثقفى ، وأبى طاهر بركات بن ابراهيم الخشوعى وغيرهم . وجمع وألف وهذب وصنف فى فنون العلوم النافعة كتباً كثيرة ومصنفات جليلة مختصرة ومطولة ثم أكثرها وسمعها ووقفها وكثرت النسخ بها . فأول ما أظهر من مصنفاته شرح القصائد النبوية مجلد . ومنها : شرح قصيدة الشيخ الشاطبى رحمه الله الذى سماه ابراز المعانى من حرز الأمانى وهما شرحان أصغر وأكبر والإكبر إلى الآن لم يتم والأصغر مجـــلدان .

ومنها : اختصار لتاريخ دمشق وهما أيضا أكبر وأصغر وكلاهما تام فالأكبر بخطه فى خمسة عشر مجلداً والأصغر فى خمس مجلدات . ومنها كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين فى مجلدين ومختصره فى مجلدة صغيرة . ومنها: الكتاب المرقوم فى جملة من العلوم يجمع عدة مصنفات فى مجلدين الأول فيه خطبة العلم الكبرى التى سماها خطبة الكتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول . وكتاب نور المسرى فى تفسير آية الاسرا . وشرح الحديث المقتفى فى مبعث النبى المصطفى . وضوء السارى إلى رؤية معرفة البارى. والمحقق من علم الأصول فيما يتعلق بأفعال الرسول . وكتاب البسملة .

والباعث على انكار البدع والحوادث , وكتاب السواك . وما أشبه ذلك . ومختصر كتاب البسملة وغير ذلك .

ومنها : كشف حال بنى عبيد . والواضح الجلى فى الرد على الحنبلى . وإقامة الدليل الناسخ لجزء الناسخ والأصول من الأصول . ومفردات القراءة . وشيوخ الحافظ البيهقى . ومقدمة فى النحو . والألفاظ

(١) زاد بعض تلاميذ المؤلف مابعد هذا إلى آخر الترجمة (ز) .

المرية . والقصيدة الدامغة . وقصيدتان فى منازل طريق الحج . ونظم مفصل الزمخشرى . ونظم العروض والقوافى . ونظم شىء من متشابه القرآن . وشرح عروس السمر . وابتدأ كتبا كثيرة لم يتفق إلى الآن إتمامها ونجز فى سنة تسع وخمسين وستمائة التى تعقبها سنة ستين فيها . كتاب جامع أخبار مكة والمدينة وبيت المقدس شرفهن الله تعالى . ومختصر تاريخ بغداد . وتقييد الأسماء المشكلة . ورفع النزاع بالرد إلى الاتباع والمذهب فى علم المذهب . ونية الصيام وماذ يوم الشك من الكلام . وشرح نظم المفصل . والاعلام بمعنى الكلمة والكلام . وشرح لباب التهذيب . والارجوزة فى الفقه . وذكر من ركب الحمار . ومشكلات الآيات . ومشكلات الأخبار . وكتاب القيامة . وشرح أحاديث الوسيط . وتعاليق كثيرة فى فنون مختلفة من غير ترتيب على طريقة التذكرة لأبى على الفارسى . وامالى ثعلب . وامالى الزجاجى . ونحو كتاب المجالسة . واختصار جملة من الدواين

وقد نظم أحد الفضلاء بعض هذه المصنفات فى أبيات كتبها له فقال :

هذا الشهاب الثاقب الفهم الذى قـــد فاق فى بحر العلوم وشطه
أكرم بتحقيق واتقان وتصـ ـنيف له وبراعة فى ضـــبطه
وعناية من ربه فيما يحاو له به فأحـــله فى وسطه
فكلامه فى الفقه يشبه ماتقد م من كلام الشافعى وسبطه
يبنى على نص الكتاب وسنة للمصطفى فى رفعه أو حطه
ومذاهب العلماء يلحظها فيفـــتى بالمرجح عنـــده من قسطه
ويفسر القرآن والأخبار عن حـذق بمفهوم الكلام وربطه
وبنص أسماء الورى وحديثهم ووفاتهم فكأنهم من رهطه
شرح الصدور بشرحه لقصائد نبوية فى قبضـــه أو بسطه
والشاطبية جولوا افكاركم فى شرحها إن كنتم من شرطه
وله كتاب الروضتين وهذب التـــاريخ مختصراً له من شحطـــه
وكتابه المرقوم فيـــه مصنفا ت فى علوم حازها فى مرطه
منها المحقق والسواك وباعث مع مبعث احسن به وبقمطه
والضوء والإسرا وبسملة ومر شدها الذى أحيا بحسن عطه
ولنظمه فى النحو والأوزان والـ أحكام لم يك ما مضى من سمطه
وقد ابتدا كتباً فان أبقاه من قواد أكملها بحـــمودة سقطه
رفـــع النزاع ومشكل الـ آيات والأخبار بماشده فى قمطه
أرجو له عفـــو الإله فانه مازال يطلب عفوه فى حطه

كان المذكور لايكاد يكتب فى فتـوى ، أو شهادة ، أو طبقـة سماع ، أو نسخ كتاب إلا أردف اسمه بكناية عفا الله عنه . وكان حريصا على الاجتهاد فى الأحكام المختلف فيها فيفتى بما يراه اقرب إلى الحق وان كان خلاف مذهبه تبعاً للأدلة .

ونظم بعض الأدباء فيه :

أيها الحاسدون فضل شهاب الد ين عبد الرحمن رب المعالى
لا تطيقون ما أطاق دعـوا التعـنى فلن تدركوه غير خيال
متعب نفسـه صبياً وكهلا ثم شيخاً مـواظب الاشتغال
ومحب مجالس العلم والديـن جميعاً مجانب الأنذال
جد حرصاً على الفوائد منها وسـؤالا عن مشكل الأقوال
لاترى غير قارىء لكتاب أو مجيبـاً بالحق للسؤال
كم كتاب أنهاه حفظاً وشرحا واطلاعا عـلا رؤس الرجال
لايمارى ولايبارى ولا ينفـك عن نشره علمه للموالى
ولهـذا يحب ديناً فمن أبغضه نال لعنـة المتعالى
ان عبد الرحمن فيـه فنون من علوم معها كريم خلال
حاز مـذ كان بالقناعة عزا مع بهاء وهيبة وجلال
واعتلاء على الأماثل فى بت ت جواب له وحسن سؤال
ناشر العـلم قائل الحق كم نصر الشرع عن صحيح الجدال
صائن نفسه وما فيـه من عـلم ودين عن مهنة وابتذال
وسواه فى الذل ان خاب أو أنجح يسعى أيامـه والليالى
فارساً راجـلا يمر ويأتى نحو قاض وتارة نحو والى
ذو التصانيف المغنيات بعـون الله عن مصنفات قيل وقال
من يرد قدر فضله فليطالع كتبه فهى عين عين الكمال
ليرى ما آتاه خالقه جـل مع العـلم من جليل الفعال
فمواليه فى الهدى ومعـاديـه وحساده معاً فى ضلال
وهو من نفسه الأبية فى عز ز ومن علمه رخى البال
وهو من قنعه غنى وراض لايدانيه فى الغنى ذو المال

وكتب اليه بعض الأدباء وانشده اياها بجامع دمشق بحلقته عند رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام فى زمن كان يسمع فيه تاريخ دمشق الذى اختصره وغيره وذلك ثامن ذى الحجة سنة ثمان وأربعين وستمائة قصيدة منها :ــ

هو الشيخ شيخ العلم والحلم والهدى وناهيك من علم القراءة من فحل
هناه له منا بصحة جسمه فصحته فى جسمه صحة العقـل
ولما اعتراه ما اعتراه تألموا جميع الورى كالنفس والصحب والأهل
وعوفى بحمد الله والحمد لم يزل دواء له هذا شعار ذوى الفضل
ووالده كالسيد السلمى خـذ بكنيته والشيخ فى ورع الشبلى

وفى العلم بحر قد تدفق موجه ... ويملأ منه بالجواهر ما يحلى
فهذب تاريخ الشـــآم دراية ... وتهذيبه قد صح عند ذوى العقل
كما انه علامـــة الوقت مفرد ... بعلم حديث المصطفى سيد الرسل
لحاشا حياة العلم من فقد مثله ... وحاشا أحاديث النبى من الجهل
ومسألة فى شرح بسملة لهـــا ... سمو وشرح الشاطبية يستعلى
بنظم عروض والمفصل قبله ... رويته تروى الورى ديمة الهطل
لحاشا يدى التصنيف ان لا تنتج من ... عزيز وحاشا الروضتين من المحل(١)
وحاشا الفتاوى ان تعطل بعده ... وحاشا جمال البحث يخلو من الحفل
كثير المعالى والمعانى مفنن ... تقى زكى طيب الفرع والأصل
يقول لنــا مالا سمعناه قبـــله ... وقال لنا ماسدت إلا بمن قبلى

وكتب اليه أيضاً قصيدة منها: —

يقصد المجلس الأجـل جنابا ... عالم الأرض كيف قال أصابا
وسماء فيها شموس علوم ... وبدور تهدى وتدعى الشهابا
ملك الفضل بل خليفة علم الدين ... وازداد من الفنون عجابا
ولى وهو فى المعــالم مفت ... فهو يهمى صبا ويهمى صوابا
سله واسأله تلق جوابا ... وجوادا فهو شيخ فى الفضل ينمى شبابا
وهو بحر قد ساغ عذب فرات ... وســواه لم يلق إلا سرابا

وكتب اليه قصيدة منها : —

شرعت امتداحا لامام مستقيم
ركن دين الله فى الدنيـــا بأنواع العـــلوم
كيف تصنيف تحلى حلة الطرز الرقيم
واذا الف فى تأليفه ألف الحميم
وله فى الشرح شرح النفس والصدر الـكظيم
هذب التاريخ حتى راق فى حسن وسيم
فتعجب منــه اذا أنقص انمى فى الجسيم
وله الشامسة فى تر جمة فى حرف ميم
تلك اسماء ابن اد ريس بالشهاب عميم
رم شمل الدهر حتى خلف الميت الرميم
فهو بالكل اعتياض من حديث وقديم

(١) هكذا فى الأصول الثلاثة وفيه ركة .

بربر فيـه بحر بحر عرفان عظيم
زاخر كل غريب وعجيب ويتيم
فهو يبدي وهو يبدي أنفس الدر النظيم
ملك الفضل انفراداً فيه من غير قسيم
ولمفت وفتى فضل عليم كريم

وكان يحضر عنده بالجامع والتربة الأشرفية جماعة من الأكابر والفضلاء لسماع التاريخ والروضتين وغيرهما من تصانيفه فنظم الرئيس الأصيل الفاضل محيي الدين يحيى بن على بن محمد التميمى من بنى القلانسى: —

انا والله والجماعة طـرا من سماع التاريخ فى بستان
ورياض أنيقـة أطلقتها بأزاهيرها انا الروضتان
أيد الله شيخنا فلقد أبـ دع فى الاختصار والتبيان
فهو قطب الحجى وبدر المعالى وشهاب الفتيا وشمس البيان
دام فى نعمة ورفعـة قدر سالما من نوائب الحدثان
ماتغنى ورق على غصن بان وتسنى برق على نعمان

وكان المصنف عفا الله عنه محباً للعزلة والانفراد ، غير مؤثر للتردد الى أبواب أهل الدنيا متجنباً المزاحمة على المناصب لايؤثر على العافية والكفاية شيئا ومن شعره : —

الثوب واللقمه والعافيـه لقانع من عيشه كافيـه
ومازد فالنفس ليست به وإن تكن مملكة راضيه

وله أيضاً : —

أنا فى عز القناعـه راقل فى كل ساعـه
رب اتممها بخـير فى معافاة وطاعـه

وله أيضاً : —

أردت راحة سرى مما يضيق صدرى
لمـا ألاقى من الخلق من جفاء وغدر
وحسد واغتياب فيا ضياعا لعمرى
فاخترت أن انتحى وأستقل بأمرى
فلست امشى إلى من يرى خطيراً لقدرى
لأجل دنيا فمشى اليـه بالعلم يزرى
لكن إلى عالم أو شـيخ نبيه الذكر
فى الدين يقصد للعـلم والتقى لا الفخر

اما إذا أحوجتني ضرورة من فقر
فلا يكون فرجي بمن فيها بصبر
يارب فاشرح صدري للخير واشدد أزري
ولا تكلني إلى الخـلق أنت حسبي وذخري
هب لي مـدى الدهر سـتراً حتى أوسد قبري
واختم بخير واعظم من جنة الخلد أجري

وله أيضاً: —

نزهت نفسي وعرضي وصنت هذي البقيه
لما انعزلت ببيتي قولا وفعلا ونيه
وبقيت علقتي بالـ ـمدارس الفقهيه
وسوف اخلص منها حقاً ورب البريه
إني عبد ضعيف أخاف نعت المنيه
ولست أرضى لنفسي دوام هذي البليه
إلى الممات فرني (له هبات) عليه
وكان معرفة الله النعمة الأخرويه
انا لها بانشراح راضية مرضيه

وقال فيما ينبغي أن يكون عليه المصلي : —

الق جمعاً واحضر بقلب وعقل بالمصلى ورتل القرآنا
وتدبر آياته وتفكر واجمع الهم مقبلا يقظانا

أي مقبلا عليه متيقظاً .

وكتب إلى من كان عنده أصل المصنف بكتاب الوسيلة إلى كشف العقيلة بخط مصنفه شيخنا السخاوي رحمه الله يستعيره منه : —

يا من نراه وسيلة يحوز كل فضيله
ومن مدى الدهر يسعى فيما يسر خليله
مازال يتعب صب يهوى وصال العقيله
وطالب العلم يهو ى كثيره وقليله
فابعث اليه معيناً له كتاب الوسيله

وقال أيضاً : —

بدمشق سقى الآله رباها وحماها ذكرى اولى الألباب
وعجيب أشجارها حين تبدو مزهرات تشيب قبل الشباب

وله أيضاً أبيات فى حصر السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله على ماصح فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله . إمام عادل ، وشاب نشأ بعبادة الله ، ورجلان تحابا فى الله فاجتمعا على ذلك وتفرقا ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال انى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لاتعلم شماله ما أنفق يمينه » . فقال فى حصرهم :—

امام محب ناشىء متصدق ... وباك مصل خائف سطوة الباس
يظلهم الله الجليل بظله ... اذا كان يوم العرض لاظل للناس
أشرت بألفاظ تدل عليهم ... فيذكرهم بالنظم من بعضهم ناس

أى من هو ناس بعضهم .

وله فى هذا المعنى : —

وقال النبى المصطفى إن سبعة ... يظلهم الله العظيم بظله
محب عفيف ناشىء متصدق ... وباك مصل والامام بعدله

وله أيضاً : —

لاتقم فى مدينة ليس فيها ... خمسة إن أردت دار قرار
نهر مالك وعدل قاض ... وطب حاذق مع سوق ونهر جار

وله أيضاً : —

قول ابن ادهم قول الناصحين لنا ... العجب والحرص ثم السخط فاجتنبوا
ثلاثة حجبت عن اليقين قلو ... بنا فلابد من أن ترفع الحجب
نسر بالمدح والموجود يفرحنا ... والقلب سخطا من المفقود يضطرب

وله فى حصر السبع الموبقات الوارد فى الحديث الصحيح : —

أكل مال اليتيم والشرك والسحـ ... ـر وأكل الربا وقذف المبرا
والتولى يوم زحف وقتل نفس ... سبع قد أوبقت من تجرا

وله أيضا : —

فلا تحفل بمن يغتاب شخصا ... ويحسده فيذكر من هناته
فمن حسناته تهدى اليه ... فان نفدت تحمل سيئاته

ثم دخلت سنة ستمائة . قال ابو المظفر :
ففيها : سار نور الدين بن عز الدين صاحب الموصل إلى تل عقر فأخذها وكانت لابن عمه

قطب الدين بن عماد الدين صاحب سنجار فاستنجد القطب بالملك الأشرف ابن العادل فجمع جمعا كثيراً والتقى مع نور الدين فكسره وأسر جماعة من أمرائه منهم المبارز سنقر الحلبي وولده الظهير غازى وذلك فى شوال ثم اصطلحا فى ذى الحجة . وتزوج الأشرف أخت نور الدين وهى الأتابكية بنت عز الدين مسعود صاحب التربة بجبل قاسيون .

وفيها : تمكن ناصر الدين ابن ارتق بقلعة ماردين وقتل زوج أمه نظام الدين الذى كان قد قهره واستولى عليه . وفيها : حج بالناس من العراق طاشتكين .

وفيها : توفى الحافظ أبو محمد عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى الجماعيلى ولد بجماعيل قرية من أعمال نابلس فى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة فى ربيع الآخر وكان أكبر من الموفق عبد الله ابن احمد بأربعة أشهر لأن مولد الموفق فى شعبان من سنة إحدى وأربعين وخمسمائة والموفق ابن عمة الحافظ. قرأ عبد الغنى القرآن وسمع الحديث الكثير وسافر إلى الأمصار وكتب كثيراً وصنف وقدم بغداد هو والموفق فى سنة ستين أو إحدى وستين فى السنة التى توفى فيها الشيخ عبدالقادر فنزلا فى مدرسته وما كان يمكن أحداً من النزول بها ولكنه لما رآهما تفرس فيهما الخير والصلاح فأكرمهما وسمعا عليه . ثم توفى الشيخ عبد القادر بعد قدومهما بخمسين ليلة . وكان ميل عبد الغنى إلى الحديث والموفق إلى الفقه فاشتغلا فى الفقه على أبى الفتح ابن المنى ثم قدما دمشق بعد أربع سنين وسافر عبد الغنى إلى مصر والاسكندرية ثم عاد الى دمشق ونزل إلى الجزيرة وسمع بها وعاد الى بغداد ثم رحل الى اصبهان فسمع بها ثم عاد الى دمشق وكان لما دخل اصبهان وقف على كتاب أبى نعيم الحافظ فى معرفة الصحابة فأخذ عليـــه فى مائة وتسعين موضعا فطلبه بنو الخجندى ليقتلوه فاختفى وخرج من اصبهان فى ازار . ولما دخل الموصل قرأ كتاب الجرح والتعديل للعقيلى (١) وفيه جرح أبى حنيفة فثار عليه الحنفية وحبسوه ولولا البرهان البلى الواعظ خلصه لقتلوه فانه قطع الكراسة التى فيها ذكر أبى حنيفة ففتشوا على اسم أبى حنيفة فلم يجدوه فاطلقوه فخرج منها خائفا يترقب فلما قدم دمشق كان يقرأ الحديث بعد صلاة الجمعة بحلقة الحنابلة ويجتمع الناس اليه فحصل له قبول . وكان رقيق القلب سريع الدمعة فحسده الدماشقة ودخلوا عليه بطريق الناصح ابن الحنبلى فحسنوا له أن يعظ بعد الصلاة تحت قبة النسر ففعل فشوش على عبد الغنى فصار يقعد بعد العصر وذكر عقيدته على الكرسى فاتفق القاضى محى الدين ابن الزكى ، والخطيب ضياء الدين الدولعى (٢) وجماعة من الدماشقة وصعدوا الى القلعة وواليها صارم الدين بزغش فقالوا :هذا قد أضل الناس ويقول بالتشبيه فعقدوا له مجلسا واحضروه فناظرهم فاخذوا عليه مواضع . منها : «ولا انزهه تنزيها ينفى حقيقة النزول» .

ومنها قوله: «كان الله ولا مكان وليس هو اليوم على ما كان» ، ومنها : مسألة « الصوت والحرف »

---

(١) حشوى متحامل ، رد عليه راويته ابن الدخيل دفاعاً عن أبى حنيفة وقد لخص ابن عبد البر هذا الرد فى « الانتقاء » ويظهر مبلغ تحامله مما ذكره الذهبى فى « ميزان الاعتدال » فى ترجمة على بن المدينى وكان عبد الغنى حشويا مثله وهذا منشأ عدائه لإمام الائمة سامحه الله (ز) .

(٢) هما من كبار الشافعية فى ذلك العصر (ز) .

فقالوا له إذا لم يكن على ما كان فقد أثبت له المكان وإذا لم تنزهه تنزيها ينفى حقيقة النزول فقد جوزت عليه الانتقال . وأما الحرف والصوت فانه لم يصح عن امامك الذى تنتمى اليه فيه شىء . وإنما المنقول عنه انه كلام الله لاغير وارتفعت الأصوات . فقال له صارم الدين: كل هؤلاء على ضلالة وانت على الحق ؟ قال: نعم فأمر الأمراء فنزلوا إلى جامع دمشق فكسروا منبر عبد الغنى وما كان فى حلقة الحنابلة من الدرابزينات ومنعوهم من الصلاة ففاتهم صلاة الظهر فجمع الناصح ابن الحنبلى السوقة وقال ان لم ترجع الى مكاننا فعلنا وصنعنا فاذن لهم القاضى فى ذلك وخرج عبد الغنى الى بعلبك ثم سافر الى مصر فنزل عند الطحانين وصار يقرأ الحديث فافتى فقهاء مصر باباحة دمه وكتب أهل مصر الى الصفى ابن شكر وزير العادل يقولون قد أفسد عقائد الناس ويذكر التجسيم على رؤس الأشهاد فكتب الى والى مصر بنفيه الى المغرب فمات قبل وصول الكتاب وكانت وفاته بمسجد المصنع يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول ودفن بالقرافة عند الشيخ أبى عمرو بن مرزوق (١) وكان إذا اجتاز بذلك المكان يقول روحى ترتاح الى هونا فدفن فيه :

قال أبو المظفر سبط الجوزى : وكان زاهداً عابداً ورعا يصلى كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة ـ ورد احمد بن حنبل ـ ويقوم الليل وعامة دهره صائم وما ادخر شيئاً قط . وكان جوادا سمحا إذا فتح بشىء من الدنيا حمله بالليل الى أبواب الأرامل واليتامى وألقاه اليهم ومضى لئلا يعرفوه . وكان يرقع ثوبه بيمينه وكان قد ضعف بصره من كثرة المطالعة والبكاء وكان أوحد زمانه فى علم الحديث سمع باصبهان الحافظ أبا موسى محمد بن عمر المدينى وغيره وببغداد عبد الله بن النقور ، ويحيى بن ثابت بن بندار وغيرهما . وبدمشق أبا المكارم عبد الواحد بن المسلم بن هلال وغيره . وبمصر عبدالله بن برى النحوى وغيره بالاسكندرية أبا طاهر السلفى الحافظ وغيره وسأله السلفى يوما من هو محمد بن عبدالرحمن الذهبى فقال له المخلص : وكان له ثلاثة أولاد محمد ، وعبد الله ، وعبد الرحمن سيأتى ذكرهم إن شاء الله تعالى . وله مصنفات كثيرة منها الكمال (٢) فى معرفة رجال الصحيحين وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه فى نحو عشر مجلدات (٣)

قلت وفيها : توفى الحافظ بهاء الدين أبو محمد القاسم ابن الحافظ الأكبر أبى القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن عبد الله بن الحسين المعروف بابن عساكر ودفن على أبيه بمقبرة باب الصغير خارج الحظيرة التى فيها قبر معاوية وغيره من الصحابة رضى الله عنهم من جهة الشرق وكان قد شارك أباه فى أكثر شيوخه سماعا فاجازه . صنف عدة مصنفات وخلف أباه فى القيام بهذا الشأن بدمشق واظهار كتب أبيه واسماعها بالجامع ودار الحديث النورية ، وبيض تاريخ دمشق بخطه فى ثمانين مجلدا ورحل الى مصر واسمع بها وكانت وفاته يوم الخميس ثامن صفر ودفن بعد العصر ولى منه أجازة رحمه الله تعالى .

وفيها : يوم الجمعة العشرين من ربيع الآخر توفى أمام الملك الناصر ضياء الدين أبو بكر محمد

---

(١) وفتنته فى التشبيه بمصر معروفة وكان حنبليا أخذ عن الشيخ عبد القادر (ز) .

(٢) وعلى تهذيب هذا الكتاب وتوسيعه أو تلخيصه مضى الحفاظ بعده (ز) .

(٣) فى أربعة مجلدات متوسطة (ز) .

ابن يوسف بن أبي بكر الآملي الطبري المقرىء المعروف بخواجا امام سمع الحافظ أبا العلاء الهمذاني وغيره واعتنى بكتب القراءات سماعا ونسخا وفي خطه خطأ كثير من تصحيف وتحريف ، ودفن بعد الصلاة في الجبل رحمه الله .

وفيها: قدم بغداد أبو الفتوح بن أبي نصر الغزنوي رسولا من صاحب غزنة وجلس بباب بدر وقال يا أهل بغداد هنيئا لكم أنتم تحظون بأمير المؤمنين ونحن محرومون وتشاهدون سدة سيادته ونحن محجوبون وأنشد متمثلا :

الا قل لسكان وادي العقيق ... هنيئا لكم في الجنان الخلود
افيضوا علينا من الماء فيضا ... فنحن عطاش وأنتم ورود

وكان يمكنه أن يصرح بمراده فيقول :

« الا قل لسكان دار السلام » .

ولكنه أتى به على لفظه ليعلم انه تمثل به .

وأول هذه السنة سافر الشيخ شمس الدين أبو المظفر يوسف سبط الجوزي الواعظ رحمه الله من بغداد إلى الشام وقد ذكر صفة تنقله في البلاد في تاريخه الذي سماه «مرآة الزمان» فقال : في أول هذه السنة سافرت عن بغداد إلى الشام وهي أول رحلتي فاجتزت بدقوقا فجلست بها يعني عقد مجالس الوعظ قال : وبها خطيبها الحجة وكان يعظ بها ثم قدمت اربل فاجتمعت بشيخ فاضل كيس ظريف يقال له محيي الدين الشاتاني فأنشدني مقطعات لغيره وهذه الابيات منها : —

رحمت أسود هذا الخال حين بدا ... في حمرة الخد مرميا بابصار
كأنه بعض عباد المجوس وقد ... ألقى بمهجته في جنة النار

وجلست باربل ثم قدمت الموصل وجلست بها وحصل لي القبول التام بحيث أن الناس كانوا ينامون ليلة المجلس في الجامع من كثرة الزحام وأدركت بها جماعة من العلماء فسمعت الثقورية على أبي طاهر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسي الخطيب وغيره. ثم قدمت حران فجلست بها وسمعت الخطيب فخر الدين ابن تيمية وابن الطباخ وعبد القادر الرهاوي وغيرهم ثم قدمت منها إلى حلب وجلست بها وسمعت شمائل النبي صلى الله عليه وسلم من الافتخار وأسباب النزول من عبد الرحمن ابن الأستاذ وغيرهما. ثم قدمت دمشق فنزلت بقاسيون عند المقادسة وجلست به وبجامع دمشق فكانت مجالسي ولله الحمد والله مثل غدوات الجنة ثم زرت بيت المقدس وجلست به وقبر الخليل عليه السلام وعدت إلى قاسيون فاقمت به إلى سنة ثلاث وستمائة ورجعت إلى حلب . قال : وصحبت الشيخ أبا عمر شيخ المقادسة وشاهدت منه الزهد في الدنيا والورع والفضل والتواضع ومن أخيه الموفق ونسيبه العماد وهو أخو الحافظ عبد الغني ما نرويه عن الصحابة والأولياء الافراد فانساني حالهم أهلي وأوطاني ثم عدت اليهم بعد ذلك على نية الاقامة عسى أن أكون معهم في دار المقامة . قال : وحضر مجلسي بجامع دمشق في سنة عشر وستمائة القضاة والاشراف والاعيان والملك المعظم عيسى بن العادل رحمه الله وشيوخنا جمال الدين الحصيري وتاج الدين الكندي والقاضي شمس الدين بن الشيرازي والقاضي شمس الدين بن سني الدولة وكان مجلسا

عظيما احتوى على عشرة آلاف وزيادة على باب مشهد على وكان بدمشق قارئان أحدهما يقال له النجيب البغدادى والآخر يقال له الشريف بن مى صوته مزعج وكان النجيب إذا قرأ أطربنا وابن مى إذا قرأ ينغصنا فحكيت للجماعة أن جدى رحمه الله قرأ بين يديه قارئان فأطربا الجمع فأنشد :—

ألا ياحمامى بطن نعمان هجتما على الهوى لما تغنيتما ليا

ألا أيها القمريتان تجاوبا بلحنيكما ثم اسجعا لى علانيا

قال : وقرأ بين يديه قارىء حسن الصوت فأطرب الجماعة . ثم قرأ بعده آخر مزعج الصوت فنغص الجماعة فقال جدى : كان لبعضهم جاريتان مغنيتان إحداهما تغنى طيبا ، والأخرى مزعجا فكان إذا غنت الطيبة الصوت يمزق ثيابه ، وإذا غنت القبيحة الصوت يقعد يخيط ما مزق فحكيت للجماعة حكاية الجاريتين المغنيتين وكان الشيخ الكندى قاعدا فى القبة التى فى وسط المجلس فقال : يا ابنى كلنا اليوم نخيط

قلت : كانت مجالس الوعظ التى للمذكور من محاسن الدنيا ولذاتها فكأن الله قد جمع له حسن الصورة وطيب الصوت وطرافة الشمائل فى الايراد والجوابات واللباس وسائر الحركات ، فكان يزدحم فى مجلسه ما لا يحصى من الخلق رجالا ونساء والنساء بمعزل عن الرجال فى جامع دمشق وجامع الجبل حضرت مجالسه فى صغرى وكبرى فى الموضعين مرارا وكان لا يفارق أحد مجلسه إذا انقضى إلا وشوقه مستمر الى عودته فى الأسبوع الآخر فانه كان يجلس كل سبت وتبسط السجادات والحصر والبسط فى كل المواضع القريبة من المنبر ما بينه وبين القبة فى يوم الجمعة ويبيت الناس ليلة كل سبت حلقا يقرون القرآن بالشموع كل ذلك فرحا بالمجلس مسابقة إلى الأماكن وعادة الدمشقيين التفرج فى أيام السبت ويبطلون عن أشغالهم بالمدينة وينقطعون فى بساتينهم وكانوا لا يفوتون حضور المجالس ثم ينصرفون منه إلى فرحهم فلا ينقضى يومهم إلا بالتذاكر لما وقع فيه من المحاسن وانشاد الأشعار والتحدث عمن أسلم فيه أو تاب وايراد ما كان فيه من سؤال وجواب ولم يزل على ذلك مدة سنين ثم اقتصر على المجلس فى الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان كل سبت فانقطع بمنزله عند تربته بالجبل إلى أن توفى سنة أربع وخمسين وستمائة وسنعود لذكره فى سنة وفاته إن شاء الله تعالى .

قال أبو المظفر : ولما أردت فراق دمشق فى سنة ثلاث وستمائة قاصدا حلب جلست بقاسيون وودعت الناس فلم يتخلف بدمشق إلا القليل وامتلأ جامع الجبل بالناس فصاحوا علينا من الشبابيك والأبواب لا . لا . لا . يعنون قوموا فاخرجوا فخرجنا إلى المصلى وكان شيخنا تاج الدين الكندى حاضرا فلما خرج من الباب زحموه فانكشف رأسه ووقعت عمامته فعز على وسألته أن يمضى إلى دمشق ولا يحضر فى المصلى فامتنع وقال : لا والله حتى يتم المجلس وتاب فى ذلك اليوم زيادة على خمسمائة شاب وقطعوا شعورهم وكان سيف الدين بن تميرك حاضرا وجرى الكلام فى المغناطيس وأنه يعشق الحديد قلت والخبازى (١) تعشق الشمس ولهذا كلما مالت الشمس إلى جهة مال الخبازى اليها فصاح سيف الدين بن تميرك يامولاى شمس كلنا اليوم خبازى .

---

(١) نبت معروف (ز) .

قال العز ابن (١) تاج الأمناء :

وفيها : احترقت خزانة السلاح الحامية دمشق التي تعمل الشباب وذهب جميع ما فيها ليلة الاثنين خامس جمادى الآخرة .|وفي سابع عشرى رمضان توجه أسطول الفرنج من عكا عشرون قطعة ودخل يوم العيد من فم رشيد إلى قرية فوة من عمل الديار المصرية ونهبها وأقام بنواحيها يومين ثم خرج من حيث دخل غانما سالما ولم يسمع أن أحدا أقدم على هذا الفعل منذ فتوح الديار المصرية . ثم في سنة تسع وستمائة دخلوا من فم دمياط إلى قرية بورة ففعلوا نحو ذلك وسيأتي ذكره .|وفي هذه السنة أخذت العملة المشهورة من مخزن أيتام سيف الدولة ابن السلار بن عنبار من قيسارية الفرش بدمشق ومبلغها ستة عشر ألف دينار مصرية ومصاغ وبقيت سنين إلى أن طلبت واعتقل بسببها خلق كثير ومات منهم جماعة ثم ظهرت على المعروف بابن الدخنية .

وفيها : قتل الفقيه القزويني الزاهد بباب الكلاسة من جامع دمشق حالة خروجه إلى زيارة القدس بيد اسماعيلي واجهه يظهر أنه يصافحه وضربه بسكين في خاصرته وانحرف عنه منهزما فوقع القزويني إلى الأرض وحمله أصحابه إلى داخل الكلاسة فمات في وقته ودفن بمقابر الصوفية على الشرف القبلي . وأما القاتل فان بعض أصحاب القزويني لحقه إلى الزيادة فتناول عصا أعمى وأدخلها بين رجليه فوقع وركبه وأخذ السكين من يده واجتمع الناس يضربون العجمي ظنا أنه الاسماعيلي وكادوا يقتلون الاسماعيلي منه ثم عرفوا القصة فأوثقوا أكتاف القاتل وحملوه إلى المعتمد فحمل إلى السجن فأقام به . إلى أن عرض له مرض وحمل إلى البيمارستان فهلك .

سنة ٦٠١ هـ :

ثم دخلت : سنة إحدى وستمائة . ففي جمادى الآخرة وقيل الأولى عزل الخليفة الناصر ولده أبا نصر محمدا عدة الدنيا والدين عن ولاية العهد بعد أن دعي له بذلك على المنابر سبعة عشر عاما ومال إلى ولده علي ورشحه للخلافة فاخترم في إبان شبابه فألجأت الضرورة إلى أن رجع الحق إلى نصابه فعهد إلى أبي نصر فتولى بعهده ولقب بالظاهر كما سيأتي وأما صورة العزل فانه ألجيء إلى أن كتب خطه بما سنذكره .

قال أبو المظفر : اجتمع أرباب الدولة في دار الوزير ابن مهدي والقضاة والعلماء والفقهاء والأمراء وأخرج الوزير رقعة خط ولي العهد إلى والده مضمونها أنه حين ولاه العهد لم يكن يعلم ما يجب عليه فيه ولا قدر ذلك وأنه يسأل أباه إقالته وعزله وأنه لا يصلح لذلك وشهد عليه أبو منصور بن سعيد ابن الرزاز ، وأبو أحمد بن زهير العدلان بذلك وأن الخليفة أقاله وأنشأ محمد بن محمد القمي الذي ناب في الوزارة وعزل في أيام المستنصر وكتب المكين كتابا يقول فيه :

أما بعد : فان أمير المؤمنين كان قد قلد ولده أبا نصر محمداً ولاية العهد في المسلمين ، ورشحه بعده لامرة المؤمنين ، وألقى عليه هذا القول الثقيل ، ونهج له من مراشد الدنيا والدين أوضح سبيل ، مؤملا فيه الاستقلال بأعبائه ، والاتيان بما يبين عن اضطلاعه وغنائه ، والتخلق بأخلاقه التي هي من أخلاق

(١) هو العز النسابة أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد ابن عساكر المتوفى سنة ٦٤٣ هـ من رجال بيت ابن عساكر المذكورين في ذخائر القصر لابن طولون ، وأبوه تاج الأمناء توفي سنة ٦١٠ هـ (ز) .

البارى مكتسبة ، وعلى التقوى مؤسسة دما آن أوان تكامل رشده وبلغ المبلغ الذى أمل فيه سداد رأيه وقصده ، رأى من نفسه القصور عن التزام شروط الخلافة وما يجب عليه من الرحمة للأمة والرأفة فأقر بالعجز عن تأدية حق الأمة فى أمره ، واشهد عليه أنه لا يصلح لها فيما مضى ولا فيما بقى من عمره وخلع نفسه مما كان أمير المؤمنين فوضه اليه ، واعتمد فيه عليه . ولم يسع الخليفة إلا استخارة الله تعالى فى إقالته وطلب رضاه فى حل عقدة ولايته فأسقط اسمه من السكك والمنابر والأعلام والمحاير . ولما خلعه لم ير أن يعين أحدا ليلقى الله بذمته يوما من الأيام غير متعلقة بوزر يخص الخاص ويعم العام ، وقد وافق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث جعلها شورى فى الستة المذكورين من أعيان المهاجرين ، ولما قال له عبدالله ابنه : ما يمنعك أن تعين من تراه أهلا ؟ فقال : لا والله لا أتحملها حياً وميتاً . وذكر القمى كلاما طويلا وكتب نسخا إلى الأطراف وحج خالى أبو محمد يوسف فى هذا العام وقرأ الكتاب بمكة عند البيت الحرم والمدينة عند قبر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام .

قال : وفى جمادى الآخرة عقيب عزل التوقيعة وقع حريق بدار الخلافة لم يجر فى الدنيا مثله ففتحت أبواب الدار بالليل وركب الوزير ابن مهدى وأرباب الدولة إلى خزانة السلاح فرأوا النار قد لعبت فيها ، واجتمع جميع من ببغداد من أستاذيين ، والفراشين ، بالقرب ، والروايا ، والصناع والنفاطة وأقاموا يوما وليلة يقذفون الماء على النار وهى تزداد فاحترق جميع ما كان فى الخزانة من السلاح ، والأمتعة ، والقسى ، والنشاب ، والرماح ، والجروخ ، والسيوف ، والجواشن ، والزرديات ، وقدور النفط والخوذ المرصعة بالجواهر واليواقيت ، وعمات النار وساعدها الهواء ودبت إلى الدور والتاج والدار البيضاء فخرج الخليفة منها إلى دجلة واحترقت خزانة فيها رأس البساسيرى ، وطغريل وغيرهما ويقال إن قيمة ما ذهب ثلاثة آلاف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار وكان فى ذلك عبرة لمن اعتبر ، وفكرة لمن افتكر .

قال وفيها : جاءت الفرنج إلى حماة بغتة وأخذوا النساء الغسالات من باب البلد على العاصى وخرج اليهم الملك المنصور بن تقى الدين وثبت وأبلى بلاء حسنا وكسر الفرنج عسكره ووقف فى الساقة من الرقيطا إلى باب حماة وامتلأت أيديهم بالمكاسب وأسروا من حماة شهاب الدين احمد بن شداد البلاعى من قرية بلاعة وكان فقيها شجاعا تولى حماة مرة ، وسلمية أخرى وحمل إلى طرابلس فهرب وتعلق بجبال بعلبك ووصل إلى حماة سالما ولولا وقوفه ما أبقوا من المسلمين أحـــدا . وحج بالناس من العراق وجه السبع . ومن الشام صارم الدين برغش العادلى والى قلعة دمشق ، وزين الدين قراجا صاحب صرخد وغيرهم .

قال وفيها : توفى عبد المنعم بن على بن الصيقل أبو محمد الحرانى ولقبه نجم الدين قدم بغداد أول مرة فى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وتفقه على أبى الفتح ابن المنى ، وسمع الحديث الكثير من أبى الفتح ابن شاتيل وأبى السعادات بن رزيق ، وجدى رحمه الله وغيرهم . وعاد إلى حران ووعظ بها وحصل له القبول التام فاستشعر منه الفخر محمد بن تيمية خطيب حران وخاف أن يتقـــدم فلما رأى النجم ذلك

عاد إلى بغداد فاستوطنها ووعظ بها وحضرت مجالسه بمسجد باب الشرعة وكان يتعمد التجانس فى كلامه وسمعته ينشد :

واشتاقكم يا أهل ودى وبيننا كما حكم البين المشت فراسخ
فأما الكرى عن ناظرى فمشرد وأما هواكم فى فؤادى فراسخ

وكان صالحا دينا نزها عفيفا كيسا لطيفا متواضعا كثير الحياء ، وكان يزور جدى بالنظامية ويسمع معنا الحديث ، وكانت وفاته يوم الخميس سادس عشر ربيع الأول وصلى عليه بالنظامية ودفن بباب حرب وخلف ولدين النجيب عبد الله ، والعز عبد العزيز صارا تاجرين لديوان الخلافة .

وفيها : توفى محمد بن سعدالله بن نصر أبونصر بن الدجاجى الواعظ الحنبلى فى ربيع الأول ودفن بباب حرب ومولده سنة أربع وخمسمائة سمع أبا منصور القزاز وغيره وأنشد لنفسه :

نفس الفتى إن أصلحت أحوالها كانت إلى نيل التقى أحوى لها
وإن تراها سددت أقوالها كان على حمل العلى أقوى لها
فلو تبدت حال من لها لها فى قبره عند البلى لهالها

قال العز بن تاج الأمناء : وفى شهور هذه السنة الأواخر تغلبت طائفة من الفرنج البحرية يعرفون بالبنادقة على قسطنطينية وأخرجوا الروم منها بعد حصر وقتال وحازوا مملكتها وانتهبوا ذخائرها وما حوته كنائسها من آلات ورخام وحملوه إلى الديار المصرية والشامية فبيع ووصل منه إلى دمشق رخام كثير وكان أسامة يعمر داره فحصل له منه شىء لم يكن قبله مثله وزخرفها . قلت هى الدر التى جعلها البازرائى رسول الخليفة مدرسة للشافعية .

قال وفيها : توفى العدل أبو محمد المعروف بعدل الزبدانى سابع عشر المحرم بدمشق .

وفيها : توفى القاضى محيى الدين بن عصرون فى أول ربيع الأول بدمشق

وفيها : توفى الأمير علم الدين كرجى الأسدى بدمشق ثالث عشر ربيع الآخر وصلى العادل عليه بمرج باب الحديد ودفن بالجبل ووصل الخبر بموت بوريا التقوى غريقا ببلاد المغرب فى خدمة ابن عبد المؤمن

وفيها : قتل قاضى دارا ظاهر حلب بالمنزلة المعروفة فى السعدى فى أواخر ذى القعدة .

وفيها : فى ربيع الآخر توفى الشاعر الحلى على بن الحسن الملقب بشميم وكان قليل الدين ذا حماقة ورقاعة وله حماسة ورسائل وقال أقمت مدة آكل فى يوم شيئا من الطين فاذا وضعته أشتمه فلا أجد له رائحة فسميت لذلك شميما . ذكره ابن المشرقى فى تاريخ اربل .

سنة ٦٠٢ هـ :

ثم دخلت سنة اثنتين وستمائة فمنها : استوزر الخليفة نصير الدين ناصر بن مهدى العلوى الحسنى ، وخلع عليه خلعة الوزارة القميص والدرعة والعمامة ، والسيف وخرج من باب الحجرة فقدم له فرس من خيل الخليفة وبين يديه دواة عليها ألف مثقال ، ووراءه المهد الأصفر ، والألوية الحمد . وطبول النوبة

والكوسات تخفق ، والعهد منشور بين يديه وجميع أرباب الدولة مشاة بين يديه ، وضرب الطبول والبوقات له بالرحبة فى أوقات الصلاة الثلاث المغرب والعشاء الآخرة والفجر .

وفيها : هرب أبو جعفر محمد بن حديدة الوزير الأنصارى من دار الوزير ابن مهدى وكان محبوسا دوب المطبخ عند ابن مهدى ليعذبه فحلق ابن حديدة رأسه ولحيته وخرج فلم يظهر خبره الا من فراغه بعد مدة وعاد إلى بغداد .

وفيها : توجه ناصر الدين صاحب ماردين إلى خلاط بمكاتبة أهلها فجاء الملك الأشرف فنزل على دنيسر واقتطع بلد ماردين فعاد ناصر الدين إلى بلده بعد أن غرم مائة ألف دينار ولم يسلموا اليه خلاط .

وفيها : أغار ابن لاون على بلد حلب وأخذ الجشار من نواحى حارم فبعث الملك الظاهر ابن صلاح الدين ميمون القصرى ، وايبك فطيس ، وحسام الدين بن أمير تركمان فنزلوا على حارم فقالوا لميمون : نحن على حذر فتهاون فكبسهم ابن لاون فقتل جماعة من المسلمين وثبت ايبك فطيس ، وابن أمير تركمان فقاتلا قتالا شديدا ولولاهما لأخذ ميمون ، وبلغ الظاهر فخرج من حلب فنزل مرج دابق وجاء إلى حارم فهرب ابن لاون إلى بلاده وكان قد بنى قلعة فوق دربساك فاخربها الظاهر وعاد إلى حلب .

وفيها : حج بالناس من العراق وجه السبع ، ومن الشام الشجاع على بن السلار . قلت : كذا قال أبو المظفر سبط ابن الجوزى فيما نقلته من خطه وقد نقلت من خط محمد بن تاج الأمناء قال : وفى السابع والعشرين من رمضان سنة اثنين وستمائة نادوا الحج على ابلة محبة ابن الخزاعى .

وفيها : توفى طاشتكين بن عبد الله المقتفوى أمير الحاج ولقبه فخر الدين حج بالناس ستا وعشرين سنة . وكان فى طريق الحج مثل الملوك . فقصده ابن يونس الوزير وقال للخليفة : انه يكاتب صلاح الدين وزور عليه كتابا فحبسه مدة ثم تبين له انه برىء من ذلك فاطلقه وأعطاه خوزستان ثم أعاده الى امرة الحج . وكانت الحلة الشيعية اقطاعه . وكان سمحا ، جوادا ، شجاعا ، قليل الكلام يمضى عليه الأسبوع ولا يتكلم استغاث اليه رجل يوما فلم يكلمه فقال الرجل : الله كلم موسى . فقال : وأنت . فقال الرجل : وانت الله . فقضى حاجته . وكان حليما التقاه رجل فاستغاث اليه من نوابه فلم يجبه . فقال له الرجل : أحمار أنت ؟ فقال طاشتكين : لا . وفى قلة كلامه يقول ابن التعاويذى :-

وأمير على البلاد مولى   لايجيب الشاكى بغير السكوت

كلما زاد رفعة حطنا الله   بتغفيله إلى الهموت

وقام يوما إلى الوضوء فحل خياصته وتركها موضعه ودخل ليتوضأ وكانت الخياصة تساوى خمسمائة دينار فسرقها الفراش وهو يشاهده . فلما خرج طلبها فلم يجدها . فقال أستاذ داره : اجمعوا الفراشين واحضروا المعاصير . فقال له طاشتكين : لاتضرب أحدا فإن الذى أخذها ما يردها ، والذى رآه ما يغمز عليه . فلما كان بعد مدة رأى على الفراش الذى سرق الخياصة ثيابا جميلة ، وبزة ظاهرة فاستدعاه سرا وقال له بحياتى هذه من ذلك . فخجل . فقال : لا بأس عليك فاعترف فلم يعارضه وكان طاشتكين قد جاوز تسعين سنة فاستأجر أرضا وقفا ثلثمائة سنة على جانب دجلة ليعمرها دارا وكان ببغداد رجل

يحدث فى الخلق يقال له فتيحة الحدث فقال : يا أصحابنا بينكم مات ملك الموت قالوا : وكيف ؟ قال : طاشتكين عمره مقدار تسعين سنة وقد استأجر أرضا ثلثمائة سنة فلو لم يعلم ان ملك الموت قد مات ما فعل هذا . فتضاحك الناس . وكانت وفاته بتستر وأوصى بأن يحمل إلى مشهد أمير المؤمنين على فحمل فى تابوت فدفن فيه .

وفيها : توفى الاخوان مسعود وممدود أبناء الحاجب مبارك بن عبد الله فسعود لقبه سعد الدين ، وكان صاحب صفد . وممدود لقبه بدر الدين وكان شحنة دمشق . وامهما أم فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب دار السعادة وأصل أمهم من المسطرة . ففرخشاه أخوهما لأمهما واختهما لأمهما ست عذراء صاحبة المدرسة المجاورة لدار السعادة وبها تربتها وكانت دارها . وأما أخوها مسعود فداره هى المجاوره لرباط زهرة خاتون قرب حمام جاروخ هى الآن لجمال الدين موسى بن يغمور . وأما ممدود فدارة بحارة البلاطة هى الآن لنجم الدين بن الجوهرى . وكان مسعود وممدود أميرين كبيرين لهما مواقف كثيرة مع صلاح الدين . وتقدمت وفاة ممدود على وفاة أخيه بشهر واحد فانه مات بداره بدمشق يوم الأحد خامس شهر رمضان ، وتوفى مسعود بصفد يوم الاثنين خامس شوال .

وفيها : توفى أبو يعلى حمزة بن على بن حمزة الحرانى المقرى ، ويعرف بابن القبيطى . ولد سنة أربع وعشرين وخمسمائة ببغداد . وقرأ القرآن بالروايات على الشيخ أبى منصور الخياط وغيره ، وسمع الحديث وكان حسن الصوت بالقراءة يصلى إماما بالمسجد الذى بجانب البدرية ، وكان الناس فى ليالى شهر رمضان يأتون اليه من أقطار بغداد يستمعون قراءته . وكانت وفاته فى ذى الحجة وصلى عليه بالنظامية ودفن بباب حرب . سمع أبا الكرم ابن الشهرزورى ، وابراهيم بن نبهان الرقى ، وسعد الخير الانصارى ؛ وأبا الفضل الأرموى وغيرهم ، وكان صالحا ، عفيفا ، زاهداً ثقة .

ونقلت من خط العز بن محمد تاج الأمناء : أبو الفضل احمد بن محمد بن الحسن قال : يوم الجمعة العشرين من ربيع الأول توفيت أم المعظم ودفنت بالجبل قلت : يعنى بالقبة التى فى المدرسة المعروفة بالمعظمية . وفى تلك القبة معها أبناء المعظم عيسى ، والعزيز عثمان أبناء الملك العادل أبى بكر بن أيوب وأخوهما المتوفى قبلهما الملك المغيث عمر بن العادل .

قال : وفى رابع عشر جمادى الآخرة توفى الفقيه شرف الدين أبو الحسن على بن محمد بن على جمال الاسلام بن الشهرزورى بمدينة حمص كان قد سكنها منذ اخرج من دمشق

قلت : وكان مدرس المدرسة الأمينية والزاوية المقابلة لباب البرادة بالجامع وكان عالما بالمذهب والخلاف ، ماهرا فى ذلك .

قال : وفى شعبان هدموا قنطرة الباب الشرقى الرومية لينشر حجارتها بلاطا لصحن الجامع وفرغ منه فى رمضان سنه اربع وستمائة ، وفى أول شوال غيروا من قبة الجامع عدة اضلاع من شمالها ، وفى خامس عشر توفى مسعود الحبشى الزاهد ودفن بالجبل ، وفى يوم الخميس سابع ذى القعدة وجد التقى الأعمى مشنوقاً بالمئذنة الغربية .

قلت : هذا التقى اسمه عيسى بن يوسف بن احمد الغرافى ، ولد بالغراف من أرض العراق ، وكان

طريراً عفيفاً ، فقيهاً مفتياً شافعياً مدرساً بالمدرسة الأمينية بخارج باب الجامع القبلى ، وكان يسكن فى أحد بيوت منارة الجامع الغربية ، وكان ابتلى بأخذ مال له من بيته واتهم به شخصاً كان يقرأ عليه ويطلع معه الى البيت يقضى حاجته ، ويتردد من المدرسة إلى البيت ، ومن البيت إلى المدرسة فأنكر الشخص المتهم ذلك وتعصبت له أقوام عند والى البلد فوقع الناس فى عرضه من انتماء من ليس من أهل النهم ومن كونه جمع ذلك المال وهو وحيد غريب ، ونسبوه إلى أنه غير صادق فيما أدعاه . فزاد عليه الهم من ضياع ماله والوقوع فى عرضه ففعل بنفسه ما فعل وقد وقع مثل هذا لجماعة وفعلوا فعله . وجرى لى أخت هذه القضية وعصمنى الله سبحانه بفضله وبلغنى أن جماعة من المتفقهة امتنعوا من الصلاة عليه وقالوا : قتل نفسه فتقدم شيخنا فخر الدين أبو منصور عبد الرحمن بن عساكر فصلى عليه فاقتدى الناس به رحمهم الله ودرس بالمدرسة الأمينية بعده الجمال المصرى وكيل بيت المال وسيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

وفى ثامن عشر ذى القعدة توفى الفقيه جامع المغربى والد العلاء محمد بن جامع ودفن من الغد بالجبل وتربته مشهورة على الطريق وكان يتولى عقود الأنكحة وسمع من الحافظ الكبير أبى القاسم وغيره رحمه الله .

سنة ٦٠٣ هـ :

ثم دخلت : سنة ثلاث وستمائة فيها : فارق وجه السبع (١) حاج العراق وقصد الشام ، وكان فى الحاج العراقى جماعة من الأعيان فبكوا وضجوا وسألوه فقال مولاى أمير المؤمنين محسن إلى وما أشكو الا من الوزير ابن مهدى فانه يقصدنى لقربى من مولاى ، وما عن الروح عوض وسار إلى الشام ودخل الحاج بغداد وعليهم وحشة وكآبة وأمر الخليفة أن لا يخرج الموكب إلى لقائهم ولا يخرج اليهم أحد ، وأدخل الكوس والعلم والمهد فى الليل فأقام الخليفة حزيناً أياماً وأما وجه السبع فوصل إلى دمشق فالتقاه العادل وأولاده وخدموه وأحسنوا اليه .

وفيها : ولى الخليفة عماد الدين أبا القاسم عبدالله بن الدامغانى قضاء القضاة ببغداد فاستناب أبا الفتح محمد بن المندائى الواسطى فى القضاء بواسط .

وفيها : قبض الخليفة على الركن عبد السلام بن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر الذى أحرقت كتبه فى الرحبة فاستأصله وأصبح يطلب من الناس وكان قد بلغه فسقه وفجوره وكان عبدالسلام المذكور هو الذى وشى بالشيخ أبى الفرج ابن الجوزى حتى نكب بما ذكرناه فى سنة تسعين وخمسمائة .

قال أبو المظفر : لما قبض ابن يونس الوزير تتبع ابن القصاب أصحابه فقال الركن عبدالسلام بن عبد الوهاب أين أنت من ابن الجوزى؟ . هو من أكابر أصحاب ابن يونس وأعطى مدرسة جدى وأحرق كتبى بمشورته وهو ناصبى من أولاد أبى بكر (٢) وكان ابن القصاب متشيعاً فكتب إلى الخليفة وساعده جماعة من أهل مذهبه ولبسوا على الخليفة فأمر بتسليمه إلى عبدالسلام قال سبط ابن الجوزى : وكان جدى يسكن بباب الأزج فى

---

(١) مظفر الدين سنقر أمير الحاج العراق (ز) .

(٢) سبحان الله كيف يعاب المرء بكونه سليل أبى بكر الصديق ؟ (ز) .

دار بنفشا وكان الزمان صيفا وجدى رحمه الله جالس فى السرداب يكتب وأنا صبى صغير وإذا عبد السلام قد هجم على جدى فى السرداب فأسمعه غليظ الكلام وختم على كتبه وداره وشتت عياله وجرى عليهم مالم يجر على أقل الناس . فلما كان أول الليل حملوا جدى إلى السفينة فأنزلوه فيها ونزل معه عبد السلام لا غير وعلى جسدى غلالة بغير سروال وعلى رأسه تخفيفة وحدروه إلى واسط فاستوفى من جدى بالكلام وجدى لا يجيبه . فسبق عبد السلام إلى واسط وكان ناظرها العميد ابن امسينا . وكان متشيعا فقال له عبد السلام : حرس الله أيامك مكنى من عدوى لا رميه فى المطمورة فهز عليه وزجره وقال : يازنديق ارمى ابن الجوزى فى المطمورة بقولك ؟ هات خط الخليفة والله لو كان من أهل مذهبى لبذلت روحى ومالى فى خدمته . فعاد عبد السلام الى بغداد وكان إحراق كتبه فى سنة ثمان وثمانين . وسببه أنه كان بين ابن يونس وبين أولاد الشيخ عبد القادر عداوة قديمة لأنه كان جارهم بباب الأزج فى حال خموله وفقره وكانوا يؤذونه بحيث أنهم ربوا كلبا ولقبوه جليل يعنون جلال الدين وهو لقب ابن يونس . وكان لابن يونس أخ صالح يقال له العماد فسموا بغلا للطحن العماد . وكان من ولد الشيخ عبد القادر لصلبه طحان اسمه سليمان كان أشر خلق الله هو الذى فعل هذه الأفاعيل . فلما ولى ابن يونس الوزارة ، ثم أستاذية الدار أظهر ما كان فى قلبه منهم فبدد شملهم وبعث بعضهم إلى المطامير التى واسط فماتوا بها وكان عبد السلام هذا مداخلا للدولة وكان عنده كتب كثيرة فبعث ابن يونس فكبس داره وأخرج منها كتب فى فنون منها : الشفاء لابن سينا . والنجاة . ورسائل اخوان الصفا . وكتب الفلاسفة . والمنطق ، وتبخير الكواكب . والنارنجيات . والسحر . فاستدعى ابن يونس وهو يومئذ أستـــاذ دار الخليفة العلماء . والفقهاء . والقضاة . والأعيان وكان جدى فيهم وقرىء فى بعضها : أيها الكوكب الفرد أنت تدبر الأفلاك وتحيى وتميت وأنت إلهنا . وفى حق المريخ من هذا الجنس وكان عبد السلام حاضرا فقال له ابن يونس . هذا خطك ؟ قال : نعم . قال : لم كتبته ؟ قال : لأرد على قائله ومن يعتقده . فسألوه فيه فقال : لا بد من تحريق الكتب . فلما كان يوم الجمعة ثانى عشر صفر جلس قاضى القضاة ، والعلماء ، وجدى معهم على سطح المسجد المجاور لجامع الخليفة وأضرموا تحت المسجد نارا عظيمة وخرج الناس من الجامع فوقفوا على طبقاتهم والكتب على سطح المسجد بين أيديهم فقام رجل يقال له ابن المارستانية لجعل يقرأ كتابا كتابا ويقول : العنوا من كتبه ومن يعتقده فيصيح العوام باللعن . وعبد السلام حاضر وتعدى اللعن الى الشيخ عبد القادر وأحمد بن حنبل وظهرت الأحقاد البدرية وقال الخصوم اشعارا منهـا قول المهذب الرومى ساكن النظامية : ـــ

لى شعرا رق من دين ركن الد ... ين عبد السلام لفظا ومعنى
زحلنيا يشنا عليا ويهوى ... آل حرب حقدا عليه وضغنا
منحته النجوم إذ دام سعدا ... وسرورا نحسا وهما وحزنا
سار إحراق كتبه سير شعرى ... فى جميع الأقطار سهلا وحزنا
أيها الجاهل الذى جهل الحـ ... ـق ضلالا وضيع العمر غبنـا
رمت جهلا من الكواكب بالتبخـ ... ـــير غرأ فنلت ذلا وسـجنا
ما زحيــل وما عطــارد والمر ... يخ والمشـــترى ترى بامعنى
كل شىء يودى ويفنى ســـوى الله الحى فانه ليس يفنى

ثم حكم القاضي بتفسيق عبد السلام (١) ورمي طيلسانه وولى جـ .ى مدرسة الشيخ عبد القادر فذكر الدرس بها في ربيع الأول .

وفيها : قدم البرهان محمد بن مازة البخاري ويلقب بصدر جهان حاجا إلى بغداد وتلقاه جميع من ببغداد ما عدا الخليفة والوزير وانزل في دار زبيدة على نهر عيسى وحملت اليه الاقامات والضيافات وكان معه ثلثمائة من الفقهاء والمتفقهة ، وجرى له في حجه ما سنذكره في أول السنة الآتية .

وفيها : نزلت الفرنج على حمص وكان الظاهر بعث اليها المبارز يوسف بن خطلخ الحلبي نجدة لأسد الدين الأصفر شيركوه الأصغر ، وامير في هذه المرة الصمصام بن العلائي ؛ وخادم صاحب حمص

قال ابو المظفر وفيها : فارقت دمشق قاصداً حلب فوصلتها في ذي الحجة واجتمعت بالنقاش الحلبي الشاعر واسمه مسعود بن أبي الفضل أبو الفتح ولقبه تاج الدين مولده سنة أربعين وخمسمائة وقدم دمشق سنة تسع وستمائة وأنشد الجماعة قطعا من قصائده منها :-

مالي ســوى حبكم مذهب	ولا لي إلى غـيركم مذهب
ناشدتك الله نسـيم الصبا	من أين هـذا النفس الطيب
أودعت برداك وقت الضحى	مكان القت عنـها زينب
أم باسمت رباك روض الحمى	وذيلها من فوقـه يسحب
فهـات المخفـي باخبارها	تعهـدك الآن بها أقرب

ومنهـا :-

أي يد عنـدي وأي منه	للركب ان يشرني بهنـه
صاحوا الرحيل فظلت والهـا	أنشد قلبي بـين ظعنه
كأنني بالحي قد شدوا العرى	ليلهـم وارخو الأعنه
وماسمعت قبـل أن يرحلوا	بمطلع الشهب من الأسنه
يا حادي الأظعان رب فرح	احـدثه طيب حـديثه
فالم وقل للراحلين ان يكن	بـين فرقـتاً بقتيلكن

ومنها قصيدة في صاحب بعلبك الأمجد بن فرخشاه :-

زار وطرف النجم لم يرقـد	مـتزر من حسنه مرتد
احور يحكي الخال في خده	نقطة يـد فوق ورد ند
يا حسنه من زائر ما بدا	إلا وأنسى قمـر الاسعـد

(١) قال ابن رجب : سمع الحديث من جده وتفقه عليه ، رأى والده يوما ثوبا بخاريا عليه فقال: والله هذا عجيب مازلنا نسمع البخاري ومسلم ، وأما البخاري وكافر فما سمعناه . وكان أبوه كثير المجون ا هـ. راجع طبقات الحنابلة لابن رجب (ز) .

ويا ضلالي فيه من بعد ما ... [illegible] اهتدى
فيا لها من ليلة لم يفز ... بمثلها الهادى ولا المهتدى
اذ اجتلى في ليل اصداغه ... من وجهه شمس صباح الغد
وعاذل عنف فيه ومن ... ينام البدن ولم يحسد
ظن خلاصى فى يدى فاعتدى ... وقال يهوى قاتلا لايدى
فقلت لا ترج سلوى فقد ... خلعت سلوانى على عودى
أأهجر العيش لهجرى له ... واخرج الفوز به عن يدى
واننى منه إلى هجره ... لا وحياة الملك الأمجد

وفيها : توفى اسماعيل بن على أبو محمد الحظيرى من حظيرة الدجيل كان أديبا فاضلا شاعراً أنشد لنفسه :-

لا عالم يبقى ولا جاهل ... ولا نبيه لا ولا خامل
على سبيل مهيع لاحب ... يورى اخو اليقظة والغافل

وفيها : توفى عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلى كان زاهداً عابداً ورعا لم يكن فى أولاد الشيخ مثله ولد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وسمع الحديث الكثير وكان مقتنعا من الدنيا باليسير وكان وفاته فى شوال ودفن بباب حرب سمع أبا الكرم بن الشهرزورى وطبقته وكان صالحا ثقة لم يدخل فيما دخل فيه غيره من اخوته .

وفيها : فى ربيع الأول توفى أبو منصور عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الله النعمانى النيلى (١) المعروف بالقاضى شريح لقب بذلك لذكائه وفطنته كان يتوقد ذكاء وفضلا كانهم شبهوه بالقاضى شريح الأكبر الذى كان فى زمن الصحابة رضى الله عنهم . ولى شريح هذا قضاء النيل مدة ثم قدم بغداد فندب الى المراتب الكبار فلم يدخل فى شىء منها فرمى طاشتكين أمير الحاج نفسه عليه وسأله أن يكتب له فاستحيا منه وكتب له فاقام عنده مدة عشرين سنة فقصده الوزير ابن مهدى حسداً لفضله وكان فاضلا، مترسلا بليغا، جواداً، سمحاً حسن الصورة فصيح اللسان متواضعا لطيفا يصلح للوزارة فلبس على الخليفة فى أمره فحبسه فى دار طاشتكين بدار الخليفة ولم يقدر طاشتكين على الكلام فيه ومات طاشتكين وهو محبوس ثم مات شريح بدار طاشتكين فاخرج منها ميتا فدفن بداره فى القبيبات ومن العجايب ان ابن مهدى نكب بعد وفاة شريح وحبس بدار طاشتكين أيضا وبها مات كما سنذكر فى أخبار السنة الآتية . ورسائل شريح مدونة فى مجلدين رحمه الله

وفيها : توفى بالموصل فى شوال أبو الحرم مكى بن ريان بن شبة الماكسينى الموصلى النحوى قدم بغداد وقرأ على ابن الخشاب، وابن العصار، والكمال الانبارى وبرع فى علم النحو وقدم الشام وأقام بحلب مدة وانتفع به خلق عظيم وقدم دمشق وقرأ عليه شيخنا أبو الحسن السخاوى رحمه الله كتاب أسرار العربية للأنبارى وربما يقع تصحيف فى اسم أبيه وجده فاعلم: أن اسم أبيه أوله راء بعدها ياء معجمة

(١) نسبة إلى مدينة النيل بسواد الكوفة . (ز).

بواحدة (١) من تحت وشبة على وزن حبة ، وبدأ بذكره فى تاريخ اربل شرف الدين المستوفى لأنه سمعه ووصفه وأثنى عليه وقال ولد بالكحيل من ولاية سنجار ونزل بالموصل بعد أن رحل فى طلب العلم إلى بغداد وكان سيف عماد جندياً لحقته وهو ابن ثمان أو تسع . وكان يتعصب لأبى العلاء أحمد بن سليمان المعرى للجامع بينهما من العمى والأدب وكان قد نصب نفسه للانتفاع عليه بالقرآن العزيز وجميع ضروب الأدب فكان لا يتفرغ الا للصلاة المكتوبة أو الى لماما لابد منه وتخرج عليه جماعة من أصحابه وكان أخذ عن أبى بكر يحيى بن سعدون القرطبى الأصل الموصلى الوفاة ومن شعره —

إذا احتاج النوال إلى شفيع　　فلا تقبله تصبح قرير عين

إذا عيف النوال لفرد من　　وأولى أن يعاف لمنتين

وله الغاز فى اسم سعد :ـ

اسم الذى أنا عبدها　　يا أيها الرجل الحكيم

تلقيه معكوسا كما　　تلقيه إذ هو مستقيم

قلت : وكنى من ذلك أن يقول اسمها إن عكسته مثله ان تركته .

وفيها : توفى جمال الدولة اقبال الخادم بالبيت المقدس رابع عشر ذى القعدة بعد أن وقف داريه بدمشق مدرستين (٢) إحداهما للشافعية وهى الكبرى ، والأخرى للحنفية وهى الصغرى ، ووقف عليهما مواضع ثلثاها لمدرسة الشافعية والثلث الباقى لمدرسة الحنفية وكان من خدام صلاح الدين رحمه الله .

سنة ٦٠٤ هـ

ثم دخلت سنة أربع وستمائة . ففيها : قدم حاج العراق بغداد فى صفر وحكوا ما لقوا من صدر جهان (٣) وشدة العطش وإن غلمانه كانوا يسبقون الناس الى المناهل فيأخذون الماء فيرشون به حول خيمته ويسقون أحواض البقل على الجمال ومات أكثر الناس عطشا وسموا هذه السنة صدر جهنم ولما وصل إلى بغداد لم يخرج أحد للقائه ولعنوه فى وجهه وسبوه فى الأسواق وكتبوا لعنته على المساجد والجوامع وكان النساء يخرجن متبرجات منشرات الشعور يلطمن على موتاهن ويلعن العنوا صدر جهنم فسأل الوزير أن يأذن له فى الرجوع الى بلده فخلع عليه جبة وعمامة وطيلسان وخرج من بغداد والناس خلفه يسبونه ولم يقدر أحد على منعهم .

قال أبو المظفر : وحججت أنا فى هذه السنة وهى الرابعة فرأيت من الموتى ما أذهلنى وخصوصاً فى الثقرة والعسيلة فإنى رأيت فيها مايزيد على خمسة آلاف ميت ومشينا ثلاثة أيام فى الأموات .

وفيها : فى جمادى الآخرة قبض الخليفة على الوزير ابن مهدى ليلا بعث اليه من أغلق بابه فأقام أياما ثم نقله فى رجب إلى دار طاشتكين فى دار الخليفة الذى مات فيها القاضى شريح ونقل أهله

---

(١) جعله ابن خلكان بالمثناة التحتية ، ولعل الصواب هو ماهنا (ز)

(٢) هما الاقباليتان (ز) ، (٣) هو محمد بن احمد بن عبد العزيز البخارى (ز) .

وأولاده وأمواله وذخائره ووجد له من الأموال والذخائر مالم يوجد فى خزائن الخلفاء ، لم يتعرض له الخليفة وفوض الأمر إلى المكين محمد القمى كاتب الانشاء بين يدى ابن مهدى وناب القمى بعد ذلك فى الوزارة إلى أيام المستنصر فقبض عليه واختلفوا فى سبب عزل الوزير ابن مهدى فقال قوم : كان ظالما جبارا قاسيا متكبرا قليل الرحمة قبل أن حبس أحداً فتخلص منه . حكى لى خالى أبو محمد يوسف قال : شفعت اليه يوما فى محبوس . فقال : وكم له فى الحبس ؟ فقلت : خمس سنين . قال : ليس هذا بمحبوس المحبوس عندنا فى العتم من يمضى عليه خمسون سنة .

وقال آخرون إن المكين القمى سعى به الى الخليفة وقال انه قد طمع فى الخلافة ويقول انه علوى ونحن أحق وانه ينفذ الأموال إلى العجم فى قواصر التمر الى أهله بخراسان ليجندوا العساكر ويقيموا ملكا يقصد بغداد . وقال آخرون انه اتفق مع ابن ساوا النصرانى على قتل علاء الدين ايتامش مملوك الخليفة فى هذه السنة وسنذكره ولما ظهر خبره واستقلاله بالأمور . هجاه أهل بغداد وكتبوا الأشعار واوصلوها إلى الخليفة منها ما كتب به يعقوب بن صابر المنجنيقى : —

خليلى قولا للخليفة احمــد ترفق وقيت السوء ماأنت صانع
وزيرك هــذا بين أمرين فيهما صنيعك يا خير البرية ضائع
فان كان حقا من سلالة حيدر فهذا وزير فى الخلافة طامع
وان كان فيما يدعى غير صادق فأضيع ما كانت لديه الصنائع

وجلس يوما فى الديوان فوقعت بين يديه ورقة مختومة فلم يتجاسر على فتحها فبعث بها إلى الخليفة وكان فيها : —

إن صح فــيما تزعم يامدعى إلى نبى لست مــن نسله
لا قاتل الله يزيــداً ولا مــدت يد السوء إلى نعله
لأنه قد كان ذا قدرة على اجتثاث العود من أصله
وإنمــا أبقاك أحمــدونه للنـاس كى يعذر فى فعــله

فكان سبب حتفه لأن الخليفة قال ما كتبوا هذه إلا وقد اهلك الحرث والنسل .

وفيها : رتب الخليفة فى شهر رمضان دور الضيافة ببغداد من الجانبين عشرين داراً فى كل دار فى كل ليلة خمسمائة قدح والف رطل من الطبيخ الخاص ، والخبز النقى ، والحلواء وغير ذلك مستمر فى كل رمضان

وفيها : وصل إلى بغداد من دمشق قاضى عسكر الشام نجم الدين خليل الحنفى رسولا من العادل أبى بكر بن ايوب وأخرج فى مقابلته الشيخ شهاب الدين السهروردى وسنقر السلحدار ومعهما الخلع للعادل وأولاده وكان فى خلعة العادل الطوق والسواران .

وفيها : ملك الأوحد بن العادل مدينة خلاط كاتب أهلها بعد قتــل ابن بكتمر صاحبها والهزار دينارى وكان دينارى هو الذى قتل ابن بكتمر ، وكان شابا لم يبلغ عشرين سنة ولم يكن فيها أحسن منه وقيل أنه أغرقه فى بحر خلاط وكانت أخته مع صاحب ارزن الروم فقالت لا أرضى حتى يقتل الهزار دينارى

وتأخذ بثأر أخي فسار الى خلاط وخرج الهزاز يبارى للقائه فضربه فابان رأسه وعاد الى الروم وبقيت خلاط بغير ملك وكان الأوحد هو صاحب ميافارقين فكاتبوه فجاء اليهم واستولى عليها وكانوا جبابرة وتشرط عليه المقدمون بها فشرع فيهم فأبادهم وغرقهم فى بحر خلاط وبدد شملهم .

ذكر شيخنا ابن الأثير فى تاريخه أن ابن بلبان مملوك شاه أرمن لما أخذ خلاط من ابن بكتمر قصد الأوحد موشق من أعمال خلاط فأخذها وغيرها ثم طمع فى خلاط فقصدها فهزمه بلبان فرجع الأوحد الى ميافارقين وحشد وعاد اليه فاستنجد بلبان بصاحب ارزن الروم وهو مغيث الدين طغرل شاه بن قلج ارسلان فانجده بنفسه وهزما الأوحد ثم غدر مغيث الدين ببلبان فقتله طمعاً فى البلاد وسار الى خلاط فمنعه أهلها فعاد عنها فارسلوا الى الأوحد لحضر اليهم فسلموها اليه .

وفيها : حج بالناس من الشام بدر الدين ولدنم فرحل من دمشق ثامن عشر شوال وصحبه الملك المحسن ابن صلاح الدين مجاوراً فى تلك السنة وودعهم السلطان العادل الى الكسوة وحج معه تلك السنة شيخ الشيوخ صدر الدين بن حموية وأولاده وشبل الدولة الحسامي وخلق كثير منهم : أبو المظفر سبط ابن الجوزي وهي أول حجاته وكانت الوقفة يوم الأربعاء وعاد الى العراق . وحج بالناس من العراق فى هذه السنة والتى قبلها مجاهد الدين ياقوت

وفيها : توفى علاء الدين إيتامش (١) بن عبد الله مملوك الخليفة الناصر وكان شجاعاً عاقلا صالحا متصدقا رحوما رقيق القلب ولا يعرف المنكر ولا الفواحش وكان يطعم المسكين ويكسو العارى وكان الخليفة يحبه ويقربه والوزير ابن مهدى يشنأه لقربه من الخليفة وكان ابن مهدى قد ولى الدخيل ودقوقا رجلا نصرانياً يقال له ابن ساوا فتسلط على المسلمين وفتك وظلم وأهان المسلمين واذلهم وكان يركب مثل صاحب الديوان وجميع الناس مشاة بين يديه قالوا وكان ابن ساوا يحمل مغل البلاد الى ابن مهدى فيأخذ منها ما يريد ويعطى الخليفة ما يريد فاقطع الخليفة إيتامش دقوقا والدجيل فخرج اليهما واطلع على الأحوال فخاف ابن مهدى قالوا فاتفق مع ابن ساوا على أن يسم إيتامش فمضى النصرانى الى دقوقا وتوصل الى إيتامش ودس عليه من سقاه السم فمرض إيتامش وعاد الى بغداد مريضاً فمات بعد أيام فتقدم الخليفة بأن يفتح له جامع القصر ولا يتخلف عن جنازته أحد من ارباب الدولة إلا الخليفة والوزير وحمل الى مشهد موسى بن جعفر فدفن هناك وعلم الخليفة بباطن الحال فأمر بأن يسلم ابن ساوا إلى غلمان إيتامش. فكتب المهدى الى الخليفة يقول : إن النصارى قد بذلوا فى ابن ساوا خمسين ألف دينار ولا يقتل . فكتب الخليفة على رأس الورقة :—

ان الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

فسلم ابن ساوا الى مماليك علاء الدين فأخرج من دار الوزير وفى رقبته حبل وهو مكتوف فقتلوه وأحرقوه وكان لابن مهدى مملوك عاقل يقال له آق سنقر الدوادار . كان يطالع الخليفة بأخبار ابن مهدى وأنه يكاتب الأعاجم ويسعى فى فساد الدولة ، وعلم الوزير فسقاه السم فمات فى ربيع الآخر هو وعلاء الدين إيتامش فى أيام قريبة وقبض الخليفة على بن مهدى فى جمادى .

وفيها : فى شهر رمضان توفى شرف الدين الناقد بن قنبر واسمه الحسن بن أبى طالب ، ولاه الخليفة

---

(١) وقع فى ابن كثير (بنيامين) وهو تحريف (ز) .

حجبة الباب وناب في الوزارة ، ثم ولاه صاحب المخزن فتجبر وطغى . وبنى بدرب المطبخ دارا تناهى في بنائها فلم يكن ببغداد مثلها ، وشرع في الظلم والفسق وتجاهر به ومدعينه إلى أولاد الناس وكان قبيح السيرة فرفع أمره إلى الخليفة فأخذه أخذ عزيز مقتدر ، وقبض عليه واستأصله ، ونقض داره إلى الأساس وحبسه فأخرج في رمضان ميتاً فدفن بمشهد باب التبن .

وفيها : توفى ابو على حنبل بن عبد الله بن الفرج بن سعادة المكبر بجامع الرصافة وكان فقيراً جداً ، وكان قد سمع المسند من ابن الحصين فقيل له لو سافرت إلى الشام . فخرج من بغداد وأسمع المسند بإربل فسمعه ابن زين الدين ، وبالموصل ، وبدمشق فسمعه عليه الملك المعظم عيسى بالكلاسة في جمع كثير وهو آخر من رواه عن ابن الحصين فألحق الصغار بالكبار . وكان كثير الأمراض بالتخم . كان الملك المعظم يطعمه ألوان الطعام وأشياء مارآها ولا في المنام وكان معوداً ببغداد أكل الهرطمان (١) وتلك الألوان وبلغني أن الشيخ تاج الدين الكندى حضر عندهم يوما في السماع ولم يحضر حنبل فقال تاج الدين : واين حنبل . فقال المعظم : هو متخوم . فقال تاج الدين : أطعمه عدس . فضحك المعظم والجماعة . وكان عمر بن طبرزد قد رافقه من بغداد إلى الشام وحصلا مالا طائلا وعاد إلى بغداد ، فاشترى حنبل العتابى والكاغد ، وعزم على العود إلى الشام في تجارة فأدركته المنية رابع عشر محرم سنة أربع وستمائة وله تسعون سنة ، وحمل المال إلى بيت المال ولم يكن له وارث ودفن بباب حرب . ومات ابن طبرزد في سنة سبع وستمائة كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

وفيها : في صفر توفى عبدالرحمن بن عيسى بن أبى الحسن البزورى الواعظ من أهل باب البصرة ولد سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وقرأ على الشيخ أبى الفرج بن الجوزى الوعظ ، والفقه ، والحديث ، ثم حدثته نفسه بمضاهاته حتى كنى نفسه أبا الفرج واجتمع إليه سفاف أهل باب البصرة ، وانقطع عن جدى والتجاء من واسط ماجاء إليه ولازاره ، وكان في عشر السبعين تزوج صبية واغتسل في يوم بارد فانتفخ ذكره ومات وسمع أبا الوقت وغيره .

وفيها : توفى عبدالمجيد بن أبى القاسم عبدالله بن زهير أبو محمد الحربى ابن أخى عبد المغيث الحربى(٢) ولد سنة سبع وعشرين وخمسمائة وسمع الحديث الكثير وكان تردد من عند الخليفة الى العادل في أمور خاصة فخرج في السنة الماضية وعاد في هذه السنة فتوفى بحماة وكان صالحا ثقة .

وفيها : توفى الامير زين الدين قراجا الصلاحى صاحب صرخد وداره في دمشق بالدلاقة بنواحى باب الصغير وكان شجاعا جواداً توفى بدمشق ودفن بجبل قاسيون وقبره عند تربة ابن تميرك في قبة على الجادة على يمين السالك شرقا كذا قال أبو المظفر . وقال العز بن تاج الأمناء : توفى بالعسكر على بحيرة قدس مرابطاً يوم السبت أول جمادى الأولى وحمل إلى دمشق في محفة فدفن في المقبرة العادلية من جبل قاسيون حالة وصوله بكرة يوم الاثنين ثالث جمادى الأولى المذكور ووصل ابنه ناصر الدين يعقوب من قلعة صرخد

---

(١) الهرطمان بالضم حب متوسط بين الشعير والحنطة نافع للاسهال والسعال فتأمل؟ من هامش الأصل .

(٢) مؤلف مناقب يزيد وقد رد عليه ابن الجوزى (ز) .

إلى خدمة السلطان العادل وهو على القدس ، فأكرمه وأنعم عليه بما كان بيده أبيه ثم توفى فى سنة أربع عشرة وستمائة وعمره إحدى وعشرين سنة وثلاثة أشهر .

وفيها : توفى أبو الثناء محمود بن هبة الله بن أبى القاسم الحلى البزاز قرأ القرآن على على بن عساكر البطائحى ، والأدب على أبى محمد بن الخشاب ، وسمع الحديث على أبى الوقت . وحكى عن اسماعيل بن موهوب الجواليقى قال : كنت فى حلقة والدى أبى منصور موهوب يوم جمعة بعد الصلاة بجامع القصر والناس يقرأون عليه فوقف عليه شاب فقال : ياسيدى مامعنى قول القائل ؟ :ـــ

وصل الحبيب جنـــان الخلد أسكنها ... وهجره النار تصليني بها النهـــارا

فالشمس بالقوس اضحت وهى نازلة ... ان لم يزرنى وبالجوزاء ان زارا

فقال له والدى : يابنى هذا شيء يتعلق بسير الشمس بالبروج وما يتعلق بعلم الأدب . ثم قام والدى وآلى على نفسه ألا يعود الى مكانه ذلك حتى ينظر فى علم النجوم ويعرف سير الشمس والقمر فنظر فيه وعلمه بحيث إذا سئل عن شيء أجاب . ومعنى الشعر : ان الشمس إذا نزلت فى القوس يكون الليل فى غاية الطول فإذا كانت فى الجوزاء كان الليل فى غاية القصر .

وفيها : فى ربيع الأول توفيت ست الكتبة واسمها نعمه بنت على بن محمد بن يحى بن محمد بن الطراح وكانت صالحة زاهدة عابدة راوية للحديث روت كتاب الشمائل للترمذى عن أبى شجاع عمر بن أبى الحسن البسطامى وعن جدها أبى محمد بن يحى بن محمد الطراح وغيرهما ودفنت بباب الفراديس :

وفيها : فى تاسع شهر رمضان توفى عمى الشيخ أبو القاسم بن ابراهيم بن عثمان بن الخشاب ودفن بالمقبرة التى بين الباب الشرقى وباب توما رحمه الله .

وفيها : فى ذى القعدة توفى عبد العزيز الطبيب فجأة وهو والد سعد الدين الطبيب الاشرفى وهو الذى عناه القائل اظنه ابن عنين بقوله :ـــ

فرادى ولا خلف الخطيب جماعة ... وموت ولا عبـــدالعزيز طبيب

وفى شعبان سار أولاد صلاح الدين إلى حلب وفى ثانى رمضان تجدد هواء قوى عقيبه مطر وثلج بحيث رمى بعض رصاص المسجد على رجلين فى صلاة الجمعة فقتلهما .|وفى سابع عشر رمضان وصلت رسل الخلافة ، والشيخ شهاب الدين السهروردى ، ونور الدين التركى الخليفتى ، والبس السلطان العادل أبو بكر ، وولداه المعظم ، والأشرف ، والوزير صفى الدين بن شكر ، وأستاذ الدار شمس الدين الدكز العادلى الخلع من القصر إلى القلعة وكان دلدوم حامل التقليد على رأسه بين يدى السلطان ، ودخل جميعهم من باب الحديد عند آذان الظهر ، وأنزل الرسل بدار عز الدين فرخشاه ، وبرباط خاتون وقرأ الوزير التقليد قائما بحضر من القضاة وسراة البلد بايوان القلعة ، ولم يزل السلطان وأولاده وجميع الحاضرين قياما إلى أن فرغ من قراءته . واتفق حضور شهاب الدين بن شداد قاضى حلب رسولا من الظاهر صاحبها وعلى يده ألف دينار للنثار فلم يأذن له العادل بنثارها ، وأمره بعد ذلك بحملها الرسل ثم عادت رسل الخليفة إلى بغداد وصحبتها قاضى العسكر خليل الحنفى ، وشمس الدين الدكز أستاذ الدار بهدايا سنية وودعهم العادل إلى القصير

وفى رجب ركبوا الساعة بالمئذنة الشمالية بالجامع وشرعوا فى عمارة البرج الذى فى قبالة المدرسة القيمازية . وفى ثالث شوال ذكر القاضى شرف الدين عبدالله بن زين القضاة عبدالرحمن بن سلطان الدرس فى مدرسة ابن رواحة . وفى رابع وعشرين شوال سار الشيخ فخر الدين بن عساكر إلى القدس للاقامة بالمدرسة الناصرية . وفى الخامس والعشرين منه اعتقل السلار بهرام وأولاده على العملة بالقيسارية وهى العملة المعروفة بابن الدخينة واشتهرت فى البلاد .

وفيها : وصل الخبر إلى دمشق بحدوث زلازل بنواحى بلد خلاط وريح بحيث وقع خسف بموضع قد كان الأوحد بن العادل نازلا به ورحل عنه قبل ذلك بليلة .

وفيها : توفى العفيف ابن الدرجى إمام مقصورة الحنفية الغربية بجامع دمشق .

سنة ٦٠٥ هـ :

ثم دخلت سنة خمس وستمائة ففيها : تكاملت دار الضيافة ببغداد بالجانب الغربى للحجاج والواردين من البلاد ، ورتب لهم الخليفة فنون الأطعمة والزاد ، وإذا عادوا من الحج فرقت فيهم الدنانير والثياب . ووصل حاج الشام دمشق فى التاسع والعشرين من المحرم ، ومجاور الملك المحسن وتوفى أخوه الأشرف بحلب ، وفى تاسع المحرم يوم الجمعه دخل عند الأذان فى السحر مملوك افرنجى كان لملك الدين سليمان وكان سكران إلى مقصورة الخطابة وفى يده سيف مشهور ضرب به جماعة مات منهم اثنين أو ثلاثة ووقعت بعض الضربات فى جانب المنبر فأثرت فيه والناس مجتمعون لصلاة الصبح وعملت فى ذلك اشعار كان يغنى بها فى الأسواق وسمعتها وأنا صغير أحفظ منها :ـــ

مقصورة الخطيب طلب والناس واوا اضرب

فى جانب المنبر ضرب بالسيف حتى انكسر

ثم قبض عليه وترك بالبيمارستان وشنق بجسر اللبادين آخر النهار ولم يكن على الجسر ذلك الزمان هذه العمارة بل كان على حافته الشرقية درابزين يدلى المشنوق فيه الى الطريق المسلوكة يجيرون فيراه الناس من الطريق كما يرون المارة بالجسر المذكور .

وفيها : دخل الشيخ شهاب الدين السهروردى إلى بغداد من الرسالة بالشام ومعه شمس الدين المذكر أستاذ دار العادل فتلقى الموكب المذكر وكان معه الهدايا والتحف وأعرض عن الشيخ الشهاب ونقم عليه حيث مد يده إلى الأموال بالشام وحضر دعوات الأمراء أسامة وغيره . وقد كان قبل الرسالة زاهداً فقيراً وأخذ منه الربط التى كانت بيده رباط الزوزنى والمرزبانية ومنع من الوعظ فقال : ماقبلت هـــذه الأموال إلا لأفرقها على الفقراء ببغداد . وشرع يفرق الأموال والثيـــاب فى الزوايا والربط قال أبو المظفر : كان من عادة خالى أبى محمد يوسف يجلس يوم السبت تحت تربة أم الخليفة ، والشهاب يجلس يوم الثلاثاء بباب بدر ، فمنع الشهاب من الجلوس وأمر خالى فجلس مكان الشهاب بباب بدر فاتفق ان حكى خالى حكاية الذى نظر فى الرحبة إلى شخص مستحسن فاسود بعض وجهه . فرأى فى المنام قائلا يقول : اذهب إلى بغداد إلى شيخك الجنيد وسله أن يستغفر لك : فنزل إلى بغداد وطرق زاوية الجنيد فقال له الجنيد : تذنب بالرحبة وأستغفر لك ببغداد . فقال الناس : ماقصد إلا الشهاب . ومعناه

لو تركت هذه الأموال بالشام كان أصلح من أخذها وتفريقها ببغداد . قال : والظاهر أن خالى ماقصد نكث الشهاب وإنما وقع ذلك على سبيل الاتفاق ، وقد أغنى خلقاً كثيراً من فقراء المسلمين بالشـــام والعراق والأموال كلها للسلطان فقد صرفت إلى أرباب الاستحقاق . قال : وكان الفخر بن تيمية قد حج فى السنة الماضية وكتب مظفر الدين بن زين الدين معه كتاباً إلى الخليفة بالوصية عليه فلما عاد من مكة سأل الجلوس بباب بدر فاجيب إلى ذلك وتقدم إلى خالى بالحضور فحضر وقعد على دكة المحتسب بباب بدر ووعظ ابن تيمية ومدح الخليفة وأنشد فى أثناء ذلك :ــ

وابن اللبون إذا ما لز فى قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

فقال العوام : ماقصد إلا خالى يعنى أن ابن تيمية كان شيخا وخالى شاباً . قال : وكان الخليفة خلع على الشمس الدكز أستاذ دار العادل وعاد الى الشام بالهدايا . وزلزلت نيسابور زلزلة عظيمة ودامت عشرة أيام فمات تحت الهدم خلق عظيم . وحج بالناس من العراق المجاهد ياقوت ، ومن الشام حسام الدين قايماز والى القدس الشريف . قال العز بن تاج الأمنـــاء : فى عشية ثالث عشر رجب جرى بين التاج الكندى وابن دحية كلام ومشاتمة عند الوزير .

قلت : حكى لى من حضر ذلك المجلس أن الشيخ الحافظ أبا الخطاب عمر بن دحية لما عاد من رحلته الخراسانية قصـــد مجلس الوزير صفى الدين عبد بن على المعروف بابن شكر وزير العادل ، وكان الشيخ العلامة تاج الدين الكندى جالساً إلى جنبه فاجلس ابن دحية إلى الجانب الآخر ، فشرع ابن دحية يورد حديث الشفاعة فلما وصل إلى قول ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وقوله : إنما كنت خليلا من وراء ، وراء ، انطق باللفظتين بفتح الهمزة فيهما فقال الكندى : وراء ، وراء ، بالضم فعز ذلك على ابن دحية وكان جريئاً ذا أنفة من الرد عليه فقال للوزير من ذا الشيخ ؟ فقال له : هذا تاج الدين الكندى . فسمح ابن دحية فى حقه بكلمات فلم يسمع من الكندى إلا قوله : هو من كلب فنبح . وهذه تورية حسنة من لفظ حلو وذلك أن ابن دحية كان ينتسب إلى ابن كلب من العرب ، وهى قبيلة دحية الصحابى رضى الله عنه . وفى صحة الانتساب اليه كلام ونظر ، فان جماعة من المتقدمين قالوا لم يعقب على ما ذكرناه فى ترجمته فى تاريخ دمشق ، ووقع الناس فى أبى الخطاب بسبب ذلك حتى قال بعضهم :ــ

دحية لم يعقب فلا تنتسب اليه بالبهتان والإفك
ما صح عند الناس شىء سوى انك من كلب بلا شك

فأخذ الشاعر المعنى الذى أشار اليه الكندى بذلك اللفظ الوجيز ، أما اللفظتان المتنازع فيهما فرأيت فى أمالى احمد بن يحيى ثعلب جواز الأمرين فيهما والجر أيضاً وقد نظمت ذلك فى كتاب مفصل الزمخشرى وغيره من المسائل النحوية وبالله التوفيق .

وفيها : فى ثالث شهر رمضان توفى عم جدى عبد الرحمن بن أبى بكر بن ابراهيم بن محمد المقدسى ويعرف بعبيد ابن المعلم . كان معلما فى المكتب الذى بباب الجامع الشامى قبالة خانقاه السميساطى وعمر طويلا نحو تسعين سنة ، ودفن بباب الفراديس . ومات جدى الذى هو ابن أخيه قبله بزمان . قرأت بخط عمى أبى القاسم ابن ابراهيم بن عثمان الخشاب رحمه الله قال : توفى الشيخ الإمام أبو اسحاق ابراهيم الفقيه الأمام عثمان ابن أبى بكر المقدسى الى رحمة الله فى السابع والعشرين من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة قال : وتوفيت

والدة أبى القاسم المذكور فى ثانى شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة وهى جدتى أم أبى اسماعيل فبينها وبين وفاة جدى شهر واحد، ودفنت بباب شرقى ودفن جدى بباب الفراديس قبالة تربة الصبيق ابن العاقص بينهما الطريق وعلى قبر عم جدى بلاطة فيها اسمه وتاريخ وفاته .

وفيها : توفى أبو العباس الخضر بن على الجزرى ولد بجزيرة ابن عمر فى سنة خمس وعشرين وخمسمائة وقدم بغداد وله يد فى تعبير الرؤيا وانشد لنفسه : —

أنست بوحدتى حتى لوانى رأيت الأنس لاستوحشت منه
وما ظفرت يدى بصديق صدق أخاف عليه إلا خفت منه
وما ترك التجارب لى حبيباً أميل اليه إلا ملت عنه

وفيها : توفى محمد بن بختيار بن عبد الله أخو أستاذ دار الخليفة كان فاضلا أديباً انشد يوما : —

قسما بمن سكن الفؤاد وانه قسم به لو تعلمون عظيم
إنى به صب كئيب مدنف قلق الفؤاد مسوله مهموم
لا يستطيع مع التنائى سلوة حتى الممات وانى لسليم
فتعطفوا بالوصل بعد تهاجر فالصبر ينفد والرجاء مقيم

وفيها : توفى الأمير سنقر الصلاحى بحلب رابع عشر المحرم وهو أحد الأمراء المذكورين المجاهدين.

وفيها : فى ربيع الاول توفى الشيخ أبو الخير مصدق بن شبيب بن الحسن النحوى الصلحى من أهل فم الصلح ولد بسنة خمس وثلاثين وخمسمائة وصحب الشيخ صدقة الزاهد وقرأ عليه القرآن والنحو وأقام برباط صدقة ، وقرأ على ابن الخشاب ، وابن القصار ، والكمال الانبارى . وسمع الحديث من أبى الفتح ابن البطى ودفن مع الشيخ صدقة فى ضريحه وكان على طريقه فى الزهد والعبادة ومنقطعا عن النـــاس

وفى ليلة الخميس ثانى شوال توفى إلتصيح الواعظ بدمشق وهو : ارسلان بن على بن غرلوا الواعظ الجنبى ودفن بباب الصغير على الطريق بالقرب من قبة ابن زين العابدين واسمه على قبره . وفى الرابع والعشرين من شوال وصل الخبر بأن الشرف الفلكى وجد مذبوحا فى فراشه ذبحه غلام له ليلة عيد الفطر بخلاط وكان قد وزر للملك الأوحد وهو أخو الصفى الأسود واسمه عبد المحسن بن اسماعيل بن محمود المحلى ، وكان قد ناب بديوان دمشق عن الصاحب صفى الدين بن شكر فى الدولة العادلية ، ثم وزر لأخى العادل لأبيه فلك الدين فنسب اليه ، ثم استقل وزيرا بخلاط للأوحد بن العادل إلى أن قتلة مملوكه بها ليلة عيد الفطر سنة أربع أو خمس وستمائة وحمله من خلاط إلى دمشق صديقه الرشيد عبد الله بن المظفر الصفوى ودفنه بجبل قاسيون ، وصلب قاتله على قبره . وعند صلبه بدره الرشيد فطعنه بمدية فى نحره

وفى السابع والعشرين من ذى القعدة توفى الأمير المعروف بالجناح الكردى ابراهيم بن احمد ودفن بالجبل وخرج السلطان فى جنازته ، وفى الغد عمل عزاؤه فى الجامع ، وحضر جميع الأمراء الأكراد بالجوخ ومناديل على رؤوسهم وهو أخو المشطوب وكبير أمراء الأكراد . وفى الخامس والعشرين من ذى الحجة شنق فضيل الخلاطى الخياط لكونه قتل تاجراً قزوينيا كان اشتشفع با أحشيشه (هكذا) ثم أنزل وحملت جنازته على الأصابع .

وفيها : وصل الخبر من حلب بموت الأشرف عز الدين محمد بن صلاح الدين . ومن القدس بوفاة الأمجد حسن بن العادل وهو : شقيق المعظم والعزيز . ومن مصر بوفاة قاضيها صدر الدين عبد الملك بن درباس الكردي . ومن الجزيرة بقتل صاحبها سنجر شاه بن غازي بن مودود بن زنكي بن آق سنقر قتله ولده الأكبر غازي وكان سنجر شاه قد اطلع على سعي ولده هذا في ذمه فسجنه مدة وتسبب إلى أن خلص من السجن واختفى بالقلعة عند بعض النساء وأظهر أنه قد هرب وندب واحدا من جهته يطوف البلاد متنكرا ويظهر أنه هو ففعل ووفد على الأشرف فأكرمه ثم وصل إلى دمشق وشاع خبره فسكن سنجر شاه إلى ذلك وكان متحرزا فلما أمكنت الولد الفرصة هجم عليه ليلا فقتله بسيفه وحلف الأمراء فملك الجزيرة يوما وليلة فأوثقه مماليك والده وأقاموا ولده الصغير محمود الملقب بالمعظم معز الدين ثم قتل غازي

وفيها . غارت الفرنج ووصلوا إلى باب تدمر من حمص بعد أن مدوا على نهر العاصي جسرا من خشب كانوا صنعوا آلته ببلادهم وحملوها معهم وعبروا العاصي عليه ثم رفعوه على جمالهم وقصدوا حمص فقصدتهم العساكر الإسلامية فهربوا على طريق القدس وحاز المسلمون أخشابهم وأثقالهم ومن انقطع منهم .

سنة ٦٠٦هـ :

ثم دخلت سنة ست وستمائة فيها . نزلت الكرج على مدينة خلاط في خلق عظيم مع ملكهم إيواي فضايقها وبها الأوحد بن العادل فأشرف على أخذها وقال لمنجمه يوما ما تبيت الليلة إلا في قلعة خلاط فشرب الخمر حتى ثمل وركب في جيوشه وقصد باب أرجيش فخرج إليه المسلمون فقاتلوه ورأوا مالا قبل لهم به فبينما كذلك عثر به حصانه فقتل عليه جماعة من خواصه وأخذ أسيرا لحمل إلى القلعة فما بات إلا بها ورحل الكرج عن البلد وفرج الله عن أهله . ثم اتفق مع الأوحد على أنه يرد ما فتح من بلاد المسلمين ويطلق الأسارى ومائة ألف دينار ويزوج ابنته الأوحد . وقيل إنما كانت واقعة إيواي بعد حصار سنجر في سنة سبع وستمائة .

وفي ربيع الأول نزل العادل على سنجار بعساكر مصر والشام وحلب وديار بكر ومعه أولاده الأوحد وغيره وأقام بضربها بالمجانيق إلى رمضان ولم يبق إلا تسليمها فأرسل الملك من حلب أخاه المؤيد يشفع في السناجرة وصاحبها يومئذ قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي والد نور الدين محمود رحمه الله فلم يشفعه ، ومات المؤيد في هذه السفرة وكره المشارقة مجاورة العادل فاتفقوا عليه مع صاحب إربل وأرسل الخليفة ابن الضحاك أستاذ داره آقباش الناصري يشفع إلى العادل فيهم فرحل بعد أن أخذ نصيبين والخابور ونزل بحران وفرق العساكر وصالح المشارقة صاحب إربل والموصل والجزيرة وماردين وحلب . وحج بالناس من العراق ياقوت ، ومن الشام فخر الدين إياس الشحامى(؟).

وفيها : توفى الملك المؤيد مسعود بن صلاح الدين بمدينة رأس عين عند منصرفه من رسالة أخيه الظاهر إلى عمه العادل في أمر سنجار في النصف من شعبان وكان قد نام في بيت مع ثلاثة وعندهم منقل فيه نار ولا منفذ في البيت فانعكس البخار فأخذ بأنفاسهم فماتوا جميعا فحمل المؤيد في محفة إلى حلب ودفن بها.

وفيها : توفى الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل بدمشق .ودفن بسفح قاسيون بالتربة التي فيها أخوه الملك المعظم

وفيها : توفي الفخر الرازي ابن خطيب الري صاحب الكلام . والتصانيف واسمه محمد بن عمر بن الحسين ، وكنيته أبو المعالي ، صنف التفسير ، والمحصول ، والمحصل ، ونهاية العقول ، والأربعين وغيرها واعتنى بكتب ابن سينا في المنطق وشرحها ، وكان يعظ وينال من الكرامية وينالون منه سبأ وتكفيرا . وقيل إنهم وضعوا عليه من سقاه السم فمات ففرحوا به . وكانوا يرمونه بالكبائر وكانت وفاته في ذي الحجة ولا كلام في فضله . وإنما التشنيعات عليه قائمة بأشياء منها : أنه كان يقول : قال محمد التازي (١) يعني العربي يريد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال محمد الرازي يعني نفسه . ومنها أنه كان يقرر في مسائل كثيرة مذاهب الخصوم وشبههم بأتم عبارة فاذا جاء إلى الأجوبة اقتنع بالإشارة ، وقد رأيت من أصحابه جماعة قدموا علينا دمشق وكلهم كان يعظمه تعظيما كثيرا ولا ينبغي أن يسمع فيمن ثبتت فضيلته كلام شنع لعله صاحب غرض من حسد أو مخالفة في مذهب أو عقيدة رحمه الله تعالى . ويلغني أنه خلف من الذهب العين ثمانين ألف دينار خارجا عما كان يملكه من الدواب . والثياب . والعقار والآلات . وخلف ولدين أخذ كل واحد منهما أربعين ألف دينار وكان ابنه الأكبر قد تجند في حياته وخدم السلطان محمد بن تكش وكان في زمانه القاضي الوحيد كبير القدر في الوعظ يحضر مجلسه الأكابر من الملوك . والأمراء . والرؤساء ، وكان فخر الدين يتكلم فيه . فبلغه فأتاه مسلما فوقف على رأسه فرفع فخر الدين رأسه إليه ولم ينهض له وأنكر عليه مشافهته بما كان ينكر عليه في غيبته فتقدم الوحيد وقال : اطبخ لك أرزا بلبن تأكله ينفع رأسك ومزاجك ثم دعا بالقدر والنار وجعل ينفخ النار بنفسه ليطبخ ذلك بحضرة فخر الدين ويتولى ذلك بنفسه على جلالة قدره فقام فخر الدين فوقع على رجليه وبكى وسمع سلطان البلد فحضر وأحضر الأطعمة وآلات السماع وجرى لهم يوم طيب وكان فخر الدين بعد ذلك يحضر مجالس الوحيد ويجلس قبالة وجهه بين ذلك الجمع العظيم

وفيها : في سلخ ذي الحجة توفي المجد بن الأثير الجزري الأصل الموصلي الدار واسمه : أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم . كاتب ، مصنف صدر كبير ولد سنة أربعين وخمسمائة بجزيرة ابن عمر وانتقل إلى الموصل ونشأ بها وقرأ الأدب والحديث وفنون العلم وقدم بغداد حاجا وسمع بها الحديث وعاد إلى الموصل وكتب لأمرائها . وكان أمراء الموصل يحترمونه ، ويعظمونه ، ويستشيرونه . وكان بمنزلة الوزير الناصح إلا أنه كان منقطعا إلى العلم وجمعه وصنف كتبا حسانا منها : جامع الأصول ، والنهاية في غريب الحديث ، وشرح مسند الشافعي رحمه الله تعالى وكان به نقرس وكان يحمل في محفة وكان يسكن بدرب دراج بالموصل وبه دفن . قرأ النحو على أبي محمد بن الدهان ، ثم على أبي الحرم الضرير مكي بن ربان ، وسمع الحديث من أبي بكر بن سعدون القرطبي ، وأبي الفضل عبد الله بن الطوسي وسمع ببغداد أبا الفرج ابن كليب وغيره ، روى الحديث وانتفع به الناس وكان عاقلا مهيبا ذا بر وإحسان وكان له أخوان فاضلان : ضياء الدين ابن الأثير الكاتب كان وزير الأفضل بن صلاح الدين صاحب

---

(١) التازي كان العجم يطلقونه على العرب وهو يفيد معنى العربي عندهم فقول ابن كثير : (البادي من البادية) تحريف على أن التازي هو الذي يوازن الرازي (ر) .

كتاب المثل السائر وغيره ، وعز الدين علي بن الأثير صاحب التاريخ وغيره قدم علينا دمشق وأسمع بها بالجامع ودار الحديث النورية رحمهم الله .

وفيها : في ذي الحجة أيضاً توفي ببغداد أبو علي يحيى بن الربيع بن سليمان الواسطي مدرس النظامية ولقبه مجد الدين ، ولد بواسط سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وقرأ القرآن على جده سليمان وتفقه على أبيه ورحل إلى نيسابور صحبـــة أبو القاسم بن فضلان ، وعاد إلى بغداد وتولى تدريس النظامية وكان عارفاً بالتفسير ، والمذهب ، والأصولين ، والخلاف ، وصنف تفسيراً في أربع مجلدات وبعثه الخليفـــة في رسالة إلى خراسان سمع أبا الوقت وطبقته وكان ثقة ديناً صدوقاً فدفن إلى جانب ابن فضلان رحمه الله تعالى

وفيها : توفي الحسن بن احمد بن جكينا من أهل الحريم الطاهري كان فاضلا ومن شعره :ـــ

قد بان لي عذر الكرام فصدهم عن أكثر الشعراء ليس بعار
لم يسأموا بذل النوال وإنمـــا جمـــد الندى امروده الأشعــار

وفيها : توفي شمس الدين بن البعلبكي والد المجد وكان قاضي العسكر بدمشق في العشرين من صفر وهو الذي بعث إلى مصر ليشد الكامل قدوة للخليفة لما جاء من بغداد الأمر بذلك .

وفيها : توفي شمس الدين سلام بن سلام والد اسماعيل واسحاق الشاهد بدمشق حادي عشر ربيع الآخر سنة ٦٠٧ هـ :

ثم دخلت سنة سبع وستمائة فوصل الحاج إلى دمشق صحبة بن محارب ثاني صفر وفيها : أظهر الخليفة الأجازة التي أخذت له من الشيوخ وذكرهم في كتاب روح العارفين ودفع إلى كل مذهب اجازة عليها مكتوبا بخطه أجزنا لهم ما سألوه على شرط الأجازة الصحيحة وكتب العبد الفقير إلى الله تعالى أبو العباس أحمد أمير المؤمنين . وسلمت إجازة أصحاب الشافعي إلى ضياء الدين عبد الوهاب بن سكينة ، وإجازة أصحاب أبي حنيفة إلى الضياء أحمد بن مسعود التركستاني . وإجازة أصحاب أحمد إلى أبي صالح نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر ، وإجازة أصحاب مالك إلى التقي علي بن جابر التاجر المغربي . قال أبو المظفر سبط بن الجوزي:

وفيها : خرجت من دمشق إلى نابلس بنية القراءة وكان الملك المعظم عيسى رحمه الله بها ، جلست بجامع دمشق يوم السبت خامس ربيع الأول وكان الناس من باب المشهد الذي لزين العابدين إلى باب الناطفانيين وإلى باب الساعات وكان القيام في الصحن أكثر بحيث امتلأ جامع دمشق وحرزوا ثلاثين ألفا، وكان يوما لم ير بدمشق مثله ولا بغيرها ، وكان قد اجتمع عندي شعور كثيرة يعني التي كان يقطعها من رءوس التائبين

قال : وقد وقفت على حكاية أبي قدامة الشامي مع تلك المرأة التي قطعت شعرها وبعثت به إليـــه وقالت : اجعله قيداً لفرسك في سبيل الله قال : فعملت من الشعور التي اجتمعت عندي شكلا لخيل المجاهدين وكرفسارات (؟) ولما صعدت المنبر أمرت باحضارها لحملت على أعنـــاق الرجال وكانت ثلاثمائة شكال . فلما رآها الناس صاحوا صيحة عظيمة وقطعوا مثلها وقامت القيامة . وكان المبارز المعتمد ابراهيم والي دمشق حاضراً فقام وجمع الأعيان فلما نزلت من المنبر قام المبارز يطرق لي ويمشي بين يدي إلى باب الناطفانيين . فقدم لي فرسي فأمسك ركابي وأركبني وخرجنا من باب الفرج إلى المصلى وجميع

من كان بالجامع بين يدى وسرنا من الغد إلى الكسوة ومعنا خلق كثير مثل التراب ، وكان معنا من قرية واحدة يقال لها زملكا نحوا من ثلاثمائة رجل بالعدد والسلاح . وأما من غيرهم فخلق كثير والكل خرجوا احتسابا وجئنا إلى عقبة أفيق والطير لاتقدر تطير من خوف الفرنج فسرنا على الجادة إلى نابلس ووصلت أخبارنا إلى عكا وخرج المعظم فالتقانا وسر بنا وجلست بجامع نابلس وحضر وأحضرنا الشعور فأخذها وجعلها على وجهه وجعل يبكى وكان يوما عظيما ولم أكن اجتمعت به قبل ذلك اليوم وخدمنا وأكرمنا وخرجنا إلى نحو بلاد الإفرنج فأخربنا وهدمنا وقطعنا أشجارهم وأسرنا جماعة ولم يتجاسروا أن يخرجوا من عكا فأقمنا أياما ثم عدنا سالمين غانمين إلى الطور المطل على الناصرة والمعظم معنا فقال : أريد أن أبنى عليه قلعة وطلب أخاه الملك الأشرف وعساكر الشرق وحلب وشرع فى عمارة الطور وأقام العسكر تحته من ذى الحجة من هذه السنة إلى آخر سنة ثمان وستمائة فكمل سوره ودار واستوى فخاف الفرنج وأرسلوا إلى العادل فصالحهم وأعطى العساكر دستورا فتفرقوا وأقام المعظم يعمر الطور إلى قبيل وفاة العادل فلا يحصى ما غرم عليه . وحج بالناس من الشام سيف الدين على بن علم الدين سليمان بن جندر وكان قدم من حلب لذلك واحتفل الناس له .

وفيها : توفى صاحب الموصل نور الدين أرسلان بن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن زنكى فى رجب وقيل فى صفر . قال أبو المظفر : وكان متكبراً ، جباراً ، بخيلا ، فاتكا ، سفاكا للدماء . حبس أخاه علاء الدين فمات فى حبسه وولى الموصل رجلا ظالما يقال له السراج فأهلك الحرث والنسل ،

وفيها : توفى أبو محمد عبد الوهاب بن على بن على الصوفى المعروف بابن سكينة ولقبه ضياء الدين ولد سنة تسع عشرة وخمسمائة ، وقرأ القرآن على الشيخ أبى محمد المقرىء شيخ تاج الدين الكندى ، وسمع الحديث الكثير ، وكان صديق أبى الفرج الجوزى ملازماً لمجالسته ويزوره . وسأله أبو الفرج لما عاد من واسط أن يلبس ابنه يوسف خرقة التصوف فألبسه إياها بقطعنا وكانت وفاته فى ربيع الآخر وقد قارب سبعين سنة وصلى عليه بجامع القصر ، وكان يوماً مشهوداً حضره أرباب الدولة ودفن عند باب جامع القصر إلى جانب رباط الزوزنى .

وذكره محمد بن الدبيثى فى ذيله وقال : هو سبط شيخ الشيوخ أبى البركات اسماعيل بن أحمد النيسابورى . ورافق أبا سعد ابن السمعانى ببغداد ، وسمع من قاضى المارستان ، وابن الحصين وأبى غالب محمد بن الحسن الماوردى ، وأبى البركات الأنماطى ، وجده لأمه شيخ الشيوخ اسماعيل ، وزاهر بن طاهر الشحامى وأبا الفتح الكروخى ، وأبا الوقت وغيرهم ، وحدث ببغداد والشام ومكة ومصر والمدينة وغيرها وكان من الأبدال

وفيها : توفى ببغداد أبو حفص عمر بن محمد بن يحيى المعروف بابن طبرزد الدارقزى قال أبو المظفر : ولد فى ذى الحجة سنة عشر وخمسمائة سمع حديثاً كثيرا من أبى غالب بن البناء ، وأبى الحسن بن الزاغونى وأبوى القاسم بن الحصين ، وابن السمرقندى وقاضى المارستان ، وأبى الوقت وغيرهم ، وكان معلما للصبيان بدار القز ببغداد وكان خليعاً ماجناً وسافر مع حنبل إلى الشام وحصل له مال بسبب الحديث وعاد مع حنبل إلى بغداد فأقام حنبل يعمل له تجارة فتوفى فى سنة ثلاث وستمائة . فسلك طريق حنبل فى استعمال

الكاغد والعتابى فرض مدة ثم توفى ودفن بباب حرب . ولم يكن له وارث فرجع المال إلى بيت المال .
وجدت بخط الحافظ عبد العظيم المنذرى : ان الشيخ أبا عمر المذكور توفى فى يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من ربيع الأول من السنة رحمهما الله تعالى ودفن بجبل قاسيون .

وفيها : توفى الشيخ أبو عمر شيخ الصالحية والمقادسة الزاهد العابد واسمه : محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة أخو الشيخ الموفق ولد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بقرية الساويا من أعمال نابلس وقيل بجماعيل قال أبو المظفر : حدثنى أبو عمر قال : هاجرنا من بلادنا فنزلنا بمسجد أبى صالح بباب شرقى فاقمنا به مدة ثم انتقلنا الى الجبل فقال الناس : الصالحية . الصالحية نسبونا إلى مسجد ابى صالح لا اننا صالحون . قال : ولم يكن بالجبل عمارة إلا دير الحوراني وأماكن يسيرة .

قال أبو المظفر : وكان معتدل القامة . حسن الوجه . عليه أنوار العبادة لايزال مبتسما ، نحيل الجسم من كثرة الصيام والقيام ، وقرأ القرآن بحرف أبى عمرو ، وحفظ مختصر الخرقى فى الفقه ، وقرأ النحو على ابن برى بمصر ، وسمع الحديث بدمشق ومصر ، واشتغل بالعبادة عن الرواية وكتب الحلية لأبى نعيم ، وتفسير البغوى ، والمغنى لأخيه الموفق ، والإبانة لابن بطة ، ومصاحف كثيرة للناس ولأهله وكتبا كثيرة والكل بغير أجرة وكان يصوم الدهر إلا من عذر . ويقوم الليل من صغره ، ويحافظ على الصلوات فى الجماعات ، ويخرج من ثلث الليل الأخير الى المسجد فى الظلمة فيصلى إلى الفجر ، ويقرأ فى كل يوم سبعا من القرآن بين الظهر والعصر ، ويقرأ بعد العشاء الآخرة يس . وتبارك والواقعة . والمعوذتين ، وقل هو الله أحد . واذا ارتفعت الشمس لقن الناس القرآن إلى وقت الضحى ، ثم يقوم فيصلى الضحى ثمانى ركعات ويقرأ قل هو الله أحد ألف مرة . ويزور المقابر بعد العصر فى كل يوم جمعة . ويصعد يوم الاثنين والخميس إلى مغارة الدم ماشيا بالقبقاب فيصلى فيها ما بين الظهر والعصر ، وإذا نزل جمع الشيح من الجبل وربطه بحبل وحمله إلى بيوت الأرامل واليتامى . ويحمل فى الليل إليهم الدراهم والدقيق ولايعرفونه . ولاينام إلاعلى طهارة ومتى فتح له بشيء من الدنيا آثر به أقاربه وغيرهم ، وتصدق بثيابه وربما خرج الشتاء وعلى جسده جبة بغير ثوب ويبقى مدة طويلة بغير سراويل ، وعمامته قطعة من بطانة فان أحتاج أحد إلى خرقة أو مات صغير يحتاج إلى كفن قطع له منها قطعة ، وكان ينام على الحصير ويأكل خبز الشعير . وثوبه خام إلى أنصاف ساقيه . وما نهر أحداً ، ولا أوجع قلب أحد ، وكان يقول : أنا زاهد ولكن فى الحرام . ولما نزل صلاح الدين على القدس كان هو واخوه والجماعة فى خيمة فجاء العادل الى زيارته وهو فى الصلاة فما قطعها ولا التفت ولا ترك ورده ، وكان يصعد المنبر فى الجبل وعليه ثوب خام مهدول الجيب وفى يده عصا والمنبر يومئذ ثلاث مراق ، وكان يجاهد فى سبيل الله ويحضر الغزوات مع صلاح الدين . وكان اخوه الموفق يقول عنه : هو شيخنا ربانا وأحسن إلينا وعلمنا وحرص علينا وكان للجماعة كالوالد يقوم بمصالحهم ومن غاب منهم خلفه فى أهله قال : وكان أبو عمر قد تخلى عن أمور الدنيا وهمومها وكان المرجع فى مصالح الأهل اليه وهو الذى هاجر بنا وسفرنا الى بغداد وبنى لنا الدير ولما رجعنا من بغداد زوجنا وبنى لنا دورا خارجة عن الدير وكفانا هموم الدنيا وكان يؤثرنا ويدع اهله محتاجين . وبنى المدرسة والمصنع بعلو همته وكان مجاب الدعوة ، وما كتب لأحد ورقة للحمى إلا وشفاه الله تعالى وكراماته كثيرة وفضائله غزيرة .

منها : أني صليت يوم جمعة بجامع الجبل في أول سنة ست وستمائة والشيخ عبد الله اليوناني (١) الى جانبي فلما كان في آخر الخطبة وأبو عمر يخطب نهض الشيخ عبد الله مسرعا وصعد الى مغارة التوبة وكان نازلا بها فظننت انه قد احتاج الى الوضوء وآلمه شيء فلما صلينا الجمعة صعدت وراءه وقلت له خير ما الذي أصابك ؟ قال : هذا أبو عمر ما تحل خلفه صلاة قلت : ولم ؟ قال : لأنه يقول على المنبر مالا يصلح . قلت : وما الذي قال ؟ قال : الملك العادل وهو ظالم فما يصدق . وكان أبو عمر يقول في آخر الخطبة اللهم واصلح عبدك الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن ايوب . فقلت له : اذا كانت الصلاة خلف أبي عمر ما تصح فياليت شعري خلف من تصح ؟ ! وخطر لي قول عبد الرحمن بن عوف لما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يمشي في أزقة المدينة فتبعه فأتى الى بيت عجوز فدخله قال : فقلت لأنظرن مايصنع فتواريت واذا به قد خرج من عندها فدخلت بعده وقلت للعجوز ما كان هذا يصنع عندك ؟ فقالت : يحمل الي ما آكل ويخرج الأذى عني . قال عبد الرحمن فقلت في نفسي : ويحك ياعبد الرحمن اعثرات عمر تتبع .

قال ابو المظفر : وبينا نحن في الحديث واذا بالشيخ ابي عمر قد صعد الى مغارة التوبة فدخل ومعه مئزر فسلم وحل المئزر وفيه رغيف وخيارتان فكسر الجميع وقال : بسم الله الصلاة ثم قال : ابتداءاً قد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ولدت في زمن الملك العادل كسرى (٢)، فنظر الى الشيخ عبد الله وتبسم ومد يده فأكل وقام ابو عمر ونزل فقال لي عبد الله ياسيدي ما هذا الا رجل صالح .

قلت : الشيخ عبدالله اليونيني كان ايضا من الصالحين وقد رأيته وسيأتي ذكره في أخبار سنة سبع عشرة بعد عشر سنين من وفاة الشيخ ابي عمر وهو لفرط صلاحه وورعه ما رأى مسامحة مثل الشيخ أبي عمر في اطلاق لفظ العادل على من هو في ظنه غير مستحقه وعذر الشيخ ابي عمر في ذلك انه اسم من الأسماء الاعلام لا يلاحظ فيه الصفة فهو كالتسمية بسالم ، وغانم ، ومحمود ، ومسعود بغير قصد المعنى المسمى بذلك في حالة يكون فيها متصفاً بضد ما يقتضيه اشتقاق هذه الاسماء فيكون عاطباً ولايدعى إلا بسالم ، أومذموماً ولايدعى إلا بمحمود . تعريفا لامدحاً . فكذا اطلاق لفظ العادل في حق من أطلقه فيه الشيخ ابو عمر على أنه قد اعتذر بعذر آخر وهو اطلاق هذا اللفظ عن كافر ولا ظلم أعظم من الشرك بالله تعالى . قال الله تعالى : (ان الشرك لظلم عظيم) قال : (ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) أي بشرك فاذا لم يمنع الشرك المحقق من اطلاق لفظ العادل من اتصف به لايمنع ظلم ما في شيء من الاشياء الي دون الشرك أولى . بقي في قضية الشيخ عبد الله أشكالا من كونه ترك صلاة الجمعة ولعله كان مسافراً فلم تكن الجمعة واجبة عليه والله أعلم .

قال ابو المظفر : وأصابني قولنج عانيت فيه شدة فدخل علي ابو عمر وبيده خروب شامي فقال استف هذا وكان عندي جماعة فقالوا : هذا يزيد في القولنج ويضره . فما التفت الى قولهم وأخذته من يده فأكلته فبرئت في الحال . قال : وحكى لي الجمال البصراوي الواعظ قال : أصابني قولنج

(١) ويقال اليونيني نسبة الى بلد في بعلبك (ز)

(٢) لكنه لم يصح عند أهل الحديث (ز) .

فى رمضان فاجتهدوا أن أفطر فلم أفعل فصعدت إلى قاسيون فقعدت موضع الجامع اليوم وإذا أنا بالشيخ أبى عمر قد أقبل من الجبل وبيده حشيشة فقال شم هذه تنفعك فأخذتها وشممتها فبرئت . قال : وجاء رجل مغربى فقرأ عليه القرآن ثم غاب عنه مدة وعاد فلازمه . فسئل عن ذلك فقال : دخلت ديار بكر فأقمت عند شيخ له زاوية وتلامذة فبينا هو ذات يوم جالس بكى بكاء شديداً وأغمى عليه ثم أفاق وقال مات القطب الساعة وقد أقيم أبو عمر شيخ الصالحية مقامه . قال : فقلت له ذلك شيخى . قال فبش فهو ذلك هنيئاً لك فاذهب إليه وسلم عليه عنى وقل له لو أمكننى السعى إليه لسعيت . ثم زودنى وسافرت قال أبو المظفر : وقلت له يوماً أول ماقدمت الشام وما كان يرد أحداً شفاعته كائناً من كان وقد كتب ورقة إلى الملك المعظم عيسى بن العادل وقال فيها : إلى الولد المعظم . فقلت كيف تكتب هذا والملك المعظم فى الحقيقة هو الله ؟ فتبسم ورمى إلى الورقة وقال لى : تأملها وإذا به لما كتب المعظم كسر الظاء فصارت المعظِم وقال لابد أن يكون يوماً قد عظم الله تعالى فتعجبت من ورعه وتحفظه وتحفظه عن مثل هذا

قلت : وساعده على تمشية تلك الكسرة أن كل من رآها يعتقد أنها الضم المستحقة للجر فلا ينكرها ويحصل له مقصوده . ونظير هذا القصد ما يروى عن سفيان الثورى أنه أنكر على ابن أبى ذئب رحمهما الله قوله للمنصور أبى جعفر فى مخاطبته له أنا أنصح لك من أبيك المهدى . وقال له لم قلت المهدى ؟ فقال : يا أبا عبد الله كلنا كان فى المهد .

قال أبو المظفر : وقال أبو عمر يوما للمبارز المعتمد قد أكثرت عليك من الرقاع والشفاعات . فقال له : ربما تكتب إلى فى حق أناس لا يستحقون الشفاعة وأكره رد شفاعتك . فقال له : أنا أقضى حق من قصدنى وأنت إن شئت تقبل ، وإن شئت فلا تقبل . فقال : ما أرد ورقتك أبداً . قال : وكان على مذهب السلف الصالح حسن العقيدة ، متمسكا بالكتاب والسنة والآثار المروية وغيرها كما جاءت من غير طعن على أئمة الدين وعلماء المسلمين ، وينهى عن صحبة المبتدعين ، ويأمر بصحبة الصالحين وكان سبب موته أنه حضر مجلساً بقاسيون فى الجامع مع أخيه الموفق والعماد والجماعة وكان قاعداً فى الباب الكبير وجرى الكلام فى رؤية الله تعالى ومشاهدته فاستغرقت فى ذلك وكان وقتاً عجيباً وأبو عمر جالس إلى جانب أخيه الموفق فقام وطلب باب الجامع ولم أره فالتفت فاذا بين يديه شخص يريد الخروج من الجامع فصحت على الرجل اقعد فظن أبو عمر أنى أخاطبه فجلس على عتبة باب الجامع الجوانية إلى أن فرغ المجلس ثم حمل إلى الدير فكان آخر العهد به وأقام أياما مريضا ولم يترك شيئا من أوراده . فلما كان عشية الاثنين ثامن عشر ربيع الأول جمع أهله واستقبل القبلة ووصاهم بتقوى الله ومراقبته وأمرهم بقراءة يس وكان آخر كلامه : (إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وتوفى رحمه الله وغسل فى وقت السحر ومن وصل إلى الماء الذى غسل به نشف به النساء مقانعهن . والرجال عمائمهم ولم يتخلف عن جنازته أحد من القضاة ، والأمراء ، والعلماء ، والأعيان وعامة الخلق وكان يوما مشهودا ولما خرجوا بجنازته من الدير كان يوما شديد الحر فأقبلت غمامة فأظلت الناس إلى قبره وكان يسمع منها دوى كدوى النحل ولولا المبارز المعتمد ، والشجاع بن محارب ، وشبل الدولة

الحسامى ما وصل من كفنه إلى قبره شىء وانما أحاطوا به بالسيوف والدبابيس . وكان قبل وفاته بليلة رأى انسان كأن قاسيون قد وقع أو زال من مكانه فأولوه بموته ولما دفن رأى بعض الصالحين فى منامه تلك الليلة النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول: من زار أبا عمر ليلة الجمعة فكأنما زار الكعبة فاخلعوا نعالكم قبل أن تصلوا اليه . ومات عن ثمانين سنة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولا قليلا ولا كثيراً .
قال : وعلمنى دعاء السنة فقال ما زال مشايخنا يواظبون على هذا الدعاء فى أول كل سنة وآخرها وما فاتنى طول عمرى .

فاما أول السنة فانك تقول : اللهم انك الأبدى القديم وهذه سنة جديدة اسألك فيها العصمة من الشيطان وأوليائه . والعون على هذه النفس الامارة بالسوء . والاشتغال بما يقربنى اليك ياذا الجلال والاكرام . فان الشيطان يقول قد آيسنا من نفسه فيما بقى ويوكل الله به ملكين يحرسانه .
وأما دعاء آخر السنة فانك تقول فى آخر يوم من أيام السنة : اللهم ما عملت فى هذه السنة مما نهيتنى عنه ولم ترضه ولم تنسه وحلمت عنى بعد قدرتك على عقوبتى ودعوتنى الى التوبة من بعد جرأتى على معصيتك فانى استغفرك منه فاغفر لى وما عملت فيها مما ترضاه ووعدتنى عليه الثواب فاسألك أن تتقبله منى ولا تقطع رجائى منك يا كريم .

قال : فان الشيطان يقول : تعبنا معه طول السنة فأفسد فعلنا فى ساعة قال وانشدنى أبو عمر : —

ألم يك ملهاة عن اللهو اننى ... بدا لى شيب الرأس والضعف والالم
الم بى الخطب الذى لو بكيته ... حياتى حتى ينفد الدمع لم الم

قال وأنشدنى أبو عمر لنفسه :

اوصيكم بالقول فى القرآن ... بقول أهل الحق والاتقان
وليس بمخلوق ولا بفان ... لكن كلام الملك الديان
آياته مشرقة المعانى ... نتلوه لله باللسان
محفوظة فى الصدر والجنان ... مكتوبة فى الصحف بالبنان
والقول فى الصفات ياأخوانى ... كالذات والعلم مع البيان
أمرارها من غير ما كفران ... من غير تشبيه ولا عطلان

وكان له من الأولاد من الذكور عمر والد احمد بن عمر وبه كان يكنى أبو عمر . والشرف عبد الله والد أمر ، واحمد ، وعبد الرحمن الباقى منهم فى هذا الزمان وهو سنة خمس وخمسين وستمائة اصغرهم شمس الدين عبد الرحمن خطيب جامع الجبل بعد أخيه الشرف عبد الله قال : وكان لأبى عمر بنات كما قال الله تعالى : (مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات) الآيه ومما رثى به ابو عمر قول محمد بن سعد المقدسى : —

أبعد أن فقدت عينى أبا عمر ... يجدنى فى بقايا العمر عمران
ما المساجد منه اليوم مقفرة ... كانها بعد ذاك الجمع قيعان

ما للمحاريب بعد الأنس موحشة ... كأن لم يتل فيها الدهر قرآن
تبكى عليه عيون الناس قاطبة ... إذ كان فى كل عين منه انسان
وكان فى كل قلب منه نور هدى ... فصار فى كل قلب منه نيران
وكل حى رأينا فهو ذو أسف ... وكل ميت رآه فهو فرحان
لازال يسقى ضريحا أنت ساكنه ... سحائب غيثها عفو وغفران
كم ميت ذكره حى ومنصف ... بالحى مت له الاثواب أكفان

قلت : وقبره فى طريق مغارة الجوع فى الزقاق المقابل لدير الحوراني على يمين المار إلى المغارة وإلى جانبه قبر أبيه الشيخ احمد رحمه الله وأول ما وقفت على قبره وزرته وجدت بتوفيق الله تعالى رقة عظيمة وبكاء صالحا وكان معى رفيق لى وهو الذى عرفنى قبره وجد أيضا مثل ذلك . وأخبرنى أصحابنا الثقات انه رأى الإمام الشافعي رحمه الله فى المنام فسأله إلى أين يمضى ؟ فقال : أزور أحمد بن حنبل . قال : فاتبعته انظر ماذا يصنع . فدخل داراً فسألت لمن هى ؟ فقيل للشيخ أبى عمر رحم الله الجميع .

وفيها : اتفقت الملوك على العادل منهم سلطان الروم ، وصاحب الموصل . وصاحب اربل ، وصاحب حلب ، وصاحب الجزيرة . وصاحب سنجار ، ومن تابعهم اتفقوا على مشاققة العادل وأن تكون الخطبة بالسلطنة لصاحب الروم خسرو شاه بن قليج ارسلان وارسلوا إلى الكرج بالخروج إلى جهة خلاط وخرج كل منهم بعساكره إلى حدود بلاده مجمعا على الاجتماع بصاحبه على قصد الملك العادل واجلائهم عليه بخيلهم ورجلهم وكتبهم ورسلهم وهو مقيم ثابت بظاهر حران وعنده صهره صاحب آمد ابن قرا رسلان ونزل الكرج على خلاط سابع عشر ربيع الآخر مع مقدمهم إيواى وصاحبها يومئذ الأوحد أيوب بن العادل فرجعوا على البلد بين الصلاتين من يوم الاثنين تاسع عشره وهجموا الربض وقدر الله تعالى وقوع مقدمهم إيواى بفرسه فى حفره بالربض وهو سكران فأخذ أسيراً وعرفه ياقوت الخادم المالطى فحمله إلى الأوحد فاكرمه وخلع عليه والتمس منه صد الكرج عن البلد فاستدعى اليهم منه من يثق به ليشاهد انه سالم وأمرهم بالرحيل عن خلاط فرحلوا من ساعتهم نحو بلادهم ثم لم يجسروا على مخالفته ولاتعرضوا لقرية من عملها باذية . وقد كان من بخلاط أيقن بذهاب الأنفس والأموال فدفع الله عنهم . وبادر الأوحد باطلاع والده العادل على ما منحه الله من الظفر فكاد يذهل فرحا واستطارت الأخبار بذلك شرقا وغربا ، وعلم من كان مجمعا على قصد العادل من الملوك بالحالة فتفرقت آراؤهم وبادر كل منهم بالرسل اليه ويحيل على غيره ويبذل الطاعة فقبل أعذارهم وعقد معهم صلحاً فى جمادى الأولى . ورغب إيواى إلى الأوحد فى أن يفدى نفسه وبذل ثمانين الف دينار واطلاق الفى أسير من المسلمين وتسليم إحدى وعشرين قلعة متاخمة لأعمال خلاط كان تغلب عليها وتزويج بنت الملكة بالأوحد ، وتزويج ابنته لاخى الاوحد من أمه ، وأن تكون الكرج معه أبداً سلماً لا يؤذون شيئا من أعماله وأن قصد بلاده عدو سارعوا فى دفعه عنها . فاستأذن الاوحد والده العادل فى ذلك فأمضاه وأمر باطلاقه بعد الاستيثاق منه بالإيمان والرهان ففعل وأطلقه فى ثانى عشر جمادى الآخرة .

قال العز بن تاج الامناء : ومن أعجب ما سمعته فى هذه القضية أن إيوانى لما نزل بخلاط قال له منجمه فى بكرة يومه إنك ستدخل إلى قلعة خلاط قريب العصر من يومك فى زى غير زيك هذا ، فتخيل قوته فى نفسه وشرب فلما سكر ذكر قول المنجم وكان قميصه فركب لوقته وزحف فكان من أمره ماقدر الله تعالى وادخل إلى القلعة وقت العصر أسيراً لابساً خلعة الاوحد فأعجب هذا الاتفاق . ولما وصل إلى بلاده عاد إلى ما كان عليه من التقدمة على عساكر الكرج وحمل بعض ما كان بذل للأوحد وسومح بالباقى . ثم لما أن صارت خلاط للأشرف تزوج بابنته . وفى ثانى شعبان كان إملاك نور الدين رسلان شاه صاحب الموصل على ابنة العادل وعقد العقد بقلعة دمشق على صداق ثلاثين ألف دينار ثم وصل الخبر بوفاة نور الدين هذا بالموصل فى آخر رجب وقام ولده عز الدين مسعود بالامر وكان العقد مع وكيله بعد موته ولم يعلم بذلك .

وفى الخامس والعشرين من شعبان ظهرت عملة ابن السلار على المعروف بابن الدخنية بعد طول مكثه فى السجن وموت زوجته تحت الضرب وعصره دفوعا وعصر بناته وابنه فلم يقروا بشيء . وكان أكثر الذهب مدفونا تحته بسجن القلعة وانكشف أمرها بأيسر حال من جهة منصور بن السلار فانه كان الباحث عنها بسبب انه كان حبس عليها واتهم بها وجمع من الليل إلى آخر النهار عشرة آلاف دينار . ثم تحصل فيما بعد بقية مبلغها ثم مات ابن الدخنية فى الحبس وصلب ميتا على قيسارية الفرش يوم السبت الثامن والعشرين من رجب وأنا رأيته مصلوبا وعمرى يومئذ ثمانى سنين ودخلت فى التاسعة اللهم استر فى الدنيا والآخرة .

وفيها : فى سابع شوال شرع فى عمارة المصلى بظاهر دمشق المجاور لمسجد النارنج برسم صلاة العيدين وهدم حائطه القبلى ومنبره ليجدد . فبنى بغير سقف بل انتهت حيطانه من الجوانب الاربع ، وفتحت له الابواب وشرفت أعالى حوائطه ، وبنى له منبر كبير عالى بجوانب المحراب وفوقه قبة مبيضة وتحت أرض القبة خلو إلى الارض يتصل به الصف الاول خلف الإمام ، وكان يركز العلمان الاسودان فى أعلا الدرج ويقف الخطيب بينهما فيراه جميع من فى المصلى من كل جانب ، وكان بناء حيطانه واغلاق أبوابه صيانة له عما كان يوضع فى أرضه من الدواب الميتة ، والعظام ، والاروات ولاسيما مؤخر المصلى من شاميه . ثم انه بعد ذلك فى سنة ثلاث عشرة وستمائة ترتب الخطيب لاقامة الجمعة فيه سابع عشر رمضان بعد أن جدد فى قبلته رواقان سقف أحدهما ولم يتم الآخر لوفاة الملك العادل الآمر بذلك ولزم من ذلك خراب ذلك المنبر فجعل له منبر خشب كالذى فى سائر الجوامع وترتب فيه امام راتب تصلى الجمعة وغيرها .

وفيها : فى حادى عشر شوال جددت أبواب جامع دمشق الغربية من جهة باب البريد بالنحاس الاصفر وركبت . وفى سادس عشر شوال شرع فى اصلاح الفوارة بجيرون ، وعمل الشاذروان والبركة بساحتها ، واتخذ فيها مسجداً بامام راتب ، وأول من ترتب فيه بأمر الصاحب الوزير ابن شكر النفيس المصرى ، كان يلقب بوق الجامع لقوة صوته وكان قرأ على الشيخ أبى منصور الضرير المتصدر بالجامع وكان حسن الصوت وكنت أقرأ عليه فى صباى وكان يجتمع الناس اذا قرأ النفيس عليه كثيراً .

قال العز بن تاج الأمناء: وفى العشر الأوسط من ذى الحجة كان الابتداء بعمارة حصن الطور بتولى الملك المعظم وأمرائه ومساعدة والده له برجال العساكر ودوابه وتوابعه. وفى العشر الأخير من ذى الحجة توجه الباش (١) الفرنجى لعنه الله فى مراكب من عكا إلى الديار المصرية فوصل إلى ساحل دمياط فأرسى غربيها وسلك فى البر بخيله ورجله إلى القرية المعروفة بتورة وهى على ساحل النيل فكبسها سحراً وسبى أهلها وحاز ذخائرها وعاد على أثره فى بقية يومه إلى مراكبه. وبلغ إلى دمياط خبره فبادر بالرجال إليه فأفلت وحصل بظهر البحر فى مراكبه وامتنع عن طالبيه. ووصل الأسرى والغنائم إلى عكا وقد كان بعمله هذا والتى قبلها قريبة منه من الديار المصرية فى سنة ستمائة ما لم يفعله أحد من الفرنج قبله ولا أقدم إقدامه.

قال: وفى عاشر المحرم وصل حسن الخازن من مكة سابقاً للحاج وأخبر بأن قتادة صاحب مكة قتل المدعو بعمه الأمير ثم وصل كتاب مرزوق الطشتدار الأسدى فى الخامس والعشرين من المحرم وكان حاجاً يخبر فيه بأن قتادة قتل إمام الحنفية وإمام الشافعية بمكة، ونهب الحاج اليمنى. ثم وصل الحجاج إلى دمشق صحبة ابن محارب يوم الاثنين ثانى صفر. وفى عاشر صفر توفى الخاتون بلدق والدة المعظم بدمشق.

وفيها: توفى مظفر بن ساشير الواعظ الصوفى البغدادى. ولد سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة. وكان يعظ فى الأعزية. وترب الرصافة، والمساجد، والقرى. وكان مطبوعا كيسا ظريفا وكان يسكن دار العميد عند الصوفية فتوفى فى المحرم ودفن عند قبر معروف الكرخى. سمع أبا الوقت وطبقته، جلس يوما فى مسجد بالقرية فقام إليه انسان فقال له: أنا مريض وجائع. فقال له: احمد ربك فقد عوفيت، واجتاز يوما على قصاب يبيع لحما هزيلا والقصاب ينادى أين من حلف أن لا يغبن؟ فقال له ابن ساشير حتى تحنثه. وقال: خرجت يوما إلى يعقوبا فتكلمت بها فى الليل فى جامعها فقام واحد فقال: عندى للشيخ نصفية. وقال آخر: عندى نصفية فعدوا نحو خمسين نصفية. فقلت فى نفسى استكثرت الليلة. فلما أصبحت وإذا فى زاوية المسجد مقدار كارة شعير. فقلت: ما هذا؟ فقالوا النصافى كل كيل شعير نصفية قال: وجلست بباجسرى فجمعوا شيئا ما أعلم ما هو فلما أصبحنا إذا فى جانب المسجد صوف الجواميس وقرونه. فقام واحد ينادى عليه. من يشترى صوف الشيخ وقرونه. فقلت: ردوا صوفكم وقرونكم إليكم.

سنة ٦٠٨هـ:

ثم دخلت سنة ثمان وستمائة والسلطان العادل مقيم بالعساكر على الطور، وولده المعظم مباشر لعمارة حصنه مهتم بإدارته هو بماله ووصل الخبر من جهة الناس بأن الأخبار تواترت باليمن القريب فى

(١) هكذا فى الأصول الثلاثة.

البحر بأن ابن عبد المؤمن كسر الفرنج بأرض طليطلة كسرة عظيمة أباد فيها خلقاً منهم ونازل طليطلة وربما فتحها .

وفى ليلة السابع والعشرين من ذى القعدة حدثت زلزلة عظيمة هدمت مواضع كثيرة بمصر والقاهرة وأبراجاً ، ودوراً بالكرك ، والشوبك ، وهلك جماعة من الصبيان والنسوان تحت الهدم وكان قوتها من جهة ايلة مما يلى البحر وقيل انه تقدمها يوم ريح أسود وتساقطت نجوم كثيرة . وفى خامس عشرى رمضان رئى دخان نازل من السماء إلى الأرض فيما بين الغرب والقبلة بنواحى أرض عاتكة ظاهر دمشق وقت العصر

وفيها : ابتاع الاشرف جوسق الريس بالنيرب من الظاهر خضر ابن عمه .

وفيها : قدم رسول جلال الدين حسن صاحب الالموت يخبرهم بانهم قد تبرءوا من الباطنية وبنوا الجوامع والمساجد واقيمت الجمعة والجماعات عندهم وصاموا رمضان فسر الناس والخليفة بذلك وقدمت خاتون بنت جلال الدين حاجة فاحتفل بها الخليفة .

وفيها : أمر الخليفة أن يقرأ مسند احمد بن حنبل بمشهد موسى بن جعفر بحضرة صفى الدين محمد ابن جعفر الموسوى بالاجازة عن الخليفة وأول ما قرىء فيــه مسند أبى بكر الصديق . وحديث فدك وما جرى فيها .

وفيها : نهب الحاج العراقى وكان حج بالناس فى هذه السنة من العراق علاء الدين محمد بن ياقوت نيابة عن أبيه ومعه ابن أبى فراس ينفعه ويدبره ، وحج من الشام الصمصام اسماعيل أخو سياروخ النجمى على حاج دمشق ، وعلى حاج القدس الشجاع على بن السلار . وكانت ربيعة خاتون أخت العادل فى الحج فلما كان يوم النحر بمنى بعد ما رمى الناس الجمرة وثب الاسماعيلية على رجل شريف من بنى عم قتادة لشبه به وظنوه إياه فقتلوه عند الجمرة وبقال أن الذى قتله كان مع أم جلال الدين ، وثار عبيد مكة والاشراف وصعدوا على الجبلين بمنى ، وهللوا ، وكبروا وضربوا الناس بالحجارة والمقاليع والنشاب ونهبوا الناس يوم العيد والليلة واليوم الثانى وقتل من الفريقين جماعة . فقال بن أبى فراس لمحمد بن ياقوت ادخلوا بنا إلى الزاهر إلى منزلة الشاميين . فما حصلت الأثقال على الجمال حمل قتادة أمير مكة والعبيد فأخذوا الجميع إلا القليل . وقال قتادة : ما كان المقصود إلا أنا والله ما أبقيت من حاج العراق أحداً ، وكانت ربيعة خاتون بالزاهر ومعها ابن السلار ، وأخو سياروخ وحاج الشام . فجاء محمد بن ياقوت أمير الحاج العراقى فدخل خيمة ربيعة خاتون مستجيراً بها ومعه خاتون أم جلال الدين . فبعثت ربيعة خاتون مع ابن السلار إلى قتادة تقول له : ما ذنب الناس قد قتلت القاتل ، وجعلت ذلك وسيلة إلى نهب المسلمين واستحلات الدماء فى الشهر الحرام فى الحرم والمال وقد عرفت من نحن ، والله لئن لم تنته لأفعلن . وأفعلن . فجاء إليه ابن السلار فخوفه وهدده وقال : ارجع عن هذا وإلا قصدك الخليفة من العراق . ونحن من الشام . فكف عنهم وطلب مائة ألف دينار فجمعوا له ثلاثين ألفاً من أمير الحاج العراقى ومن خاتون أم جلال الدين ، وأقام الناس ثلاثة أيام حول خيمة ربيعة خاتون بين قتيل وجريح ، ومسلوب ،

وجائع وعريان . وقال قتادة : ما دخل هنا إلا الخيمة ولئن جاء أحد من بغداد إلى هنا لأقتلن الجميع . ويقال إنه أخذ من المال والمتاع وغيره ما قيمته ألف ألف دينار . وأذن للناس في الدخول إلى مكة فدخل الأصحاء الأقوياء فتقاووا وأتوا بقوات . ومعظم الناس ما دخلوا ورحلوا إلى المدينة ودخلوا بغداد على غاية من الفقر ، والذل ، والهوان ولم ينتطح فيها عنزان .

وفيها : توفي أبو سعد الحسن بن محمد بن الحسن ويلقب بتاج الدين بن حمدون مصنف كتاب التذكرة . قرأ اللغة على أبي الحسن ابن العصار . وسمع أبا الفتح البطي وغيره . وولاه الخليفة المارستان العضدي وأغرى بجمع الكتب والخطوط المنسوبة . فجمع منها شيئاً كثيراً وتوفي بمدائن كسرى وحمل إلى مقابر قريش فدفن بها وكان فاضلا بارعاً .

وفيها : توفي الأمير فخر الدين سركس بن عبد الله الصلاحي . ويقال أباز جركس ويقال : جهاركس يعني أنه اشترى بأربعمائة دينار (١) وكان من أمراء صلاح الدين . شهد معه الغزوات . وأعطاه العادل بانياس . وتبنين . والشقيف . وهونين . وقلعة أبي الحسن وتلك البلاد فأقام بها وكان يتردد إلى دمشق فمرض وتوفي في رجب ودفن بقاسيون . وخلف ولداً فأقره العادل على ما كان لأبيه وقام بأمره الأمير صارم الدين خطلبا المعروف بالتبنيني أحسن قيام وسد تلك الثغور . وقوم الأمور ، واشترى ضيعة بوادي بردى تسمى الكفر ووقفها على تربة فخر الدين (بالصالحية) وعمر له قبة عظيمة على الجادة قبالة قبة خاتون ، ثم توفي ولد سركس بعد قليل وأقام صارم الدين بالحصون إلى سنة خمس عشرة فانتزعت منه وسيأتي ذكره .

وفيها : توفي المعين عبد الواحد ابن الشيخ عبد الوهاب بن علي بن سكينة . ومولده سنة اثنين وخمسين وخمسمائة . وسافر إلى الشام في أيام الملك الأفضل علي بن صلاح الدين ، وبسط لسانه في الدولة فأرسل إليه من بغداد ابن التكريتي ليقتله فوثب عليه مراراً بدمشق فلم يقدر عليه . فكتب إلى الخليفة كتاباً يتنصل فيه مما قيل عنه ويعتذر ويسأله العفو فعفا عنه وكتب له كتاب أمان . فقدم بغداد فولي مشيخة الشيوخ وأعطي رباط المشرعة ثم بعثه في رسالة إلى جزيرة ليس (؟) ومعه جماعة من الصوفية فغرق في البحر ومن معه . سمع جده لأمه أبا القاسم عبد الرحيم شيخ الشيوخ . وأبا الفتح بن البطي ، وأبا زرعة وغيرهم .

وفيها : أخذ حاجب الباب كمال الدين محمد بن الناعم ، وكان حسن الصورة . قبيح الفعال ، صادر

(١) هذا تخريج لا وجه له في اللغة ولا في الواقع وإنما هو جركسي النسب ويقال للجركس جهاركس أيضا باعتبار أن قبائلهم الأصلية أربعة كما ذكره العيني وغيره . قال المؤرخ ابن الفوطي في معجم الأسماء والالقاب ـ بالظاهرية ـ رقم (٢٦٧) . فخر الدين أياز بن عبد الله أبو نصر أبو الغارات الجركسي الأمير كان من الأمراء الأجلاء وهو الذي اهتم بعمارة مصر لما أحرقها شاور . وكان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب يثق به ويوليه أمور قصر الخلافة لاجتهاده وديانته ومعرفته بالناس . اه وكان مقدم الصلاحية كما ذكره ابن الأثير وغيره . (ز) .

جماعة وماتوا تحت الضرب ، فلما قبض عليه ضرب ضرباً مبرحاً فلم يقر بشيء فمات تحت الضرب ورمى به في دجلة كما كان يفعل بالناس وظهر له بعد ذلك أموال عظيمة وذخائر كثيرة .

وفيها : توفى الشيخ العماد محمد بن يونس الفقيه الموصلي ولد سنة خمس وثلاثين وخمسمائة وانتهت إليه رئاسة مذهب الشافعي بالموصل ، وبعث رسولاً إلى بغداد لما توفى صاحبها نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود . وكان به وسواس في الطهارة يبعث كل يوم غلامه إلى الجسر فيقف في وسط دجلة ويملأ الأباريق فيتوضأ بها وكان على ما قيل يعامل الناس (بالعينة) . فالتقاه قضيب البان المولّه يوماً فقال له العماد : سلام عليك يا أخي كيف أنت ؟ فقال : أما أنا فبخير بلى قد بلغني عنك تغسل أعضاءك بأباريق ماء كل يوم فهلا تغسل اللقمة التي تأكلها ؟ ففهم العماد قوله ورجع عن ذلك وكانت وفاته في رجب بالموصل .

وفيها . توفى بنيسابور في شعبان منصور بن عبد المنعم بن عبد الله الفراوي من أهل بيت الحديث رواية ودراية ولد سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة في رمضان . وقدم بغداد حاجاً في سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وحدث بها عن أبيه وجد أبيه فقيه الحرم أبي عبد الله محمد بن الفضل الفراوي ، وزاهر بن طاهر الشحامي وغيرهم . وحدثنا عنه شيخنا أبو عمرو بن الصلاح ، ومحمد بن أبي الفضل المرسي وغيرهما . وكان له ثلاث كنى : أبو القاسم ، أبو بكر ، أبو الفتح .

وفيها . توفى صارم الدين برغش العادلي بدمشق في الثالث والعشرين من صفر ودفن بتربته في الجبل غربي الجامع المظفري . ووصل الخبر بقتل الأمير المعروف بأيبك فطيس بظاهر حلب في حمام قتله فيه مملوك له تركي خامس عشر رجب . وتوفى قاسم الدين التركماني بالعقيبة ظاهر دمشق في التاسع والعشرين من شوال ، وهو والد ابن قاسم الدين والي دمشق .

وفيها . توفى صاحب الروم خسروشاه بن قلج أرسلان . وخلف ولدين كيكاوس توفى سنة خمس عشرة وستمائة كما سيأتي ذكره وهو الذي تسلطن بعده ، وكيقباد وتولى بعده أخوه .

سنة ٦٠٩ هـ :

ثم دخلت سنة تسع وستمائة فيها . كانت نكبة أسامة الجبلي صاحب دار أسامة داخل باب السلامة التي هي الآن مدرسة للشافعية وكان أحد الأمراء الكبار وهو الذي ذكر عنه أنه مشى من بيروت إلى الفرنج كما تقدم.

قال أبو المظفر : اجتمع العادل وأولاده الكامل ، والفائز ، والمعظم بدمياط . وكان أسامة بالقاهرة قد استوحش منهم واتهموه بمكاتبة الظاهر صاحب حلب . وحكى لي المعظم انه وجدوا له كتابا اليه وأجوبة فخرج أسامة من القاهرة كأنه يتصيد فاغتنم اجتماع الملوك بدمياط وساق إلى الشام في مماليكه يطلب قلاعه وهما كوكب ، وعجلون . وذلك يوم الاثنين سلخ جمادى الآخرة ، فأرسل صاحب بلبيس الحمام إلى دمياط يخبرهم بذلك . فقال العادل : من ساق خلفه فله أمواله وقلاعه . فقال المعظم : أنا . وركب من دمياط يوم الثلاثاء غرة رجب وكنت معه . فقال لي : أنا أريد أن أسوق فسق أنت مع قماشي ، ودفع لي بغلة وساق ومعه نفر يسير وعلى يده حصان وكان صباح يوم الجمعة في غزة . ساق مسيرة ثمانية أيام في

ثلاثة أيام فسبق أسامة . وأما أسامة فإنه انقطع عنه مماليكه ومن كان معه وبقى وحده وبه نقرس فجاء إلى بلد الداروم ، وكان المعظم قد أمسك عليه من البحر إلى الزرقاء ، فرآه بعض الصيادين فى برية الداروم فعرفه فقال له : انزل . فقال : هذه ألف دينار وأوصلنى إلى الشام ، فأخذها الصياد وجاء رفاقه فعرفوه أيضا فأخذوه على طريق الخليل عليه السلام ليحملوه إلى عجلون فدخلوا به القدس يوم الأحد سادس رجب ، جاء بعد المعظم بثلاثة أيام . فقال له المعظم رحمه الله : ما كنت خائفا إلا أن تصادفنى فى الطريق غلمانه فيقتلونى ، لو رمانى ايدكين بسهم قتلنى فلك ايدكين والجميع فأنزل أسامة فى صهيون وبعث إليه بثياب وطعام ولاطفه وراسله وقال : أنت شيخ كبير وبك نقرس وما يصلح لك فاعطنى كوكب وعجلون وأنا أحلف لك على مالك وملكك وجميع أسبابك وتعيش بيننا مثل الوالد . فامتنع وشتم المعظم فلما يئس المعظم منه بعث به إلى الكرك فاعتقله واستولى على قلاعه وأمواله وذخائره وخيله وكان قيمة ما أخذ منه ألف دينار . وحج بالناس من العراق حسام الدين ابن أبى فراس نيابة عن محمد بن ياقوت وكان معه مال وخلع افتداه حتى سكت عنهم . ومن الشام شجاع الدين محارب على أيلة .

وفيها : استولى البائل القبرسى على انطاكية فرميت تلك الأعمال منه بداهية وتابع الغارات على تركمانها فشردهم فتجمعوا وأخذوا عليه المضايق وحصر فى واد فقتلوه وجميع رجاله وطافوا برأسه فى أعمالهم ، ثم حملوه فى البحر إلى الملك العادل بمصر . وهذا الملعون هو الذى كان قبض على دوة وبورة كما تقدم .

وفيها : كان عزل الوزير صفى الدين بن شكر عن وزارة العادل والقبض على أملاكه ثم نفى إلى الشرق .

وفيها : تظاهرت الإسماعيلية بالالموت وكوكور وما والاهما من بلاد العجم بالإسلام وإقامة شعائره والرجوع عما كانوا عليه من الفساد ، وأرسل زعيمهم جلال الدين حسن إلى الخليفة الناصر يبذل الطاعة ويستدعى قضاة وفقهاء يفقهونهم ويقضون بينهم فأجيب . وبعث إلى الحصون الشامية مصياف والخوابى والقليعة وما يضاف إليها مما ينسب إلى الإسماعيلية من أظهر فيها شعائر الإسلام وتجديد المساجد وإقامة الحد على من ارتكب محرما .

وفيها : خربت حصن كوكب ونقل ذخائرها إلى الطور .

وفيها : توفى مادح الرحمن ، وفخر الدين أسرائيل ، وعز الدين عبيدان الملكى صاحب الدار والحمام المنسوبين بعده إلى ابن موسك مقابلة دار الحديث النورية .

وفيها : فى ثامن ربيع الأول توفى الملك الأوحد صاحب خلاط ، واسمه أيوب بن أبى بكر ابن أيوب ولقبه نجم الدين وكان قد سفك دماء المقدمين من أهل خلاط فلم يطل عمره . ملك خلاط أقل من خمس سنين وابتلى بأمراض مزمنة كان يتمنى الموت معها ، وكان قد استزار أخاه الأشرف من حران فأقام عنده أياما فاشتد مرضه فطلب الأشرف الرجوع إلى حران لئلا يتخيل منه الأوحد فقال له الأوحد يا أخى : كم تلح والله إنى ميت وأنت تأخذ البلاد وكان الأوحد قد صاغ للأشرف

طلعة (؟) ذهب من خمسمائة دينار للسنجق وبقيت فى الخزانة ، واشتغلوا بمرض الأوحد فتوفى وملك البلاد الأشرف ، وأول ركوبه فى خلاط بالسنجق كان بتلك الطلعة وكانت وفاة الأوحد علا ذكره فدق بها وجاء الأشرف فدخل خلاط فأحسن إلى أهلها وخلع عليهم وعدل فيهم فأحبوه وأطاعوه .

وفيها: توفى أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن أبى بكر القفصى المحدث المقرى، سمع الكثير بدمشق وغيرها وكتب كتبا كثيرة ، وكانت وفاته فى ربيع الأول ، ودفن عند المنيبع بمقابر الصوفية .

وفيها : توفى بمرو أبوالفتح محمد بن سعد بن محمد الديباجى من أهل مرو ولد فى المحرم سنة سبع عشرة وخمسمائة وسمع الحديث وقدم بغداد حاجا سنة ستمائة ومعه كتاب سماه بالمحصل فى شرح المفصل، للزمخشرى فى النحو وعاد إلى مرو وسمع أبا سعدابن السمعانى وغيره وكان فاضلا ثقة .

وفيها : توفى الشيخ أبو الثناء محمود بن عثمان بن مكارم النعالى الحنبلى الزاهد : ولد فى سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ببغداد بالبدرية وقرأ القرآن وسمع الحديث ، وكان آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، وكان له رياضات ومجاهدات وساح فى بلاد الشام وغيرها ، وبنى رباطا بباب الأزج يأوى إليه أهل العلم من المقادسة وغيرهم ، وكان يؤثرهم وانتفع به خلق كثير . وكان شيخاً مهيباً لطيفاً كيساً باشاً متبسما يصوم الدهر ويختم القرآن كل يوم وليلة ولا يأكل إلا من غزل عمته

وحكى أنه كان ببغداد رجل عوانى يقال له شروين وكان فاتكا ذا شر إذا رأى امرأة أو صبياً مستحسناً فى طريق معه فإذا صادف رجلا من أولاد الناس لزمه . وقال كانت هذه أو هــذا عندك ومقصوده يأخذ منه شيئا ويقول له امش إلى الحبس فيأخذ ما معه . قال . فسألنى جماعة من الأخيار أن نمضى إلى زيارة قبر معروف الكرخى واشترى مأكولا وعبرنا دجــلة وقد تبعنا شروين ولم نعلم فدخلنا بستاناً وقعدنا نأكل وإذا به قد هجم علينا وقعد بيننا فخاف الجماعة منه ومد يده فأخذ لقمة فصحت عليه صيحة عظيمة . وقلت له . ويلك قم فنحن لايأكل معنا إلا من هو ولى لله تعالى . قال : فتغير لونه ورمى باللقمة من يده وولى منصرفاً وما عاد إلى مثلها وكانت وفاة محمود فى صفر ودفن برباطه رحمه الله تعالى .

سنة ٦١٠ه:

ثم دخلت سنة عشر وستمائة ففيها . أمر العادل بإحداث تركيب سلاسل ، على أفواه السكك المجاورة للجامع ومدعاها أيام الجمع لمنع الخيل من قرب أبواب الجامع وذلك لما كان ينال الناس من المشقة من زحمة الخيل التى يركبها بعض المصلين إلى الجامع ، فحصل للناس بذلك رفق عظيم ثم ترك ذلك بعد زمان وعاد الأمر إلى ما كان عليه إلى الآن وعمل بعض المتفرغين فى ذلك نظما كان يغنى به فى الأسواق أوله :ــ

إن ذا عام جــديد إن ذا يوم سعيد
والمدينـــة هاربـــة قيــدوها بالحــديد
كل جمعــة يسجنوها كأنهــم مايعرفوهــا
والنبى لو أطلقوهــا ما برح باب البريــد

وفيها : وصل الفيل من الديار المصرية ليحمل هدية إلى الكرج وازدحم الناس للتفرج عليه وذلك فى ثانى صفر .

وفيها : ولد الملك العزيز محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب .

وفيها : قدم إلى بغداد شمس الدين التبتى رسولا من الملك العادل وكان قد أحسن إلى العادل لما حوصر بدمشق وأقرض له أموال التجار وضمنها فرأى له العادل ذلك فأحبه وقربه وحسده الصفى بن شكر وأبعده بالرسالة .

وحج بالناس ابن أبى فراس من العراق . ومن الشام الفرز صديق بن تمرتاش التركمانى على ايلة بحاج الكرك والقدس .

وفيها : قدم الملك الظافر خضر ابن السلطان صلاح الدين رحمه الله من حلب بعزم التوجه إلى الحج فنزل بالقابون يوم الأحد رابع شوال ثم انتقل إلى مسجد القدم خامسه ووصل ابن عمه المعظم من حيث كان بنواحى شام حوران واجتمع على جسر الخشب سادسه وعمل له دعوة بداره تاسعه ودعتهما جميعا عمتهما ست الشام إلى دارها ثامن عشره ورحل من دمشق متوجهاً إلى الحج فى جمع من الحجاج تاسع عشر شوال وخرج معه المعظم فودعه وتوجه نحو الجابية فاجتمع الحاج ببصرى فرحل بهم الظافر منها ضحوه يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال الموافق لثانى عشر آذار فسلكوا طريق تيما إلى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فحصل على الزيارة ثم أحرم بالحج فلما وصل إلى بدر رد من الطريق .

قال أبو المظفر : وكان حج معه يعقوب الخياط المغارى كان مقيما بمغارة الجوع بقاسيون وكان صديق الظافر فلما وصل الظافر إلى بدر وجد عسكر الكامل ابن عمه العادل صاحب مصر قد سبقه خوفا منه على اليمن وقالوا ترجع فقال قد بقى بينى وبين مكة مسافة يسيرة ووالله ماقصدى اليمن وإنما أريد الحج فقيدونى واحتاطوا بى حتى أقضى المناسك وأعود إلى الشام فلم يلتفتوا فرجع إلى الشام وعاد يعقوب الخياط معه ولم يحج .

وحكى لى والدى رحمه الله وكان ممن حج معه فى تلك السنة : أنه شق على الناس ماجرى عليه وأراد كثير منهم أن يقاتلوا الذين صدوه عن المضى فى حجته فنهاهم عن ذلك واختار الرجوع على الفتنة وفعل مافعله النبى صلى الله عليه وسلم عام الحديبية حين صده الكفار عن البيت فقصر من شعره وذبح ماتيسر وكان محرماً من ذى الحليفه ، ولبس ثيابه وودع الناس ورجع وعيون الناس باكية ولهم ضجيج وعويل ولحقهم عليه حزن طويل من جهة صده عن مشاعر الدين وهو ابن مثل صلاح الدين رحم الله الجميع .

وفيها : وصل كتاب من جهة بلاد خراسان من بعض فقهاء الحنفية إلى الشيخ تاج الدين الكندى بدمشق يخبر فيه بخلاص خوارزم شاه محمد من أسر التتر وعوده إلى مملكته وهو أنه كان منازلا لطوائف التتر بعساكره فخطر له أن يكشف أمورهم بنفسه فتنكر ودخل عسكرهم ومعه ثلاثة نفر فى زى القوم فأنكروهم وقبضوهم وضربوا اثنين فماتا تحت الضرب ولم يقروا ، ووكلوا بخوارزم شاه

ورفيقه قريبا بالليل ووصل إلى معسكره سالما وعاد إلى ما كان عليه من التصدي لمنازلتهم .

وفيها : ظهرت بلاطة وهم يحفرون فى خندق حلب فقلعت فوجد تحتها تسع عشرة قطعة من ذهب وفضة على هيئة اللبن ، فاعتبرت فكان منها ذهبا مصريا ثلاثة وستون رطلا بالحلبي وعشرة أرطال ونصف صوري ، وأربعة وعشرون رطلا فضة . ثم وجدوا حلقة من ذهب وزنها رطلان ونصف فكمل الجميع قنطاراً .

وفيها : قتل أحمد بن محمد بن عمر الازجي ويعرف بالموفق نشأ بباب الأزج وسمع الحديث من ابن كليب ، وابن يونس ، وابن طبرزد وغيرهم . وكان فقيراً فخرج إلى الشام واجتمع بالملك الظاهر صاحب حلب وقال له قد بعث تلك الخليفة معى إجازة . وتقول على الخليفة فخلع عليه وأعطاه خمسين ديناراً ودار على ملوك البلاد فحصل له منهم ثلثمائة دينار .

قال أبو المظفر : واجتمعت به فى دمشق وقد رجع من زيارة القدس فقلت له . إلى أين انتهت زيارتك ؟ فقال : إلى لوط وكان مطروحا وبلغنى حديثه فقلت له قد فعلت ما فعلت فلا تقرب بغداد فقال : ، أنتك نخاش وبلاه ، فقلت : ما أخوفنى أن يصح المثل فيك فكان كما قلت . نزل إلى بغداد فى سفينة من الموصل وصعد باب الأزج إلى بيت اخته وقت المغرب فلما كان بعد العشاء الآخرة طرق الباب طارق فقال : من هذا ؟ فقال كلم من يطلبك فخرج وإذا برجل فسحبه عن الباب وضربه بسكين حتى قتله . ثم صاح على الباب . أخرجى خذى أخاك وما معه ، فخرجت أخته واذا به مقتول فأخذت المال ودفنته فى الليل .

وفيها : توفى أبو الفضل احمد بن مسعود بن على التركستانى . الحنفى قدم بغداد وكان قد تفقه وبرع فى علم النظر وانتهت إليه الرئاسة فى مذهب أبى حنيفة ، وولاه الوزير ابن مهدى المظالم ، والتدريس بمشهد أبى حنيفة .

وفيها : توفى أبو محمد اسماعيل بن على بن الحسين الملقب بالفخر غلام ابن المنى ويعرف بابن الرفاء وبابن الماشطة الحنبلى . ولد سنة تسع وأربعين وخمسمائة وقرأ المذهب والخلاف على أبى الفتح . وقرأ طريقة الشريف وصنف له تعليقة وجدلا من كلام الشريف ، وزاد عليه ونقص منه حتى سماه أهل بغداد التظليف من تعليق الشريف . وكان فصيحاً وله عبارة جيدة وصوت رفيع وكان له حلقة بجامع الخليفة يجتمع إليه الفقهاء فيها ويناظرهم . وولاه الخليفة ضياع الخاص فظلم الرعية وجبى الأموال من غير حلها فشكوه إلى الخليفة فسخط عليه وعزله فأقام فى بيته خاملا فقيراً يعيش من صدقات الناس إلى أن مات فى ربيع الأول ودفن بداره بدرب الجب ثم نقل بعد مدة إلى باب حرب وبيعت الدار .

قال أبو المظفر : وولده محمد بن اسماعيل الملقب بالشمس قدم الشام بعد سنة عشرين وستمائة وتعاطى الوعظ . وكان فاسقاً مجاهراً خبيث اللسان ، وكان معه جماعة من المردان من أبناء الناس يقول إنهم مماليكه . وسمى نفسه ابن المنى وإنما هو ابن غلام ابن المنى ، وبدت منه بدمشق ومصر والشام هنات قبيحة وكان يضرب الزغل مع هذه الهنات . وورد خالى أبو محمد يوسف رسولا إلى الكامل فكتب

فى حقه إلى بغداد سيئا وشنع عليه وكان الخليفة هو المستنصر فلم يسمع منه ونفاه الكامل من مصر فجاء الى دمشق وأثنا بها فهجا قاضيها شمس الدين بن الخوئى ، ومحتسبها وشيخ شيوخها الصدر البكرى . وأعيان الدماشقة فهجاهم بقصيدة يقول فيها :ـــ

شيخ شيوخ الشام مسخرة هذا وقاضى قضاتهم نزدى

وكان نازلا فى مدرسة الحنابلة عند الناصح بن الحنبلى فهجا الناصح والمقادسة . واتفق أنه أخذ علاما فى السوق ومعه دراهم زغل ووصل الخبر الى المعظم فاراد قطع يده ثم نفـــاه ومات المعظم وهو بدمشق . وأقام بالشام مدة ثم خطر له النزول الى بغداد فقدمها فى أيام المستنصر بالله وتوصل حتى جلس بباب بدر . ثم شرع فى السعايات بالناس واتفق أن غلاماً له تعرض لبعض حرم الناس من السطح فجاء زوجها وشنع عليه فمضى الى أستاذ الدار ولبس عليه وقال : أمرك الوزير أن تضرب زوجها مائة خشبة وتحلق لحيته . ففعل بالرجل ذلك . وبلغ الخبر المستنصر فقامت عليه القيامة وبعث إلى الوزير فأنكر عليه ، فأحضر أستاذ الدار وسأله عن القضيـة فأحال على غلام ابن المنى فأمر الخليفة بأن يخرج إلى باب النوى ويضرب مائة خشبة ويقطع لسانه ففعلوا به ذلك وأعطوه لسانه فى مداسه بيده ونادوا عليه جزاء من يكثر كلامه وحمل إلى البيمارستان العضدى فتكلم ، وكان قطع لسانه من أصله وبرأ وأخرج من البيمارستان فعاد إلى السعاية بالناس فقال المستنصر : لايجىء من هذا خير أبداً يحمل إلى واسط ويرمى فى مطمورة فنفى إلى واسط والقى فى مطمورة فمات بها فى أيام المستنصر وكان مافعل به المستنصر من أكبر حسناته .

وفيها : توفى ابن حديدة الوزير . واسمه سعيد بن على بن احمد ابو المعالى ولقبه معز الدين . وهو من ولد قطبة بن عامر بن حديدة الأنصارى الصحابى رضى الله عنه . ولد بسامرا سنة ست وثلاثين وخمسمائة ونشأ ببغداد وكان أحد الموسرين له مال كثير ، وجاه عريض واستوزره الإمام الناصر فى سنة أربع وثمانين وخمسمائة وخلع عليه خلعة الوزارة الكاملة القميص الأطلس ، والفرجية المسرح والعمامة القصب الكحلية باعلام الذهب ، وقلده سيفاً محلى وقدم له فرساً من خيل الخليفة فركبه وخرج أرباب الدولة يمشون بين يديه من باب حجرة الخليفة إلى دار الوزارة [وهو الذى كان الشيخ أبو الفرج بن الجوزى يجلس فى داره ويمدحه ، ولم يزل على الوزارة حتى ولى ابن مهدى نقابة العلويين فشرع فيه ومازال بالخليفة حتى عزله واعتقله وطالبه بمال فالتجأ إلى التربة الإخلاطية فلم ينفعه. وأدى المال وأقام فى بيته إلى أن ولى ابن مهدى الوزارة فسلم اليـه فاعتقله فى داره بدرب المطبخ ، وعزم على تعذيبه فواطأ الموكلين به وحلق رأس نفسه ولحيته وخرج فى زى النساء الى مراغة واقام بها حتى نزل ابن مهدى وعاد إلى بغداد فنزل داره بالصوبين وأقام بها حتى توفى فى جمادى الأولى ونقل إلى الكوفة فدفن فى مشهد أمير المؤمنين . وكان جواداً سمحاً كثير الصدقات ، والمعروف، متواضعاً .

وفيها : فى شوال توفى سنجر بن عبد الله الناصرى الذى كان عصى على الخليفـــة ثم عفا عنه . وكان ذليلا بخيلا ساقط النفس مع كثرة البلاد والأموال ، تولى امارة الحاج فى سنة تسع وثمانين وخمسمائة وعاد فى صفر سنة تسعين فاعترض الحاج رجل بدوى من الأعراب يقال له دهمش فى نفر

يسير ومع سنجر خمسمائة فارس فلم يلقه وذله. فطالب دهش منه خمسين الف دينار فجمعها سنجر من الحاج وضيق عليهم، ولما ورد بغداد وكل عليه الخليفة بذلك المال وأخذه منه ورده على أصحابه وعزله عن إمارة الحاج وولاها طاشتكين.

وفيها: توفى تاج الأمناء أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله من بنى عساكر أخو الفخر وزين الأمناء، وهو أكبر منهما، سمع عميه الضياء بن أبى الحسن، والثقة الحافظ أبا القاسم وغيرهما ودفن عند مسجد القدم وخلف أولاداً كثيرين، وكان من أصدقاء الشيخ تاج الدين الكندى. وكان له سمت حسن. وكانت وفاته يوم الأحد ثانى رجب ودفن فى الغد بمقبرة مسجد القدم على جدد لأمه قبلى المحراب.

وفيها: توفى الصفى ابراهيم بن التبنينى ودفن بالجبل وهو والد البدر.

وفيها: توفى بحلب تاج العلاء النسابة الشريف الحسنى الرملى الذى كان بآمد وكان اجتمع هو وأبو الخطاب بن دحية فقال له تاج العلاء: ان دحية لم يعقب فرماه ابن دحية بالكفر فى مسائله الموصلية.

وفيها: توفى عبد الجليل والد الشمس صديقنا النيرجانى راوى كتاب البخارى عن أبى الوقت سمعه عليه خلق كثير بدمشق وكان نازلا بدويرة حمد فى سابع عشر جمادى الأولى ودفن بالجبل.

سنة ٦١١ هـ:

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وستمائة ففيها شرع فى تبليط رواقات الجامع الداخلة، وابتدأ بالحجر الشرقية مكان السبع الكبير فى ثالث عشر المحرم وكانت أرض الجامع كلها قد تكسر رخامها فبقى حفراً وجوراً.

وفيها: فوض تدريس المدرسة النورية الحنفية إلى الشيخ جمال الدين محمود الحصيرى العجمى، وحضر المعظم مع الفقهاء، ودرس فى ثالث ربيع الأول.

وفيها: توفى ابن سيف الإسلام صاحب اليمن واستولى عليها سليمان بن شاهنشاه بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب باتفاق من أجنادها وتزوج بأم ابن سيف الإسلام المتوفى فاذن العادل للكامل فى تنفيذ ابنه إلى اليمن تملكها ففعل فملك آتسيس بن الكامل بن العادل اليمن ويلقب بالملك المسعود، وكان جباراً فاتكا قيل انه قتل باليمن ثمانمائة شريف وخلقاً من الأكابر والعظماء.

وفيها: أخذ المعظم قلعة صرخد من ابن قراجا وعوضه عنها مالا واقطاعا. وحج بالناس من العراق أبو فراس بن ورام نائباً عن محمد بن ياقوت. ومن الشام علم الدين الفضية نصر الله الجعبرى. امام الملك المعظم عيسى.

وفيها: حدثت المعاملة بالقراطيس السود العادلية فبقيت زمانا ثم بطل ضربها وتناقصت من أيدى الناس إلى أن فنيت.

وفيها : أعطى المعظم صرخد وأعمالها مملوكه استاذ داره عز الدين ايبك المعظمي فبقيت في يده إلى أن أخرجه منها الصالح أيوب بن الكامل سنة اربع وأربعين وستمائه .

وفيها : حج بالناس المعظم بن العادل . فسار من الكرك على الهجن حادي عشر ذي القعدة . وعماد الدين بن موسك . والظهير بن سنقر الحلبي وغيرهم . وسلكوا طريق العلاء وتبوك . وجدد المعظم البرك والمصانع . وأحسن إلى الناس وتلقاه سالم أمير المدينة وخدمه وقدم له الخيل والهدايا وسلم اليه مفاتيح المدينة . وفتح الاهراء وانزله في داره وخدمه خدمة عظيمة. ثم سار إلى مكة فوصلها يوم الثلاثاء سادس ذي الحجة وكانت وقفة تلك السنة يوم الجمعة . وانفصل عن مكة بعد اداء الفرض يوم الثلاثاء ثالث عشر الشهر . وقدم المدينة فاقام بها ثم انفصل عنها عائداً إلى الشام بصحبة الأمير سالم صاحبها في الخامس والعشرين منه.

قال أبو المظفر : وحكى لي رحمه الله قال : قلت له أين تنزل فأشار إلى الأبطح بسوطه فقال : هناك . فنزلنا بالأبطح وبعث لنا هدايا يسيرة وحج السلطان على مذهب أبي حنيفة وأتى بجميع المناسك واحياء السنة ، احرم قارنا وبات على ليلة عرفه . وصلى بها الصلوات الخمس . وسار إلى عرفه وقضى نسكه كما أمره الله تعالى .

ولقد رأيت كتفه بعد ما عاد وقد أكلته الشمس وانكشط . وفيسح . فقلت ما هذا ؟ قال : ما غطيت رأسي ولا كتفي منذ ثلاثة عشر يوما . قلت : لم تكن له حاجة إلى كشف كتفه فانه لا يستحب إلا حالة الاضطباع في طواف القدوم والله أعلم .

قال ابو المظفر : وتصدق على فقراء الحرمين بمال عظيم ، وحمل المنقطعين وزودهم وأحسن اليهم ، ولما عاد إلى المدينة شكا اليه سالم من جور قتادة فوعده أن ينجده عليه . قال : ولما رجع كنت مقيما بالكرك فخرجت للقائه مع جماعة من الأعيان ، والأمراء ، والفقراء ، والفقهاء فما التفت إلى أحد منهم ، ولما رآني ترجل عن ناقته وعانقني وسقنا إلى برزا وكان لقاؤنا له على غدير الطرفاء في البرية وشرع يحكي في صفة حجه وما فعل . وكان والده العادل نازلا على خربة اللصوص فقال : أريد أن أبغته حتى لا يلتقيني أحد ، وسار اليه واجتمع به وحكى له خدمة سالم وتقصير قتادة . فجرد جيشاً مع الناهض بن الجرخي الى المدينة والتقاهم سالم فاكرمهم وقصدوا مكة فانهزم قتادة منهم إلى البرية ولم يقف بين أيديهم .

وفيها : هدمت الدور والحوانيت المجاورة للقلعة لتوسيع الخندق ومن جملة ما هدم حمام قايماز النجمي . ووقف دار الحديث النورية وكان قريبا وحوانيت مقابل المار من جهة دار الحديث إلى القلعة

وفيها : في الثامن والعشرين من ذي القعدة الموافق لآخر اذار على إحدى عشر ساعة منه أظلم الجو ووقع شبيه بالرمل إلى بعد المغرب ثم ارتفع ذلك .

وفيها أنشأ المعظم الفندق الكبير المنسوب اليه بأرض عاتكة قبلي القنوات .

وفيها : توفي الأمير بدر الدين دلدرم(١) الياروقي صاحب تل باشر في آخر السنة .

وفيها : توفي ابراهيم بن علي بن محمد بن بكروس الفقيه الحنبلي . ولد سنة تسع وتسعين وخمسمائة. قرأ القرآن وتفقه على مذهب احمد ، وسمع الحديث على أبيه وغيره وشهد عند القاضي ضياء الدين

(١) دلدرم بن ياروق . (ز)

الشهرزورى ، وناظر ، وافتى ، ثم أن الله تعالى مكر به فصار صاحب خبر بباب النوبى ، وزى الثوب الواسع ولبس المرند ، وتقلد السيف وظلم وفتك فى المال والحريم ، ضرب جماعة بالخشب ورماهم فى دجلة وماكانت تأخذه فى أذى مسلم لومة لائم وفى نيابة الباب وكان مآله أن ضرب بالخشب حتى مات تحت الضرب وكان يتوب وهو يضرب ، مايتطرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون ، فكان ذلك آخر كلامه ورمى به فى دجلة ليلا ، وسر الناس بموته لأنه فتك فى المال والحريم وكان أبوه من الصالحين زوجه أبو الفرج بن الجوزى إحدى بناته وليست أم المذكور

وفيها : توفى ركن الدين عبد السلام بن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر الذى أحرقت كتبه بالرحبة وحكم القاضى بتفسيقه على ما ذكرناه فى أخبار سنة ثلاث وستمائة وكان الخليفة قد استأصله حتى طلب من الناس . ثم توصل حتى ولى وكالة الأمير الصغير على الخليفة .

قال أبو المظفر : وكان خالى أبو القاسم صديقه وكذا كانت عادته أن يوالى من يعادى أباه . قال لى خالى أبو القاسم يوما بعد ما مات جدى : تيسر لى صديق يشتهى أن يراك ولم يعرفنى من هو فادخلنى إلى دار شممت من دهليزها رائحة الخمر ودخلنا وإذا الركن عبد السلام جالس وعنده صبيان مردان وهو فى حالة قبيحة لم أقعد . فصاح خالى والركن فخرجت وإذ النعت فتبعنى خالى وقال : خجلتنى من الرجل . فقلت له : لاجزاك الله خيراً وأسمعته غليظ الكلام ومرض عبد السلام بعلة البطن فرمى كبده قطعاً ومات فى هذه السنة .

وفيها : توفى أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك البزاز المعروف بابن الأخضر . ولد سنة ست وعشرين وخمسمائة ، وقيل هو جنابذى الأصل بغدادى الدار والمولد سمع الحديث الكثير وصنف الكتب الحسان من الأبواب والشيوخ والفضائل ، وأول سماعه سنة ثلاثين وخمسمائة ، وكانت له حلقة بجامع القصر يقرأ فيها الحديث ويقرأ عليه ، وتصانيفه تدل على فهمه وضبطه وحسن معرفته وكانت له دكان بزقاق الريحانيين بخان الحسبة ، وكانت وفاته فى شوال وصلى عليه بجامع القصر وحضر جنازته العلماء والأعيان ودفن بباب حرب إلى جانب أبى بكر المرزوقى . سمع قاضى المارستان ، وابن السمرقندى ، وأبا الوقت ، وابن ناصر ، والأنماطى وسعد الخير وغيرهم وكان فاضلا صالحا ديناً عفيفاً لطيفاً .

وفيها : فى شعبان توفى محمد بن على بن نصر الحنبلى الواعظ الدورى أصله من الدور قرية بدجيل سمع أبا نصر ، وأبا الوقت وغيرهما ، وتعاطى الوعظ ولم يكن من صنعته وكان يضاهى أبا الفرج بن الجوزى حتى قيل له أعا أعلم أنت أم أبو الفرج ؟ فقال : ما أرضاه يقرأ على الفاتحة . وبلغ ذلك أبا الفرج . فقال : ما أقرأ عليه الفاتحة بل اقرأ عليه قل هو الله أحد ، وكان يتعصب له حاكة قطفتا ودفن فى رباطه بقطفتا وكان ينتحل أشعار الناس ادعى يوما بيتين لنفسه وأنشدهما على المنبر مشيراً إلى الخليفة وهما لأبى الفتح البستى :ـــ

علم فى دجى الدجى وشهاب كلنا فى ضيائه واقتباسه

متلف الأموال فى وقت بؤس وجواد بالعفو فى وقت بأسه

سنة ٦١٢ هـ :

ثم دخلت سنه اثنى عشر وستمائة وفيها : شرع فى عمارة المدرسة العادلية .

وفيها : وصل الملك المعظم من الحجاز بعد إداءه فريضة الحج والعمرة الى والده الملك العادل وهو بخربة اللصوص بعد المغرب من ليلة الاثنين سابع عشر المحرم ، وفى بكرته وصل الأمير سالم صاحب المدينة النبوية على ساكنها السلام والتحية فركب العادل وتلقاه وبالغ فى اكرامه ودخل الجميع دمشق فى الثالث والعشرين من المحرم . وقدم الأمير سالم هديته من تحف الحجاز وعشرين رأساً من الخيل العراب .

وفيها : وصل الخبر بغارة الفرنج على بلاد الاسماعيلية وأخذهم منها نحو ثلثمائة أسير . وبغارة الكرج على أذربيجان فخزوا ذخائرها وما يزيد على مائة الف أسير .

وفيها : وصل الصلاح بن شعبان الأربلى من مصر مبشراً بفتوح اليمن واستيلاء ولد الكامل عليه وطاعة من به من العسكر له بغير حرب ، وانضمام سليمان شاه المستولى عليه إلى قلعة تعز بعياله وامواله ثم وصل الخبر بتملك ولد الكامل قلعة تعز حصرها وقبض سليمان شاه بن تقى الدين مهيناً ، واحضر إلى مصر تحت الحوطة هو وزوجته بنت سيف الإسلام .

ووصل الخبر من جهة الحجاز بنزول قتادة صاحب مكة على المدينة حرسها الله تاسع صفر وحصرها أياما وقطع ثمرها جميعه وكثيراً من نخيلها وقاتله من فيها وقتل جماعة من أصحابه ورحل عنها خاسراً . وفى سابع ربيع الآخر عزل القاضى الزكى بن محيي الدين عن الحكم بدمشق وأعمالها وولى من الغد جمال الدين ابن الحرستانى وهو ابن اثنين وتسعين سنة فقضى بالحق وحكم بالعدل رحمه الله تعالى . وفى رابع جمادى الآخرة شرع فى عمارة العدلية المقابلة لدار العقيقى من الغرب ، وحضر السلطان لترتيب وضعها بين الصلاتين يوم السبت . ثم احرقت بالنار فى رمضان سنة أربع وعشرين .

وفيها : أبطل السلطان ضمان الخمر والقيان فى الرابع والعشرين من جمادى الآخرة وبقى الأمر على ذلك إلى أن توفى العادل فى سنة خمس عشرة — نحو ثلاث سنين — فكان الذين يريدون شرب الخمر يتكلفون الخروج إلى ضياع جبل سنير(١) فى صيدنايا ومعربا ونحوهما .

وفيها : وصل رسول الخليفة من بغداد إلى دمشق وهو الشيخ شهاب الدين السهروردى ونزل بجوسق العادل فى رمضان وسار إلى لحاق السلطان بالقدس وعاد راحلا إلى بغداد فى خامس عشر شوال

وفى ثالث شعبان سار الأمير سالم صاحب المدينة بمن استخدمه من التركمان والراحل اليها من المخيم السلطانى بالكسوة ، ثم توفى بالطريق قبل وصوله إلى المدينة ، وقام ولد أخيه جماز بالأمر بعده واجتمع أهله على طاعته فمضى بمن كان مع عمه لقصد قتادة صاحب مكة فجمع قتادة عسكره وأصحابه والتقوا

(١) بين بعلبك وحمص (ز) .

بوادى الصفراء ، وكانت الغلبة لعسكر المدينة فاستولوا على عسكر قتادة قتلا ونهبا ، ومضى قتادة منهزما إلى الينبع فتبعوه وحصروه بقلعته وحصل لمحمد بن راجب من الغنيمة ما يزيد على مائة فرس وهو واحد من جماعة كثيرة من العرب الطائيين وعاد الأجناد الذين كانوا مضوا مع الأمير سالم من الشام من التركمان وغيرهم صحبة الناهض بن الجرخى خادم المعتمد وفى صحبتهم كثير مما غنموا من أعمال قتادة ومن وقعة وادى الصفرا من نساء وصبيان وطفل فيهم أشراف حسنيون وحسينيون فاستعبدوا منهم وسلموا إلى المعروفين من أشراف دمشق ليكفلوهم ويشاركوهم فى قسمهم من وقفهم .

وفيها : كسر كيكاوس ملك الروم الفرنج المتغلبين على انطاكية وأخذها منهم وأخذ خوارزم شاه محمد بن تكش غزنة من غير قتال . وأخذ ابن لاون انطاكية من الفرنج ثم عاد أبوس (١) اطرابلس وأخذها من ابن لاون .

وفيها : فى العشرين من المحرم توفى بدمشق الشيخ الفقيه كمال الدين مودود ابن الشاغورى الشافعى وكان فقيها ، صالحا ، دينا ، خيرا ، متواضعا ، زاهدا وكان يقرىء الناس الفقه بالجامع قبالة مقصورة الخطابة احتسابا . ويشرح التنبيه للطلبة . ويطوف روحه على تعليمهم وتفهيمهم لله تعالى . ودفن بمقبرة باب الصغير شمالى الحظيرة التى فيها قبر معاوية وغيره من الصحابة رضى الله عنهم ، وكتب على قبره فى نصيبة حجر أبيات حسنة من نظم الشهاب فتيان الشاغورى رحمهما الله . أفادنى قراءة ذلك على قبره شيخنا أبو الحسن السخاوى رحمه الله . وقد خرجت معه لزيارة القبور فوقف عليه مترحما . وقال لى : اقرأ ما على القبر فانه من نظم الشهاب فتيان فقرأت الأبيات وهو يستحسنها : ــ

كم ضم قبرك يا مودود من دين ومن عفاف ومن بر ومن لين

ما كنت تقرب سلطانا لتخدمه لكن غنيت بسلطان السلاطين

نبكى عليك وعنا أنت فى شغل برد تسليم حور فرد عــين

حتى الانه ضريحا أنت ساكنه حتى ترى منبتا خضر الرياحين

وفيها : توفى بحران يوم السبت ثانى جمادى الآخرة الحافظ عبد القادر بن عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الرهاوى ، ولد بالرها سنة ست وثلاثين وخمسمائة ونشأ بالموصل . وكان مولى لبعض المواصلة فاعتقه فطلب العلم وسمع الحديث الكثير . ويقال انه مولى لبنى فهم الحرانيين . سافر إلى بغــداد . واصفهان ، ونيسابور ، والشام . ومصر وغيرها وأقام بالموصل بدار الحديث المظفرية عدة بها مدة ثم خرج إلى حران فاقام بها إلى أن مات ودفن بها . سمع بمصر الحافظ السلفى ، وببغداد ابن الخشاب ، وشهدة ، وباصبهان أبا عبد الله الرستمى وغيرهم . وكان صالحا مهيبا زاهدا ناسكا خشن العيش صدوقا ورعا رحمه الله .

وفيها : توفى ببغداد فى شعبان الوجيه النحوى . واسمه المبارك بن المبارك أبو بكر الواسطى . ولد سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، وكان حنبليا فآذاه الحنابلة فانتقل إلى مذهب أبى حنيفة . ثم انتقل إلى

(١) وفى ابن كثير (ابريس) . (ز) .

مذهب الشافعي لأسباب عرضت له . وكان يقول : ما انتقلت عن مذهبي . وهجي بأبيات تقدم ذكرها(١) في اخبار سنة تسع وسبعين وخمسمائة . وقرأ الأدب على ابن الخشاب وغيره ، وبرع فيه وكان يقرئه بالمدرسة النظامية ، وله مقدمة في النحو وصلى عليه بالنظامية ، ودفن بالوزيرية عند ابن فضلان رحمه الله .

وفيها : توفى بدمشق يوم السبت الثالث والعشرين من شوال الوجيه ابن البوني واسمه ابراهيم بن يوسف بن محمد بن ابي الفرج المصري أحد مشايخ القراء المعتبرين بجامع دمشق ، وكان يؤم بمقصورة الحنفية الغربية داخل الجامع وكان يعقد حلقة الاقراء خلفه ابن طاوس شرقي البرادة وقبالة حلقة جمال الإسلام ابن الشهرزوري ، وكان فاضلا ، خيرا ، متواضعا ، ساعيا في حوائج الناس . قرأت عليه الجزء الأول من القرآن ودفن بالجبل وكان يوما مشهودا . وفي شوال توفى السديد ابراهيم بن عمر بن سماقة الاسعردي الفقيه الشافعي بخلاط .

وفيها : توفى يوم الجمعة العشرين من ذي القعدة ولد الخليفة الناصر وهو الولد الصغير الذي جعل ولي العهد بدل الكبير واسمه ابو الحسن علي .

قال أبو المظفر : ويلقب بالملك المعظم وكان جواداً كثير الصدقات وافر المعروف كريم الأخلاق حسن العشرة مرض أياما ثم توفى وصلى عليه بتاج الخليفة واخرج التابوت وبين يديه أرباب الدولة لم يتخلف سوى الخليفة وحمل إلى تربة أم الخليفة فدفن معها في القبة.

قال : ومن العجائب انه دخل يوم الجمعة رأس منكلي مملوك السلطان أزبك الذي كان قد عصى على مولاه وعلى الخليفة ، وقطع الطريق ، وسفك الدماء ، وأخذ المال ، ثم تعدت اليه العساكر فقتل أصحابه ونهبت أثقاله وذلك بالقرب من همذان فهرب في الليل فضل عن أصحابه فجاء إلى بيت صديق له في بعض القرى فقيده الرجل ، ثم قتله وحمل رأسه الى ازبك فبعث به الى ابن زين الدين ، فبعث به الى الخليفه وأدخل رأسه بغداد على خشبة ، وقد زين له البلد وظهر السرور والفرح ، ولما وصل الرأس إلى باب درب حبيب وافى في تلك الساعة وفاة علي ابن الخليفة . فوقع صراخ عظيم من دار الخليفة فرد الرأس إلى عقد الكافين ورمى في بيت في الخان وكوسات منكلي مشققة ، واعلامه منكسة ، وانقلب ذلك السرور حزنا ، وأمر الخليفة بالنياحة عليه في أقطار بغداد ، ففرشوا البواري والرماد ، وخرج العواتق من خدورهن ونشرن شعورهن ولطمن ، وقام النوائح في كل ناحية ، وعظم حزن الخليفة

---

(١) وهي :

فمن مبلغ عني الوجيه رسالة	وان كان لا تجدى اليه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل	وفارقته اذ أعوزتك المآكل
وما اخترت رأي الشافعي تدينا	ولكنما تهوى الذي هو حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر	إلى مالك فافطن لما أنا قائل

بحيث امتنع من الطعام والشراب ، وغلقت الأبواب وعطلت الحمامات ، وبطل البيع والشراء ، وجرى فى بغداد ما لم يجر فى بلد آخر وكان الخليفه قد رشحه للخلافة ففعل فى ملكه ما أراد ورد الخلافة إلى أخيه الأكبر أبى نصر بعد ما كان صرف عن ولاية العهد لأجله . وخاف على ولدين أبا عبد الله الحسين ولقبه المؤيد . ويحيى ولقبه الموفق .

وفيها : توفى بدمشق الصمصام أبو ساروخ النجمى ، والشريف مؤمن . وفى رابع ذى الحجة توفى الشريف مجد الدولة ابراهيم بن أبى الحسن الحسينى بدمشق .

سـنة ٦١٣ هـ :

ثم دخلت سنة ثلاث عشر وستمائة ففيها : أحضرت الأوتاد الخشب لأجل قبة النسر فى الجامع بدمشق وعدتها أربعة طول كل واحد منها اثنان وثلاثون ذراعا بذراع النجارين حيث كانت قطعت من الغوطة والدخول بها من باب الفرج الى المدرسة العادلية إلى باب الناطفانيين ، وأقيم هناك لها الصارى ورفعت ثم وضعت .

وفيها : فى المحرم أيضاً شرع فى تحرير خندق باب السر وهو المقابل لدار الطعم العتيقة المجاورة لنهر بانياس وكان المعظم ومماليكه وعسكره ينقلون التراب كل واحد يأخذ معه قفة يجعلها على قربوس سرجه ويمضون جميعا مع المعظم نحو الميدان الأخضر يفرغون القفاف ويرجعون يفعلون ذلك كل يوم ثم انقسموا فرقتين وكان المعظم وعسكره ينقلون يوما وكان أخوه الصالح اسماعيل مع من انضم اليه من العسكر ينقلون يوماً والناس فى الخندق يعملون ، وكثير منهم يتفرجون ، وكان كل يوم عمل الخندق على طائفة من أهل البلد ، وعمل فيه الفقهاء ، والصوفية ، ولم يبق احد . ونظم فى ذلك أشعار كان يغنى بها فى الأسواق وتحت القلعة .

وفيها : كانت الحادثة بدمشق بين أهل الشاغور والعقيبة وحملهم السلاح وقتالهم بالرحبة والصيارف وركوب العسكر للفصل بينهم وحضور المعظم من جوسق الريس لتسكين الفتنة وكان مقيما به ، وقبض جماعة من مقدمى الحارات منهم ريس الشاغور وأودعوا السجن فى السادس والعشرين من ربيع الأول . ووصل الخبر بتسلم نواب الكامل الينبع من نواب قتادة حماية له من قاسم بن جماز صاحب المدينة على ساكنها السلام ، وكان قاسم بن جماز أخذ وادى القرى ونخلة من قتادة وهو مقيم به ينتظر الحاج حتى يقضوا مناسكهم وينازل هو مكة بعد انفصالهم عنها .

وفيها : سار المعظم من قرية العبادية بالمرج إلى أخيه الأشرف على الهجن فى البرية على مسافة بظاهر حران بعد أن كان وصل فى سيره فقاوضه فى أمر حلب وذلك حين كان بلغه موت صاحبها ابن عمه الظاهر غازى صلاح الدين ، وكان قد سبق من الأشرف الاتفاق مع القائم بأمرها فرجع إلى العبادية بعد سبعة عشر يوماً ، ولم يظهر للناس إلا انه كان منصوراً .

وفيها : ترتب الخطيب بالمصلى لاقامة الجمعة به تاسع عشر رمضان ، وأول من خطب به الصدر

وكان شيخاً ، صالحاً ، فقيهاً ، معيداً بالمدرسة العادلية ، ثم خطب بعده بهاء الدين بن أبى اليسر ثم بنو حسان إلى الآن ..

وفيها : امتنع تجار الفرنج من الوصول إلى الاسكندرية وصار وصولهم الى عكا بالبضائع وبيعهم بها لحصل لملك عكا جملة وافرة وبلغ ضمان قصبتها مائة وعشرين ألف دينار وكانت سنة قليلة الأمطار غالية الأسعار .

وفيها : سافر أبو المظفر سبط ابن الجوزى الى خلاط قال : وبعث الخليفة كتاب روح العارفين إلى الأشرف وعرضه على العلماء الذين هم فى خدمته وأمرهم أن يشرحوه فلم يقدروا على شرح حديث واحد فأشاروا الى شرحه وتبيين مافيه من الفوائد فشرحته ، والنسخة موقوفة بدار الحديث الأشرفية بدمشق . قال : وجلست بجامع خلاط وحضر الأشرف وبكى وانتفع .

ووصل شهاب الدين عبد السلام بن أبى عصرون من حلب رسولا من الملك العزيز بن محمد بن الظاهر إلى الخليفة يسأله تقريره على ما كان عليه أبوه . ونزل الأشرف من خلاط إلى حران فى شعبان ، وسألنى الجلوس بجامع حران فضربت له خركاة فى الجامع وحضر وكان يوماً مشهوراً وجلس فى الخركاة ، وجاء الفخر بن تيمية الخطيب فقعد عنده ، وكتبوا إلى رقاعا كثيرة فجمعتها وقلت أتركوها إلى يوم مجلس شيخكم يجيب عنها فهو يطول روحه عليكم . أما هذا اليوم فالوقت ما يحتمل فأعجب الأشرف وانقضى المجلس . فقلت للأشرف : لابد لى فى هذه السنة من شيئين أحدهما الحج على بغداد ، والثانى الاعتكاف بالرقة . فقال : مبارك . وخرجت من حران فى آخر شعبان أريد الرقة فبينا أنا بين مسلمة (١) والرقة وإذا بنجابين بينهم رجل عليه بغلطاق (٢) أحمر فقلت لأصحابى هذه شمائل الملك المعظم . فقالوا : الملك المعظم فى دمشق ايش جاء به إلى هنا . فلما قربوا منا وإذا به المعظم ، وقد أعيت ناقته فنزل وتحدثنا وأكلنا شيئا كان،وأعطانا ناقته وأخذ فرسى ، وقال أين أخى ؟ فقلت فى الزراعة فساق واجتمعنا ، وفاوضه فى أمر حلب وكان الأشرف قد حلف لشهاب الدين طغريل الخادم وأنه اتابك العزيز محمد بن الظاهر ، فشق ذلك على المعظم ولم يقل شيئا وجاءا معاً إلى الرقة وأنا معتكف بالخانكاه وحضرا عندى وسار المعظم إلى دمشق وجهزنى الأشرف إلى الحج وعمل لى سبيلا مثل سبيله وتوجهت إلى بغداد.

وحج بالناس من العراق ابن أبى فراس ، ومن الشام علم الدين الجعبرى ، وعدت من الحج على طريق العلا ، وتبوك ، وجمعت بين زيارة النبى صلى الله عليه وسلم وبين زيارة الخليل عليه السلام فى المحرم .

وفيها : فى ثانى صفر توفى بالقاهرة العضد مرهف بن مؤيد الدولة أسامة بن منقذ وله من العمر اثنتان وتسعون سنة ونصف ، وشيع السلطان جنازته . وكان جليلا عند الملوك وأبوه من قبله ، وقد ذكرنا من أخباره فى التاريخ وفى كتاب الروضتين مادل على جلالة بيته وأدبه ، وشجاعته ، وفضائله مع طول

---

(١) حصن ينسب لمسلمة بن عبد الملك . (ز) .

(٢) نوع من القباء راجع التوفيقية (١٠ — ٣٤) . (ز) .

عمره رحمه الله . وفى جمادى الأولى قتل المعروف بابن القشب الكتبي بباب الجامع بيد الاسماعيلية وكان ينسب إلى خدمتهم متهماً بمذهبهم بقرب باب السلامة عند غروب الشمس به من يوم الأحد السادس والعشرين منه .

وفيها : فى الرابع والعشرين من جمادى الآخرة توفى الشيخ حسان بن قوام الرصافى بدمشق . وفى أول رجب توفى الشريف اسماعيل بن ثعلب بالقاهرة . وفى ثامن ذى القعدة توفى الشريف المدعى الخلافة المستولى على صنعاء وما والاها من أرض اليمن وقام ولده مقامه فلم يغن شيئاً ، واستعبد منه كثير مما تغلب عليه أبوه . وفى ثالث المحرم توفيت بدمشق خاتون الشهرزورية وبلغت من العمر حدود مائة سنة .

وفيها توفى صاحب حلب الملك الظاهر غازى بن يوسف بن أيوب وعمره أربع وأربعون سنة وتسعة أشهر وخمسة أيام ، ومدة ولايته حلب ثلاثون سنة وتسعة أشهر وأيام . ولما اشتد مرضه أوصى بالملك لولده الأصغر محمد لأنه من بنت عمه العادل ، وطلب بذلك أن يستمر الأمر له لأجل جده العادل ، وأخواله . وأولاده لأنهم ملوك البلاد يومئذ ، وأوصى بالملك من بعده لولده الأكبر أحمد ، ثم من بعده للمنصور محمد ابن أخيه العزيز عثمان صلاح الدين الذى كان أبوه أوصى له بملك فلم يتم العادل له ذلك . وكان العادل قد زوجه ابنته ، وفوض ولاية القلعة إلى خادم أبيض يعرف بالشهاب طغريل كان وصل إلى خدمته من بلاد الروم . وكان مشتهراً بالزهد فصار له عنده مكانة .

قال أبو المظفر : وكان الظاهر مهيباً له سياسة وفطنة وكانت دولته معمورة بالعلماء ، والفضلاء ، مزينة بالملوك والأمراء . وكان محسناً إلى الرعية وإلى الوافدين عليه ، وحضر معظم غزوات والده ، وانضم إليه أخوته وأقاربه ، وكان ملجأً للغرباء ، وكهفاً للفقراء يزور الصالحين ويعتقدهم ، ويغيث الملهوفين ويرفدهم قال : وكان يتوقد ذكاء ، وفطنة ، سريع الادراك جلست عنده فى سنة اثنتى عشرة وستمائة وكان الأشرف قد أرسلنى إليه فى قضايا لا يطلع عليها كاتب . وكتب كتاباً بيده إلى الظاهر وكان بمجلس فقير ممن يحضر مجالسى قبل ذلك فى سنة ثلاث وأربع وخمس وستمائة وكان ذلك الفقير يقوم فى المجلس ويصيح : واه . واه . فيزعج الحاضرين وكان صالحاً والظاهر انه تغير حاله . فلما جلست سنة اثنتى عشرة عند الظاهر بقى ذلك الفقير يخترق ويقول : كيف أعمل ويرددها . فقال الظاهر قدموه إلى عندى فقدموه إليه فقال له هذا الذى تقول يقول الشيخ ماهو عليح . قال : بلى . قال : إن أردت أن تصيح صيح فبقى الحاضرون وحضر فى ذلك المجلس رجل عجمى يقال له أبو بكر النصيبى وكان صالحاً وكان يحمل عصا أبنوس فطابت قلوب الجماعة فى ذلك اليوم وبكوا فقام النصيبى ودار وجاء إلى الظاهر وقال له : أنت فرعون ماتتحرك . وثار فى وجه النصيبى مثل التفاحتين وخرج من المجلس فمات بعد ثلاث . وحضرنا عنده يوم الخميس فى دار العدل فجىء بامرأة قد تحدثت على شخص واعترفت بالكذب فقال القاضى ابن شداد : ماذا يجب عليها ؟ قال : التأديب فقال نضرب بالدرة شريعة ويقطع لسانها سياسة . فقلت له : الشريعة هى السياسة الكاملة وما عداها يكون تعدياً عليها . فأطرق فأدبت المرأة وسلمت من قطع اللسان . وله من هذا الجنس نوادر فى الموارد والمصادر . وتوفى ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة بعلة الذرب ودفن بقلعة حلب ، ثم بعد ذلك نقل إلى مدرسته التى أنشأها . وقام بعده ولده الملك العزيز محمد وأتابكه شهاب الدين طغريل الخادم فقام بأمره أحسن قيام واشتمال الملك

الأشرف بدينه متى شاء ، ويقضين متى شاء ، فحفظ مملكة حلب على ولد الظاهر بحسن تدبيره الى أن كبر واستقل به .

وفيها : توفى الشيخ العلامة تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندى ، أوحد العصر ، وفريد الدهر رواية ودراية ، بأنواع علم الأدب ، وجمع أصول الكتب ومتعه الله بطول العمر وعلو المنزلة عند الملوك والأمراء ، والقضاة ، والأعيان ، وجلالة من كان يتردد إلى منزله وحيث كان للسماع عليه والاقتباس من فوائده وفرائده . وكان مولده فى الخامس والعشرين من شعبان سنة عشرين وخمسمائة . وقرأ القرآن بالروايات ، وله عشر سنين على شيخه الشيخ أبى محمد عبد الله بن على سبط الشيخ أبى منصور الخياط . وهو الذى رباه وكان حصيصا به فاسمعه عليه وعلى غيره كتباً كثيرة مثل كتاب سيبويه ، والمقتضب للمبرد ، والحجة لأبى على الفارسى ، وقرأ العربية أيضا على أبى السعادات بن الشجرى ، واللغة على أبى منصور الجواليقى ، وسمع الحديث الكثير من ابن ناصر ، وابن السمرقندى ، والأنماطى ، وسعد الخير ، ومحمد بن عبد الباقى الأنصارى ، وأبى منصور القزاز ، وروى عنه تاريخ بغداد للخطيب وغيرهم . وكان مسكنه بدمشق يعرف بدرب العجمى فكم ازدحم فى ذلك الدرب من شيوخ العلم وطلبته أولاد الملوك وخدمتهم . ومتى ما أراد اعتبار ذلك فلينظر فى الكتب التى عليها طبقات السماع عليه ليعلم جلالة من كان يتردد اليه . وكان فارق بغداد فى سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، وورد الديار المصرية فسمع بفضله فتقرب اليه من هو من أهله ، فاشتمل عليه عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب وهو : ابن أخى صلاح الدين ، ثم ولده الملك الأمجد صاحب بعلبك من بعده ، ثم بالشام تردد اليه الملك الأفضل على فى سلطنته ، وأخوه الملك المحسن ابنا صلاح الدين والملك المعظم عيسى بن العادل وغيرهم . وأخبرنى القاضى ضياء الدين بن أبى الحجاج صاحب ديوان الجيوش المصرية رحمه الله وكان من أعز من رأيت بأخبار الناس ، وعمل للشيخ أبى اليمن مشيخة حسنة . قال : سألته كيف كان اتصاله بعز الدين فرخشاه ؟ فقال : كنت بمجلس القاضى الفاضل رحمه الله فى داره بالقاهرة فدخل عليه فرخشاه فلما استقر بمجلسه جرى ذكر شرح بيت من الشعر لأبى الطيب المتنبى فذكرت منه شيئاً فأعجب فرخشاه . فسأل القاضى الفاضل عنى فقال : من هذا ؟ قال : هذا العلامة تاج الدين الكندى أو كما قال فنهض فرخشاه وقبض على يدى وأخرجنى معه إلى منزله ودام اتصالى به . وكان يحضر مجلسه للقراءة فى داره والسماع منه جميع المتصدرين بجامع دمشق من المشايخ المعتبرين . كأبى الحسن السخاوى ، ويحيى بن معطى ، والوجيه اليونى ، والفخر التركى ، وغيرهم . وقال لى شيخنا أبو الحسن رحمه الله : أنا حرضت الملك المحسن على التردد اليه فحمل ذلك ابن عمه الملك المعظم على ملازمته والقراءة عليه . وقال فى كتابه شرح المفصل : انبت جماعة من أهل العربية منهم : الشيخ الفاضل أبو اليمن زيد بن الحسن الكندى رحمه الله تعالى وكان عنده فى هذا الشأن ما لم يكن عند غيره ، وأخذت عنه كتاب سيبويه . وقرأت عليه كتاب الإيضاح لأبى على مستشرحاً ، وأخذت عنه كتاب اللمع لأبى الفتح ، وكان واسع الرواية ، وافر الدراية ومن العجب أن سيبويه اسمه عمرو والكندى اسمه زيد فقلت فى ذلك :

لم يكن فى عصر عمرو مثله ... وكذا الكندى فى آخر عصر

وهما زيد وعمرو إنما ... بنى النحو على زيد وعمرو

وهذا معنى حسن وهو نظير قول أبى شجاع بن الدهان من أبيات تقدم ذكرها فى أخبار سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة . وهى : —

النحو أنت أحق العالمين به ... أليس باسمك فيه يضرب المثل

وقرأ على شيخنا أبى الحسن من نظمه قصيدة فائقة جامعة لفضائل أبى اليمن الكندى رحمه الله وهى : —

أيها الدائب المعنى المعانى ... مقتضى الكد فى معانى المعانى
لذباب الكندى زيد أبى اليمـ ... ـن إمام الأنام فرد الزمان
فعقول الورى فى الفهم عنه ... ذات فقر للفضل والعرفان
هو بحر فيه نفيس لآل ... وسواه كالآل عند العيان
غير بدع ان قر فى البحر در ... وهو تاج والدر للتيجان
صورة صورة من السؤدد المحـ ... ـض وطيب الأنفاس والأحسان
علم سيبويه منفرد فيه ... باسناده وبالأتقان
وكذا شرح سيبويه وماحـ ... ـل بأقطارها له فيه بان
وكتاب الأيضاح قد فاق فيه ... بحلى الأيضاح والتبيان
وكذا كامل المبرد مع مقتضـ ... ـب النحو ذى الفصول الحسان
وأصول السراج واللمع الفر ... د وشرحاه حبذا الشرحان
والذى حرر ابن برهان فى النحـ ... ـو وما قال قبله الرمانى
وكذا الحجة الذى فاق فيه ... علماء الأعصار والأزمان
والتفاسير والقراءات والتجـ ... ـويد فيها ومشكل القرآن
وحديث النبى والقول فيه ... قوله فى غريبه والبيان
والتواريخ والقوافى من الشعـ ... ـر وعلم العروض والأوزان
وله فى العروض مالم تجده ... لمجيد القريض فى ديوان
بين جزل غدا حبيب حبيب ... وحسان كانت هوى حسان
يقظ واسع المجال رحب البـ ... ـاع فيما ينأى عن الأذهان
يرشد العاقل الذكى من السهـ ... ـو بقلب ذى فطنة يقظان
وجنان له وقد جاوز التسـ ... ـعين حولا نضارة المنفوان
ويد برقم الطروس كما نصـ ... ـل عقيان ناظم بجمان
فانظر الخط واسمع اللفظ تنعم ... ثم فى روضتى يد ولسان
وقر الله بعد طول بقاء ... فى نعيم نعيمه فى الجنان

قال أبو المظفر ابن سبط الجوزى : شيخنا تاج الدين الكندى انتهت اليه القراءات ، والروايات ، وعلم النحو واللغات . قرأت عليه من كتاب الصحاح ، والمتنبى والحماسة ، والإيضاح ، والمعرب لابن الجواليق ، وكان يحضر مجالسى بجامع دمشق ، وقاسيون ويقول : أنا قد صرت من زبون المجلس .

وكان حسن العقيدة ، طيب الخلق ، ظريفا ، لا يسأم الإنسان من مجالسته وله النوادر العجيبة . ولما خرجت فى سنة سبع وستمائة إلى القراة كتب لى إلى نابلس كتابا بخطه وكان يكتب مثل الدر :ــ

جزى الله بالحسنى ليالى أحسنت إلينا بإيناس الحبيب المسافر
ليـالى كانت بالسرور قصيرة ولم تك لولا طيبها بالقصائر
فيالك وصلا كان وشك انقضائه كزورة طيف أو كنغمة طائر

قال وكتب أيضاً :ــ

أيا ساكناً قلبى على بعد داركم لقد عيل صبرى منذ شطت نواكم
سرى معكم نومى فأصبحت بعدكم ألوم الدرى منه وأبكى سراكم
رضيتم بعادى عنكم فرضيته لأنى أهواكم وأهوى هواكم
شجانى غرام لو وفيتم ببعضه لقلب المعنى فيـكم لشجاكم
أعيدوا لنا عيد الوصال على اللوى سقى الله أيام النوى وسقاكم
دعانى اشتياقى لم تصبكم سهامه فياليتـه لما دعانى دعاكم
وانى لأخشى أن أموت بغصتى عليكم ولا أبقى إلى أن أراكم
ولو كان قلبى كالقلوب لغيركم لقد كان لما أن سلوتم سلاكم

وله ديوان شعر . قال: وحكى لى قال: كتبت إلى الملك الأمجد إلى بعلبك :ــ

لا يضجرنكم كتبى إذا كثرت فأن شوقى أضعاف الذى فيها
والله لو ملكت كفى مهادنة من الليالى التى أحيا بناديها
لما تصرم لى فى غير داركم ليل ولاحت إلا فى نواحيها
عدوا احتمالكم لى حين أضجركم من الصلات التى منكم أرجيها

قال وكتب إلى بخطه وهى له ــ

إنا لتتحفنا بالشوق كتبكم وإن بعدتم فان الشوق يدنيها
فكيف نضجر منها وهى مذهبة من وحشة الشوق لوعات نعانيها
وإن ذكرتم لنا فيها اشتياقكموا فعندنا منـكم أضعاف ما فيها
سلوا نسيم الصبا تهدى تحيتنا إليكم فهى تدرى كيف تهديها

قال : وكان المعظم عيسى رحمه الله يقرأ عليه دائما . قرأ عليه كتاب سيبويه نصا وشرحا ، والإيضاح

والحماسة ، وشيئاً كثيراً ، وكان يمشي من القلعة راجلا إلى دار تاج الدين والكتاب تحت أبطه توفي رحمه الله يوم الإثنين سادس شوال وأنا يومئذ متوجه إلى الشرق على بغداد ، وصلي عليه بجامع دمشق وحمل إلى قاسيون فدفن به ولم يتخلف عن جنازته أحد من الأعيان وعمره ثلاث وتسعون سنة وشهر وستة عشر يوما ، وكان صدوقا ثقة قلت وقرأت في ديوانه بخطه : —

لبست من الأعمار تسعين حجة   وعندي رجاء بالزيادة مولع
وقد أقبلت إحدى وتسعين بعدها   ونفسي إلى خمس وست تطلع
ولاغرو ان آتي هنيدة سالماً   فقد يدرك الإنسان ما يتوقع
وقد كان في عصري رجال عرفتهم   حبوها وبالآمال فيها تمتعوا
وما عاف قبلي عاقل طول عمره   ولا لامهم من فيه العقل موضع

هنيدة اسم علم على المائة (؟) وقرأت بخطه فهرس كتبه التي وقفها على فتاه ياقوت ، ثم على ولده ثم على العلماء فوجدتها سبعمائة وإحدى وستين مجلداً في علوم القرآن مائة وأربعون ، الحديث تسعة عشر ، الفقه تسعة وثلاثون ، اللغة مائة وثلاثة وأربعون ، الشعر مائة واثنان وعشرون ، النحو والتصريف مائة وخمسة وسبعون ، علوم الأوائل من طب وغيره مائة وثلاثة وعشرون ، وكان معتقه نجيب الدين ياقوت قد هيأ له خزانة كبيرة بمقصورة ابن سنان الحنفية المجاورة لمشهد زين العابدين بجامع دمشق ، ونقل اليها جملة من هذه الكتب ، ثم انها تفرقت وخرجت عن الخزانة وعدمت وبيع جملة منها سراً وجهراً نسأل الله عفواً وغفراً وصيانة وستراً . وكان الشيخ تاج الدين رحمه الله قد عمل شرحا لديوان أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي فلما انتهى سماعه عليه كتب شيخنا أبو الحسن الثابت وفيه بيتان يريد بهما مصنفه أبا اليمن الكندي وهما : —

فلو ان احمد يدري بما   بنال من السعد ما قاله
لرام من التيه وطء السهى   وجـر عـلى النجم أذياله

وأخبرني صاحبنا جمال الدين احمد بن عبد الله بن شعيب وكان أحد من قرأ على الشيخ تاج الدين أنه كان مع علو منزلته وجلالته متواضعا مع طلبته ، يخاطب كلا منهم بقوله : يا سيدنا . قال : وكنا نقرأ يوما عنده أنا ورفاقي فدخل الذات المدلج فجلس فسكتنا فقال الشيخ للعظيم : إنما سكتوا لأجل السلطان ولم يفرغوا من حزبهم . فقال : لا والله إنما القراءة بالنوبة فتمموا . فأمرنا الشيخ فأتممنا حزبنا . قال : وكان منصفا لمن يدخل عليه وانشد سمعته وهو يعتذر لهم عن ترك القيام لكبره وأنشد : —

تركت قيامي للصديق يزورني   ولا ذنب لي إلا الإطالة في عمري
فان بلغوا من عشر تسعين نصفها   تبين في ترك القيام لهم عذري

ومن شعره وقد شرب دواء :

تداويت لامن علة خوف علة   فأصبح دائي في خلال دوائي

فيا عجب الأقدار من متحذلق يحاول بالتدبير رد قضاء

وفيها : توفى أبو الغنائم محمد بن حمزة بن أحمد . ويقال له ابن ساروخ الكاتب النيلى العراقى ، ولد بالنيل سنة ثمان عشرة وخمسمائة وسمع شيوخ ذلك العصر . وسافر إلى الشام والروم ، ومدح الملوك والأمراء . وذكره العماد فى الخريدة وقال : قدم دمشق ومدح امراءها وعاد إلى بغداد فكبر وأسن وانقطع فى بيته إلى آخر عمره وكان بارعا وله رسائل ، ومكاتبات ، وأشعار رائقة ، والفاظ فائقة شائقة فمن شعره . .

يا شايم البرق من نجد كاظمة	يبدو مراراً وتخفيه الدياجير
إذا سقيت الحيا من كل معصره	وعاد مغناك خصباً وهو ممطور
سلم على الدوحة الغناء من سلم	وعفر الخد إن لاح التعافير
أحن شوقاً إلى تلك الرياض وقد	ضاها بنفسجها ورد ومنثور
ومالت السرو فى خضر الثياب كما	تمايلت فى الحرير الأخضر الحور
والغصن سكران من ظل الندا فإذا	دعا ابن ورقاء اضحى وهو مخمور
وشائقات على الأغصان قد رقدت	عنهن فى غسق الداجى النواطير
فظل يسجعن حتى كدت من ولهى	اقضى ولكنما فى العمر تأخير
لكن وجدى بترجيع الهديل وما	غردن باق إلى أن ينفخ الصور

وكانت وفاته ببغداد فى رمضان .

وفيها : توفى محمد بن الحافظ عبد الغنى المقدسى . ولقبه عز الدين ولد سنة ست وسبعين وخمسمائة ، وسمع الحديث ، ورحل إلى اصبهان ثم عاد إلى بغداد وقرأ مسند احمد ببغداد ، وسمع أبا الفرج ابن الجوزى وغيره وعاد إلى دمشق وحدث عن أصحاب الحداد وغيرهم . وكانت له حلقة بجامع دمشق ، وصحب الملك المعظم عيسى وسمع بقراءته الكثير ، وكان حافظاً ديناً زاهداً ورعا وتوفى بقاسيون رحمه الله

وفيها : توفى أبو الفتوح محمد بن على بن المبارك بن الجلاجلى البغدادى التاجر ويلقب بالكمال . ولد سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، وقرأ القرآن وسافر إلى الأقطار وسمع الشيوخ ، وكان يتردد من الخليفة إلى الأشرف فى رسائل خفية . سمع ببغداد أبا السعادات المبارك بن على الوكيل ، وأبا بكر عبد الله بن النقور ، وابن البطى . وبالاسكندرية الحافظ أبا الطاهر السلفى وغيرهم ، وكان عاقلا دينا صالحا ثقة صـــدوقا بساما متواضعاً ومات بالقدس .

وفيها : توفى محمد بن يحيى بن عبد الله بن نصر بن النحاس الواسطى الأديب كتب من واسط إلى المظفر سبط ابن الجوزى رحمهما الله : —

وقائلة لمــا عمرت وصار لى ثمانون عاما عش كذا وابق واسلم
ودم وانتشق روح الحيـاة فانه لأطيب من بيت بصعدة مظلم
فقلت لها عذرى لديك ممهد ببيت زهـــير فاعلمي وتعلمى
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حــولا لامحالة يسأم

وفيها : توفى أبو جعفر يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد أربع مرات – العلوى الحسينى البصرى يعرف بابن أبى زيد ولى نقابة الطالبيين بالبصرة بعد أبيه مدة ، وسمع الحديث من أبيه وغيره ، وقرأ الأدب على أبى على بن الأحمر الحانى بالبصرة ومولده سنة ثمانى وأربعين وخمسمائة ، وقدم بغداد ومدح الإمام الناصر بقصائد وكان رقيق الشعر ، توفى ببغداد فى رمضان ودفن بمقابر قريش ومن شعره : –

هذا العذيب وهذا الزند والبان فاحبس فلى فيه أوطار وأوطار
آليت والحر لايلوى أليتـه ان لايلذ بطيب النـوم أجفان
حتى تعود لياليتا التى سلفت بالأجر عين وجيران كما كانوا

سنة ٦١٤ هـ :

ثم دخلت سنة أربع عشرة وستمائة قال أبو المظفر : فيها قدم شيخ الشيوخ صدر الدين بن حموية إلى بغداد رسولا من العادل ، وتقدم بعده ولده فخر الدين رسولا من الكامل بن العادل إلى أخيه المعظم فى خطبة بنته الابنه ، وحضر المعتمد لطرح البلاطة الخاتمة بيده بحضرة مقصورة الحصر فى ثالث المحرم

وفيهـا : قدم بأسرى فرنج وعلى صدر كل واحد منهم رأس فرنجى مقتول معلق ، واحضرت خيمة فرنجية سرقها العرب من خيم الفرنج بظاهر عكا قيـل انها كنيسة لهم فنصبت فى الميدان الأخضر الصغير وحمل فيها طعام للفقراء .

وفيها : ذكر محيي الدين محمد بن يحيي بن فضلان الدرس فى النظامية

وفيهـا : زادت دجلة زيادة عظيمة وركب الخليفة فى شعبان وخاطب الناس وجعل يقول لهم : لو كان هذا الماء رد بمال أو حرب دفعته عنكم ولكن أمر الله ما لأحد فيه حيلة ، وانهدمت بغداد بأسرها والخان ، ووصل الماء إلى رأس السور وبقى مقدار أصبعين حتى يطفح على السور فأيقن الناس بالهلاك وقام سبع ليال وثمانية أيام ثم نقص الماء وبقيت بغداد من الجانبين تلولا لا أثر لها .

وفيهـا : قدم محمد خوارزم شاه إلى همذان بقصد بغداد فى أربع مائة الف على ماقيل وقيل ستمائة الف واستعد له الخليفة وفرق الأموال والسلاح . وأرسل إليه الشيخ شهاب الدين السهروردى فى رسالة فأهانه واستدعاه وأوقفه إلى جانب تخته ولم يأذن له فى القعود فحكى الشيخ شهاب الدين قال : استدعانى فأتيت الى خيمة عظيمة لها دهليز لم أر فى الدنيا مثله ، والدهليز والشقة أطلس والاطناب حرير

وفي الدهليز ملوك العجم على اختلاف طبقاتهم منهم صاحبة همذان ، وأصبهان ، والري وغيرها . ثم دخلت إلى خيمة أخرى ابريسم وفي دهليزها ملوك خراسان . مرو . ونيسابور وبلخ وغيرها ثم دخلت خيمة أخرى وملوك ما وراء النهر في دهليزها كذلك ثلاث خيام فدخلنا عليه وهو في خركاة عظيمة من ذهب وعليها سجاف مرصع بالجواهر وهو صبي له شعرات قاعد على تخت ساذج وعليه قباء بخاري يساوي خمسة دراهم ، وعلى رأسه قطعة من جلد تساوي درهما . فسلمت عليه فلم يرد ولا أمرني بالجلوس فشرعت فخطبت خطبة بليغة ذكرت فيها فضل بني العباس ووصفت الخليفة بالزهد ، والورع . والتقى ، والدين . والترجمان يعيد عليه قولي . فلما فرغت قال للترجمان : قل له هذا الذي يصفه ما هو في بغداد بل أنا آجي وأقيم خليفة يكون بهذه الأوصاف ثم ردنا بغير جواب ونزل الثلج عليهم فهلكت دوابهم وركب خوارزم شاه يوما فعثر به جواده فتطير . ووقع الفساد في عسكره وقلت الميرة وكان معه سبعون ألفا من الخطا فرده الله تعالى . . ونكب تلك النكبة العظيمة وسنذكرها .

وذكر المنشىء محمد بن احمد النسوي في كتابه الذي ذكر فيه وقائع التاتار مع علاء الدين محمد خوارزم شاه المذكور ومع ولده جلال الدين وقد اختصرته قال : حكى القاضي مجير الدين عمر بن سعد الخوارزمي أنه أرسل إلى بغداد مراراً آخرها لأجل مطالبة الديوان بما كان لبني سلجوق من الحكم والملك ببغداد فأبوا ذلك وصحبت في عودة بالشيخ شهاب الدين السهروردي رسولا مدافعاً قال : وكان عند السلطان من حسن الاعتقاد برفيع منزلته ما أوجب تخصيصه بمزيد الاكرام ومزية الاحترام تمييزاً له عن سائر الرسل الواردة عليه من الديوان فوقف قائما في صحن الدار ثم أذن للشيخ في الدخول فلما استقر المجلس بالشيخ قال رحمه الله : إن من سنة الداعي للدولة القاهرة أن يقدم على أداء رسالته حديثاً من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تيمناً وتبركا فأذن له السلطان في ذلك وجلس على ركبتيه تأدباً عند سماع الحديث فذكر الشيخ حديثا معناه التحذير من أذية آل العباس رضي الله عنهم . فلما فرغ الشيخ من رواية الحديث . قال السلطان : أنا ما آذيت أحداً من ولد العباس ولا قصدتهم بسوء وقد بلغني أن في محابس أمير المؤمنين منهم خلقا مخلدين يتناسلون بها ، فلو أعاد الشيخ الحديث بعينه على مسامع أمير المؤمنين كان أولى وأنفع . فعاد الشيخ والوحشة قائمة بحالها ثم عزم على قصد بغداد وقسم نواحيها أقطاعا وعملا وسار إلى أن علا عقبة أسد أباد فنزل عليه ثلوج حلت الأباطح والأعلام ، وغطت الخراكي والخيام ، ودام ثلاثة أيام بلياليها ، فعظم إذ ذاك البلاء ، واعضل الداء ، وشمل الهلاك خلقا من الرجال ولم ينج شيء من الجمال ، وتلفت أيدي رجال وأرجل آخرين . فرجع السلطان عن وجهه ذلك حينئذ عما هم به ويئس من مطلبه .

وفيها : كانت حفلة السلطان العادل من الفرنج لما اجتمعوا وخرجوا عليه ووصلوا إلى عين جالوت وهو ببيسان فأحرقها وطاير إلى جهة عجلون . ووصل الغور وقطع الفرنج خلفه الأردن وأوقعوا بالبزك (١) وغاروا على البلاد وكتب العادل إلى المعتمد وإلى دمشق بالاهتمام والاستعداد واستخدام

(١) الحرس . (ز)

الرجان ؛ وتدريب دروب قصر حجاج ، والشاغور ، وطرف البساتين ونقل غلة داريا إلى القلعة وتغريق أراضيها بالماء فان الفرنج مظهرون قصدها ، وتحصين البلد لأجل هذه النازلة وأرسل السلطان إلى ملوك الشرق مستحثاً لعساكرهم ؛ ووصل إلى مرج الصفر ، ونزل به بقية الشام لاجتماع العساكر اليه وردت خزائنه اليه بعد أن كانت وصلت إلى مسجد القدم فى السحر للدخول إلى دمشق . وجفلت أهل القرى من عقربا ، وحرستا ، وغيرهما وغلت الأسعار وعزم الناس على النزوح عن البلد متى تحققوا طلوع الفرنج من الغور ؛ وكان للناس ضجيج بالجامع فى أوقات الصلاة وبكاء ودعاء ثم رجع الفرنج متوجهين إلى عكا بمن حصل فى أيديهم من الأسارى بعد أن تمت غاراتهم وصلوا إلى رنو النصارى وماقرب منها ، والى افيق وإلى كثير من أعمال الشعرا والناس بين أيديهم جافلين . ووصل الملك المجاهد أسد الدين صاحب حمص مع من اجتمع معه من العساكر لنجدة الإسلام ولم يبق بالبلد أحد إلا خرج لتلقيه وكان يوما مشهوداً طلعت له الشمس عند حرستا فما وصل إلى البلد الا وقت الظهر من كثرة الناس فى طريقه ودخل من باب الفرج ومضى على قدمه إلى دار الست فرج الشام أخت العادل الكبرى أقام عندها ساعة ، ثم عاد إلى داره وبات بها وأصبح متوجهاً إلى السلطان فسكنت قلوب الناس بدمشق بقدومه وزال خوفهم.

وقال أبو المظفر وفيها : انفسخت الهدنة بين المسلمين والفرنج ، وجاء العادل من مصر بالعساكر فنزل على بيسان والمعظم عنده فى العساكر الشامية ، وخرج الفرنج من عكا ومقدمتهم ملك الهنكر فنزل عين جالوت فى خمسة عشر ألفاً ، وكان شجاعاً مقداماً ومعه جميع ملوك الساحل فلما أصبحوا ركب الهنكر فى أوائلهم وقصد العادل ، وكان العادل على تل بيسان فنظر فرأى انه لاقبل له بهم فتأخر فقال له المعظم إلى أين ؟ فشتمه بالعجمية وقال له بمن اقاتل اقطعت الشام مماليك وتركت أولاد الناس الذين يرجعون إلى الأصول وذكر كلاما فى هذا المعنى وساق فعبر الشريعة وعند رقاء ؛ وجاء الهنكر إلى بيسان وبها الأسواق والغلات والمواشى وشىء لايعلمه إلا الله تعالى فأخذ الجميع ؛ وارتفع العادل إلى عجلون ؛ ومضى المعظم فنزل نابلس والقدس على عقبة أفيق خوفاً على القدس وأقام الفرنج على بيسان ثلاثة أيام ورحلوا طالبين قصر ابن معين الدين . وسار العادل فنزل رأس الماء وصعد الفرنج عقبة الكرسى إلى خربة اللصوص والجولان وأقاموا ثلاثة أيام ينهبون ويقتلون ويأسرون ثم عادوا فنزلوا الغور وبعث العادل أثقاله إلى بصرى ونساءه . وأقام على رأس الماء جريدة ولما نزل الفرنج الغور جاء العادل فنزل عالقين ؛ ثم نزل الفرنج تحت الطور يوم الأربعاء ثامن عشر شعبان وأقاموا إلى يوم الأحد ثانى رمضان وكان يوما كثير الضباب فما أحس بهم أهل الطور إلا وهم عند الباب قد الصقوا رماحهم بالطور ففتح المسلمون الباب وخرج اليهم الفارس والراجل وقاتلوهم حتى ردوهم أسفل الطور فلما كان يوم الثلاثاء رابع رمضان طلعوا بأمرهم ومعهم سلم عظيم فزحفوا من ناحية باب دمشق والصقوا السلم بالسور فقاتلهم المسلمون وقتالا لم يجر فى الإسلام مثله ، ودخل رماح الفرنج من المرامى من كل ناحية فضرب بعض الزراقين السلم بالنفط فأحرقه وقتل عنده جماعة من أعيان الفرنج منهم كندكبير

فلما رأوه مقتولا صاحوا . وبكوا . وكسروا عليه رماحهم . واستشهد فى ذلك اليوم من أبطال المسلمين الأمير بدر الدين محمد بن أبى القاسم . وسيف الدين بن المرزبان وكان من الصالحين الأجواد . وأغلق المسلمون باب الطور (١) وباتوا يداوون الجرحى . وضربوا مشورة . واتفقوا على انهم يقاتلون قتال الموت ولا يسلمون أنفسهم لئلا يجرى عليهم ماجرى على أهل عكا . وكان فى الطور أبطال المسلمين . وخيار عسكر الشام . وأوقد الفرنج حول الطور النيران . فلما كان وقت السحر يوم الخميس سادس رمضان رحلوا طالبين عكا وجاء المعظم فصعد (٢) وأعطاهم المال . والخلع وطيب قلوب الناس . ثم اتفق العادل والمعظم على خراب الطور كما سيأتى ذكره . وقيل ان المعظم انفذ كتابا إلى الخليفة وفى أوله بيتان وهما للأمير عبد المحسن الكاتب الحلبى :—

قل للخليفة لا زالت عساكره لهـا إلى النصر إصدار وإيراد

ان الفرنج بحصن الطور قد نزلوا لا يغفلن حصن الطور بغداد

ولما انفصل الفرنج عن الطور قصد ابن اخت الهنكر جبل صيدا وقال : لابد لى من أهل هذا الجبل فقال صاحب صيدا : وقال : هؤلاء رماة ولا تقدر عليهم وعر الجبل وصعد فى خمسمائة من ابطال الفرنج إلى جزيرة ضيعة المبادنة قريبا من مشعرا فأخلاها أهلها وجاء الفرنج نزلوا بها وترجلوا عن خيولهم ليستريحوا فانحدرت عليهم المبادنة من الجبال فأخذوا خيولهم وقتلوا عامتهم وأسروا ابن اخت الهنكر فهرب من بقى منهم نحو صيدا . وكان معهم رجل يقال له الجاموس من المسلمين قد أسروه فقال لهم : أنا أعرف إلى صيدا طريقا سهلا أوصلكم اليه فقالوا : ان فعلت أغنيناك فسلك بهم أودية وعرة والمسلمون خلفهم يقتلون ويأسرون . فعلموا أن الجاموس غرهم فقتلوه ولم يفلت إلى صيدا سوى ثلاثة أنفس بعد أن كانوا خمسمائة وجاء إلى دمشق بالأسارى وكان يوما عظيما . وحج بالناس من العراق ابن أبى فراس

وفيها : توفى بهاء الدين احمد بن أبى الفضائل الميهنى شيخ رباط الخلاطية من بيت التصوف وكان أبوه أبو الفضائل واسمه عبد المنعم شيخ المشايخ وسيد الصوفية . وكان الخليفة قد سلم إلى بهاء الدين رباط الخلاطية وأوقافها ثقة فيه من غير مشرف ولا عمل حساب فاقام مدة يقصده الناس من البلاد واطراف بغداد . وأرباب البيوت . والفقهاء . والفقراء . والأعيان فما رد قاصدا ولا منع سائلا . وكان له الجاه العظيم والذكر الجميل وكان له مملوك عبد أسود اسمه ريحان فخان فى الأموال . وبلغ الخليفة وأخذه فأقر وقال . المال عند أخت بهاء الدين فعزل بهاء الدين عما كان عليه فرأى الذل والهوان بعد العز والامكان . ومرض بهاء الدين فى تلك الحال فولى الخليفة القاضى الريحانى أمر الرباط وحمل بهاء الدين إلى بيت اخته على نهر عيسى فتوفى ثامن رجب ودفن فى الشونيزية فى صفط الجنيد عند أبيه سمع شهدة الكاتبة . وابن البطى وغيرهما وصحب أباه وأخذ عنه طريقة التصوف

---

(١) وفى مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى : وجرح جماعة منهم عن القتال وبات الناس عشية الاربعاء (٢) الطور وبكى على بدر الدين ابن أبى القاسم وابن المرزبان ومن قتل .

وفيها : توفى الشيخ العماد الحنبلي وهو الحافظ عبد الغنى الزاهد العابد الورع واسمه : أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي ولد بجماعيل سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، ثم سافر إلى بغداد ، وقرأ القرآن على أبى الحسن على بن عساكر بن المرحب البطائحي وغيره ، وسمع الحديث الكثير ببغداد ودمشق ، وكان معتدل القامة شعره إلى أذنيه مليح الوجه بساماً عابداً مجتهداً لا يدخر من الدنيا شيئاً حسن الصلاة كثير السجود والدعاء يقرأ القرآن والفقه دائماً فى الحلقة بجامع دمشق . ويجتمع اليه الطلبة كل ليلة بعد العشاء الآخرة فيحملهم إلى بيته ، ويحضر لهم من الطعام ما تيسر ، وما تعرض لأحد من أبناء الدنيا قط لا إلى سلطان ولا الى غيره .

قال أبو المظفر : ولا تحرك بحركة ، ولا مشى خطوة ، ولا تكلم كلمة إلا لله تعالى ، وكان يتعبـــد بالاخلاص ولقد رأيته مراراً بالحلقة فى جامع دمشق والخطيب يوم الجمعة — على المنبر فيقوم عماد الدين ويأخذ الأبريق ويضع بلبله فى فيه على رءوس الاشهاد ويوهم الناس كأنه يشرب وانه اصائم ، وكان الشيخ الموفق يثنى عليه ويقول : أعرف العماد من صغره وما عرفت انه عصى الله تعالى قط . وكان من خيار اصحابنا وأعظمهم نفعاً وأشدهم عبادة وورعا وأكثرهم صبراً على تعليم القرآن والفقه ، داعية إلى السنة وأقام بدمشق يعلم الفقراء ويطعمهم ويبذل لهم ماله ونفسه وطعامه ، وكان من أشد الناس تواضعاً واحتقاراً لنفسه ومارأيت أشدخوفاًلله تعالى منه ، وكان كثير الدعاء والسؤآل ، طويل الركوع والسجود ، يصوم يوما ، ويفطر يوما ، وكان إذا سمع عليه جزء وكتبوا على ظهره سمع على العالم الورع ينهاهم عن ذلك ، وسافر الى بغداد مرتين ، الأولى فى سنة تسع وستين وخمسمائة صحبة الموفق بعد أن حفظ القرآن وغريب الحديث ومختصر الخرقى ، وتفقه فى بغداد على أبى الفتح بن المنى وافتى وناظر . والسفرة الثانية سنة إحدى وثمانين صحبة عزالدين ابن أخيه عبد الغنى الحافظ ، وصنف كتاب الفروق بين المسائل الفقهية ، وكتاب الأحكام ، ولم يتممه . قال : وكان يحضر مجالسى دائما بجامع دمشق وقاسيون لاينقطع إلا من عذر ، ويقول صلاح الدين يوسف فتح الساحل ، واظهر الإسلام ، وانت يوسف أحييت السنة بالشام . قلت : السنة التي يشير اليها كون أبى المظفر رحمنا الله وإياه كان كثيراً مايورد على المنبر من كلام جده أبى الفرج وخطبه مايتضمن إمراء آيات صفات البارى عز وجل وما جاء فى الأحاديث الصحاح من ذلك على ماورد من غير ميل إلى تأويل ولا تشبيه ولاتعطيل ومشايخ الحنابلة العلماء هذا مختارهم وهو جيد لكن الإكثار منه على اسماع العوام ربما يحمل أكثرهم على شيء من التشبيه فاذا قرن به مايشرحه وينفى توهم التشبيه كان اولى والله اعلم .

قال أبو المظفر : ولما كان عشية الأربعاء سادس عشر ذى القعدة صلى العماد المغرب بجامع دمشق وكان صائما وافطر فى داره على شيء يسير فجاءه الموت فى الليل فجعل يقول ياحى يا قيوم ياذا الجلال والاكرام . وتوفى فغسل وقت السحر وأخرجت جنــازته إلى جامع دمشق فما وسع الناس الجامع ، وصلى عليه الموفق بحلقة الحنابلة بعـد جهد جهيد ، وكان يوما لم ير فى الإسلام مثله كان أول الناس عند مغارة الدم ورأس الجبل الى الكهف وآخرهم بباب الفراديس ولولا المبارز والمعتمد رحمه الله وأصحابه لقطعوا أكفانه وما وصل إلى الجبل إلى آخر النهار وقال : وتأملت الناس من أعلا قاسيون إلى

الكوكب إلى قريب الميطور لو رى الإنسان عليهم إبرة لما ضاعت . فلما كان فى الليل نمت وأنا مفتكر فى جنازته وذكرت أبيات سفيان الثورى التى أنشدها فى المنام : ـــ

نظرت إلى ربى كفاحا وقال لى   هنيئاً رضاى عنك يابن سعيد
فقد كنت قواما إذا أقبل الدجى   بعـــبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أى قصر أردته   وزرنى فانى منك غير بعيـــد

وقلت : أرجو أن العماد يرى ربه كما رآه (١) سفيان عند نزول حفرته ونمت فرأيت العماد فى النوم عليه حلة خضراء وهو فى مكان متسع كانه روضة وهو يرقى فى درج مرتفعة فقلت يا عماد الدين كيف بت فانى والله مفكر فيك ؟ فنظر إلى وتبسم على عادته وقال : ـــ

رأيت إلهى حين انزلت حفرتى   وفارقت أصحابى وأهلى وجيرتى
فقال جزيت الخير عنى فاننى   رضيت فها عفوى لديك ورحمتى
دأبت زمانا تأمل الفوز والرضى   فوقيت نيرانى ولقيت جنتى

فانتبهت مرعوبا وكتبت الأبيات ، سمع ببغداد أبا محمد الخشاب النحوى ، وشهدة الكاتبة ، (٢) وغيرهما . وبالشام أبا المكارم عبد الواحد بن محمد بن المسلم (٣) وعبد الله بن صابر وغيرهما (٤) ورثاه الصلاح موسى (٥) بن الشهاب بأبيات منها : ـــ

ياشيخنا ياعماد الدين قد قرحت   عينى وقلبى منك اليوم متبول
أوحشت والله ربعاً كنت تسكنه   لـكنه اليوم بالأحزان مأهول
كم ليلة بت تحييها وتسهرها   والدمع من خشية لله مسبول
وسجدت طال ما طال القنوت بها   قد زانها منك تكبير وتهليل

قلت : كان رحمه الله كثير الصلاة مطيلا لاركانها قياما ، وركوعا ، وسجوداً . شاهـــدته مصليا بالجماعة فى حلقة الحنابلة مراراً ولم يكن لهم فى حياته هذا المحراب الآن انما كان يصلى بالجماعة هو تارة والموفق تارة إلى خزانتين مجتمعتين فى موضع المحراب الآن سنة سبع عشرة او نحوها لجدد لهم هذا المحراب . وسببه أن قاضى دمشق جمال الدين يونس بن بدران حسن للسلطان المعظم عيسى

---

(١) يعنى فى المنام (ز) .
هذه الزيادة من كتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى وهى : (٢) وعبد الحق بن عبد الخالق بن احمد بن يوسف (٣) وسلمان بن على الدمشقى (٤) وروى لنا عنهم (٥) كان الصلاح عارفا ، أديبا ذا معرفة بالشعر والأدب ، فاضلا ، عاقلا ، ظريفا ، حلو الشعر والمنطق رثاه بأبيات أولها : ـــ

الحمد لله فى كل الأمور فما   يقضى الإله علينا فهو مقبول
نرضى بما جاءنا منه ونشكره   على الرؤوس قضاء الله محمول

ابن العادل أن يجمع خزائن الكتب التي في الجامع إلى مشهد ابن عروة فنقلت الخزائن من الزاوية الغربية ، ومن الكلاسة . ومن أروقة الجامع فكان من جملة المنقول الخزانتان اللتان لحلقة الحنابلة فبقى مكان صلاة إمامهم مكشوفا ، فتعصب لهم الركن الأمير المعظمى فى عمل هذا المحراب فركب فى ليلة ذلك اليوم وصلى فيه الشيخ الموفق ، ومن بعده وردت الخزانتان إلى الحلقة فجعلتا عن يمين المحراب ويساره والشيخ العماد هو الذى سن الجماعة فى الصلوات المقضية وكان يصلى بالجماعة بحلقتهم بين المغرب والعشاء ما قدره الله تعالى وبقى ذلك بعده مدة . حضرت جنازته والصلاة عليه رحمه الله .

وفيها : توفى القاضى جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل الأنصارى شيخ القضاة العالم العادل المعمر الزاهد ، ولد بدمشق سنة عشرين وخمسمائة ، وأصل أبيه من قرية بقرب دمشق تسمى حرستا ، قدم دمشق ونزل منزله بباب توما وأم بمسجد الزينبى ، ثم أم فيه ابنه جمال الدين بعده إلى أن انتقل إلى مسكنه بالحويرة قبالة الجامع . شارك الحافظ أبا القاسم على بن الحسن رحمه الله فى كثير من مشايخه الدمشقيين سماعا . وفى الغرباء اجازة . سمع بدمشق جمال الاسلام أبا الحسن على بن المسلم ، وعبد الكريم بن حمزة بن الخضر ، وأبا الحسن على بن احمد بن قبيس المالكى وغيرهم . ورحل إلى حلب وسمع بها أبا الحسن على بن سليمان المرادى الحافظ أكثر كتب الحافظ البيهقى وغيرهما . ثم رجع إلى دمشق فأقام بها وكان آخر من حدث عن عبد الكريم الحداد . وجمال الاسلام سماعا ، وممن أجاز له من أهل نيسابور أبو عبد الله الفراوى ، وهبة الله بن سهل السيدى ، وزاهر بن طاهر الشحامى ، وأبو المعالى الفارسى ، وعبد المنعم بن أبى القاسم القشيرى . ومن أهل بغداد قاضى المارستان ، وابن السمرقندى ، والأنماطى وغيرهم . وكان مواظبا للصلوات فى الجماعات . يصلى فى الصف الأول بمقصورة الخضر بالجامع قبالة محرابها دائما ، وهنالك كان يقرأ عليه الكتب المسموعة ويجتمع خلق عظيم مع حسن سمته وسكونه وهيبته . وكان بارعا فى فقهه ، حكى لى الفقيه عز الدين أبو محمد العز بن عبد السلام أيده الله وهو الآن حى بالديار المصرية أنه لم ير أفقه منه وعليه كان ابتداء اشتغاله ، ثم صحب الشيخ فخر الدين بن عساكر رحمه الله فسألته عنهما فرجح ابن الحرستانى وقال : أنه كان يحفظ الوسيط للغزالى ولى القضاء قديما نيابة بدمشق فى أيام شرف الدين بن أبى عصرون ، وكان يكتب له فى الأسجال فى القضايا ، ولما أضر شرف الدين بقى هو على نيابته مع ابنه محى الدين بن أبى عصرون ، فلما عزل وولى محى الدين بن الزكى استقلالا وهو شاب لم ير النيابة عنه وبقى منقطعا فى بيته إلى أن ولاه العادل المدرسة المجاهدية التى فى الرصيف فبقى مواظبا على التدريس بها وإسماع الحديث بمقصورة الخضر التى يصلى بها إلى أن عزل الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب رحمه الله عن قضاء دمشق فى سابع ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وستمائة قاضى القضاة زكى الدين أبا العباس الطاهر بن قاضى القضاة محى الدين أبى المعالى محمد بن على القرشى وأخذ منه مدرسة العزيزية والتقوية ، وأعطى التقوية للشيخ فخر الدين بن عساكر ، وأعطى العزيزية مع القضاء لجمال الدين بن الحرستانى . واعتنى به العادل اعتناء كثيرا ، وأقبل عليه وأكرمه بحيث أرسل إليه مايفرشه تحته فى مجلس الحكم لكبره وضعفه ومايستند إليه ، وكان يجلس للحكم بمدرسة المجاهدية ، وناب بها عنه عماد الدين عبد الكريم ، وكان يجلس بين يديه وإذا قام الشيخ يستند مكانه ، ثم إنه منعه من أى شىء سمعه عنه ، وناب عنه أيضا أكابر شيوخ القضاة

يومئذ شمس الدين بن الشيرازى ، وكان يجلس قبالته فى الأيوان بالمجاهدية ، وشمس الدين بن سنى الدولة وبيت له دكة فى الزاوية القبلية بقرب المدرسة ، وشرف الدين بن الموصلى الحنفى بمجلس المحراب بها ، وبقى بالقضاء نحوا من سنتين وسبعة أشهر ثم توفى يوم السبت رابع ذى الحجة وكانت له جنازة عظيمة حفلة ودفن بجبل قاسيون حضرت الصلاة عليه بالجامع ، ومقابر باب الفراديس ، وكان له يوم توفى خمس وتسعون سنة ولغرابة ولاية القضاء لمن هو فى هذا السن قال شاعر الشام فى وقته شهاب الدين فتيان الشاغورى هذين البيتين :ـــ

يا من تدرع فى حمل الحمول ويا معانق الهم فى سر وإعلان

لا تيأسن روح من بادى لدى مائة قاضى القضاة الجمال بن الحرستانى

على أنه رحمه الله امتنع عن الولاية لما طلب لها حتى ألح عليه فيها ، وكان فى مدة ولايته صارماً ، عادلا ، حاكما بالشريعة المطهرة ، جاريا على طريقة السلف فى لباسه واقتصاده فى أمره ، وعفته ، وصيانته ، وعدم الالتفات إلى الأكابر فى الشفاعات فى الأحكام ، ولقد بلغنى أنه ثبت لديه حق لامرأة على بيت المال فأحضر الوكيل جمال الدين المصرى وأمره أن يسلم إليها ما ثبت لها ، فاعتذر بضيق الوقت وكان فى آخر النهار ، وقال : فى غد أسلم إليها ، فقال : ربما أموت أنا الليلة ويعوق حقها ، فقيل إنها كانت تدعى بستانا قد وضع النواب أيديهم عليه وقد ثبت حقها لديه فأمر الوكيل أن يسلمه إليها ويشهد عليه بأنه ثبت حقها ، ولا دافع له من جهة بيت المال فاستمهله إلى الغد لدخول المساء ، وكان قد أشعلت القناديل وهم بالمدرسة فقال القاضى : ربما أموت أنا الليلة وترجع أنت أيها الوكيل ربما تعنتهم وتطلب إعادة البينة عند الحاكم الذى يقوم بعدى ثم وكل به من لا يفارقه حتى يسلم إليها البستان ، ويشهد عليه بذلك ، وقام القاضى وأخذ سجادته على كتفه ومشى ليصلى بالجامع على عادته بمقصورة الخضر فوافق وصوله إلى الجامع أذان المغرب فصلى ومضى إلى بيته وكان أوصى إذا أشهد عليه الوكيل أن يحملوا الكتاب إليه ليقف عليه فجاءه الكتاب إلى داره فوقف عليه فلما علم أنه قد استقصى حق المرأة سلم كتابها إليها . وقيل انه كان مالا بالمخزن فما زال به حتى أنفذ إلى أستاذ الخشرية فجمعهم وفتحوا مخزنهم بقيسارية الفرش ودفعوا إلى المرأة حقها .

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزى : كان القاضى جمال الدين بن الحرستانى ، زاهداً ، عفيفا ، عابداً ، ورعا ، نزها ، لا يأخذه فى الله لومة لائم ، واتفق أهل دمشق على أنه ما فاتته صلاة بجامع دمشق فى جماعة إلا إذا كان مريضا ينزل من بيته إلى الحورة فى سلم طويل فيصلى ويعود إلى داره ومصلاه بيده ، وكان مقتصداً فى ثيابه وعيشه ، وما كان يمكن أحداً من غلمان القضاة يمشى معه بل كأنه بعض الناس . قال : وحكى لى ولده قال : كان أحد بنى قوام يعامل الملك المعظم عيسى فى السكرة ويتجر له فمات ابن قوام فطرح ديوان المعظم يده على تركة ابن قوام وبعث المعظم إلى القاضى يقول : هذا الرجل كان يتاجر لى بمالى والتركة لى وأريد تسليمها . فأرسل اليه القاضى يقول : لا أسلم إليك تركته حتى تحلف إنك تستحقها . فقـــال المعظم : والله ما احقق مالى عنده . فقال القاضى وأنا والله ما أسلم إليك حتى تحلف فما حلف المعظم ولا أثبت القاضى له شيئا . وحكى لى جماعة من الدماشقة : أن الملك العادل سيف الدين كتب لبعض خواصه كتابا يوصيه به فى خصومة بينه وبين رجل فجاء إليه ودفع إليه الكتاب فقـــال : إيش فيه . قال :

وصية لى . قال : أحضر خصمك . فأحضره والكتاب بيده ولم يفتحه وادعى على الرجل فظهر الرجل على حامل الكتاب فقضى عليه . ثم فتح الكتاب وقرأه ورمى به إلى حامله وقال : كتاب الله قد حكم على هذا الكتاب . فمضى الرجل إلى العادل وبكى بين يديه وأخبره بما قال فقال العادل : صدق. كتاب الله أولى من كتابى . وكان يقول للعادل ما أحكم إلا بالكتاب والسنة وأنا ما سألتك القضاء فان شئت وإلا فأبصر غيرى . قال : وحكى لى الشمس بن خلدون رحمه الله قال : أحضر ولده القاضى علاء الدين بين يديه صحن حلواء أسخنه وقال : ياسيدى كل منه . فغضب وقال : من أين هذا ؟ أتريد أن تدخلنى النار ؟ ولم يأكل . قلت : غلب على ظنه أنه هدية ممن له حكومة . وبلغنى أن ولده هو الذى ألح عليه فى تولية القضاء على كره منه . وحكى لى ولده المذكور قال : جاء إليه الشرف بن عنين فجلس إلى جانبى قبالته وقال : السلطان يسلم عليك ويوصى بفلان فانه له محاكمة فى كذا . وكذا . فغضب وقال : الشرع ما يكون فيه وصية لافرق بين السلطان وغيره فى الحق فقال : صحيح . فقال : إذا كان صحيحا فايش حاجة إلى قولك قال السلطان . قال : وكان إذا غضب من رسائل أرباب الحاجات يأخذ سجادته على كتفه وينهض من المجلس . وتولى القضاء بعده من كان القاضى قبله زكى الدين الطاهر بن محيى الدين ، ثم أن ولده تولى نيابة الحكم بدمشق عن القاضى شمس الدين بن الخليل الخوئى عام حج ، ثم تولاه استقلالا ، ثم تولى خطابة جامع دمشق وهو الآن خطيبه والله الموفق .

وفيها : استشهد الأمير بدر الدين محمد بن أبى القاسم بن محمد الهكارى بالطور على ما تقدم شرحه بعد ان ابلى فى ذلك اليوم بلاء حسنا ، وكان من المجاهدين له المواقف المشهورة فى قتال الفرنج وكان من أكابر أمراء المعظم يستشيره ويصدر عن رأيه ويثق به صلاحه ودينه ، وكان سمحاً ديناً لطيفاً ورعا باراً بأهله وبالفقراء والمساكين كثير الصدقات دائم الصلاة . بنى بالقدس مدرسة للشافعية وقف عليها الأوقاف ، وبنى مسجداً قريبا من الخليل عليه السلام عند قبر يونس عليه السلام على قارعة الطريق وكان يتمنى الشهادة دائما يقول : ما أحسن وقع سيوف الكفار على وجهى وانى فاستجاب الله دعاه ورزقه الشهادة ونقل من الطور إلى القدس فدفن بتربته فى ماملا وهى المقبرة التى تزار بالقدس الشريف

وفيها : توفيت بدمشق العالمة المعروفة بدهن اللوز وكانت شيخة العالمات بدمشق فى ربيع الآخر .

وفيها : توفيت بنت بورعان بدمشق وهى آخر بناته وفاة وانتقل ماخلفته من الأملاك إلى الوقف المشهور عن أختها الكبرى بنت صفية .

وفيها : توفى الشجاع محمود المعروف بالدماغ فى ذى القعدة وكان من أصدقاء العادل فى زمن الشبيبة وبقى معه فى زمن السلطنة مضحكا له ، وحصل له ثروة عظيمة وداره بدمشق جعلتها زوجته مدرسة للفريقين

سـنة ٦١٥ هـ :

ثم دخلت سنة خمس عشر وستمائة ففيها : نزل الفرنج على دمياط فى ربيع الأول وكان العادل بمرج الصفر فبعث العساكر التى كانت عنده إلى مصر الى ابنه فى مقابلة الفرنج وأقام المعظم بالساحل بعسكر الشام فى مقابلة الفرنج .

وفيها : استدعى العادل ولده المعظم وقال له : قد بنيت هذا الطور وهو يكون سببا لخراب الشام وقد سلم الله من كان فيه من أبطال المسلمين والسلاح والذخائر وأرى من المصلحة خرابه ليتوفر من فيه من المسلمين والعدد على حفظ دمياط ، وأنا اعوضك فتوقف المعظم وبقى أياما لا يدخل إلى العادل فبعث اليه فارضاه بمال ووعده فى مصر ببلاد فاجابه فبعث فنقل ما كان فيه من العدد والذخائر إلى القدس وعجلون ، والكرك ، ودمشق .

وفيها : فى يوم الجمعة ثانى عشر ربيع الآخر كسر الملك الأشرف ملك الروم كيكاوس وسببه أن الأشرف جمع عساكر الشرق فى عسكر حلب ودخل بلد الفرنج ليشغلهم عن دمياط ونزل على صافيتا ، وحصن الأكراد ، وكان العادل ببرج الصفر وتقدم الى عالقين فخرج ملك الروم ووصل إلى رعبان يريد أن يلم بحلب ونزل اليه الأفضل من سميساط وأخذوا رعبان وتل باشر وبلغ الأشرف فعاد من صافيتا إلى حلب وقد سبقه ملك الروم إلى منبج وتقدم بعض عسكرهم إلى بزاغة فدخل الأشرف فنزل باب بزاغة وقدم العرب بين يديه فكسروا الروم ورجع صاحب الروم إلى بلاده وأكثر ما نكل فيهم العرب ، ورجع الأفضل إلى سميساط فاسترد الأشرف عبان ، وتل باشر ، وأعطاهما لصاحب حلب وبعث الأشرف سيف الدين بن كهدان ، والمبارز ، وابن خطلخ نجدة إلى دمياط وخطب صاحب آمد للصالح محمود بن ارتق الرومى وقطع خطبة العادل

وفيها : أخذ الفرنج النازلين على دمياط برج السلسلة فى آخر جمادى الأول فارسل الكامل إلى ابنه العادل شيخ الشيوخ صدر الدين يخبره ويستصرخ به فلما اجتمع بالعادل فأخبره فدق بيده على صدره ومرض مرض الموت قلت : واذكر وانا بدمشق حين بلغ الناس أخذ برج السلسلة وقد شق على من يعرفه مشقة شديدة منهم شيخنا أبو الحسن السخاوى رحمه الله ورأيته يضرب يداً على يد ويعظم أمر ذلك وسمعت الفقيه عز الدين بن عبد السلام يسأله عنه فقال هو قفل الديار المصرية . وصدق رحمه الله تعالى فانى لما رأيته فى سنة ثمان وعشرين كما سيأتى ذكره بان لى صحة ما أشار الشيخ اليه . وذلك انه برج عال مبنى فى وسط النيل ودمياط بحذائه على حافة النيل من غربه وفى ناحيته سلسلتان تمتد إحداهما على النيل إلى دمياط ، والأخرى على النيل إلى الجيزة فيمنع كل سلسلة عبور المراكب من ناحيتها إذا أريد ذلك حين قتال العدو فهو قفل البلاد بالديار المصريه إذا اوثقت السلسلتان امتنع على المراكب العبور اليها ومتى لم يكن السلسلة عبرت المراكب وبلغت إلى القاهرة ، ومصر ، والى قوص ، واسوان والله المستعان

وفيها : فى جمادى الآخرة التقى المعظم بالفرنج على القيمون (١) ونصر عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر من الداوية مائة فارس ، وادخلهم القدس منكسة أعلامهم.

وفيها : وصل رسول خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش الى العادل وهو بمرج الصفر فبعث بالجواب مع الخطيب جمال الدين محمد الدولعى الشافعى خطيب جامع دمشق بعد عمه ، ونجم الدين خليل

(١) حصن قرب الرملة بفلسطين (ن) .

ابن على الحنفى قاضى العسكر فوصلا الى همذان فوجدا الخوارزمى قد اندفع بين يدى الخطا والتاتار قد غامر عليه عسكره فسار إلى حد بخارى فاجتمعا بولده جمال الدين فاخبرهما بوفاة العادل فرجعا الى دمشق وكان الخطيب الدولعى قد استناب مكانه فى الخطابة بجامع دمشق ابنه الشمس يونس ولم يكن له أهلية فسعى القاضى زكى الدين وأكابر البلد فى عزله وتولية الشيخ الموفق عمر بن يوسف خطيب بيت الابار إلى أن يقدم الدولعى وكان يسكن بالمدرسة العزيزية فى البيت الأوسط القبلى من البيوت السفلى ويكرر الخطب فى بيته ذلك وفى ايوان المدرسة ، ويخرج فى اوقات الصلوات الى الجامع يصلى بالناس ثم يرجع ويوم الجمعة يكون فى بيت الخطابة يخرج منه بالأهبة السوداء الى المنبر فيخطب ويصلى ثم يرجع فينزع السواد ثم يمضى إلى بيته بالمدرسة إلى أن قدم الخطيب الدولعى فرجع الى مكانه ومنصبه .

وفيها : توفى داود ابن أبى الغنائم أبوسلدان الملهى من بنى ملهم الضرير كان يسكن رباط المأمونية ببغداد ، وكان على رأى الأوائل وانما كان يتستر بمذهب الظاهرية وكان موته بالمحرم ودفن بالشونيزية وقد جاوز السبعين ومن شعره :

إلى الرحمن أشكو ما ألاقى غداة غدوا على هوج النياق

تشدنكم بمن زم المطايا أمر بكم أمر من الفراق

وهل داء أضر من التنائى وهل عيش ألذ من التلاقى (١)

وفيها : (٢)توفى القاضى شرف الدين أبو طالب عبد الله بن زين القضاة عبد الرحمن بن سلطان بن يحيى ابن على القرشى الدمشقى ولى القضاء بدمشق نيابة عن محيى الدين بن الزكى ، ثم عن ابنه زكى الدين الطاهر وهو ابن عمهما يلتقى نسب الجميع الى يحيى بن على المذكور وهو أول من درس بالمدرسة الرواحية ثم بالمدرسة الشامية الحسامية وكانت وفاته فى شعبان يوم الأحد ثالث عشر شعبان وصلى عليه بجامع دمشق ودفن عند مسجد القدم وهو الذى يوجد علامته على الكتب المسجلة . الحمد لله وهو المستعان. قال ابو المظفر : وكان فقيها فاضلا زاهدا ، لطيفا ، عفيفا .

وفيها : توفى أبو الحسن على بن احمد بن روح القاضى المعروف بابن العنبرى كان نائبا عن القضاة ببغداد صحب أبا النجيب السهروردى ، وتفقه عليه وقرأ العربية على المصار ، وكان شيخا كيسا فاضلا متواضعا وكان وفاته فى رمضان ومن شعره : —

وقد كنت أشكو من حوادث برهة واستمرس الايام وهى صحائح

إلى أن تغشتنى وقيت حوادث تحقق ان السالفات منائح

وفيها : توفى القاضى عماد الدين بن الدامغانى الحنفى قاضى القضاة ببغداد واسمه أبو القاسم عبد الله بن

---

(١) البيت الأخير من كتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى

(٢) وفى تاريخ ابن كثير المطبوع هنا تخليط حيث جعل هذه الترجمة لغير صاحبها (ز) .

الحسين ولد فى رجب سنة اربع وستين وخمسمائة وتفقه على مذهب أبى حنيفة ، وعرف الفرائض والحساب . وقسمة التركات مع السمت ، والوقار ، والدين ، والعفة . وأول ولايته القضاء فى سنة ست وثمانين وخمسمائة وعزل فى رجب سنة اربع وتسعين وخمسمائة . فأقام ثمانى سنين قاضيا ثم أعاده ابن مهدى فى سنة ثلاث وستمائة ثم عزل فى سنة احدى عشر وستمائة فكانت ولايته الأخيرة تسع سنين إلا شهور ؛ وتوفى فى ذى القعدة وصلى عليه بالنظامية ودفن بالشونيزية ، سمع الحديث من أبيه أبى المظفر الحسين بن أبى الحسن احمد قاضى القضاة ، ومن عمه أبى الحسن على قاضى القضاة ومن أبى الفرج بن كليب وغيرهم

وفيها : توفى السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد بن أيوب وكنيته أشهر من إسمه سئل عن مولده فقال : فتوح . يعنى لما فتح الرها وما والاها الا تابك (١) زنكى والد نور الدين سنة تسع وثلاثين وخمسمائة فيكون عمره ستا وسبعين سنة . قيل كانت ولادته ببعلبك لما كان والده واليها من قبل زنكى ونشأ فى خدمة نور الدين بن زنكى مع أبيه وأخوته وحضر مع أخيه صـــلاح الدين فى فتوحاته وغزواته . وقام أحسن قيام فى الهدنة مع الانكليز ملك الفرنج بعد اخذهم لعنهـم الله عكا ، وكان صلاح الدين يعول عليه كثيراً واستنابه بالديار المصرية مدة . ثم أعطاه حلب . ثم الكرك وأعماله ، ثم حران ومايتعلق بها . ثم جرى بعد وفاة أخيه بينه وبين أولاده أمور سبق ذكرها إلى أن استقر له الملك .

قال أبو المظفر : امتد ملكه من بلادنا الكرج إلى همذان والجزيرة والشام ، ومصر ، والحجاز ، واليمن وكان نبيها خليقا بالملك ، حسن التدبير حليما صفوحا عادلا ، مجاهداً ، عفيفا ، دينا ، متصدقا ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر . طهر جميع ولايته من الخمور ، والخراطيء ، والقمار ، والخانيث ، والمكوس ، والمظالم ، وكان الحاصل من هذه الجهات بدمشق على الخصوص مائة الف دينار فأبطل الجميع لله تعالى . وكان واليه المبارز المعتمد رحمه الله قد أعانه على ذلك أقام رجالا على عقاب قاسيون ، وجبل الثلج ، وحوالى دمشق بالجامكية والجراية ، يحرمون أحداً يدخل دمشق بمنكر ، فكان أهل الفساد يتحيلون ويجعلون زقاق الخمر فى الطبول ويدخلون بها إلى دمشق فمنع من ذلك . قال : وبلغنى أن بعض المغنيات دخلت على العادل فى عرس فقال لها : أين كنت ؟ قالت : ماقدرت آجيء حتى وفيت ماعلى للضامن . فقال : وأى ضامن ؟ قالت : ضامن القيان . فقامت عليه القيامة وطلب المعتمد وأنكر عليه وقال : والله لئن عاد وبلغنى مثل هذا لأفعلن ولأصنعن . قال : ولقد فعل العادل فى غلاء مصر عقيب موت العزيز مالم يفعله غيره ، كان يخرج بالليل بنفسه ومعه الأموال يفرقها فى أرباب البيوت والمساكين ، ولولاه لمات الناس كلهم ، وكفن فى تلك الأيام من ماله ثلاثمائة ألف من الغرباء ، وكان إذا مرض أو تشوش مزاجه خلع جميع ماعليه وباعه حتى فرسه وتصدق به . قلت : وكان لما عزل القاضى زكى الدين الطاهر عن قضاء دمشق وولاه القاضى جمال الدين بن الحرستانى تعصب وكيل بيت المال يومئذ

---

(١) لقب به لكونه مربى أولاد السلطان ... السلجوقى (ز) .

وأثبت على زكى الدين محضرا يتضمن عشرين الف دينار أودعها فياز النجمى عند والده محى الدين برسم فكاك أسرى وذلك بعد عزله بنحو من شهر . وبلغنى أن القاضى جمال الدين بن الحرستانى تأنى فى اثباته ، واستقصى فى تزكية الشهود جهده وطاقته ولما علم عليه بالثبوت قام الوكيل الجمال المصرى فقال القاضى : الى النار وأنا وراك . وذلك اعلمه بأن القضية بطريق التعصب والاغراض وكان ذلك بثلاثة وقيل بشهادة اثنين . أحدهما : ابن عوضه . والآخر : أبو محمد الخشاب الأقط وقد رأيتهما وكان كل واحد منهما فى قلبه على القاضى حقداً بسبب حكومة حكم بها عليه . أما ابن الخشاب فكان أقر ببستان له لأولاد أخيه وأظنه وقفه عليهم ثم أراد إبطال ذلك والرجوع فيه فلم يمكنه القاضى وهذا البستان تحت نهر يزيد قبالة الجنينة المختصة لى من فوقه وأخذ خط الزكى بالمبلغ فى ذمته فى السابع والعشرين من جمادى الأولى . وشرع القاضى فى بيع ما يملكه من كتب وغيرها واستدان من الناس ما حمله فى وفاء ذلك فذكرت بعض خطايا العادل انها رأت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو يوصيه بالقاضى فأسقطها عنه ورد المال عليه على رؤوس الأشهاد أنزل به من القلعة جهاراً فى طبق وأنا رأيته محمولا إلى دار القاضى صحبة القاضى الاشرف ابن الفاضل ، والجمال الوكيل ، وقاضى العسكر ، وابن التيتى بين الصلاتين من يوم الاحد الحادى والعشرين من رجب سنة اثنتى عشرة ثم رده إلى القضاء بعد موت ابن الحرستانى وبلغنى أن القاضى طلب جرح الشهود فلم يجسر أحد على ذلك إلا الثقة عنتر كان يتولى عقود الأنكحة بالمدرسة التقوية فبلغ ذلك العادل فتبسم فقال : من عادة عنتر الجرح .

قال ابو المظفر : وسبب موته انزعاجه من الخبر الذى جاءه من دمياط ان الفرنج استولوا على برج السلسلة فدق بيده على صدره وأقام مريضا إلى يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة فتوفى بعالقين ، وكان المعظم قد كسر الفرنج على القيمون خامس جمادى الآخرة . ولما توفى العادل لم يعلم بموته غير كريم الدين الخلاطى فأرسل الطير إلى المعظم بنابلس فجاء المعظم يوم السبت إلى عالقين فاحتاط على الخزائن وصبر العادل وجعله فى محفة وعنده خادم يروح عليه وقد رفع طرف سجافها وأظهروا أنه مريض ودخلوا به دمشق يوم الأحد والناس يسلمون على الخادم وهو يومى، إلى ناحية العادل أى انه يعانه عن مسلم ودخلوا به الى القلعة وكتموا موته . قال : ومن العجائب أنهم طلبوا له كفنا فلم يقدروا عليه فأخذوا عمامة الفقيه النجيب ابن فارس وكفنوه بها وأخرجوا قطنا من مخدة فلفوه به ولم يقدروا على فأس فسرق كريم الدين فأسا من الخندق فحفروا له به فى القلعة وصلى عليه وزيره ابن فارس ودفنوه فى القلعة . قال : وكنت قاعداً عند باب الدار التى فيها الأيوان وهو واجم ولم أعلم بحاله فلما دفن أبوه قام قائما وشق ثيابه ولطم على رأسه ووجهه وكان يوما عظيما وعمل له العزاء ثلاثة أيام بالأيوان الشمالى . قال : ولما رأيت المعظم قد بلغ به الحال ما بلغ تكلمت فى أول يوم فلما انقضى العزاء عتبنى المعظم وقال : ياسبحان الله انت صاحب العزاء إيش كان حاجة إلى كلامك مع ابن الحنبلى . وكان الناصح قد تكلم فى ذلك اليوم فقلت لابد من الكلام . فقال : إذا كان ولابد فليكن فى اليوم الثالث ولا يتكلم معك أحد فامتثلت ما أمر وعمل له العزاء فى جميع البلاد ونودى ببغداد من أراد الصلاة على الملك العادل الغازى المجاهد فى سبيل الله فليحضر الى جامع القصر فحضر الناس ولم يتخلف سوى الخليفة وصلوا عليه صلاة الغائب وترحموا عليه

وتقدم الى خطباء الجوامع بأمرهم ففعلوا ذلك بعد صلاة الجمعة . قال : وفوض الى المعظم تربة بدر الدين حسن فى اليوم الثالث .

قلت : هو بدر الدين حسن أحد أولاد الداية هو واخوته من أكابر أمراء نور الدين بن زنكى رحمه الله وتربته هى التى على نهر ثورا عند جسر كحيل فى طريق الجبل قريب من المدرسة الشبلية ، وكان أبو المظفر يسكنها ويدرس بالمدرسة الشبلية . وربما يصعد إلى الجبل وينزل إلى دمشق كل يوم بسبب مجلس الوعظ وما أكثر ما كنت أراه جالساً فى شباك التربة أو فى الصفة الخارجة فى النهر ومعه كتاب يطالع فيه أو ينسخ . فما أطيب ما كانت تلك الأيام وما أرغد عيش تلك الأعوام . قال أبو المظفر : وكان للعادل عدة أولاد منهم : شمس الدين مودود والد الجواد يونس . والكامل محمد ، والاشرف موسى ، والمعظم عيسى . والأوحد أيوب . والفائز ابراهيم . والمظفر شهاب الدين غازى ، والعزيز عثمان ، والأمجد حسن وهما شقيقا المعظم . والمغيث محمود ، والحافظ رسلان ، والصالح اسماعيل ، والقاهر اسحاق ، ومجير الدين يعقوب ، وقطب الدين احمد ، وخليل اصغرهم ، وتقى الدين عباس . قلت : وهو آخر من بقى منهم وهو الآن فى سنة تسع وخمسين وستمائة حى بدمشق قال : وكان الصالح اسماعيل وقطب الدين احمد بدمشق لما مات العادل وأمر المعظم الصالح فتوجه إلى بصرى . وأحمد فتوجه إلى مصر وكان للعادل عدة بنات أفضلهن صفية صاحبة حلب ام الملك العزيز الظاهر . قال : ولما دخل رجب رد المعظم المكوس والخمور وما كان أبوه أبطله . فقلت له : قد أخلفت سيف الدين غازى ابن أخى نور الدين فانه كذا فعل لما مات نور الدين . فاعتذر بقلة المال ودفع الفرنج . قال : وسار المعظم إلى بانياس وارسل الصارم التبنينى وهو بتبنين فى تسليم الحصون فاجابه فاخرب بانياس وسار إلى تبنين فاخربها وهدمها وكانت قفلاً للبلاد وملجأ للعباد وأعطى جميع بلاد سركس (١) لأخيـــه العزيز عثمان وزوجه ابنة سركس ونزل الصارم وولده وأصحابه من الحصون فاكرمهم المعظم واحسن اليهم واظهر أنه ما أخرب بانياس وتبنين إلا خوفا من استيلاء الفرنج عليهما قال : وبعث الكامل إلى المعظم بالخلع وقال : ادركنى . وجاءت الفرنج فنزلوا على سمرساح فأخلا لهم المسلمون الخيام فطمعوا ثم رجع عليهم الكامل فكسرهم وقتل منهم خلقا كثيرا فعادوا إلى دمياط .

وفيها : توفى ملك الروم كيكاوس ولقبه عز الدين وكان جباراً ، ظالما ، سفاكا للدماء ، ولما عاد إلى بلده من كسرة الأشرف له نحلب اتهم قوما من أمراء دولته أنهـــم قصروا فى قتال الحلبيين فسلق بعضهم فى القدور ، وجعل آخرين فى بيت فأحرقهم فأخذه الله بغتة فمات فجأة سكران ، وقيل ابتلى فى بدنه فتقطع وكان أخوه علاء الدين كيقباد محبوساً فى قلعته وقد أمر بقتله فبادر الأمراء فأخرجوه ، وأقاموه فى الملك وكانت وفاة كيكاوس فى شوال وهو الذى اطمع الفرنج فى دمياط .

وفيها : توفى نجم الدولة نجاح بن عبد الله شرابى الخليفة مملوك الإمام الناصر . وكان جواداً سمحاً عاقلا ديناً كثير الصدقات حسن المحضر ، محسناً إلى الناس يحب المساكين ، ويعظم أهل الدين . ويأخـــذ

(١) يعنى اقطاع الأمير فخر الدين اياز الجركسى مقدم الصلاحية (ز).

للضعيف من القوى . وكان يسمى سلمان دار الخلافة . وكان ملازما للخليفة لا يغيب عنه ساعة واحدة .
وكان اسمر اللون جميل الصورة خلا ولما توفى فى هذه السنة أمر الخليفة أن لا يتخلف عن جنازته أحد
لا وزير ولا غيره وصلى الخليفة عليه تحت التاج . وحزن عليه حزنا كثيرا وأخرج تابوته من البدرية
ومشى العالم بين يديه إلى جامع القصر وكان بين يدى جنازته مائة بقرة ، وألف شاة ، ومائة قوصرة تمر
ومائة حمال على رؤوسهم الخبز ، وعشرون حمالا على رؤوسهم ماء الورد . ومماليكه قد جزوا شعورهم .
ولبسوا المسوح والضجيج والبكاء قد ملأ بغداد ، ولم ير فى الاسلام مثل ذلك اليوم ، وعبروا به إلى
الجانب الغربى إلى تربة أم الخليفة ، ودفن بين يدى القبة التى فيها أم الخليفة . وتصدق عنه الخليفة من
مال نجاح بعشرة آلاف دينار على المشاهد . مشهد على ، والحسين ، وموسى بن جعفر رضى الله عنهم .
وبعث بمثلها إلى مكة ، والمدينة ، وأعتق الخليفة مماليكه . وكانت له حسنات مجلد دوونها فى تربة أم الخليفة
وكتب عليها اسم الشرابى . ذكر الشيخ عز الدين بن الأثير فى تاريخه الكبير فى حوادث سنة سبع وستين
وخمسمائة ان الأمير العباسى احمد بن الخليفة يعنى المستضىء وأحمد هو الامام الناصر لدين الله قال ابن
الأثير : وهو الذى صار خليفة بعده سقط من قبة عالية إلى أرض التاج ومعه غلام له اسمه نجاح فألقى
نفسه بعده وسلم ابن الخليفة ونجاح . فقيل لنجاح لم ألقيت ؟ فقال : ما كنت أريد البقاء بعد مولاى .
فرعى له الأمير أبو العباس ذلك فلما صار خليفة جعله شرابيا . وصارت الدولة جميعها بحكمه . ولقبه
الملك الرحيم عز الدين . وبالغ فى الاحسان اليه والتقديم له وخدمه جميع امراء العراق والوزراء وغيرهم

وفيها : توفى القاهر صاحب الموصل وترك ولداً صغيراً اسمه محمود . وكان طفلا فأخرج بدر الدين
لؤلؤ زنكيا أخا القاهر من الموصل واستولى عليها . واسم القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان
شاه ابن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى . ثم ثبت ملك بلاد الموصل لبدر الدين لؤلؤ ويسمى
بالملك الرحيم ، ثم أولاده من بعده إلى الآن ، وبلغنى ان لؤلؤ سقى القاهر سما فمات . ثم أدخل ابنه محمود
بعد ذلك حماما حاميا وأغلق عليه الباب فاستكربه وعطشه فاستغاث أخرجونى واسقونى ماء ثم اقتلونى .
فأخرج وقد تغيرت خلقته وكان من أحسن الناس صورة فأسقى ماء ثم خنق بوتر . قلت : كان اسم ولده
الذى ولى بعده نور الدين أرسلان شاه وكان قد سماه أبوه عليا فلما مات جده نور الدين أرسلان شاه فى
سنة سبع وستمائة سموه باسم جده أرسلان شاه ، وأقام قليلا ومات فى سنة خمس عشرة أيضا . وتولى
أخوه محمود وكان تقدير عمره يوم مات عشر سنين . واستمر محمود والأمير بدر الدين لؤلؤ اتابكه إلى
أن مات جده لأمه السلطان مظفر الدين صاحب اربل فى شهر رمضان سنة ثلاثين وستمائة فانقطع خبر
محمود واستولى بدر الدين بالأمر .

قال أبو المظفر : قدم الصاحب صفى الدين عبد الله بن على المعروف بابن شكر وزير العادل . كان
العادل قد نقم عليه فنفاه إلى الشرق فمضى إلى آمد فأقام بها فلما مات العادل كتب ابنه الكامل من مصر اليه
يطلبه ، فقدم دمشق فى هذه السنة ونزل بظاهرها ببيت دانس فى دار المؤيد العقربانى . فخدم المؤيد
وكمال قد قل نظره فأقام أياما ثم توجه إلى مصر . قلت : وقيل أن قدومه من المشرق كان بعد هذه السنة
وقرأ بهاء الدين بن أبى اليسر بين يديه مقامة ببيت دانس فى مدحه من انشاء الشيخ أبى الحسن البخارى
رحمه الله سماها ، مجاورة الفقهاء ومحاضرة العلماء فى أوحد الكبراء وسيد الوزراء ، وهى مقامة جليلة

حسنة العقد والدين ، وكان خليقا بالوزارة لم يأت بعده مثله . وكان متواضعا يسلم على الناس الذين يمر بهم وهو راكب . ويكرم الفقهاء ويحترمهم . ويعمر أوقافهم ويثمرها ويوسع لهم في الجامكيات وفي أيامه بنيت العمارة بحوارة جيرون . والمسجد . والبركة والشاذروان وغير ذلك رحمه الله وتوفى سنة ثلاثين وستمائة كذا ذكر سبط ابن الجوزي وهو وهم . وإنما توفى سنة اثنتين وعشرين كما سنذكره . وذكر العز بن تاج الأمناء : أنه في سنة تسع وستمائة عزل الوزير الصفي بن شكر وزير السلطان بمصر في غضون غضب وتغير ، ادلالا على السلطان . وسعى العادل فيه وغير أمره والزامه بيته ، ثم ورد كتاب الكامل من مصر إلى أخيه المعظم بالحوطة على أملاك الوزير ابن شكر بها سابع جمادى الأولى من السنة . قال : وفي سابع عشرين رمضان من السنة عزل ابن الوزير بن شكر من ديوان دمشق وقد كان مستمراً به في نيابة والده ، وتولاه الشمس بن التنيسي مستقلا بأمره بكتاب عادلي وصل من مصر . قال : وفي رابع شعبان ورد الخبر من مصر بإخراج الصفي بن شكر من القاهرة موكلا به واعتقاله بطاهر بلبيس في دار الجاولي ثم ارساله إلى دمشق . قال : ووصل عاشر ربيع الآخر من سنة أربع عشرة منفيا من الديار المصرية إلى الكسوة فأقام بها بقدر ما قضيت له اشغاله بدمشق ، وتولى المعتمد القيام بها وكان تقدم من العادل كتاب إلى المعتمد بأن لا يمكنه من المقام بدمشق أكثر مما يقضى أشغاله . ولما تحقق ذلك لم يدخل البلد ورحل من الكسوة نهار الأحد سادس عشر الشهر فبات بلدة من الغوطة ورحل منها إلى القصير في أمد ، ومن القصير إلى جهة الفرات على طريق البرية ، وخرج اليه جماعة من أعيان البلد سراً وجهراً إلى الكسوة وإلى القصير . ولما قطع الفرات لم يمكنه الاشرف من المقام ببلاده فرجع إلى سلمية والتجأ إلى صاحب حماة فآواه وأحسن اليه فانكر السلطان ذلك عليه ، وأمره بابعاده عنه فلم يمكنه مخالفته . وتولى قاضي العسكر خليل الرسالة في اخراجه من حماة فأخرج موكلا به إلى أن عاد فقطع الفرات قاصداً صاحب آمد فتلقاه بنفسه وبالغ في اكرامه .

سنة ٦١٦ هـ .

ثم دخلت سنة ست عشرة وستمائة ففي أول المحرم وقيل في سابع المحرم أخرب المعظم ابراج القدس وسوره خوفا من استيلاء الفرنج عليه . فاضطرب الناس وخرجوا منه متفرقين في البلاد . وهان عليهم مفارقة ديارهم وضياع أموالهم . وقد كان القدس يومئذ على اتم الأحوال من العمارة ، وكثرة السكان . قال ابو المظفر : كان المعظم قد توجه إلى أخيه الكامل إلى دمياط وبلغه ان طائفة من الفرنج على عزم القدس فاتفق الأمراء على خرابه وقالوا قد خلا الشام من العساكر فلو أخذه الفرنج حكموا على الشام . وكان بالقدس أخوه العزيز عثمان . وعز الدين ايبك استاذ الدار فكتب المعظم اليهما بخرابه فتوقفا وقالا : نحن نحفظه . فكتب اليهما المعظم لو أخذوه لقتلوا كل من فيه وحكموا على دمشق وبلاد الشام . فالجأت الضرورة الى إخرابه فشرعوا في السور أول يوم من المحرم . ووقع في البلد ضجة مثل يوم القيامة . وخرج النساء المخدرات ، والبنات ، والشيوخ ، والعجائز ، والشبان ،

والصبيان الى الصخرة والأقصى ، فقطعوا شعورهم ومزقوا ثيابهم بحيث امتلأت الصخره ومحراب الأقصى من الشعور ، وخرجوا هاربين وتركوا أموالهم وأثقالهم وما شكوا أن الفرنج تصحبهم وامتلأت بهم الطرقات ، فبعضهم الى مصر ، وبعضهم الى الكرك ، وبعضهم الى دمشق . وكانت البنات المخدرات تمزقن ثيابهن وتربطها على أرجلهن من الحفا . ومات خلق كثير من الجوع والعطش . وكانت نوبة لم يكن فى الإسلام مثلها . ونهبت الأموال التى كانت لهم فى القدس . وبلغ قنطار الزيت عشرة دراهم . ورطل النحاس نصف درهم . وأكثر الشعراء فى ذمها ودعوا عليها فقال بعضهم : ــ

فى رجب حلل الحميا   وأخرب القدس فى المحرم

قال وأنشدنى قاضى الطور مجد الدين محمد بن عبد الله الحنفى لنفسه : ــ

مررت على القدس الشريف مسلما   على ما تبقى من ربوع كأنجم
ففاضت دموع العين منى صبابة   على ما مضى من عصرنا المتقدم
وقد رام علج أن يعفى رسومه   وشمر عن كفى لئيم مــذمم
فقلت له شلت يمينك خلها   لمعتبر أو سائل أو مسلم
فلو كان يفدى بالنفوس فديته   بنفسى وهذا الظن فى كل مسلم

وفيها : نفى الملك المعظم الأمير عماد الدين بن المشطوب من مصر إلى الشرق . وكان قد اتفق مع الملك الفائز بن العادل على أخيه الملك الكامل واستحلاف للفائز العساكر . وعرف الكامل فرحل الى اشمون وعزم على التوجه الى اليمن من البلاد . وعلم أخوهما المعظم فقال الكامل لا بأس . وركب آخر النهار وجاء إلى خيمة ابن المشطوب وقال : قولوا لعماد الدين يركب حتى نسير فأخبروه فخرج من الخيمة بغير (أخفاف) صباغات ولحق المعظم فأبعد به عن العسكر وقال له أخى الملك الأشرف قد طلبك وهو محتاج اليك فتسير اليه الساعة. فقال: ما فى رجلى صباغات ولا معى أحد من غلمانى ولا قماشى فوكل به جماعة وأعطاه خمسمائة دينار وقال : كل مالك يلحقك . والله ما يضيع لك خيط واحد وسار به الموكلون ورجع المعظم إلى خيمته. وجاء اليه الكامل فقبل الأرض بين يديه وخاف الفائز خوفا عظيما . أما ابن المشطوب فاجتاز دمشق ومضى الى حماه فأقام بها . فبعث اليه الأشرف منشوراً بأن جيشاً من بلاد خلاط مع الخلع فسار إلى الأشرف فأكرمه وأحسن اليه وصار يركب بالشبابة ، ويعمل له سلطنة أعظم من الاشرف . وتجبر وطغى وبغى، وخامر على الأشرف وكاتب صاحب الروم فبعث له مائة الف واربع الف درهم وطلع الى ماردين ثم قصد ناحية سنجار ثم جرى عليه ما سنذكره الى أن مات فى حبس الأشرف بحران هو وابن خشترين الأزكجى .

وفيها : فى شعبان سحر يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شعبان استولى الفرنج على دمياط وكان المعظم قد جهز اليها ابن الجرخى الناهض فى خمسمائة راجل فهجموا على الخنادق فقتل ابن الجرخى ومن كان معه وصفوا رؤس القتلى على الخنادق . وكانوا قد حموا الخنادق وضعف أهل دمياط ووقع

فيهم الوباء والفناء . وعجز الكامل عن نصرتهم فراسلوا الفرنج على أن يسلموا إليهم البلد ويخرجوا منه بأهاليهم وأموالهم فاجتمع الأقساء (١) ومنعوهم عن ذلك . فركبوا فى المراكب وزحفوا فى البر والبحر وفتح لهم أهل دمياط الأبواب فدخلوا ورفعوا أعلامهم على السور . وغدروا بأهلها ووضعوا فيهم السيف قتلا وأسرا وباتوا تلك الليلة يفجرون بالنساء وأخذوا المنبر وكان من أبنوس. والمصاحف ورؤوس القتلى وبعثوا بها إلى الجزائر ، وجعلوا الجامع كنيسة . وكان الشيخ أبو الحسن بن قفل بدمياط فسلمه الله تعالى منهم فسألوا عنه فقيل هذا رجل صالح من مشايخ المسلمين يأوى إليه الفقراء فما تعرضوا له بعد . وقد رأيته أنا بعد ذلك بثغر دمياط فى سنة ثمان وعشرين وستمائة وهو يحكى للناس صورة ما جرى على البلد من الفرنج خذلهم الله تعالى . ووقع على المسلمين كآبة عظيمة وبكى الكامل ، والمعظم ، بكاء شديداً ثم تأخرت العساكر عن تلك المنزلة . ثم قال الكامل للمعظم لما رأى أعلام الفرنج على دمياط وقد سقط فى يده : قد فات ما ذهب ، وجرى القضاء بما هو كائن ، وما فى مقامك هنا فائدة والمصلحة أن تنزل إلى الشام تشغل خواطر الفرنج ، وتستجلب العساكر من المشرق.

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزى : فكتب إلى المعظم وأنا بدمشق قد جرى على دمياط ما جرى وأريد أن تحرض الناس على الجهاد فإنى كشفت ضياع الشام فوجدتها ألفى قرية منها ألف وستمائة أملاك لأهلها . وأربع مائة سلطانية وكم مقدار ما تقوم به هذه الأربعمائة من العساكر وأريد أن يخرج الدماشقة ليذبوا عن أملاكهم . فجلست بجامع دمشق وقرأت كتابه عليهم فتقاعدوا فكان يقاعدهم قصداً لأخذه الثمن والخمس من أموالهم وكتب إلى إذا لم يخرجوا فسر أنت إلينا فخرجت إلى الساحل وهو نازل على قيسارية فأقمنا حتى فتحها عنوة ثم سرنا إلى الثغر ففتحه وهدمه وعاد إلى دمشق

وفيها : فى يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر ربيع الأول ألبس الملك المعظم قاضى القضاة زكى الدين أبا العباس الطاهر بن محيى الدين القباء والكلوتة (٢) بمجلس الحكم من داره بباب البريد قال أبو المظفر : كان فى قلبه منه حزازات يمنعه من إظهارها حياؤه من والده العادل وخوفه من الشناعات وكان يشكو إلى من القاضى مراراً ويقول : إنه لا ينفذ الأحكام ، ولا يقيم معالم الإسلام ، واتفق موت العادل ومرض أخته ست الشام عمة المعظم وكانت قد أوصت بدارها مدرسة وأحضرت القاضى الزكى والشهود وأشهدتهم عليها وأوصت إلى القاضى . وبلغ المعظم فعز عليه وقال : يحضر إلى دار عمتى من غير إذنى ويسمع كلامها هو والشهود . ثم اتفق أن القاضى أحضر جابى المدرسة العزيزية وطلب منه حسابها فأغلظ له فى القول فأمر بضربه فضرب بين يديه كما يفعل الولاة فوجد المعظم سبيلا إلى إظهار ما كان فى نفسه وكان الجمال المصرى وكيل بيت المال عدو القاضى فجاء فجلس عند القاضى فى مجلس الحكم والشهود حاضرون والناس فبعث المعظم ببقجة فيها قباء وكلوتة وأمره أن يحكم بين الناس وهما عليه فقام من خوفه فلبسهما وحكم بين اثنين . قلت : جابى المدرسة المضروب هو السديد خطيب عقربا

---

(١) هكذا فى الأصل . وفى نسخة (القساوسة)

(٢) نوع من القلبق (ز) .

واسمه : سالم بن عبد الرزاق بن يحيى بن عمر بن كامل أخو الخطيب والمؤيد العقرباني ، وكانت الخلعة إشارة إلى ذلك تفعل فعل والى الشرطة فالبس نفس من يفعل ذلك . وسمعت الذى ألبسه الخلعة وهو بعض أجناد الأمير عماد الدين بن موسك يعرف بالشمس صادف عقيب لباسها فى ذلك اليوم فإنه دخل الجامع وجاء يسلم على شيخنا علم الدين السخاوى رحمه الله وحدثه بالقضية فتأوه الشيخ وضرب باحدى يديه على الأخرى . وكان مما حكى أن قال : أمرنى السلطان أن أقول له : السلطان يسلم عليك ويقول لك: الخليفة سلام الله عليه اذا أراد أن يشرف أحداً من أصحابه خلع عليه من ملابسه ونحن نسلك طريقه وقد أرسل اليك من ملابسه وأمر أن تلبسها فى مجلسك وأنت تحكم بين الناس وكان المعظم أكثر ما يلبس قباء أبيض وكلوتة صفراء . قال : وفتح البقجة فلما نظر اليها وجم فأعدت الكلام بأن يلبسها وأمرته أن يترك التوقف فى ذلك وكنت قد أمرت بأن ألبسه إياها بيدى ان امتنع أو تراخى فمد يده فوضع القباء على كتفيه ونزع عمامته ووضع الكلوتة على رأسه ، ثم قام ودخل بيته . قلت : ومن لطف الله تعالى أن كان مجلس الحكم بداره والا والعياذ بالله لو كان فى مكان آخر لتكلف المرور فى الطرقات بذلك الزى الشنيع فى حق مثله إلى بيته فالهم عفرك وعافيتك . ثم أن القاضى لزم بيته بعدها ولم تطل مدة حياته فمرض مرضة رمى كبده فيها قطعاً ومات فى الثالث والعشرين من صفر سنة سبع عشرة وستمائة ودفن بمقبرة أبيه بالجبل وأسف الناس لما جرى عليه . وكان رحمه الله يحب أهل الخير ويزور الصالحين فى أماكنهم والمرء مع من أحب ، وقد ذكره القوصى فى معجمه وقال : كان متورعا ، متثبتا ، ناظراً فى مصالح اليتامى .

وإذا رأيت امرئ امره أو صبره   يوما فقد عاينت صورة عقله

ولم يخرج عن الرضى والتسليم فى حالتى ولايته وعزله رحمه الله . وبقى نوابه يحكمون بين الناس منهم : شمس الدين بن الشيرازى وكان يجلس بالجامع فى حافة الرواق الملاصق لزيادة الشرقية موضع المقصورة الغربية ، وتارة يجلس فى شباك مشهد على . ومنهم : شمس الدين بن سنى الدولة وكان يجلس بشباك الكلاسة المحاذى للتربة الصلاحية . ومنهم : شرف الدين الموصلى وكان يجلس بالشباك الكمالى وهو الذى يصلى فيه القضاة الجمع فى هذه الأزمان قال ابو المظفر سبط ابن الجوزى : وكانت حركة شنيعة وواقعة قبيحة لم يجرى فى الاسلام أقبح منها . وكانت من غلطات المعظم . ولقد قال له ما فعلت الا بصاحب الشرع والله وجبت عليك دية القاضى . فقال : هو الذى أحوجنى إلى هذا والله ندمت . واتفق أن المعظم بعث إلى الشرف (١) بن عنين الشاعر حين تزهد خمراً ونرداً وقال سبح بهذا إشارة إلى أن هذا ليس له صحة فكتب اليه ابن عنين.

يا أيها الملك المعظم سنة   أحدثتها تبقى على الآباد

تجرى الملوك على طريقك بعدها   خلع القضاة وتحفة الزهاد

---

(١) وكان قبل التزهد يرمى بشرب الخمر واللعب بالنرد فعد تزهده تصنعاً (ز) .

قال : وأخبرني الشريف بن كلاب : وقد كنت حاضراً ذلك المجلس وكان القباء والكلوتة لونا واحداً أحمر ملطى . ومن أعجب الأمور أن الذي أتاه بالخلعة طلب من غلمان القاضي ماجرت به العادة من إعطاء من يأتي بخلعة سلطانية إلى حاكم أو غيره فأخرجوا له من وراء القاضي خمسين درهماً . وما زال قاعداً على باب القاضي بعد دخوله بالخلعة حتى أخرجوا له الدراهم فقبضها . وحج بالناس في هذه السنة من العراق آقباش الناصري . ومن الشام مملوك المعظم يقال له شمينات . وفي هــذه السنة حج والدي رحمه الله . وأبو المظفر سبط ابن الجوزي . وعز الدين بن القيسراني . والصفي بن مرزوق.

وفيها : توفي الشيخ أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن ملاعب البغدادي الملقب . بالوزيت سمع الكثير من بغداد من أبي الوقت . وأبي الفضل الأرموي . وأبي الكرم الشهرزوري وغيرهم . وسكن في دمشق واسمع بها الكثير وتوفي بها في جمادى الآخرة ودفن بجبل قاسيون . وكان أحــد الوكلاء بمجلس الحكم . سمعت عليه صحيح البخاري وغيره . وكان ثقة متحرزاً.

وفيها : في ذي القعدة توفيت بدمشق ست الشام بنت أيوب بن شاذي أخت الملوك صلاح الدين والعادل ذكر الحافظ زكي الدين أنها توفيت في سادس عشر ذي القعدة من السنة . وزاد غيره آخر نهار الجمعة وهي التي تنسب إليها المدرستان بدمشق إحداهما : قبلي البيمارستان النوري . والأخرى : ظاهر دمشق بمحلة العونية وتعرف أيضاً بالحسامية نسبة إلى ابنها حسام الدين بن لاجين . وكانت دفنته بها ودفنت هي بالقبر الذي هو فيه . وهو الذي يلي باب القبر من القبور الثلاثة . والقبلي هو قبر أخيها توران شاه المذكور . والأوسط قبر ابن عمها ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شاذي وكان تزوجها بعد لاجين. قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي : كانت سيدة الخواتين . عاقلة . كثيرة البر والصلات والاحسان والصدقات . وكان يعمل في دارها من الأشربة والمعاجين والعقاقير في كل ســنة بالوف من الدنانير ويفرقها على الناس . وكان بابها ملجأ للقاصدين ومفزعاً للمكروبين ووقفت على المدرستين أوقافاً كثيرة وكانت لها جنازة عظيمة . قلت : والملوك بنو أيوب إلى آخر من ولي منهم السلطنة في بلد من البــلاد المشهورة كلهم محارمها لأنهم إما أخوتها وإما بنوا أخوتها وهم إلى الآن خمسة وثلاثون ملكاً اخوتها الأربعة المعظم. وصلاح الدين. والعادل. وسيف الإسلام ، وأولاد صلاح العزيز ، ثم ابنه المنصور ، والأفضل والظاهر ، والظاهر ، وابنه العزيز . وابن ابنه الناصر يوسف . وأولاد العادل ، الكامل وأولاده الثلاثة المسعود ، والصالح ، والعادل . وأبناء الصالح المعظم المقتول بمصر ، والموحد صاحب حمص ، وابن العــادل بن الكامل المغيث صاحب الكرك الآن . والمعظم بن العادل الأكبر ، وابنه الناصر داود ، والأشرف بن العادل ، والصالح بن العادل ، والأوحد ، والحافظ ، والعزيز . وابنه السعيد . وشهاب الدين غازي ، وابنه الكامل محمد ، وابن سيف الإسلام اسماعيل الذي ادعى الخلافة باليمن . وفرخشاه ابن شاهنشاه بن أيوب ، وابنه الأمجــد صاحب بعلبك . وتقي الدين . وابنه المنصور . ثم ذريته ملوك حماة إلى اليوم

وفيها : في ربيع الآخر توفي ببغداد الشيخ أبو البقاء العكبري النحوي الحنبلي واسمه : عبد الله بن الحسين بن عبد الله ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وقرأ القرآن على أبي الحسن البطائحي ، والنحو على

أبي محمد الخشاب . واللغة على ابن العصار وسمع الحديث منهم ومن غيرهم . وقرأ الفقه والأصول وصنف عدة مصنفات منها : اعراب القرآن . واللباب في النحو . وحواشي على المقامات . وديوان المتنبي . ومفصل الزمخشري . ومقدمات في النحو . والحساب وغير ذلك ودفن بباب حرب رحمه الله وكان صالحاً ديناً .

وفيها : توفي بحلب الشريف مختار الدين عبد المطلب بن الفضل العلوي الهاشمي المدرس بمدرسة الحلاوية . كان عارفاً بمذهب أبي حنيفة وشرح الجامع الكبير وغيره وكان يروي كتاب الشمائل للترمذي وغيره وكان سيداً . فاضلا . ورعا . ديناً .

وفيها : توفي ببغداد عماد الدين علي بن الحافظ أبي محمد القاسم ابن الحافظ الكبير أبي القاسم علي ابن الحسن العساكري قدم بغداد وسمع بها ، ثم توجه إلى خراسان وسمع بها . واستجاز لطائفة كثيرة من الدمشقيين وغيرهم لعموم من أدرك ذلك الوقت من جميع من اجتمع به من مشايخ تلك البلاد شكر الله سعيه . ثم عاد إلى بغداد فوقع عليه قطاع الطريق فأخذوا ما كان معه وجرحوه فأقام ببغداد يعالج الجراحات فمات بها يوم السبت ثالث جمادى الآخرة ودفن بالشونيزية وخلف ولدين مات بعده أحدهما المسمى باسم جده بهاء الدين القاسم كان في صحبته ورجع إلى دمشق بعد موت أبيه . والآخر أبو حامد الحسين ولم يبق من نسله إلا ولد صغير من ابنه الأصغر أبي حامد .

وفيها : توفي ببغداد محمد بن جميل صاحب مخزن الخليفة ومولده بهيت ، وكان فاضلا بارعا ، وقدم علينا دمشق ابن ابنه وهو شاب فاضل يلقب فخر الدين له خط حسن وصورة جميلة ونزل عندنا بالمدرسة العزيزية . ثم توجه الى الحجاز مع جماعة فضلاء شرف الدين المرسي ، ومحب الدين بن هلال وشرف الدين بن الزبات ، وفخر الدين بن المالكي وغيرهم فجاوروا.

وفيها : توفي صاحب سنجار المنصور محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي . وأبوه كان ختن نور الدين محمود بن زنكي على ابنته ، وكان هذا المنصور ملكا عادلا . وهذا الذي حصره العادل أبو بكر بن أيوب ثم رحل عنه بشفاعة الخليفة الامام الناصر وخلف المنصور عدة أولاد : سلطان شاه وزنكي ، ومظفر الدين وغيرهم ، وحج بعضهم معنا في سنة إحدى وعشرين وستمائة . ذكر الحافظ زكي الدين في الوفيات ما مثاله . وفي الثامن من صفر سنة ست عشرة وستمائة توفي قطب الدين محمد ابن زنكي بن مودود صاحب سنجار وملك والده عماد الدين شاهنشاه.

وفيها : توفي محمد بن محمد بن محمود الكشميهني ، وكان صالحاً صاحب رياضات ومجاهدات ، وأوصى أن يكتب على كفنه طلباً لاصلاح حاله : —

يكون اجاجا دونكم فاذا انتهى ... اليكم يلقى نشركم فيطيب

وفيها : توفي ببغداد في رمضان أبو بكر زكريا يحيى بن القاسم بن المفرج التكريتي ، ولي القضاء بتكريت ، ثم ولي تدريس النظامية ببغداد ودفن بالشونيزية وكان فاضلا وأنشد أبو المظفر من شعره : —

من شعره : —

كم يأمل المرء آملا ويخافه ... وكم يرى آمنا والموت يردفه

وطالما سلك الإنسان سالكة ... يظن فيها نجاة وهى تقتله

سنة ٦١٧ هـ

ثم دخلت سنة سبعة عشر وستمائة وفى هذه السنة كان ظهور التتار خذلهم الله.

وفيها : يوم الأحد ثانى شعبان توفى امام المالكية بدمشق برهان الدين على علوش بن عبدالله المغربى ودفن بجبل قاسيون ، وكان عالما بالأصول ، والفروع ، والعربية ونشأ له ابن فاضل فى علم الطب يلقب بناصر الدين منصور بن على توفى أيضاً وهو شاب رحمه الله تعالى.

وفيها : توفى فى رجب تقى الدين عبد الرحمن بن أبى منصور بن نسيم بن الحسن بن على المقدسى أبو الوحسن سمع الكثير من الشيخ الحافظ أبى القاسم بن عساكر . وأكثر طباق السماع عليه فى الأجزاء وغيرها موجوده بخطه.

وفيها : فى جمادى الآخرة توفى زين الدين أبو البركات داود بن احمد بن محمد بن ملاعب البغدادى المدير لمجالس الحكام بدمشق . وكان شيخاً معمراً مولده ببغداد منتصف المحرم سنة اثنين وأربعين وخمسمائة يروى عن أبى الوقت وغيره. سمعت عليه صحيح البخارى سنة أربع عشرة وستمائة ، ويروى أيضا هو وأخته حفصة عن أبى الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرموى رحمهما الله.

وفيها : توفى الشيخ عتيق بن سلامة الأندلسى ومولده سنة ست عشرة وخمسمائة عاش مائة سنة ودفن بمقابر الصوفية على حافة الطريق وكان شيخا صالحا مشهوراً زرته فى مرضه مع شيخنا أبى الحسن السخاوى رحمه الله وطلب لى منه الدعاء فدعا لى ووجدت بركة دعائه وكانت له عبادة جمة

وفيها : يوم السبت ثالث عشر جمادى الأولى توفى الحافظ عماد الدين أبو القاسم على ابن الحافظ بهاء الدين أبى محمد القاسم ، ابن الحافظ الكبير أبى القاسم على بن الحسن الدمشقى خرج عليه قوم فجرحوه بالقرب من خانقين فى توجهه للسماع بتلك البلاد ، ثم حمل إلى بغداد فتوفى فيها ، ودفن بالجانب الغربى منها بمقبرة الشونيزية رحمه الله ، ومولده فى ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وخمسمائة قال : انشدنا الخشوعى ، أنشدنا أبى الأكفانى فى المروحة : —

ومروحة تروح كل هم ... ثلاثة أشهر لا بد منها

حزيران وتموز وآب ... وفى أيلول يغنى الله عنها

وفيها . نادى الأمير عماد الدين بن المشطوب على الملك الأشرف وأغار فى أرض سنجار وساعده صاحب ماردين . فسار إليه الأشرف فدخل ابن المشطوب إلى تل أعفر فنازله بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل بالأمان وحمله معه إلى الموصل ثم قيده وبعث به إلى الأشرف فألقاه الحاجب على الجب فمات بالقمل والجوع ، وكان نورالدين بن عماد الدين صاحب قرقيسيا مع الأشرف فكاتب عليه ، واتفق مع

ابن المشطوب فاعتقله الأشرف وبعث به مع الملك قيصر المعروف بتعاسيف إلى قرقيسيا وأعانه فعلق نور الدين رجليه تحت القلعتين وعذبه فسلمت إلى تعاسيف جميع بلاده . وأراد الأشرف أن يرديه فى الجب فشفع إلى أخيه الملك المعظم فشفع فيه فأطلقه الأشرف وسار نور الدين إلى دمشق وأحسن المعظم اليه فاشترى بستان ابن حيوش بنواحي العقيبة وبنى فيه وأقام به .

وفيها : قتل صاحب سنجار أخاه فسار الأشرف اليها فاخذها وعوض صاحبها الرقه .

وفيها : فى رجب كانت وقعة البرلس بين الكامل والفرنج وكانت وقعة عظيمة قتل الكامل منهم عشرة آلاف وغنم خيولهم وسلاحهم ورجعوا إلى دمياط من وميره .

وفيها : عزل المعظم المبارز المعتمد عن ولاية دمشق وولى الغرز خليلا ، وحج المعتمد بالناس من الشام فى هذه السنة . ولم يحج أحد من العجم بسبب خروج التاتار فى البلاد . وحج من بغداد آقباش الناصرى وقتل بمكة ، وعاد حاج العراق على طريق الشام . واستفحل أمر التاتار فى هذه السنة . ومات فيها خوارزم شاه محمد بن تكش وقد ذكرنا صفة موته وما تم له مع التاتار فى هذه السنة وقبلها فى الكتاب الذى اختصرت فى سيرة الدولتين العلائية والجلالية . وذكر أبو المظفر سبط ابن الجوزى : انه توفى فى سنة خمس عشرة ووهم فى ذلك وقال : قصد العراق فى أربع مائة الف ووصل إلى همذان يريد بغداد . وقيل كان معه ستمائة جتر تحت كل جتر الف ، وكان قد أفنى ملوك خراسان ، وما وراء النهر وقتل صاحب سمرقند . وكان حسن الصورة وأخلى البلاد من الملوك واستقل بها . وكان ذلك سبباً لهلاكه . قال : ولما نزل همذان كان فى عسكره سبعون الفا من الخطا فكاتب العلقمى يعنى وزير بغداد عساكره ووعدهم بالبلاد فاتفقوا مع الخطا على قتله وبعث العلقمى اليهم بالأموال والخيول والخلع سراً فكان ذلك سببا لوهنه . ولما علم خوارزم شاه بذلك سار من همذان طالبا خراسان ونزل مرو والتقى فى طريقه الخيل والخلع والكتب المنفذة إلى الخطا فلم يمكنه الرجوع لفساد عسكره . وكان خاله من الخطا وقد حلفوه أن لا يطلعه على ما دبروا عليه . فجاء اليه فى الليل وكتب فى يده صورة الحال ووقف بازائه فنظر إلى المسطور وفهمه وهو يقول : خذ لنفسك فالساعة نقتل . فقام فخرج من تحت ذيل الخيمة ومعه ولداه جلال الدين وآخر فركب وسار بهما . ولما خرج من الخيمة دخل الخطا والعساكر من بابها ظنا منهم انه فيها فلم يجدوه فنهبوا الخزائن ، والخيول ، والجوارى . ويقال انه كان فى خزانته عشرة آلاف الف دينار ، والف حمل قماش أطلس وغيره وعشرون الف فرس وبغل وكان له عشرة آلاف مملوك مثل الملوك فتمزق الجميع ونهب وأما خوارزم شاه فهرب إلى البحر (١) وركب فى مركب صغير إلى جزيرة بها قلعة ليتحصن بها فأدركه الموت دون صعود القلعة فدفنوه على ساحل البحر وهرب ولده جلال الدين وأخوه إلى الهند وجاء الخطا فدلوا عليه فنبشوه وقطعوا رأسه وأخذوه وعادوا وتمزقت الممالك بعده وأخذت البلاد .

وفيها : توفى الملك الفائز سابق الدين ابراهيم بن العادل بن أبى بكر بن أيوب وكان قد حالف ابن المشطوب والأمراء بمصر على الكامل لما ملك الفرنج دمياط ولولا أخوهما المعظم يمسك ابن المشطوب

(١) بحر الخزر (ز) .

ويبعثه إلى الشرق على ما سبق ذكره لتم لهم ما أرادوا ولما كانت وقعة البرلس . قال الكامل للفائز : هؤلاء الفرنج قد استولوا على البلاد وقد أبطأ علينا الملك المعظم وما لملوك الشرق غيرك فقم وتوجه إلى الأشرف وعرفه ما نحن فيه من الضائقة فسار إلى الشرق وكان الأشرف على الموصل فمرض الفائز بين سنجار والموصل وقيل إنه سم فمات فردوه إلى سنجار فدفن عند تربة عماد الدين زنكى رحمه الله قيل إنه مات فى شعبان من السنة

وفيها : توفى أبو عزيز قتادة بن ادريس أمير مكة الشريف العلوى الزيدى الحسنى . كان عادلا منصفاً(١) نقمة على عبيد مكة والمفسدين . والحاج فى أيامه مطمئنون آمنون على أنفسهم وأموالهم . وكان شيخاً مهيباً طوالاً . وما كان يلتفت إلى أحد من خلق الله ، ولا وطىء بساط الخليفة ولا غيره . وكان يحمل إليه فى كل سنة من بغداد الخلع والذهب وهو فى داره . وكان يقول : أنا أحق بالخلافة . ولم يرتكب كبيرة على ما قيل وكان فى زمانه يؤذن فى الحرم بحى على خير العمل على مذهب الزيدية . وكتب إليه الخليفة يستدعيه ويقول : أنت ابن العم والصاحب وقد بلغنى شهامتك ، وحفظك للحاج ، وعدلك ، وشرف نفسك ، وعفتك ، ونزاهتك ، وقد أحببت أن أراك ، وأشاهدك ، وأحسن إليك فكتب إليه : —

ولى كف ضرغام أذل ببطشها ... فأشرى بها بين الورى وأبيع

وكل ملوك الأرض تلثم ظهرها ... وفى وسطها للمجدبين ربيع

أأجعلها تحت الرحى ثم أبتغى ... خلاصاً لها إنى إذاً لرقيع

وما أنا إلا المسك فى كل بقعة ... يضوع وأما عندكم فيضيع

وفيها : توفى آقباش بن عبد الله الناصرى . كان مملوكا للخليفة الناصر بن المستضىء اشتراه وهو ابن خمس عشرة سنة بخمسة آلاف دينار ، ولم يكن بالعراق أجمل صورة منه ، ثم قربه الخليفة ولم يكن يفارقه . ولما كبر ولاه امرة الحاج وكان عاقلا متواضعاً محبوبا إلى القلوب . حج فى هذه السنة ومعه خلع وتقليد من الخليفة لحسن بن قتادة . وكان قتادة قد مات كما ذكرنا فلما وصل آقباش الى عرفات جاءه راجح بن قتادة أخو حسن وسأله أن يوليه إمارة مكة وقال : أنا أكبر ولد قتادة . فلم يجبه وظن حسن أن آقباش قد ولاه فأغلق أبواب مكة . وجاء آقباش فنزل بعد أيام منى بالزاهر وقد وقعت الفتنة بين حسن وأخيه . ومنع حسن الناس من الدخول إلى مكة فركب آقباش ليسكن الفتنة ويصلح بين الأخوين ، فخرج عبيد مكة وأصحاب حسن من باب المعلى يقاتلونه فقال : ما قصدى القتال فلم يلتفتوا إليه وانهزم أصحابه وبقى وحده وجاء عبد فعرقب فرسه فوقع إلى الأرض فقتلوه وحملوا رأسه إلى حسن ابن قتادة على رمح فنصبه بالمسعى عند دار العباس ، ثم رد إلى جسده ودفن بالمعلى . وأراد حسن نهب

(١) ثم عكس الأمر فقط (ز) .

الحاج العراق فمنعه أمير حاج الشام المبارز وخوفه من الأخوين الكامل والمعظم ملكى مصر والشام فأجابه وكف عن ذلك . ووصل الخبر إلى بغداد فحزن الخليفة حزناً عظيماً . ولم تخرج الموكب لتلقاء الحجاج . وادخل الكوس والعلم فى الليل . وكان سادس عشر ذى الحجه . قلت : وكان فى حج الشام فى هذه السنة شيخنا فخر الدين أبو منصور بن عساكر وأخبرنى بعض الحاج فى ذلك العام أن الحسن بن قتادة أمير مكة جاء إليه وهو نازل داخل مكة فقال له : قد أخبرت انك خير أهل الشام فأريد أن تصير معى إلى دارى فلعل بركتك تزول هذه الشدة عنا . فسار معه إلى داره مع جماعة من الدمشقيين فأكلوا شيئاً فما استتم خروجهم حتى تقل الأوباش وزال ذلك الاستيحاش .

وفيها : مات الوزير ناصر الدين بن مهدى الذى كان وزير الخليفة ببغداد وقبض عليه كما ذكرنا فى سنة أربع وستمائة واعتقل بدار طاشتكين وبها مات فى جمادى الأولى وفتح له جامع القصر . ومشى بين يديه أرباب الدولة ودفن بمقبرة موسى بن جعفر وكان جباراً قاسياً وكان يدعى أنه شريف علوى وقد طعن فى نسبه .

وفيها : توفى الملك المنصور صاحب حماة . واسمه محمد بن المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب وكان شجاعاً محباً للعلماء والفضلاء ، وكان عنده جماعة لهم عليه الرواتب وصنف كتاباً سماه « المضمار » جمع فيه جملة من التواريخ وأسماء من ورد عليه وأقام عنده فى عشر مجلدات ، وكان حفظ المسلمين لما هاجم الفرنج حماة فى سنة إحدى وستمائة وثبت ووقف وكانت وفاته بحماة فى شوال ودفن عند أبيه وقام بعده ولده الأكبر الملك الناصر قليج أرسلان ، ثم أخذ الكامل منه حماة وأعطاها لأخيه المظفر بن المنصور ، واعتقل قليج أرسلان فى الجب بمصر فمات به على أقبح حال .

وفيها : توفى صاحب آمد الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن قره أرسلان بن أرتق . وكان شجاعاً ، عاقلا ، جواداً ، محباً للعلماء . وكان الأشرف بن العادل يحبه وجاء غير مرة إلى خدمة الأشرف الى دنيسر وغيرها ، ومات بآمد فى صفر وقام بعده ولده المسعود وكان بخيلا فاسقاً . وهو الذى أخذ منه الكامل آمد وحمله إلى مصر فحبسه فى الجب مدة ثم أطلقه فمضى إلى التتار ومعه أموال فأخذت . قلت : ذكر الحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى رحمه الله تعالى فى كتاب الوفيات : أن صاحب آمد المذكور توفى سنة تسع عشرة وستمائة وهو الصحيح . وقد تصحف على صاحب هذا التاريخ سبع عشرة من تسع عشرة والله أعلم . ولقد رأيت بخط الشيخ زكى الدين أيضاً فى كتاب الفوائد السفرية أن الملك المسعود سلمان بن محمد وهو أخو الصالح المذكور كان متولى آمد وسقط من سطح فمات سنة ست وتسعين وخمسمائة وتولى مكانه أخوه الصالح محمود إلى أن مات .

وفيها : توفى أبو عبدالله بن الخبازى واسمه الحسين بن احمد بن الحسين من أهل باب البصرة ولد سنة خمس وثلاثين وخمسمائة وسمع الحديث وكان حفظه للحكايات والأشعار والملح . قال أبو المظفر : وكان يتردد إلى جدى ويعجبه كلامه وسمعه يوما يحكى له أن ابن عقيل سئل فقيل له ان الخبازير تزيد له فى السنة فى ليلة واحدة فأيما هى هذه الليلة . فقال ابن عقيل : مايعرف هذه الليلة إلا من قد كان خبازاً . قال

ودخل رجل إلى الكرخ فلقيته امرأة فقالت له أبو بكر كيف أنت ؟ فقال : أهلا يا عيشة . قالت : فأنا اسمي عيشة . قال : فاقبلي أتوحدى . وكانت وفاته برمضان سمع شهدة وطبقتها وكان ثقة .

وفيها : توفى شيخ الشيوخ صدر الدين أبو الحسن محمد بن شيخ الشيوخ عماد الدين محمد بن حمويه والد أولاد شيخ الشيوخ الذين اشتهروا بالأمر والوزارة بمصر فى أيام العادل أبى بكر بن أيوب وابنه الكامل محمد وذريته وكان أبوه عمر قد ولاه نور الدين بن زنكى رحمه الله خوانك الشام وكان يحترمه ويحبه ومات سنة سبع وسبعين وخمسمائة وصدر الدين بدمشق عند أبيه فولاه صلاح الدين المشيخة مكان أبيه وزوجه الشيخ قطب الدين مسعود النيسابورى ابنته فأولدها ابنه شمس الدين توفى قديما ثم تزوج ابنة ابن أبى عصرون وأولدها أولاده الأربعة المشهورين عماد الدين عمر ، وفخر الدين يوسف وكمال الدين أحمد ، ومعين الدين حسن وسيأتى ذكر كل منهم وكان صدر الدين قد ناب عن قطب الدين النيسابورى فى التدريس بالزاوية الغربية بجامع دمشق وبمدرسة جاروخ وانتفع بصحبته . وكان قد نفعه فى بلاد العجم ، ثم ولاه العادل بمصر التدريس بالشافعى ، ومشهد الحسين ، والنظر فى الخانقاه الكبرى بدار سعيد السعداء بين القصرين ، ودار الوزارة . وكان فاضلا فقيها لا يتكلم فيما لا يعنيه ؛ وكانت له الحرمة الوافرة عند العادل بن أيوب وأولاده . ولما استولى الفرنج على دمياط بعثه الكامل إلى الخليفة الناصر يستنجده على الفرنج فرض بين حران والموصل ، ووصل إلى الموصل فى منتصف جمادى الآخرة فتوفى بها بعلة الذرب فى الرابع والعشرين منه ودفن إلى جانب قضيب البان وعمره ثلاث وسبعون سنة .

وفيها : فى العشر الأول من ذى الحجة توفى الشيخ عبد الله اليونينى أسد الشام أصله من قرية من قرى بعلبك يقال لها يونين ؛ وكان صاحب رياضات ومجاهدات ، وكرامات ، واشارات وقد رأيته بجامع دمشق . قال سبط ابن الجوزى : كان لايقوم لأحد من الناس تعظيما لله تعالى . ويقول : لاينبغى القيام إلا لله تعالى صحبته مدة ، وما كان يدخر شيئا ولا يمس بيده دينارا ولا درهما . كان زاهداً ، ورعا ، عفيفا وما لبس طول عمره سوى الثوب الخام والقلنسوة من جلد الماعز تساوى نصف درهم ، وفى الشتاء يبعث له بعض أصحابه فروة يلبسها ثم يؤثر بها فى البرد . وكان اذا لبس الثوب يقول هذا لفلان، وهذا لفلان . وقال لى يوما ياسيدى: أنا أبقى أياما فى هذه الزاوية ، وكنا ببعلبك ما آكل شيئا فقلت له : انت صاحب القبول فكيف تجوع ؟ فقال : لأن أهل بعلبك يتكل بعضهم على بعض فاجوع أنا . قال : وحدثنى عبد الصمد خادمه قال : كان يأخذ ورق اللوز فيفركه ويسفه . وكان الملك الأمجد صاحب بعلبك يزوره ويحبه ، وكان الشيخ يهينه فما قام له يوما قط . وكان يقول له يا مجيد أنت تظلم وتفعل وتصنع وهو يعتذر اليه ، وكان العادل قد أظهر بدمشق ضرب قراطيس سود فقال الشيخ عبد الله : يامسلمين انظروا إلى هذا الشيخ الفاعل الصانع يفسد على الناس معاملاتهم ؛ وبلغ العادل فأبطلها . وكان يقول لصاحبه الفقيه محمد الحنبلى فى وقت نزل : (ان كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل) أنا من الرهبان وانت من الأحبار ، وكان يستوحش من الناس فتارة يكون بجبل لبنان ، وتارة يكون بالغوطة، وتارة بثنية العقاب ، وتارة بضمير ، وكان

يأتى فى الشتاء إلى عيون الفاسريا وهى ظاهر دمشق بسفح الجبل المتصل بقرية دومة لأجل سخونة الماء بها وبنى له على رأس العين مسجداً صغيراً يأوى إليه وكان الدماشقة يخرجون من دمشق إلى زيارته قال : وحكت لى امرأة صالحة قالت : خرجت من دمشق بعد العصر فوصلت العيون بعد العشاء الآخرة فتوضأت وطلعت إلى زيارته بالزاوية وكانت ليلة مقمرة وإذا بالسبع قائماً على باب الزاوية ورأيته على عتبتها فيبست ولم أقدر أتحرك فسجدت ركبتى إلى نحو القرية . فلما كان وقت السحر هرول السبع ومضى وخرج الشيخ فرآنى فقال : ويك وإيش كان عليك منه . قال : وكان شجاعاً لا يبالى بالرجال قلوا أو كثروا وكان قوسه ثمانين رطلا . وما فاته غزاة بالشام قط . وكان يتمنى الشهادة ويلقى نفسه فى المهالك . حكى لى عنه خادمه عبد الصمد قال : لما دخل العادل إلى بلاد الفرنج ووصل إلى صافيتا والعريمة كان الشيخ فى الزاوية ببعلبك فقال لى يا عبد الصمد انزل إلى الفقيه عبد الله اطلب لى منه بغلة . قال : فأحضرت البغلة فركبها وخرجت معه فبتنا فى ترمين وقمنا نصف الليل فجئنا إلى المحدثة قبيل الصبح فقلت له : لا تتكلم ها هنا . فهذا مكمن الفرنج . قال : فرفع صوته وقال : الله أكبر فجاوبته الجبال فقمت أنا من الفزع ونزلت فصلى الفجر وركب وطلعت الشمس والطير لا يطير فى تلك الأرض وإذا قد لاح من ناحية حصن الأكراد طلب أبيض فضمهم الاستتار . فقال : الله أكبر ما أبركك من يوم اليوم أمضى إلى صاحبى وساق إليهم وقد سل سيفه . فقلت فى نفسى شيخ وتحته بغلة وبيده سيف يسوق إلى طلب الفرنج فلما كان بعد ساعة وإذا بهم قد قربوا منا وهم مائة حمير وحش قال : فانكسر قلبى وفترت همتى فقلت له احمد ربك فإن الله قد نظر إليك أنت واحد تريد تلاقى مائة حمار وحش على بغلة . قال : وجئنا إلى حمص فجاءنا صاحبها أسد الدين وقدم له حصانا من خيله فركبه ودخل معهم فعمل العجائب . قال أبو المظفر : وحدثنى القاضى جمال الدين بن يعقوب قاضى كرك البقاع قال : كنت يوما عند الجسر الأبيض فى مسجد هناك وقت الحر وإذا بالشيخ عبد الله قد جاء فنزل نهر ثورا يتوضأ وإذا بنصرانى عابر على الجسر ومعه بغل عليه حمل خمر فعثر البغل عند الجسر ووقع حمل الخمر وليس فى الطريق أحد فصعد الشيخ من النهر وصاح لى يا فقيه تعالى فجئت فقال : عاونى فعاونته حتى رفعنا الحمل على البغل وراح النصرانى . فقلت فى نفسى مثل هذا الشيخ يفعل كذا ثم مشيت خلف البغل إلى العقيبة فجاء إلى دكان الخمار فحط الحمل وفتح الزقاق وقلب ليكيله وإذا به قد صار خلا فقال له الخمار ويحك هذا خل فبكى وقال : والله ما كان إلا خمراً من ساعة وإنما أنا أعرف العلة ثم ربط البغل فى الخان وعاد إلى الجبل . وكان الشيخ قد صلى الظهر فى المسجد الذى عند الجسر وقعد يسبح . فدخل عليه النصرانى وقال يا سيدى . أنا أشهد أن لا إله إلا الله . وأسلم وصار فقيراً . قال أبو المظفر : وحكى لى جماعة من أهل بعلبك أنه كان جالساً يوماً فى زاويته وإذا بامرأة طالعة وبين يديها دابة تسوقها عليها نحاس وثياب فربطتها وجاءت إليه فسلمت عليه فقال لها : من أنت ؟ قالت : نصرانية من جبة المنيطرة . قال : وما الذى جاء بك إلى عندى ؟ قالت . رأيت السيدة مريم فى المنام فقالت لى . اذهبى فاخدمى الشيخ عبد الله اليونينى إلى أن تموتى . قالت . فقلت لها يا ستى فذاك مسلم . فقالت هذا . صحيح انه مسلم ولكن قلبه نصرانى . فقال لها الشيخ . أجادت مريم ما عرفنى غيرها .

فأعطاها بيتاً في الزاوية فأقامت تخدمه ثمانية أشهر فمرضت فقال لها الشيخ : إيش تشتهين . فقالت :
أموت على دين السيدة مريم . فقال : صيحوا بالقسيس . فجاء . فقال : خذ هذه إليك . وحد قماشها ،
وكان يساوي خمسمائة درهم فماتت عند القسيس . قال : وبكى بعض أهل بعلبك أنها ما ماتت إلا مسلمة
عند الشيخ وتصدق الشيخ بما خلفت . قال أبو المظفر : كنت اجتمعت به في الشام من ستمائة إلى
سنة ثلاث وستمائة وكان له تلميذ اسمه توبة وكان من الصالحين الأجواد ، وسافرت إلى العراق في سنة
أربع وستمائة وحججت فلما كان يوم عرفة صعدت جبل عرفات وإذا بالشيخ عبد الله قاعد مستقبل
الكعبة وعليه الثوب الخام وعلى رأسه القلنسوة السوداء فسلمت عليه فرحب بي وسألني عن طريقي
وقعدت عنده إلى قريب الغروب ثم قلت له : ما تقوم نروح إلى المزدلفة قال : امض أنت ولي رفاق
ونزلت من الجبل وأتيت المزدلفة ووقفت بها وجئت إلى منى فدخلت مسجد الخيف وإذا بالشيخ توبة
خارجاً من المسجد فسلم علي فقلت : أين ذاك الشيخ ؟ ظناً مني أنه قد حج معه فقال : أيما شيخ ؟ قلت :
عبد الله . قال : خلفته ببعلبك فعطست فقلت : مبارك . فلزم بيدي وبكى وقال : بالله حدثني إيش معنى
هذا . فقلت : رأيته البارحة على عرفات وحدثته الحديث ورجعت أنا على بغداد وجاء توبة إلى دمشق
وحدث الشيخ عبد الله الحديث فخاصمني وقال : قال لي الشيخ [illegible] فلان في والتقى مايكون
عماراً . فلما عدت إلى الشام عتبني الشيخ فقلت : توبة أخبرك . فقال : لا تعد إلى مثلها كأنه كره أن
يتحدث له بكرامة في حال حياته . قال : حكى لي عبد الصمد خادمه . قال : لما كان يوم الجمعة في
العشر الأول من ذي الحجة نزل فصلى الجمعة بجامع بعلبك وهو صحيح ليس به شيء ودخل الحمام قبل
الصلاة واغتسل وكان عليه ثوبان قد سماهما لامرأتين وجاء داود المؤذن وكان يغسل الموتى فقال له :
ويحك يا داود انظر كيف غداً . فما فهم داود وقال : ياسيدي كلنا غداً في خفارتك . ثم صعد الشيخ
إلى المغارة وكان قد أمر الفقراء أن يقطعوا صخرة عند اللوزة التي كان ينام تحتها ويقعد عندها وعندها
قبره . وكان في نهار الجمعة قد نحتت الصخرة وبقي منها مقدار نصف ذراع . فقال لهم : لا تطلع الشمس
إلا وقد فرغتم منها . قال : وبات طول الليل يذكر أصحابه ومعارفه ، يدعو لهم ويقول : يا سيدي
فلانة اجتزت بها في الموضع الفلاني أعطتني شربة من الماء فشربتها وقليل ماء فتوضأت به رب اغفر لها
وفلان أحسن إلي وحسن إليه . وطلع الشيخ فصلى وخرج إلى صخرة كان يجلس عليها فجلس عليها
وفي يده مسبحته وقام الفقراء يقطعون الصخرة وطلعت الشمس وقد فرغوا منها والشيخ قاعد نائم
والسبحة بيده وجاء خادم من القلعة إليه في شغل فرآه نائماً قاعداً بحاله فما تجاسر أن يوقظه فقعد ساعة
وصاح عليه . وقال : ياعبد الصمد ما أعهد أنه نام أكثر من هذا . قال : فتقدمت إليه وقلت : سيدي
سيدي فلم يتكلم فحركته وإذا به ميتاً وقد فرغوا من الصخرة وعملوا فيها ساعة وهو ميت فارتفع الصياح
وكان صاحب بعلبك في الصيد فأرسلوا وراءه فجاء فرآه على تلك الحال لا وقع ولا وقعت السبحة من
يده وهو كأنه نائم . فقال : دعونا نبني عليه بنياناً وهو على حاله ليكون أعجوبة الدنيا ان الانسان
يموت وهو قاعد ولا يتغير . فقالوا : اتباع السنة أولى ونقله داود فغسله وخلع الثوبين إلى المرأتين
ولما ألحدوه قال له الحفار يا شيخ عبد الله اذكر ما عاهدتنا عليه . قال ففتح عينيه ونظر إلى [illegible]

ودفن عند اللوزة يوم السبت وقد جاوز ثمانين سنة رحمه الله

سنة ٦١٨ هـ :

ثم دخلت سنة ثمانى عشرة وستمائة فيها : توجه المعظم عيسى إلى أخيه الأشرف موسى واجتمعا على حران وكتب صاحب ماردين ناصر الدين إلى الأشرف يسأله أن يصعد المعظم اليه فسأله فسار إلى ماردين فنزل صاحب ماردين والتقاه فى دنيسر وأصعده إلى القلعة وخدمه خدمة عظيمة وقدم له التحف والجواهر وتحالفا واتفقا على ما أراد وزوج المعظم إحدى بناته ناصر الدين صاحب ماردين . وزوج ناصر الدين ابنته الأخرى وخلع على جميع أصحابه وأعطاهم الأموال ورجع المعظم إلى حران

وفيها : وصلت الأخبار بوصول التاتار إلى كرمان شاه قريبا من بغداد فانزعج الخليفة وأمر الناس بالقنوت فى الصلاة وحصن بغداد واستخدم العساكر

وفيها : فى جمادى الآخرة استرد المسلمون دمياط من الفرنج وكان المعظم عيسى من أحرص الناس على خلاص دمياط وعلى الغزاة . وكان مصافيا لأخيه الكامل وكان أخوهما الأشرف مقصراً فى حق الكامل . وكان مباينا له فى الباطن فلما اجتمعت العساكر على حران قطع هو المعظم الفرات وسار الأشرف فى آثاره . وجاء المعظم فنزل حمص . ونزل الأشرف سلمية . قال أبو المظفر : وكنت قد خرجت من دمشق إلى حمص لطلب الغزاة فانهم كانوا على عزم الدخول إلى طرابلس فاجتمعت بالمعظم على حمص فى ربيع الآخر . فقال لى : قد سحبت الأشرف إلى هنا بأسنانى وهو كاره وكل يوم أعتبه فى تأخره وهو يكاسر . وأخاف من الفرنج أن يستولوا على مصر وهو صديقك فانتهى تروح اليه فقد سألنى عنك مراراً ثم كتب الى أخيه كتابا بخطه نحو ثمانين سطراً فأخذته ومضيت إلى سلمية وبلغ الأشرف وصولى فخرج من الخيمة والتقانى وعاتبنى على انقطاعى عنه وجرى بنى وبينه فصول وقلت له المسلمون فى ضائقة وإذا أخذ الفرنج الديار المصرية ملكوا إلى حضرموت . وعفوا آثار مكة . والمدينة ، والشام وأنت تلعب . قم الساعة وارحل . فقال : ارموا الخيام والدهاليز فسبقته إلى حمص والمعظم عينه إلى الطريق فلما قيل له وصل فلان ركب والتقانى وقال ما نمت البارحة ولا أكلت اليوم شيئاً . فقلت : غداً بكرة يصبح أخوك على حمص فدعا لى ولما كان من الغد أقبلت الأطلاب (١) وجاءته طلب الأشرف والله ما رأيت أجمل ولا أحسن رجالا ولا أكمل عدة ، فسر المعظم سروراً عظيما وجلسوا تلك الليلة يتشاورون فاتفقوا على الدخول فى السحر إلى طرابلس يشوشون على الفرنج وكانوا على حال فأنطق الله الأشرف من غير قصد وقال للمعظم ياخوند : عوض ما ندخل الساحل ونضعف خيلنا وعساكرنا ونضيع الزمان ماتروح إلى دمياط ونستريح ؟ فقال له المعظم : قول رماة البندق . قال : نعم . فقبل المعظم قدمه وقام الأشرف فخرج المعظم من الخيمة كالأسد الضارى يصيح الرحيل الرحيل إلى دمياط وكان يظن أن الأشرف ما يسمح بذلك وساق المعظم إلى دمشق وتبعته العساكر ونام الأشرف فى خيمته إلى قريب الظهر وانتبه فدخل الحمام فلم ير حول خيمته أحداً . فقال :

(١) جمع طلب بضم فسكون بمعنى الكتيبة فى مصطلح ذلك العهد (ز) .

وأين العساكر ؟ فأخبروه الخبر فسكت وساق إلى دمشق فنزل القصر يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الأولى فأقام إلى سلخ جمادى وعرض العساكر تحت قلعة دمشق وكان هو وأخوه المعظم فى الطيارة فى القلعة ، وساروا إلى مصر غرة جمادى الآخرة قال: كنت حاضراً تحت القلعة وتلك العساكر تمر أميراً بعد أمير والناس يتضرعون ويدعون لها بالنصر ، فاشتدت قوى المسلمين وأيقنوا بالظفر . ولأجل ما كان للملك المعظم من الآثار الجميلة فى سفره إلى الشرق تجمع هذه العساكر وتيسر الوصول بها إلى مصر قال شيخنا أبو الحسن (السخاوى) رحمه الله من جملة قصيدة له عند فتح دمياط : —

سرى الملك المولى المعظم فى الدجى   فاطلع نجم النصر بعد مغيبه
ورد على الاسلام بعد كآبة   سروراً وآوى الدين بعد شحوبه
تجلى بعيسى غمها (١) واغتدى بها   فريداً وأضحى بحرها من نصيبه

وسمعت من يوثق به فى مجلس شيخنا ابى الحسن السخاوى رحمه الله يقول : أنه رأى فى منامه فى بعض تلك الليالى كأن هاتفا يقول له : —

لاتيأسن لعسرة فسوراءها   يسران وعد ليس فيه خلاف
كم كربة وافى الفتى لنزولها   لله فى أعطافها ألطاف

قلت : والبيتان لأبى الفتح البستى . قال أبوالمظفر : وأما الفرنج الذين كانوا بدمياط فانهم خرجوا بالفارس والراجل وكان البحر زائداً جداً فجاؤا إلى ترعة فارسوا اليها وفتح المسلمون عليهم الترع من كل مكان ، وأحدقت بهم عساكر الكامل فلم يبق لهم وصول إلى دمياط وجاء اسطول المسلمين فأخذوا مراكبهم ومنعوهم أن يصل اليهم ميرة من دمياط ، وكانوا خلقا عظيما وانقطعت أخبارهم عن دمياط وكان فيهم مائة كند (٢) وثمانمائة من الخيالة المعروفين . وملك عكا والدوك ، والدوكات ، ونائب البابا . ومن الرجالة ما لايحصى فلما عاينوا الهلاك أرسلوا إلى الكامل يطلبون الصلح والرهائن ويسلمون دمياط فمن حرص الكامل على خلاص دمياط أجابهم . ولو أقاموا يومين أخذهم برقابهم فبعث اليهم الكامل ابنه الصالح أيوب . وابن أخيه شمس الملوك وجاءت ملوكهم إلى الكامل فالتقاهم وانعم عليهم وضرب لهم الخيام ووصل المعظم والأشرف فى تلك الحال إلى المنصورة فى ثالث رجب فجلس الكامل مجلسا عظيما فى خيمة كبيرة عالية ومد سماطا عظيما وأحضر ملوك الفرنج والخيالة ووقف فى خدمته أخواه المعظم والأشرف وغيرهما وقام راجح الحلى الشاعر فأنشده : —

هنيئا فان السعد راح مخلدا   وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا

---

(١) أى انجلى غم دمياط بعيسى الملك المعظم (ز).
(٢) مستحفظ (ز).

حبانا آله الخلق فتحاً بدا لنا ... مبيناً وانعاماً وعـزاً مؤبدا
تهلل وجه الدهر بعد قطوبه ... وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
ولما طغى البحر الخضم بأهله الـ ... طغاة وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام لهذا الدين من سل عزمه ... صقيلا كما سل الحسام مجرداً
فلم تر إلا كل شلو مجـدل ... ثوى منهم أو من تراه مقيداً
ونادى لسان الكون فى الأرض رافعا ... عقيرته فى الخافقـين ومنشدا
أعباد عيسى ان عيسى وحزبه ... وموسى جميعاً ينصران محمدا

قلت : وبلغنى انه وقت الانشاد أشار عند قوله عيسى إلى المعظم ، وعند قوله موسى إلى الأشرف وعند قوله محمداً إلى الكامل . وهذا من أحسن شىء اتفق.

قال ابو المظفر : ووقع الصلح بين الكامل والفرنج يوم الأربعاء تاسع عشر رجب وسار بعض الفرنج فى البر ، وبعضهم فى البحر الى عكا . وتسلم الكامل دمياط ووصلت العساكر الشرقية والشامية وقد أخذ الكامل دمياط ، وعاد المعظم إلى الشام ، وأقام الأشرف بمصر عنـد الكامل فغير الله سبحانه القلوب فصارا متصادقين واتفقا على المعظم .

وفيها : حج بالنـاس من الشام أمير يقال له شقيقات . وحج أبى اسماعيل معه تلك السنة . وحج بالناس من العراق ابن أبى فراس ومعه كتاب الخليفة إلى مكة والمدينة باعادة ولى العهد أبى نصر محمد إلى العهد وكتب إلى الآفاق بذلك .

وفيها : ولى المعظم جمال الدين المصرى الوكيل (١) قضاء الشام وكان يكتب فى السجلات قاضى قضـاة الشام وذلك فى رجب

وفيها : توفى الشيخ الشهاب محمد بن خلف بن راجح المقدسى الحنبلى احد الشيوخ الصالحين السـاكنين بالدير بسفح جبل قاسيون وكنت أراه يوم الجمعة قبل الزوال يجلس على درج المنبر السفلى بجامع الجبل وبيده كتاب من كتب الحديث وأخبار الصالحين يقرأه على الناس إلى أن يؤذن المؤذن للجمعة . قال أبو المظفر : وكان زاهداً، عابداً، ورعا، فاضلا فى فنون العلوم وسافر إلى بغداد وسمع الكثير من شهدة وابن البطى . ومشايخ الشام وغيرهم . وحفظ مقامات الحريرى فى خمسين ليـلة فتشوش خاطره وكان عا يغسل باطن عينيه قد قل نظره ، وكانت وفاته يوم الأحد سلخ صفر ودفن بقاسيون عند أهله وكان سليم الصدر من الأبدال ماخالف أحداً قط . ورأيته يوما وقد خرج من جامع الجبل فقال له انسان : ماتروح الى بعلبك . فقال : بلى فمشى من ساعته إلى بعلبك بالقبقاب . قلت : وسيأتى ذكر ولديه القاضى نجم الدين احمد . والصلاح موسى .

---

(١) وكيل بيت المال (ز).

وفيها : توفى صاحبنا ضياء الدين على بن عبد السيد بن ظافر القوصى ابن اخت الشهاب القوصى. كان من أصحاب شيخنا السخاوى ، وشيخنا فخر الدين بن عساكر ، وله شعر حسن ومولده بقوص سنة سبعين وخمسمائة واجازنى من الشيخ علم الدين فى القرآن عندى بخطه.

وفيها : فى ليلة الجمعة الحادية والعشرين من رجب توفى خطيب بيت الأبار الشيخ موفق الدين أبو عبد الله عمر بن يوسف بن يحيى بن كامل المقدسى وكان شيخا صالحا وخطب على منبر دمشق مدة غيبة الخطيب جمال الدين الدولعى فى الرسالة العادلية إلى بلاد الشرق رحمهما الله .

وفيها : أو فى السنة التى بعدها فى ثالث عشر رجب توفى الحافظ المحدث تقى الدين ابو طاهر اسماعيل ابن عبد الله بن عبد المحسن المصرى المعروف بابن الأنماطى كان فى زمانه أحذق الناس بقراءة الحديث وكتابته وافادة الشيوخ وحسن كتابة طبقات السماع وحصل كتباً كثيرة ، وكتب بخطه أجـــزاء عديدة وكان سريع الكتابة والقراءة جداً مع معرفة بعلم الحديث واطلاع على دقائقه . وكانت كتبه تكون فى البيت بالكلاسة الذى كان بيد الملك المحسن احمد بن صـــلاح الدين قبله ، ثم انتقل منه لما أريد اسكان الشيخ عبد الصمد الدكالى الزاهد به ، ثم بقى بيد أصحاب عبد الصمد إلى الآن . وسمعت الشيخ التقى عمر بن الصلاح رحمه الله يثنى عليه بعد موته فى معرفة الحديث ويتأسف لفقده على فوائد كانت تحصل من عنده . قال أبو المظفر : سمع الكثير ولقى الشيوخ وكانت وفاته بدمشق ودفن بمقابر الصوفية فى طريق المنيبع وصلى عليه الموفق الحنبلى بجامع دمشق ، والفخر بن عساكر بباب النصر ، والجمال المصرى قاضى القضاة عند قبره ، وكان سمع بمصر من البوصيرى ، وابن المقدسى وبدمشق من بركات بن ابراهيم الخشوعى ، ورحل إلى العراق فسمع أبا الفتح بن الميدانى ، وابن عبد السميع الهاشمى وابن طبرزد ، وابن سكينة ، وابن الأخضر ، وحنبلا . وقرأ على الشيخ تاج الدين الكندى بدمشق تاريخ الخطيب ، وطبقات ابن سعد وشيئا كثيراً وكان ثقة . قلت : وقرأ على القاضى أبى القاسم بن الحرستانى من كتب البيهقى كثيراً مثل السنن الكبرى ومعرفة السنن والآثار ، والدلائل النبوية والآداب والدعوات

سـنة ٦١٩ هـ :

ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة فيها : ظهر بالشام جراد كثير لم يعهـــد مثله فأكل الزرع والشجر والثمر فأظهر المعظم أن ببلاد العجم طيراً يقال له السمرمر (١) يأكل الجراد فارسل الصدر البكرى محتسب دمشق ورتب معه صوفية وقال : يمضى إلى العجم فهناك عين يجتمع فيها السمرمر فتأخذ من مائها فى قوارير وتعلقه على رءوس الرماح فكلما رآه السمرمر تبعك وما كان مقصوده إلا أن يبعث البكرى إلى جلال الدين خوارزم شاه واتفق معه لما بلغه اتفاق أخويه الكامل والأشرف عليه فاجتمع البكرى بالخوارزمى وقرر معه الأمور وجعله سنداً له . وكان الجراد قد قل فلما عاد البكرى كثر الجراد . قال الناس فى ذلك أشعاراً وظهر فعل المعظم للناس وعلم الكامل والأشرف وشاع الحديث

---

(١) وهو معروف إلى اليوم فى بلاد الأناضول (ذ).

فقيل للمعظم لو كنت بعثت رسالة مع بعض التجار الذين يسافرون إلى خراسان كان أولى ولمـا عاد البكرى من الرسالة ولاه المعظم مشيخة الشيوخ مضافة الى الحسبة.

وفيها : حج من العراق ابن أبى فراس مستقلا . ومن الشام كريم الدين الخلاطى ومعه الركن الفلكى وخلق كثير وكانت الوقفة الجمعة وازدحم الناس فى المسعى فمات جماعة . قال ابو المظفر وكنت على عزم الحج فخرجت على هجين إلى مسجد القدم فجاء حورانى عليه فروة ليصافحنى فنفر منه الهجين فاقمت شهرين أداوى ظهرى . فحج بالناس من اليمن اطسيس (١) ابن الكامل ولقبه الملك المسعود فى عسكر عظيم فجاء إلى الجبل وقد لبس هو وأصحابه السلاح ومنع علم الخليفة أن يصعد به إلى الجبل وأصعد علم أبيه الكامل وعلمه وقال لأصحابه ان أطلع البغاددة علم الخليفة فاكسروه وانهبوهم ووقفوا تحت الجبل من الظهر الى غروب الشمس يضربون الكوسات ويتعرضون للحاج العراقى وينادون يا ثارات ابن المقدم فارسل ابن أبى فراس أباه وكان شيخاً كبيراً الى اطسيس وأخبره بما يجب من طاعة الخليفة ومايلزمه فى ذلك من الشفاعات. فيقال انه أذن فى صعود العلم قبيل المغرب . وقيل لم يأذن . قال : وبدا من اطسيس فى تلك السنة جبروت عظيم . حكى لى شيخنا جمال الدين الحصيرى رحمه الله قال : رأيت اطسيس قد صعد على قبة زمزم وهو يرمى حمام مكة بالبندق . قال : ورأيت غلمانه فى المسعى يضربون الناس بالسيوف فى أرجلهم ويقولون : اسعوا قليلا . قليلا . فان السلطان نائم سكران فى دار السلطنة التى فى المسعى والدم يجرى من ساقات الناس . قلت : واستولى أطسيس على مكة واعمالها وأذل المسدين فيها وشتت شملهم وهو الذى بنى القبة على مقام ابراهيم عليه السلام وكثر الجلب الى مكة من مصر واليمن فى أيامه فرخصت الأسعار ، ولعظم هيبته قلت الأشرار وأمنت الطرق والديار .

وفيها : نقل تابوت العادل بن أيوب من قلعـة دمشق إلى تربته المقابلة لدار العقيقى اخرجوا جنازته من القلعة والتابوت مغشى بمرقعة وأرباب الدولة حوله ومروا به على دار الحديث إلى باب البريد إلى الجامع ووضع فى صحن الجامع قبالة حائط النسر وصلى عليه هناك ، وأمهم فى الصلاة عليه خطيب الجامع جمال الدين الدولعى . ثم حملوا الجنازة وخرجوا بها من باب الناطفانيين شمالى الجامع خوفا من زحمة الناس فى الطريق ولم يصل إلى تربته إلا بعد جهد لضيق السكك ، وبنى القراء ، والفقهاء يترددون إلى التربة غدوة وعشية كل يوم يقرؤن القرآن إلى أن رتب لهم الوقف عليها وعين لها قراء مخصوصون ، ولم تكن المدرسـة كملت عمارتها . والتى فيها الدرس فى هذه السنة القاضى جمال الدين المصرى وحضر درسه أعيان الشيوخ ، والقضاة ، والفقهاء . وحضر السلطان الملك المعظم عيسى بن العادل وتكلم فى الدرس مع الجماعة وكان الاجتماع بايوان المدرسة وجلس عن يمين السلطان إلى جانبه شيخ الحنفية جمال الدين الحصيرى ، ويليه شيخ الشافعية شيخنا فخر الدين بن عساكر ، ثم القاضى محيي الدين ابن الشيرازى ، ثم القاضى محيي الدين بن محيي الزكى . وجلس عن يسار السلطان إلى جانبه مدرس المدرسة

---

(١) يعنى ماله اسم كان لايعيش لوالده ولد فقيل له اذا خليته من غير اسم يعيش ففعل فعاش واشتهر بهذا الاسم ويقال فى اللهجة الحديثة (آتسز) ويصحف إلى شتى الألفاظ (ز) .

قاضى القضاة جمال الدين المصرى . وإلى جانبه شيخنا سيف الدين الآمدى . ثم القاضى شمس الدين بن سنى الدولة ، ثم القاضى نجم الدين خليل قاضى العسكر وداوت حلقة صغيرة والناس وراءهم متصلون إلى الإيوان . وكان فى دور تلك الحلقة أعيان المدرسين ، والفقهاء . وقبالة السلطان فيها شيخنا تقى الدين بن الصلاح وغيره، وكان مجلساً جليلا لم يقع مثله إلا فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة كما سيأتى ولكن كان قد فقد من الشيوخ الشافعية أجلهم وأكبرهم فخرالدين بن عساكر رحمه الله .

وفيها : توفى قطب الدين بن العادل بالفيوم ونقل الى القاهرة فرأت على عمود قبره فى تربة شمس الدولة توران شاه بن أيوب ظاهر القاهرة خارج باب النصر - انه الملك المفضل قطب الدين أبو العباس احمد بن الملك العادل بن أيوب توفى يوم الثلاثاء رابع عشر رجب من السنة المذكورة .

وفيها : توفى امام الحنابلة بمكة نصر بن أبى الفرج المعروف بابن الحصرى . أقام بمكة مجاوراً مدة ثم خرج إلى اليمن فمات بالمهجم ودفن به . سمع أبا الوقت ، وابن البطى ، وابن المقرب وغيرهم . قال أبو المظفر : سمعت منه الحديث بمكة فى سنة أربع وستمائة وكان متعبداً لايفتر من الطواف ، صالحاً ثقة .

وفيها : فى ربيع الأول توفى بدمشق الشهاب عبد الكريم بن نجم الدين الحنبلى أخو البهاء والناصح وهو أصغرهم والبهاء هو الأكبر بين كل واحد والذى قبله فى الولادة تسع سنين ، وكان الشهاب أبرعهم فى الفقه والمناظرة ، والمحاكمات ، بصيراً بما يجرى عند القضاة فى الدعاوى والبينات لكنه كان تعصب على شيخنا أبى الحسن فى اخراج مسجد الوزير المزدقانى (١) من يده ، وجرت أمور ربما نذكر بعضها فى ترجمته رحم الله الجميع وايانا فهو ذو رحمة واسعة . قلت : وفى يوم الثلاثاء ثامن عشر رجب من هذه السنة استقل القاضى جمال الدين أبو الفضائل يونس بن بدران بن فيروز الشافعى المعروف بالمصرى بالقضاء فى دمشق وما معها من البلاد الشامية ، وصار يدعى قاضى القضاة وقد تقدم ذكره فى سنة ست عشرة وستمائة .

وفيها : توفى المحدث أبو طاهر اسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن الأنماطى ليلة الاثنين ثالث عشر رجب بدمشق ، ودفن من الغد بمقابر الصوفية خارج باب النصر .

سنة ٦٢٠ هـ

ثم دخلت سنة عشرين وستمائة ففيها : عاد الأشرف بن العادل من مصر إلى الشام قاصداً بلاده بالشرق فالتقاه أخوه المعظم ملك الشام وعرض عليه النزول بالقلعة فامتنع ونزل بجوسق أبيه وبدت الوحشة بين الاخـــوة الثلاثة الكامل ، والأشرف ، والمعظم وأصبح الأشرف فى وقت السحر فساق وزن ضمير ولم يعلم المعظم برحيله . وصار يطوى البلاد الى حران ، وكان الأشرف قد استناب أخاه شهاب الدين غازى صاحب ميافارقين على خلاط لما سافر إلى مصر وجعله ولى عهده بعد أن عينه ومكنه فى جميع بلاده فسولت له نفسه العصيان ، وأعانه عليه قوم آخرون . أخوه المعظم

(١) نسبة إلى بلدة بالرى وقتل الوزير طاهر بن سعد هذا سنة ٥٢٣ هـ ومسجده على شرف البعل، شمالى دمشق (ز) .

وابن زين الدين صاحب اربل ، والمشارقة وقالوا : نحن من وراثك ولما وصل الأشرف إلى حران سار إلى سنجار وكتب إلى أخيه شهاب الدين غازى يطلبه فامتنع من المجيء اليه فكتب اليه : يا أخى لاتفعل أنت ولى عهدى والبلاد والخزائن بحكمك ولا تخرب بيتك بيدك وتسمع كلام الأعداء فوالله ماينفعونك فاظهر العصيان فجمع الأشرف عساكر الشرق وحلب وتجهز للسير إلى خلاط وكان صاحب حمص قد مال إلى الأشرف فسار المعظم إلى حمص ووصل الى حماة ونزل على نعرين قرية على بابها باتفاق كان بينه وبين صاحبها فلم ينزل اليه ولا فتح له الباب فاقطع بلاد حماة وعاد الى حمص وخرج اليه العسكر فظهروا عليه ونهبوا أصحابه فعاد الى دمشق ولم يظفر بطائل .

وفيها : حج بالناس من العراق ابن أبى فراس ، ومن الشام شرف الدين يعقوب صاحب سركس.

وفيها : توفيت والدتى رحمها الله ودفنتها بالجبل فى طريق قريب الاماج والمغر الى جانب الوادى وأرجو أن أدفن عندها . وكانت وفاتها يوم السبت سادس رجب وكانت دينة صالحة رضى الله عنها .

وفيها : توفى الأمير مبارز الدين سنقر الحلبى الصلاحى والد الظهير بن سنقر . قال أبو المظفر : كان مقيما بحلب ثم اتصل الى ماردين فخاف الأشرف منه فبعث الى أخيه المعظم وقال مادام المبارز فى الشرق ما آمن على نفسى . فارسل المعظم ابنه الظهير غازى بن سنقر الى أبيـــه وقال : أنا أعطيه نابلس وأى شىء أراد . فجاء الظهير الى ماردين وعرف المبارز رغبة المعظم وأنه يقطعه من الشام أى شىء أراد فقال له صاحب ماردين : لاتفعل فهذه خديعة . فأبى وسار الى الشام فى سنة ثمانى عشرة ووصل الى دمشق وخرج المعظم للقائه ولم ينصفه ، وجاء فنزل فى دار شبل الدولة الحسامى التى انتقلت الى الصوفية عند مدرسته بجسر كحيل فأقام بها والمعظم يعرض عنه ويماطله باليوم وغد حتى تفرقت عنه أصحابه وكان معه جملة من المال ، والخيل العربية المنسوبة ، والجمال ، والبغال ، والسلاح والمماليك شىء كثير ففرق الجميع فى الأمراء والأكابر قال : وكان جارى لأنى كنت مقيما بتربة بدر الدين حسن على ثورا . وكان يزورنى وأزوره ويشكو الى اعراض المعظم عنه وما فعل به ولده الظهير وكيف خدعه وأنا أسليه وأهون عليه ووقع الى كتاب فيه حديث ملوك اليمن فبينا أناقاعد اقرأه دخل فقال : ايش تقرأ ؟ فقلت : أخبار ملوك اليمن . فقال اقرأ على . فقرأت فلان الملك عاش ألف سنة ومات بالغم ، وفلان عاش سبعمائة سنة ومات بالغم ، وذكرت من هذا الجنس . فقال : وأنا أموت بالغم وكان طول النهار يجلس مغموماً مهموماً وعافيه العذل حتى انقطع أكله فأقام عشرين يوماً لايدخل فى فيه إلا الماء . ومات كمداً فى شعبان فى دار شبل الدولة كافور . فقام كافور بأمره أحسن قيام وجهزه أحسن جهاز ، وكان صديقه من أيام شمس الدولة اخى ست الشـــام لابويهـــا . ويقال أن المبـــارز كان مملوك شمس الدولة . اشـــترى له كافور تربة على رأس زقاق شبل الدولة عند المصنع بألف درهم ، وحضر جنازته خلق كثير عظيم لأنه كان محسناً إلى الناس ولم يكن فى زمانه من الصلاحية وغيرهم أكرم منه ولا اشجع ، وكان له مواقف مشهورة مع صلاح الدين وغيره ولما مات وجدوا فى صندوقه دستوراً فيه ما أنفق فى ثمان الخيل وذلك ثمانية عشر ألف درهم فسألت كاتبه عن ذلك فقال : ما يتعلق هذا بنعال دوابه وانما كان يستعرض الفرس السمين بخمسمائة دينار وأكثر فينعله أولا قبل أن يركبه ، ثم يركبه فان صلح اعطى صاحبه ثمنه وخلع عليه وان لم يصلح أعطى صاحبه

مائتى درهم واعتذر اليه .

قال أبو المظفر : وجرت عقيب ذلك واقعة اعترض بعض الأمراء فرسا وانعله ثم ركبه فلم يصلح وجاء صاحبه يطلبه فقال الأمير لغلامه : اقلع نعاله واعطه صاحبه . قال : وما كانت الدنيا تساوى عند المبارز قليلا ولا كثيراً . ولقد حكى لى ابنه الظهير قال : وصل مع أبى الى الشام ذهب ، وجمال ، وخيل ، وغيرها ماقيمته مائة الف دينار ، ومات وليس له كفن . ما كفنه إلا شبل الدولة

وفيها : توفى عز الدين المظفر بن أسعد بن حمزة التميمى المعروف بابن القلانسى من رؤساء الشام وجده أبو يعلى حمزة . هو صاحب ذيل التاريخ لملوك الشام إلى آخر زمنه . سمع عز الدين الحافظ أبا القاسم بن عساكر وغيره . وكان يصحب الشيخ تاج الدين الكندى ملازما له وانتفع به . وكان كيسا متواضعاً وتوفى فى شهر رمضان ودفن بجبل قاسيون .

وفيها : توفى محمد بن سلدان بن قتلمش بن تركانشاه أبو منصور السمرقندى ولد سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وبرع فى علم الأدب وولى حجبة الباب للخليفة ومن شعره :ـــ

سئمت تكاليف هذه الحيـــاة	وكر الصباح بها والمســـاء
وقد صرت كالطفل فى عقله	قليـــل الصواب كثير الهراء
أنام اذا كنت فى مجـــلس	وأسهر عنـد دخـول العشاء
وقصر خطوى قيـــد المشيب	وطـــالمـــا عنانى عنـــاء
وغودرت كالطفل فى عيشه	وخلفت حلى ورائى وراء
وماجر ذلك غـــير البقاء	فكيف ترى فعل سوء البقاء

وكانت وفاته فى ربيع الآخر ودفع بالشونيزية

وفيها : توفى الضياء بن الوداد الدمشقى كان قارئا طيب النغمة صيتا عالما بالقراءات . وكان فقيراً سافر من دمشق الى ميافارقين واتصل بصاحبها شهاب الدين بن العادل وأقام عنده ، ثم اتصل بالأشرف ابن العادل قال أبو المظفر : واجتمعنا بخلاط سنة ثلاث عشرة وستمائة وكان يتردد الينا ويقرأ طيبا صحيحا ثم خالط ودخل معهم فى ما هم فيه . جاءنى يوما وهو نادم حزين يبكى فسألته عن حاله فقال : البارحة حضرت عند الأشرف وناولنى قدحا من الخمر فامتنعت من شربه والأشرف ساكت ينظر إلى ومازالوا بى حتى شربته فلما حصل فى جوفى عض الأشرف على يده بحيث كاد يقطع أصابعه وقال : والله فعلتها خطيئة . الخمر على مائة وأربع عشرة سورة والله لو خيرت أن احفظ القرآن كما تحفظ وادع ملكى لاخترت حفظ القرآن . ثم نزلت حرمته بعد ذلك فكان يدور البلاد على أصحاب القلاع بعد ذلك لرسوم كانت له عليهم فخرج من حراب فى هذه السنة قاصداً السويداء ومعه غلمان مردان ثلاثة فنام فى واد وقت الظهيرة فقتلوه واخذوا خيله وقماشه وما له فبلغ الحاجب عليا فأرسل خلفهم فجىء بهم فقتلهم .

وفيها : توفى الشرف محمد بن عروة الموصلى المنسوب اليه المشهد بغربى الجامع بدمشق وانما نسب اليه لأنه كان مخزنا فيه آلات تتعلق بالجامع فعزله و بيضه وجدد فى قبلته المحراب والخزانتين عن يمينه وشماله، ووقف فيها كتبا وجمله دار حديث ووقف على الشيخ المسمع به وعلى السامعين وقفا وذلك قبل سنة عشرين وستمائة. ثم بعد ذلك أمر المعظم بجمع الخزائن المفرقة فى الجامع فنقل ما فيها من الكتب الموقوفة الى المشهد المذكور وبنى لها خزائن فى شرقه وغربه . وجدد ابن عروة المذكور فى المشهد المذكور بركة على يمين الداخل اليه . قال أبو المظفر : كان ابن عروة مقيما فى القدس ويداخل المعظم واصحابه ويعاملهم ويؤذى الفقراء والمشايخ وخصوصا الشيخ عبد الله الأرمنى فانه انتقل عن القدس بسببه ولما خرب القدس نزل ابن عروة إلى دمشق وأقام بها يسيراً ومات ودفن عند قباب الأتابك طغتكين .

وفيها : توفى فى المحرم الشيخ عبد الرحمن اليمنى الذى كان مقيما بالمنارة الشرقية بجامع دمشق وكان أحد المشايخ القوالين للحق عند الملوك وغيرهم عن وجوه ابواب الخير . ولقد بلغنى انه سنة خرجت الفرنج على بلاد المسلمين حضر عند السلطان العادل بن أيوب للانكار عليه فى عدم حفظ ثغور المسلمين وكان هذا اليمنى ابلغ الجماعة كلاما فى ذلك. قال أبو المظفر كان زاهداً . ورعا . واصلا منقطعا عن الناس وكان العادل يبعث اليه بالمال فلا يقبله ودفن بمقابر الصوفية .

وفيها : فى ربيع الآخر توفى الشيخ أبو الحسن الروزبهارى المدفون خارج باب الفراديس الأول فى البرج المستجد رحمه الله .

وفيها : لحع الناس بوفاة امامين كبيرين شيخى مذهبى الشافعيـــة والحنابلة علما وعملا . أما شيخ الشافعية فهو فخر الدين أبو منصور عبدالرحمن بن محمد بن الحسن بن هبه الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقى المعروف بابن عساكر وليس فى أجداده من اسمه عساكر وانما هى تسمية اشتهرت عليهم فى بيتهم ولعله من قبل أمهات بعضهم وهـذا البيت بيت جليـل كبير من الدمشقيين كثير الفضلاء والحفاظ والأمناء جمع هذا البيت رئاسة الدين والدنيا وأجلهم فى زماننا دينا وعلما هذا فخر الدين بن عساكر وفى القرن الذى قبله عمه الصالح هبـة الله ، والحافظ أبو القاسم ثم ابن عمه الحافظ أبو محمد بن أبى القاسم واخوه العماد بن القاسم ، وأخو الفخر تاج الأمناء احمد . وزين الأمناء حسن ، وأم الفخر أسماء بنت محمد بن الحسن بن طاهر القرشية المعروف والدها بأبى البركات بن الرانى وهو الذى جدد عمارة مسجد القدم فى سنة سبع عشرة وخمسمائة وبه قبر وقبر الواعظ أبى الحسن احمد بن عبد الله بن احمد بن الرانى وبهذا السبب كان الشيخ الفخر كثيراً ما يكون زائراً لمسجد القدم لأن به قبر جده لأمه ومن سلف من بيته ودفن به أيضاً أخوه تاج الأمناء . وأسماء المذكورة هى أخت آمنة أم القاضى محيى الدين محمد بن على ابن الزكى فهو ابن خالتهم اهتم الشيخ فخر الدين رحمه الله من صغره بالعلم واشتغل بالفقه على شيخه قطب الدين مسعود النيسابورى حتى برع فى ذلك وانفرد بعلم الفتوى حتى كانت الفتاوى ترسل اليه من الأقطار وكان عند شيخه كالولد وزوجه ابنته فأولدها ابنا سماه باسم جده قطب الدين مسعود ولو عاش خلف

جده ووالده لأنه كان مهتما بالعلم وتحصيله ويرتزق فيه لكنه توفي قبل والده بزمان ، ودرّس فخر الدين مكان قطب الدين بالمدرسة الجاروخية وهي ذات قاعتين احداهما التي كان هو ساكنها وبها توفي ، وهي التي لها باب في الحائط الغربي من ايوان المدرسة ، والأخرى قبليها بابها من الزقاق لزيق باب [illegible] ، كان يسكنها ولده المتوفي ووقفها بعد قتله على المدرسة ثم تولى التدريس بمدرسة القدس الناصرية وكان يقيم بدمشق أشهراً وبالقدس أشهراً ، ويطوف تلك الزيارات بالأرض المقدسة إلى عسقلان ونحوها . ثم ولاه العادل ابن أيوب التدريس بالمدرسة التقوية وكان عنده بها فضلاء الوقت من الفقهاء جلالة حتى كانت تسمى نظامية الشام ، وكان اذا فرغ من التدريس يجلس بجامع دمشق في البيت الصغير بمقصورة الصحابة يخلو فيه للعبادة ومطالعة الكتب والفتاوى ومتى احتاج الى طهارة خرج منه الى المئذنة الشرقية فقضى حاجته بمكان الطهارة المجدد بها خارج حائطها القبلي وبها الماء الجاري ثم يرجع الى مكانه والناس معتكفون عليه منتفعون به ولا يملون من النظر اليه لحسن سمته واقتصاده في لباسه واقامه ونور وجهه وكان لايخلو لسانه من ذكر الله تعالى في قيامه وقعوده ومشيه وكان يحضر تحت قبة النسر بالجامع بعد العصر في كل يوم اثنين ويوم خميس لسماع الحديث وهو المكان الذي كان يجلس فيه عمه الحافظ ابو القاسم إلى أن توفي عم أبيه الحافظ أبو محمد ، إلى أن توفي ثم ابنه العماد علي إلى أن سافر إلى العراق وخراسان فكان الشيخ الفخر يجلس فيه بعده ، ثم سمعت عليه معظم كتاب « دلائل النبوة » للحافظ أبي بكر البيهقي وغيره وكان رحمه الله رقيق القلب سريع الدمعة فكنت أشاهده في أثناء قراءة تلك الأحاديث عليه يبكي عند سماع مايبكي منها . ويردد مواضع المواعظ منها نحو الشعر المنسوب إلى قس بن ساعدة :ـ

في الذاهبين الأولـ ... ـين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مـوارداً ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قـومي نحوها ... تمضي الأصاغر والأكابر
ايقنت أني لا محا ... لة حيث صار القوم صائر

وكان رحمه الله يرددها ويبكي سألته مسائل من العلم وكتبت اليه أبياتاً أطلب منه فيها أجازة برواية مايجوز له عنه روايته وذلك في سنة ست عشرة وستمائة فاجابني نظما أيضاً بثلاثة أبيات وجدت بركة دعائه لي فيها وما أعلمه فعل ذلك مع غيري وكتبها بخطه وهي :ـ

أجزت له قولي يوفق الله قصده ... ويسعده بالحسنى يوم معاده
رواية ما أرويه عن كل عالم ... بصير بما فيه طريق سداده
فهناه ربي بالعلوم وجمعهـا ... وبلغه فيها منتهى مراده

وكان أيضا يسمع الحديث بدار الحديث النورية ، ومشهد أبي عروة أول ما فتح وكان السلطان العادل أبو بكر بن أيوب لما عزل القاضي زكي الدين الطاهر بن محيي الدين عن قضاء الشام أرسل اليه أن

يتولاه فأبى فطلب عنده ليلا فجاء فالتقاه وأقعده إلى جانبه فجلس محتسبا مستوفزاً فاحضر الطعام فلم يمد يده اليه ولم يأكل منه شيئا فسأله أن يتولى القضاء وكثر عليه القول فى ذلك . فقال : حتى استخير الله تعالى . فاخبرنى من كان معه ملازما له . قال : فلما رجع الى بيته جدد الوضوء ووقف يصلى ويتضرع ويبكى إلى الفجر فلما أصبح خرج إلى الجامع فصلى الصبح بالكلاسة ثم مضى إلى مقصورة الصحابة فصلى بها على عادته ثم دخل بيته الصغير الذى فى الحائط وهو الباب الذى كان يخرج منه خلفاء بنى أميـة وامراؤها إلى الصلاة من لدن معاوية بن أبى سفيان إلى زمن الوليد بن عبد الملك بن مروان فلما أخذ الوليد من النصارى جيرتهم الغربية وبنى القبة والنسر جعل المحراب فى وسط ذلك فهو الذى مقصوره الخطابة اليوم . والباب الأصغر فيما الذى بين المحراب وخزانة مصحف عثمان رضى الله عنه هو الباب الذى كان يخرج منه الوليد ومن بعده من الخلفاء والأمراء إلى الصلاة بالناس . وأما الباب الكبير الخارج من المقصورة الذى منه الخلفاء ثم كان لعموم الداخلين إلى دار الخلافة يؤذن لهم فى ذلك من جهة الجامع وقد بينا ذلك أيضا فى مختصرنا لتاريخ دمشق فلما استقر الشيخ بذلك البيت جلس يذكر الله تعالى فلما طلعت الشمس إذا رسل السلطان قد جاءوا فى كشف مافارقهم الشيخ عليه . الجمال المصرى . والنجم خليل وغيرهما فردهم وأصر على الامتناع وأشار بتولية الشيخ جمال الدين بن الحرستانى فولى وكان قد خاف أن يتـأذى من جهـة السلطنة فجهز أهله للسفر وخرجت المحـائر إلى ناحية حلب فردها العادل وعز عليه ما جرى فقيل له احمد الله تعالى ان فى بلادك وفى زمانك من امتنع من ولاية القضاء واختار الخروج من بلده على التولية دينا وزهداً ، وكان رحمه الله كثيراً إذا قام من الليل يؤذن للفجر بنفسه كان فى مدرسته أو خارج البلد من بستان وغيره . وبلغنى انه كان لا يأكل وحده وإذا قدم له غذاؤه استدعى من أهل مدرسته ممن حضر من يأكل معه . وكان يتورع من المرور فى رواق الجامع الذى فيه حلقة الحنابلة خوفا من أن يأثموا بالوقيعة فيه . وذلك ان الجهال منهم والعوام كانوا يبغضون شيوخ بنى عساكر لأنهم كانوا أعيان الشافعية الأشعرية . وكان اذا جاء الى الجامع من ناحية باب البريد يمر فى صحن الجامع أو فى الرواق الأوسط إلى المقصورة . أو قام من إسماع الحديث تحت قبة النسر ينعطف ويخرج من باب الزيادة ويقول لمن سأله عن ذلك ياولدى : أخاف أن يأثموا بشىء و بلغنى عنه أنه كان يقول : من طلب من غيره مالا يعطيه من نفسه فهو داخل فى المطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . وهذا كلام فى غاية الجودة وكان العادل لما أمر ببناء مدرسته المشهورة قد عزم على انها تكون للشيخ الفخر واتفق أن العادل توفى قبل كمال عمارتها وكان ابنه المعظم حنفى المذهب وكان فى نفسه من الشيخ الفخر لما انكر عليه اظهار الخمور (١) وتضمينها فتركه حتى حج فى ولايته فأخذ منه المدرسة التقوية . وأخذت منه قبيل ذلك الناصرية التى بالقدس . ولم يبق بيده إلا المدرسة الجاروخية على قلة جاريها مع كثرة مصروفها ثم لما تكاملت المدرسة العادلية فوضها إلى قاضيه الجمال المصرى وتركه فسبحان من جعل فيه اسوة وعمدة لمن طلع من المشايخ والفقهاء بعده . قال ابو المظفر سبط ابن الجوزى : ولد فخر الدين فى سنة خمس وخمسمائة . وكان زاهداً ، عابداً ،

---

(١) لعله يريد بها النبيذ العراقى فانه فى حكم الخمور عندهم بخلاف أهل العراق (ز) .

ورعا منقطعا إلى العلم والعبادة ، شيخا حسن الأخلاق قليل الرغبة فى الدنيا ، وكانت وفاته يوم الأربعاء عاشر رجب ودفن على الشرف القبلي عند مقابر الصوفية (١) وكانت له جنازة عظيمة وقبره ظاهر يزار وصلى عليه الملك العزيز بن العادل ولم يتخلف عن جنازته الا القليل سمع عميه أبا القاسم الحافظ . والصائن هبة الله . والقطب النيسابورى وغيرهم قلت : اخبرنى من حضر وفاته . قال : صلى الظهر يوم توفى ثم جعل يسأل عن العصر فقيل له لم يقرب وقتها فدعا بماء ثم تشهد وهو جالس . وقال : رضيت بالله ربا . وبالاسلام دينا . وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا لقنى الله حجتى ، وأقال عثرتى ، ورحم غربتى ، وآنس وحدتى . ثم قال : وعليكم السلام فعلمنا انه حضرته الملائكة حينئذ وسلموا عليه ثم انقلب على قفاه عقيب قوله وعليكم السلام ميتا رحمه الله تعالى . وغسله فخر الدين بن المالكى ومعه ابن أخيه عبد الوهاب بن زين الأمناء وغيره . وكان قد اجتهد فى مرضه فى تملك المكان الذى دفن فيه من مستحقيه ، حفر له القبر وهو حى ، وكان مرضه بالإسهال . وكانت وفاته آخر يوم الأربعاء عاشر شهر رجب واحتشد الناس من الغد لجنازته . وخرجوا به من المدرسة الجاروخية على باب البريد إلى الجامع فاذا الناس فى الجامع كهيئتهم يوم الجمعة فوضعت الجنازة ملاصقة الحائط القبلى قريب الازوردة . وتقدم للصلاة عليه أخوه لأبويه أبو البركات الحسن بن محمد بن هبة الله المعروف بزين الأمناء . ثم خرجوا بالجنازة إلى ناحية الميدان الاخضر بالشرف القبلى وقد امتلأت الطرق بالناس ومن الذى قدر على الوصول الى حمل سريره ولولا كان الأمير عز الدين إيبك صاحب صرخد استاذ دار المعظم مع اصحابه وأجناد الملك العزيز ابن العادل دائرين حول سريره بالدبابيس والعصى يمنعون الناس من قربه لتعذر وصوله الى حفرته فى يومه . وقبره على يسار المار مغربا فى طريق الشرف القبلى مقابل لرأس الميدان الأخضر قبل الوصول الى قبر شيخه قطب الدين مسعود النيسابورى بقليل . وجعل على قبره بلاطة فيها اسمه وتاريخ وفاته يقرأها من كان خارج الشباك رحمه الله تعالى .

وأما شيخ الحنابلة فهو أبو محمد عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة المقدسى الملقب بموفق الدين أخو الشيخ ابى عمر . كان إماماً من أئمة المسلمين ، وعلماً من أعلام الدين فى العلم والعمل ، صنف كتباً كثيرة حسانا فى الفقه وغيره ولكن كلامه فيما يتعلق بالعقائد فى مسائل الصفات والكلام هو على الطريقة المشهورة عن أهل مذهبه فسبحان من لم يوضح الأمر له فيها على جلالته فى العلم ومعرفته بمعانى الأخبار والآثار . وسمعت عليه مسند الإمام الشافعى رحمه الله وفاتنى منه نحو ورقتين عند باب استقبال القبلة بسماعه من أبى زرعة ، وسمعت عليه كتاب النصيحة لابن شاهين وغير ذلك . ومولده فى شعبان

---

(١) ولم يبق بها غير قبره وقبر ابن تيمية حين زرت الشام سنة ١٣٤٧ هـ وكانت سائر القبور أزيلت لبناء معهد للطب هناك . ولا أدرى ماذا تم بعد ذلك مع انه كانت فى تلك المقبرة قبور أساطين أهل العلم من مفاخر الشام فكأن الأرض ضاقت لبناء معهد للطب غير هذه البقعة . ولو كان هذا العمل من الأجانب المستولين لكان هناك بعض عذر . لكن هذا العمل المزرى من أحفاد رجال ذلك البلد التاريخى العظيم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (ز) .

سنة احدى وأربعين وخمسمائة بأرض نابلس ووهم ابن الدبيثي في ذكر مولده وقال : سمع ببغداد سعد بن نصر بن الدجاجي ، وأبا الفضل احمد بن صالح بن شافع ، وأبا الحسن على بن عبد الرحمن بن تاج القراء ، والكاتبة شهدة وغيرهم . وحصل طرفاً صالحاً من الفقه ، والأصول ، وعاد إلى دمشق وتوفر على الاشتغال بالفقه وتدريسه وحدث بشيء من مسموعاته . قال ابو المظفر : ولد في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة وسافر إلى بغداد مرتين . احداهما : مع الحافظ عبد الغنى سنة احدى وستين . والأخرى . سنة سبع وستين وحج سنة ثلاث وسبعين وسمع خلقاً كثيراً . وتفقه على مذهب الامام احمد ، وعاد إلى دمشق وكان إماما في فنون ولم يكن في زمانه بعد أخيه أبي عمر والعماد أزهد ولا أورع منه ، وكان كثير الحياء عزوفا عن الدنيا وأهلها ، لينا متواضعاً ، محبا للمساكين حسن الأخلاق جواداً سخياً من رآه فكأنه رأى بعض الصحابة . وكان النور يخرج من وجهه كثير العبادة يقرأ كل يوم وليلة سبعاً من القرآن ، ولا يصلي ركعتي السنة في الغالب إلا في بيته اتباعا للسنة ، وكان يحضر مجالسي دائما في جامع دمشق وقاسيون ، وحكى أبو عبدالله بن فضل الأعناكي(؟) قال : قلت في نفسي لو كان لي قدرة لبنيت للموفق مدرسة وأعطيته كل يوم الف درهم . قال : ثم جئت بعد أيام فسلمت عليه فنظر إلي وتبسم وقال : إذا نوى الشخص نية كتب له أجرها . وحكى أبو الحسن على بن حمدان الجراحي قال : كنت أبغض الحنابلة لما شاع عنهم من سوء الاعتقاد فمرضت مرضا شج أعضائي وأقمت سبعة عشر يوما لا أتحرك وتمنيت الموت فلما كان وقت العشاء جاءني الموفق وقرأ على آيات ورقاني وقال : (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) ومسح على ظهري فأحسست بالعافية وقام . فقلت ياجارية : افتحي له الباب . فقال : أنا أروح من حيث جئت وغاب عن عيني فقمت من ساعتي إلى بيت الوضوء فلما أصبحت دخلت الجامع فصليت الفجر خلف الموفق وصافحته فعصر يدي وقال احذر أن تقول شيئا فقلت : أقول . وأقول . وقال قوام جامع دمشق كان ليلة يبيت بالجامع تفتح له الأبواب فيخرج ويعود فتغلق على حالها . قلت : كان الموفق بعد موت أخيه أبي عمر هو الذي يؤم بالجامع المظفري ويخطب يوم الجمعة إذا حضر فان لم يحضر فانه عبد الله بن أبي عمر هو الخطيب والامام وامام محراب الحنابلة بجامع دمشق فيصلي فيه الموفق إذا كان في البلد ، وإذا مضى إلى الجبل صلى العماد أخو عبد الغنى ، وبعد موت العماد كان يصلي فيه أبو سليمان عبد الرحمن بن الحافظ عبد الغنى مالم يحضر الموفق وكان بين العشائين يتنفل حذاء المحراب ، وجاءه مرة الملك العزيز بن العادل يزوره فصادفه يصلي فجلس بالقرب منه إلى أن فرغ من صلاته ثم اجتمع به ولم يتجوز في صلاته ، وكان إذا فرغ من صلاة العشاء الآخرة يمضي إلى منزله بدرب الدواعي بالرصيف ويمضي معه من فقراء الحلقة من قدره الله تعالى فيقدم لهم ماتيسر ليأكلوه معه ، ومن أظرف ماحكى لي عنه انه كان يحمل في عمامته ورقة مصرور فيها رمل يرمل به مايكتبه للناس من الفتاوى والإجازات وغيرها فاتفق ليلا أن خطفت عمامته فقال لخاطفها : يا أخي خذ من العمامة الورقة المصرورة بما فيها ورد العمامة أغطي بها رأسي وأنت في أوسع الحل مما في الورقة . فظن الخاطف أنها فضة ورآها ثقيلة فأخذها ورد العمامة . وكانت صغيرة عتيقة فرأى أخذ الورقة خيرا منها بدرجات ، فخلص الشيخ عمامته بهذا الوجه اللطيف وكانت وفاته يوم السبت يوم عيد

الفطر أول شوال ودفن بجبل قاسيون خلف الجامع المظفرى فى مقبرتهم المشهورة ، وكانت أيضا جنازة عظيمة ذات جمع وافر امتد الناس فى طرف الجبل ثالوها . قال أبو المظفر : حكى اسماعيل بن حماد الكاتب البغدادى قال : رأيت ليلة عيد الفطر كأن مصحف عثمان قد رفع من جامع دمشق إلى السماء فلحقنى غم شديد فتوفى الموفق يوم العيد . قال : ورأى أحمد بن سعد أخو محمد بن سعد الكاتب المقدسى قال وكان احمد من الصالحين . قال : رأيت ليلة العيد ملائكة ينزلون من السماء جملة وقائل يقول : أنزلوا بالنوبة فقلت : ماهذا ؟ قال : ينقلون روح الموفق الطيبة فى الجسد الطيب قال : وقال عبد الرحمن ابن محمد العلوى : رأيت كأن النبى صلى الله عليه وسلم مات وقبر بقاسيون يوم عيد الفطر . قال : وكنا بجبل بنى هلال فرأينا على قاسيون ليلة العيد ضوءاً عظيما فظننا أن دمشق قد احترقت وخرج أهل القرية ينظرون اليه فوصل الخبر بوفاة الموفق يوم العيد ودفن بقاسيون وقال : وكانت وفاته بدمشق وحمل إلى قاسيون وكان له جمع عظيم . سمع الشيخ عبد القادر ، وأبا الفتح محمد بن عبد الباقى بن احمد بن سلمان ، وأبا زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسى ، وأبا بكر عبد الله بن محمد بن احمد بن النقور ، وأبا محمد ابن الخشاب ، وجدى يعنى أبا الفرج بن الجوزى وغيرهم ببغداد . وسمع بمكة أبا محمد المبارك بن الطباخ. وبالموصل أبا الفضل عبد الله بن احمد الطوسى الخطيب . وبدمشق والده أحمد ، وأبا المكارم عبد الواحد بن المسلم بن هلال ، وأبا المعالى عبد الله بن عبد الرحمن بن احمد بن صابر السلمى وخلق كثيراً قال : وأنشدنى لنفسه :

أبعد بياض الشعر أعمر مسكنا	سوى القبر انى ان فعلت لاحمق
يخبرنى شيبى بأنى ميت	وشيكا وينعانى الى فيصدق
يخرق عمرى كل يوم وليلة	فهل مستطيع رفو ما يتخرق
كأنى بجسمى فوق نعش ممدد	فمن ساكت أو معول يتحرق
اذا سألوا عنى أجابوا وأعولوا	وأدمعهم تنهل هذا الموفق
وغيبت فى صدع من الارض ضيق	وأودعت لحداً فوقه الصخر مطبق
ويحثو على الترب أوثق صاحب	ويسلمنى للقبر من هو مشفق
فيارب كن لى مؤنساً يوم وحشتى	فانى بما أنزلته مصدق
وماضرنى انى إلى الله صائر	ومن هو من أهلى أبر وأوثق

قال : وكان له أولاد . أبو الفضل محمد ، وأبو العز يحيى ، وأبو المجد عيسى ماتوا كلهم فى حياته ولم أدرك منهم غير عيسى وكان من الصالحين . وأم الجميع مريم بنت أبى بكر بن عبد الله بن سعد المقدسى ؛ وكان له منها بنات صفية ، وفاطمة ولم يعقب من ولد الموفق سوى عيسى خلف ولدين صالحين وماتا وانقطع عقبه ونقلت من خطه :—

لا تجلسن بباب من يأبى عليك دخول داره

وتقول حاجاتى اليـه بعوقها إن لم أداره
واتركه وأقصد ربها يقضى ورب الدار كاره

سنة ٦٢١ هـ :

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وستمائة . ففيها : استرد الملك الأشرف خلاط من أخيه شهاب الدين غازى وسلمها إلى مملوكه إيبك وإلى الحاجب على ونزل غازى إلى ميافارقين .

وفيها : ظهر جلال الدين خوارزم شاه فى أذربيجان واستولى عليها فبعث إليه الملك المعظم عيسى رجلا صوفيا من خانقاة السميساطى يقال له الملق فى رسـالة واتفق المعظم ومظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل مع الخوارزمى على الأشرف وبعث المعظم ولده النـاصر داود إلى ابن زين الدين رهينة وعبر الفرات عند الحديثة ومضى إلى أربل .

وفيها : استولى بدر الدين لؤلؤ على الموصل وأظهر أن محمود بن القاهر قد مات وقد أمر بخنقه كما سبق ذكره .

وفيها : بنى الملك الكامل دار الحديث التى بين القصرين بالقاهرة وجعلها بيد الشيخ الحافظ أبى الخطاب بن دحية وقد اجتمعت به فيها فى سنة ثمان وعشرين كما سنذكره .

وفيها : قدم الملك المسعود أطسيس من اليمن على أبيه الكامل بالقاهرة طامعاً فى أخذ الشام من عمه المعظم وكان معه من الهدايا شىء عظيم من جملة ذلك ثلاثة من الفيلة أحدهما كبير ويدعى بالملك وعليه محفة بدرابزين يقعد فيها عشرة أنفس ، وقباله راكب على رقبته وبيده كلاب حديد يضربه به كيفما أراد وخرج الكامل للقاء ولده فلما قربت الفيلة من الكامل أمرها سواسها فوضعت رءوسها بين يدى الكامل خدمة له وكان فى الهدية مائتا خادم وأحمال عود وند ومسك وعنبر وتحف اليمن .

وفيها : جرت بالعراق واقعة عجيبة . بيغداد قرية يقال لها يعقوبا فيها نخل كثير ولها ناظر متشيع وكان بها رجل من أهلها له نخل فصادره الناظر وأخذ منه ألفى نخلة فجعل يسب الناظر ويدعو عليه ، وبلغ الناظر فأحضره وأمر بضربه فقال له : بالله عليك انصفنى . فقال : قل . قال : أنتم تسبون أبابكر وتقولون أخذ فدك من فاطمة وانما فى فدك نخيلات يسيرة . تأخذ أنت منى ألفى نخلة وأسكت فضحك الناظر ورد عليه نخله . وفيها : حج بالناس من بغداد ابن أبى فراس ومن الشام شجاع الدين على بن السلار

وفيها : حججت من الشام مع والدى رحمه الله على طريق تبوك والعلاء وهى أول السنين الأربع المتصلة التى وجد الحج فيها هنيئا مريئا من رخص الأسعار والأمن فى الطريق الشامية وبالحرمين . أما فى المدينة فبسبب أن أميرها كان من أتباع صاحب الشام الملك المعظم عيسى فكان يدير الحرس على الحاج الشامى ليلا . وأما مكة فبسبب أنها صارت فى المملكة الكاملية المسعودية فانقمع بها المفسدون وسهل على الحاج أمر دخول الكعبة فلم يزل بابها مفتوح ليلا ونهاراً مدة مقام الحاج فيها ، وكان الكامل قد أرضى بنى شيبة سدنة الكعبة بمال أطلقه لهم عوضا عما كانو يأخذونه باغلاق الباب وفتحه لمن أرادوا

وكان الناس ينالون من ذلك شدة ويزدحمون عند فتح الباب ويتسلق بعضهم على رقاب بعض لأن الباب مرتفع عن الأرض بنحو قامة رجل فيقع بعضهم على بعض فيموت بعض وينكسر بعض ويشج بعض فزال ذلك عن الناس بتلك السنة وما بعدها مدة بقاء مكة فى المملكة الكاملية . وكان قد بلغنى صعوبة ذلك وكنت حاملا همه فلما دخلت من باب بنى شيبة ووقع نظرى على البيت شرفه الله تعالى إذ الباب مفتوح والسلم منصوب والناس طالعون اليه ونازلون من غير ازدحام فمن فرحى بذلك وخوفى من أنه لايدوم عجلت فى طواف القدوم ، ودخلت البيت عظمه الله تعالى ، وقضيت منه وطرى اللائق بذلك الوقت . وعندى من الشوق المبرح ما كفى ، ثم كررت الدخول اليه ليلا ونهاراً فكنت أصادف فيه نحو العشرة وما دونها . ومن أعجب ماسمعت من بعض الحجاج انه قال : دخلته ليلة فوجدت فيه امرأتين قاعدتين يتحدثان كأنهما فى بيت لها قدامنا عن يزعجهما عن ذلك لامن سادن ولا من زحمة . واجتمعت فى هذه السنة بالشيخ الحجة أبى طالب عبد المحسن بن أبى العميد خالد بن عبد الغفار الحنفى (١) الأبهرى وسمعت عليه وعلى غيره بالمسجد الحرام وكان يقدم كل عام من بغداد على بعض سبيلات (؟) الخليفة ثم بلغنى أنه تولى إمامة المقام بمكة وتوفى بها رحمه الله واجتمعت بها أيضا بالشيخ المقرىء عثمان بن احمد بن بذال الأربلى الحنبلى وأنشدنى بالمسجد الحرام :—

أيا نائما فى ظلام الدجى ... تيقظ فصبح الدجى قد أضا

أتاك المشيب ولوعاته ... وولى شبابك ثم انقضى

فلو كنت تذكر ماقد جنيت ... اضاق عليك اتساع الفضا

ونظمت فى طريقى فى تلك السفرة قصيدة ميمية ذكرت فيها المنازل من دمشق إلى عرفات ووصفت بها ما أمكن من أماكن الزيارات أولها :—

ما زلت أشتاق حج البيت والحرم ... وأن أزور رسول الله ذا الكرم

وهى طويلة أقول فيها تعبيراً عن فتح باب الكعبة للحجيج مطاعا

وشرعوا نحو ذلك البيت حاسرة ... رءوسهم بين مطواف ومستلم

والباب اطلقوه للحجيج فلم ... يروا به مانعا طولى مقامهم

وفيها : توفى ببغداد أحمد بن محمد بن على القادسى الضرير الحنبلى والد صاحب الذيل على تاريخ أبى الفرج بن الجوزى . قال أبو المظفر : كان حنبليا خشنا طلب الخليفة المستضىء من يصلى به التراويح فى رمضان فاحضروا القادسى وقالوا إيش مذهبك ؟ قال : حنبلى قالوا : ما يمكن أن يصلى بدار الخلافة حنبلى . فقال القادسى : أنا حنبلى وما أريد أن اصلى بكم . وسمعه الخليفة فصاح صل على مذهبك قال : وكان ملازما لمجالس جدى ويراه هزه كثيرا ويستحسن الكلام وكلما ذكر جدى شيئا يصيح والله ان ذا مليح فبعث اليه جدى يستقرض منه عشرة دنانير فاعتذر وقال ماهى عندى . وصار يحضر المجالس

(١) وفى الشذرات أنه شافعى (ز) .

ولا يرى عزه فسمعت جندى يقول فى داره هذا الإنسى مايقرضنا شيئا ولا يقول والله ان ذا مليح وكانت وفاته فى شوال ودفن بباب حرب .

وفيها : توفى بدمشق الشيخ عبد الرحمن اليمنى فى المحرم ودفن بمقابر الصوفية وقد سبق ذكرنا له فى سنة عشرين متابعة لأبى المظفر سبط ابن الجوزى وانما كانت وفاته فى سنة احدى وعشرين

ســنة ٦٢٢ هـ :

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وستمائة ففيها : فى ربيع الأول وصل خوارزم شاه جلال الدين الى دقوقا فافتتحها عنوة وأوقع السيف فى أهلها . ونهب أموالهم ، وسبى حريمهم ، وهتك نساءهم ، وأحرق البلد ، وهدم سوره وكانوا قد عصوا عليه وسبوه من الأسوار وبالغوا فى شتمه ، وعزم على قصد بغداد فانزعج الخليفة واخرج المال وفرق فى العساكر الف الف دينار ونصب المجانيق على الاسوار ، وفرق السلاح ، وفتح الاهراء . قال أبو المظفر : حكى لى المعظم عيسى رحمه الله قال : كتب إلى يقول تحضر أنت ومن عاهدنى واتفق معى حتى نقصد الخليفة فانه كان السبب فى هلاك أبى ومجىء الكفار إلى البلاد وجدنا كتبه الى الخطا وتواقيعه لهم بالبلاد والخيل والخلع قال المعظم : فكتبت اليه أنا معك على كل أحد إلا الخليفة فانه امام المسلمين قال وبينا هو على قصد بغداد وكان قد جهز جيشا الى الكرج إلى تفليس فكتبوا اليه ادركنا فما لنا بالكرج طاقة وبعدا مانفوت فسار إلى تفليس فخرج اليه الكرج فضرب معهم مصاف فقتل منهم سبعين الفا وفتح تفليس عنوة وقتل منهم سبعين الفا فصار مائة الف وذلك فى سلخ ذى الحجة .

وفيها : صلب المعظم فى سوق الغنم العتيق فى طريق الميدان الأخضر شمس الدين بن الكعكى رأس حزب ، وخلفه جماعة ورفيقاله منكسين على رءوسهما ، وكانوا ينزلون على الناس فى البساتين ويقتلون وينهبون والمعظم فى الكرك ، وبلغه أن ابن الكعكى قال لأخى المعظم الصالح اسماعيل وكان صاحب بصرى انا آخذ لك دمشق فكتب إلى والى دمشق بأن يصلب ابن الكعكى ورفيقه منكسين فصلبهما فى العشر الأواخر من رمضان فأقاما أياما فى حر الشمس يسفى الريح والتراب على وجوههما ورءوسهما ولا يقدران على طعام ولا شراب الى أن ماتا . مات ابن الكعكى أولا وكان يستغيث كثيراً ويقلق وكان رفيقه أجلد منه وأصبر وكان رجلا خياطا آدم اللون ، وقيل أنه كان بريئاً مما رمى به فمات بعد ابن الكعكى بيوم أو نحوه ، وكان ابن الكعكى من المترفين ذوى الثروة وله أملاك كثيرة ظاهر باب الجابية وغير ذلك . قال أبو المظفر : وقدم المعظم دمشق بعد ما ماتا فمرض مرضا عظيما اشفى منه ثم أبل ولم يزل ينتقص عليه حتى مات . وفيها حج بالناس من العراق ابن أبى فراس ومن الشام الشجاع على ابن السلار

وفيها : حججت أيضا راكباً فى المحمل السلطانى المعظمى وكان أيضا حجا مباركا كثير الخير والأمن فى الطريق والحرمين وباب الكعبة مفتوح للحاج مدة مقامهم ليلا ونهاراً ، وخرجت يوم التروية وبت أنا ورفيقى الشهاب غازى الناسخ الفقيه رحمه الله ليلة يوم عرفة بمسجد الخيف بمنى ، ثم أصبحنا وتوجهنا حين طلعت الشمس إلى نحو عرفات فمررنا على تلك الآبار بمنى والمزدلفة وحدود الحرم

وحدود عرفة والمسجد الذى بعضه من أرض عرفة وبعضه من أرض عرنة ثم توجهنا الى الموقف شرفه الله تعالى فنحن بعرفات وقد جاءنا الخبر مع حاج العراق بوفاة الخليفة الناصر احمد بن المستضىء فى أواخر شهر رمضان وأقام فى الخلافة ما لم يقم أحد من أهل بيته سبعا وأربعين سنة الا قليلا ، وتولى بعده ولده ولى عهده أبو نصر محمد ولقب بالظاهر بأمر الله . فأظهر العدل . وأحسن السيرة ، ثم لم تطل مدته ثلث بعد تسعة أشهر كما سيأتى ذكره . ولما دخلنا مكة لطواف الافاضة وقد البست الكعبة الكسوة السوداء التى يرسلها الخليفة كل سنة من بغـــداد وفى أعلاها الطراز الأبيض المكتوب فيه اسم الخليفة الذى نسجت فى أيامه فتأملت الطراز فوجدت فيه اسم الناصر فى جانبين من جوانب الكعبة الاربعة ، وفى الجانبين الأخرى اسم الظاهر فعلمت انهم كانوا قد فرغوا من نسج الجانبين عند وفاة الناصر ، ثم استأنفوا ما بقى باسم الظاهر ونظمت فى هذه السنة ايضا قصيدة على قافية الهمزة وصفت فيها أمير الحج ومنازل الطريق التبوكية أيضا أولها : ــ

يا حبذا وطن الحبيب النائى

قال ابو المظفر : مولد الناصر عاشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وبويع بالخلافة غرة ذى القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة . وكان له خادم اسمه رشيق قد استوى على الخلافة وأقام مدة يوقع عن الخليفة ، وكان قد قل بصره وقيل ذهب جملة ، وكانت به أمراض مختلفة منها عسر البول . والحصاة ولقى منه شدة ، وشق ذكره مرارا ، وما زال يعتريه حتى قتله . وغسله خالى أبو محمد يوسف وكان قد عمل له ضريحا عند موسى بن جعفر فأمر الظاهر بحمله إلى الرصافة فحمل فى تابوت ودفن عند أهله وكان قد خطب للظاهر بولاية العهد فى سنة خمس وثمانين وخمسمائة وعمره إذ ذاك أربع عشرة سنة لأن مولده فى المحرم سنة سبعين وخمسمائة ، ثم عزل عن العهد فى سنة احدى وستمائة ثم أعيد إلى العهد فى سنة ثمانى عشرة وستمائة ، ولما مات أبوه استدعى الأعيان إلى البدرية فشاهدوا الناصر ميتا مسجى فبايعوا أبا نصر ولقبوه بالظاهر ، وكان جميل الصورة ابيض مشربا بحمرة حلو الشمائل شديد القوة افضت الخلافة اليه وله اثنتان وخمسون سنة إلا شهوراً فقيل له : ألا يتفسح ؟ فقال : قد فات الزرع . فقيل له يبارك الله فى عمرك . فقال : من فتح دكانا بعد العصر إيش يكسب . ولما بويع احسن الى الناس ولم يؤاخذ أحداً ممن سعى فى خلعه وقابل الإساءة بالاحسان وصلى على أبيه بالتاج وفرق الأموال وابطل المكوس وأزال المظالم .

وفيها : توفى الملك الأفضل على بن صلاح الدين يوسف بن أيوب الذى كان ولى عهد أبيه وملكه دمشق واعمالها ، والأرض المقدسة واعمالها . ومولده بمصر سنة خمس وستين وخمسمائة . وكان فاضلا شاعراً حسن الخط تقلبت به الأحوال إلى أن انقاد الدهر فى سميساط . وبها توفى فى ربيع الأول ونقل إلى حلب فدفن بظاهرها .

وفيها : توفى بحلب فى أواخر جمادى الأولى الأمير سيف الدين على بن علم الدين سليمان بن جندر

وكان من أكابر أمراء حلب ، كثير الخير والصدقات الدارة . والبر الوافر . وبنى بحلب مدرستين إحداهما: لأصحاب أبي حنيفة بظاهر حلب . والأخرى : للشافعية داخل حلب . ووقف عليها الأوقاف وبنى الخانات فى الطرقات وله الغزوات المشهورة والمواقف المذكورة رحمه الله

وفيها : توفى على الكردى الموله الذى كان مقيما ظاهر باب الجابية بدمشق واختلفوا فيه فبعض الدماشقة يزعم انه كان صاحب كرامات وانكر ذلك آخرون وقالوا . ما رآه أحد يصلى ولا يصوم ولا يلبس مداسا بل كان يدوس النجاسات و يدخل المسجد على حاله . وقال آخرون : كان له تابع من الجن يتحدث على لسانه . قال أبو المظفر: وحكت لى امرأة صادقة قالت ماتت أمى باللاذقية ولم أصدق وجاء قوم فقالوا : ماتت . وجاء آخرون فقالوا : ما ماتت . قالت : فخرجت الى باب الجابية وهو قاعد عند المقابر فوقفت عنده فرفع رأسه وقال : ماتت ماتت: ايش تعملين . وكان كما قال. وحكى لى عبدالله صاحبي قال جئت يوما وما كان معى شىء فاحتجت ... الى نصف درهم وقال : يكفى هذا للخبز والسمترس (١) قال : ودخل يوما على جمال الدين الدولعى خطيب دمشق المقصورة وكان يعتاده فقال له : ياشيخ على قد أكلت اليوم كسيرات يابسة وشربت عليها الماء فكفتنى . فقال له : وما تطلب نفسك شيئا آخر قال : لا . قال : يا مسكين من يقنع بكسرة يابسة يحبس نفسه فى هذه المقصورة ولا يقضى ما فرضه الله عليه من الحج .

وفيها : توفى خطيب حران الفخر بن تيمية وهو أبو عبد الله محمد بن القاسم بن محمد الحرانى فقيه حران بها ولد . وقدم بغداد وتفقه بها على أبى الفتح بن المنى ، ووعظ فى رباط محمود النعال ، وسمع الحديث الكثير ببغداد على شيوخ ذلك العصر ، وصنف الخطب والتفسير وغير ذلك . وكان فاضلا فصيحا سمع شهدة ، وابن المقرب ، وابن البطى وغيرهم . قال أبو المظفر : وكان خطيبا بحران حتى اذا نبغ فيها أحد لايزال وراءه حتى يخرجه منها ويبعده عنها ومات فى خامس صفر وسمعته ينشد فى جامع حران يوم الجمعة بعد الصلاة على المنبر :ــ

أأحبابنا قـــد نذرت مقلتى ... ما تلتقى باليـــوم أو نلتقى

رفقا بقلب مغرم واعطفوا ... على سقام الجسد المعرق (٢)

كم تمطــلونى بليالى اللقا ... قد ذهب العمـــر وما نلتقى

وفيها : توفى عبد المنعم بن على بن عبد الغنى القرشى الصقلى . كان رجلا صالحا خيرا ، وكان مقرئا حسنا قد قرأ على تاج الدين الكندى . وعلم الدين السخاوى وغيرهما وكان الشيخ فخر الدين بن عساكر كثيرا ما يطلبه ليصلى به من عقيدته فى صلاحه ، وكان قد حج معى فى سنة إحدى وعشرين فلما رجع إلى دمشق توفى عقيب قدومه من الحج ودفن بجبل قاسيون وهو : أخو الزين الضرير . كان أخوه على غير طريقته مشتغلا بعلوم الأوائل

---

(١) وفى تاريخ ابن كثير : العمت بدبس (ز).
(٢) أى المهزول ، وفى لفظ المحرق (ز) .

وفيها : فى شعبان توفى بمصر الوزير صفى الدين عبد الله بن على بن عبد الخالق بن شكر أبو محمد ومولده بالدميرة بين مصر والاسكندرية فى سنة أربعين وخمسمائة ودفن بتربته التى انشأها بجوار مدرسته بالقاهرة حكى عنه القوصى فى معجمه . وقد سبق من أخباره فى حوادث سنة خمس عشرة وستمائة وهى سنة نكبته بعد وزارته وله بدمشق آثار حسنة منها : بناء مصلى العيدين ، وتبليط الجامع ، وعمارة مسجد الفوارة . وتجديد مسجد حرستا . وجامع المزة وغير ذلك . وبلغنى أنه قال : أنشدنا الحافظ السلفى لنفسه : —

مهما تهاون فى أمرى امرؤ وغدا مصارما لا أرى الا مبجـــله

وان أساء مسيء فوق طاقته أحسنت مجتهداً حتى أخجـــله

وقال أنشدنا الحافظ السلفى لابن رشيق وقد قيل له لم لا تركب البحر للحج ؟ فقال معتذرا : —

البحر صعب المـــرام هولا لا جعلت حاجتى اليـــه

اليس ماء ونحن طـــين فهل ترى صـــبرنا عليـــه

ولعبد الجبار الكاتب

لا أركـــب البحر خوفا عليـــه من المعاطب

طـــين أنا وهـــو ماء والطـــين فى المـــاء ذائب

ولأبى الفتح البستى : —

ان ابن آدم طـــين والبحـــر ماء يذيبـــه

لولا الذى فيـــه يتـــلى ما جاز عنـــدى ركوبه

وله أيضاً : —

واخضر لولا آية ماركبته ولله تصريف القضاء بما شاء

اقول حذار من ركوب عبابه أيارب ان الطين قد ركب الماء

سـنة ٦٢٣ هـ :

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستمائة . فيها : قدم من بغداد محيى الدين يوسف بن الجوزى رسولا الى المعظم ومعه الخلع لأولاد العادل من عند الخليفة الظاهر ومضمون رسالته طلب رجوع المعظم عن موالاة الخوارزمى . قال أبو المظفر : وحكى لى المعظم صورة الرسالة . قال : قال لى خالك : المصلحة رجوعك عن هـــذا الخارجى الى اخوتك وتصلح بينك وبين اخوتك — والمعظم قد بعث مملوكه الركين الى الخوارزمى فرحله من تفليس فأنزله على خلاط والأشرف بحران — قال : فقلت لخالك : إذا رجعت عن الخوارزمى وقصدنى اخوتى ينجدونى . قال نعم . قلت : مالكم عادة تنجدون أحدا هذه كتب الخليفة الناصر عندنا ونحن على دمياط ونحن نكتب نستصرخ به ونقول : انجدنا . فيجيء الجواب بأن قد كتبنا إلى ملوك الجزيرة ولم يفعلوا . وقد اتفق اخوتى على وقد انزلت الخوارزمى على خلاط ان

صدنى الأشرف منعه الخوارزمى، وإن قصدنى الكامل كان فى له .

وفيها : قدم الأشرف دمشق وأطاع المعظم وسأله أن يسأل الخوارزمى أن يرحل عن خلاط . وقال : نحن مماليكك وما أنبت الشعر على رؤوسنا إلا أنت . فبعث المعظم فرحل الخوارزمى عن خلاط وكان قد أقام عليها أربعين يوما ونزل الثلج وأقام الأشرف عند المعظم بدمشق . وكان المعظم يلبس خلعة الخوارزمى ويركب فرسه وإذا جلسوا على تلك الحال يحلف المعظم برأس خوارزم شاه وعنده الأشرف من هذا المقعد المقيم(؟) وهو ساكت . قال : وتوجه خانى الى مصر الى الكامل وهذه أول سفرة سافرها خانى الى الشام ومصر قال : وفيها : حج بالناس من العراق ابن أبى فراس . ومن الشام على بن السلار .

وفيها : فوض المعظم تدريس مدرسة شبل الدولة بقاسيون الى وقات وفى يوم جلوسى للتدريس بها توفى شمس الدين محمد ابن شيخنا علم الدين السخاوى رحمه الله بدمشق ودفن بالجبل .

وفيها : فى آخر ربيع الأول توفى بدمشق قاضى قضاتها جمال الدين يونس بن بدران بن فيروز المصرى ودفن بداره بدرب الريحان . وكان فقيها كثير الاشتغال واختصر كتاب « الأم » للشافعى رحمه الله وصنف فرائض كثيرة تحتوى على مسائل كثيرة وكان قد اعتنى به الوزير صفى الدين بن شكر لجعله وكيل بيت المال ، وفوض اليه التدريس بالمدرسة الأمينية بعد تقى الدين الضرير ثم صار يترسل عن العادل إلى الخليفة والى الملوك بالروم وبلاد الشرق وحلب وغيرها . ثم ولاه المعظم بعد الزكى الطاهر قضا قضاة الشام وفوض اليه التدريس بالمدرسة العادلية ، فهو أول من ذكر قبل الدرس وكان يذكر بها قبل درس الفقه درساً من تفسير القرآن طويلا ويجرى فيه مباحث حسنة فانه كان يحضره معنا جماعة من الفضلاء فاتفق أن فرغ من ذكر التفسير من أول القرآن الى آخره فما تم له ذلك توفى بعد ذلك بقليل رحمه الله . وكان فى ولايته عفيفا فى نفسه نزها ملازما لمجالس الحكم بالشباك الكمالى بالجامع وغيره ، وكان إذا جلس فيه بعد العصر لا يزال إلى أن يصلى المغرب ، وفى بعض الليالى يصلى العشاء الآخرة فكان إذا فرغ من الحكم بين الخصوم تجرى بحضرته المذاكرة فى العلم الى حين انفصاله ، ويجلس بكرة كل يوم جمعة ويوم الثلاثاء بايوان المدرسة العادلية لاثبات الكتب . ويصطف شهود البلد فى جوانب الايوان. وكان مجلساً عليه جلاله ، ولم يكن يضيع فيه الزمان فى غير ماهو بصدده بل هو ملازم لما ذكرنا من الأيام كلها السبت وغيره ولم ينقم عليه شىء فى ولايته سوى أنه كان إذا ثبت عنده وراثة شخص لما وضع نواب بيت المال أيديهم عليه بأمره بمصالحة بيت المال فيقتطع منه قطعة لبيت المال ، وأما لنفسه فلم يشتهر عنه شىء من ذلك . ونقم عليه أيضا استنابته لولده التاج محمد ولم يكن طريقته مستقيمة وكان يذكر أنه قرشى فتكلم الناس فى ذلك . وتولى القضاء بعده شمس الدين احمد بن الخليل الخوبى والمدرسة العادلية والله أعلم . قلت : وشمس الدين الخوبى هو أبو العباس احمد بن خليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى باشر الحكم بدمشق يوم الأحد سادس شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وستمائة نقلت من خط بعض من له عناية بجمع التاريخ أن جمال الدين المصرى المذكور باشر الحكم مع بقية النواب لما انفصل الزكى المذكور ثم استقل بالحكم فى يوم الثلاثاء ثامن عشرى رجب سنة تسع عشرة وستمائة .

وفيها : فى شهر رجب أو شعبان توفى الشيخ تقى الدين خزعل بن عسكر بن خليل الشنائى المصرى النحوى ودفن بباب الصغير وكان رحمه الله شيخا حسنا فاضلا مفيا متواضعاً قاضى الحاجة لكل من يقصده أقام بالقدس الشريف زمانا يقرىء الناس به حتى كان يعرف بنحوى القدس ، ثم قدم دمشق سنة خرب القدس المعظم وهى سنة خمس عشرة فأعطى امامة مشهد على بن الحسين رضى الله عنهمـا بالجامع وأنزل فى المدرسة العزيزية فكان يقرىء بها ويتولى عقود الأنكحة وكنت إذ ذاك ساكناً بالمدرسة وأتردد اليه فقرأت عليه عروض الناصح بن الدهان الموصلى . أخبرنى عن مصنفه ، وقرأت أيضا عليه جمل الكمال الأنبارى . وأخبرنى به أيضا عن مصنفه ، وأنشدنى لنفسه ميمية فى حصر أقسام الواو وغير ذلك ، وكان يحثنى على حفظ الحديث والتفقه فيه خصوصا صحيح مسلم . ويقول : إنه أسهل من حفظ كتب الفقه وأنفع وأصدق رحمه الله . وحث على مسح جميع الرأس فى الوضوء احتياطا وبحث فى دليله فأعجبنى واستقر فى نفسى فما أعلم أنى تركته من ذلك الزمان إلى الآن والله المستعان فيما بق لنا من الزمان . وكنت أرى منه مروءة تامة فى توليه عقود الأنكحة وفى فسخها وفى فعله فيما يحصل منها فكان إذا غلب على ظنه فقر أهل الواقعة لا يأخذ منهم شيئا ، وأما عند الطلاق والفراق فلا يأخذ شيئا أصلا سواء كانوا فقراء أو أغنياء وكان مايتحصل له من ذلك يتصدق بجملة منه فلا يرد سائلا . وربما جاءه من يطلب منه شيئا فيقول أقعد فما يأتى فهو لك فأول شغل يأتيه يعطى ذلك القاصد مايحصل منه كائنا ما كان . ومن مروءته انه فوض اليه المسجد الذى قبلى قيسارية الفرش وكان لصاحبنا شمس الدين محمد بن عبد الجليل واتفق أنه فارقه وسافر عنه متزهداً الى العراق ثم اتفق رجوعه فنزل له عن المسجد ورده اليه فاستحسن ذلك منه .

وفيها : توفى فى رجب زكى الدين أبو القاسم هبة الله المعروف بابن رواحة من أكابر العدول والتجار أولى الثروة وبنى بحلب مدرسة للشافعية ، وبدمشق مثلها داخل باب الفراديس . ووقف عليهما أوقافاً حسنة وتنعم بعد ذلك باليسير وكان يسكن فى بيت المدرسة الدمشقية وهو الذى فى إيوانها من الشرق ويقابله من الغرب خزانة الكتب التى وقفها وهى كتب جليلـة لة . وكان رحمه الله تام الخلقة طويلا وعريضاً إلا أنه كان لا لحية له أصلا ، وكان مبجلا عند القضاة ، وكان قد أسند النظر الذى فى مدرسته التى بدمشق إلى الشيخ تقى الدين بن الصلاح ثم أنه بعد موته شهد عليه بالعزل له الشيخان تقى الدين خزعل المقدم ذكره ومحى الدين محمد العربى وكانا ســاكنين قريبا من المدرسة فزعما أنه استدعى بهما ليلا وأشهدهما عليه بعزل ابن الصلاح عن نظر المدرسة وجرت فى ذلك فصول لا حاجة إلى ذكرها وكأنه كان قد ألهمه الله تعالى المصلحة فى ذلك فإن ابن الصلاح أسند النظر إلى شخص أسنده ذلك الشخص إلى ولد له فغلب على وقف المدرسة وتدريسها بغير أهلية ، ولا استحقاق . ولا أمانة ، ولا عدل ، ولا إشفاق والأمر على ذلك إلى الآن والله المستعان ودفن الزكى بن رواحة بمقابر الصوفية .

وفيها : توفى فى رجب أيضا الخليفة الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر احمد ولى تسعة أشهر وأيام قام فيها بالعدل حسب طاقته وغسله محمد الخياط الشـاعر . قال أبو المظفر : وحكى لى أنه دخل يوماً إلى الخزائن فقال له خادم : فى أيامك تمتلىء . فقال له : ماجعلت الخزائن لتمتلىء بل لتفرغ وتنفق فى سبيل

الله فأن الجمع شعل النجار . وولى بعده ابنه جعفر منصور بن محمد ولقبه المستنصر بالله فبنى المدرسة المستنصرية ببغداد للمذاهب الأربعة وتوفى سنة أربعين وسيأتى ذكره .

وفيها : فى رجب أيضا توفى شبل الدولة كافور الحسامى نسب إلى حسام الدين محمد بن لاجين ولد ست الشام بنت أيوب . كان خادما ، عاقلا ، دينا ، صالحا ، مهيبا له حرمة وافرة فى الدولة ومنزلة عالية عند الملوك اعتمدت عليه سيدته ست الشام فى بناء تربتها ، ومدرستها الشافعية بمحلة العونية . وكان حنفى المذهب فبنى مدرسة لأصحاب أبى حنيفة عند جسر كحيل فى طريق الجبل واصقها تربته والخانقاه . ووقف عليها أوقافا جليلة ، وبنى المصنع قبالة ذلك والقناة والساباط الظلل للطريق والمصنع الآخر الذى برأس الزقاق الطويل ، وفتح للناس طريقا للجبل من عند المقبرة الى غرب المدرسة الشامية تفضى إلى عين الكرش ، ولم يكن إليها طريق قبل ذلك الا من جهة مسجد الصفى المجاور لمقبرة باب الفراديس ، وله صدقات دارة ، واحسان كثير . ودفن بتربته إلى جانب مدرسته المذكورة . وكان قد سمع الحديث على الشيخ تاج الدين الكندى وغيره رحمه الله .

وفيها : توفى المبارك ابراهيم بن موسى المعروف بالمعتمد والى دمشق . ولد بالموصل وقدم الشام لخدم فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب وتقلبت به الأحوال واستنابه أخو فرخشاه لامه بدرالدين مودود الشحنة بدمشق ثم ولاه العادل الشحنكية استقلالا فأحسن السياسة ، ولطف بالرعية ، وكان بين يديه نقيب له يعرف بسويد من أحذق الناس وأعرفهم بتدبير وقائع الولاية . وكان المعتمد دينا ، ورعا ، عفيفا ، نزها اصطنع عالما عظيما من النساء والرجال ، وستر عليهم كبائر الأحوال ، وكانت دمشق وأعمالها فى أيام ولايته لها حرمة ظاهرة وهى حسنة . قال أبو المظفر : ومما جرى له أنه كان فى دمشق رجل فاتك والى جانب بيته قوم لهم ولد صغير فى آذانه حلق من ذهب فاغتاله الرجل يوما فخنقه وأخذ الحلق من أذنه وأخرجه فى قفة ودفنه فى باب الصغير . وفقدته أمه فاتهمت الرجل به فعذبه المبارز عذابا أليما فلم يقر وأطلق . وفى قلب المرأة النار من ولدها . فطلقت زوجها وتزوجت الرجل القاتل وأقامت معه مدة . فقالت له يوما وهى تداعبه : قد مضى الابن وأبوه وكان منهما ما كان ، وكان الزوج قد مات انت قتلت الصغير ؟ فقال : نعم وأخذته ودفنته فى الباب الصغير . فقالت : قم فأرنى قبره فأخذها وخرج بها الى المقابر وحفر القبر فرأت ولدها فلم تتمالك وضربت القاتل بسكين أعدتها له فشقت بطنه ودفعته فألقته فى القبر . وجاءت الى المبارز فحكت له الحكاية فقام وخرج معها الى القبر فكشفته له . فقال لها : أحسنت والله ينبغى لنا كلنا أن نشرب لك فترة . قال : وحكى لما حرم العادل الخمور ركبت يوماً وخرجت من باب الفرج وإذا برجل فى رقبته طبل وهو يتمايل تحته فقلت امسكوه وشقوا الطبل فشقوه وإذا فيه ركوة خمر فبددتها وضربته الحد قال : فقلت له من أين علمت ؟ قال : رأيت رجليه وهى تلعب فعلمت أنه قد حمل شيئا ثقيلا . قال : وكان لداره بابان الباب الكبير عليه الغلمان والبواب ، وباب السر فى زقاق آخر . فكان البواب إذا مسكوا فى الليل امرأة من بيت معروف وحملوها اليه على حالها يقول لهم انزلوا حتى أقررها . ثم يقول لها يابنتى انت من بيت كبير وأهلك رجال معروفون فما الذى حملك على هذا ؟ فتقول ياسيدى قضاء الله . فيقول لها

ستر الله عليك . وبعث معها الخادم من باب السر الى بيتها فأقام على هذا نحواً من أربعين سنة . قال : وكان فى قلب المعظم له شحناء لأنه كان يتشفى عليه ويتحفظ فى أماكن يدخل اليها بدمشق فى الليل وهو شاب وأمر غلمانه أن يتبعوه من بعيد . وكان العادل من مصر يكتب اليه بذلك . فلما مات العادل أظهر ما كان فى قلبه منه فاعتقله مدة فى القلعة لم يظهر عليه وعلى أحد من أولاده وحاشيته انه أخذ من الرعية ما مقداره مثقال حبة من خردل ولا غير ما كان عليه من العفة ، والأمانة ، والصلاح ، والديانة . ثم أنزله من القلعة الى داره وحجر عليه فيها وبالغ فى التشديد عليه وكانت وفاته يوم السبت الحادى والعشرين من ذى القعدة وعمره نحو ثمانين سنة . ودفن بجبل قاسيون فى التربة التى أنشأها فى الجبل . قال : وحكى لى أنه ولى دمشق نيابة عن بدر الدين الشحنة أول ولاية صلاح الدين . ثم استقل بالولاية الى أن عزل فى سنة سبع عشر وستمائة . وكانت ولايته نيابة واستقلالا قريبا من خمسين سنة . قالوا : ولم يؤخذ على المبارز شيء إلا أنه كان يحبس ويشى فعوقب بمثل ذلك وأقام محبوسا خمس سنين إلا أياما . قال : وجرت لى بعده واقعة عجيبة كنت فى كل ليلة جمعة أزوره وانقطعت عنه مدة بسبب اغلاق باب داره فى بعض الأوقات فرأيت فى المنام كأن قبره فى روضة خضراء والقبر معمول بالعصر الأخضر وليس هو من جنس فصوص الدنيا فطربت لحسنه ورونق المكان فهتف بى هاتف لو رأيت ما فى باطن القبر . قلت : وما فى باطنه ؟ قال : الدر ، والياقوت ، والمرجان وما يستغنى عن قرآة كتاب الله . فانتبهت وفهمت الإشارة فأنا فى كل ليلة أقرأ ماتيسر من القرآن وأهديه اليه والى أهلى وأصحابى ومعارفى رحمهم الله .

وفيها : توفى البدر الجوهرى والى قلعة دمشق أقام واليها مدة فى أيام المعظم وخدم الظاهر بحلب وغيره وحمل الى نابلس فدفن عند أهله .

سـنة ٦٢٤ هـ :

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وستمائة . فيها : قدم رسول الانبرور ملك الفرنج البحرية على المعظم بعد اجتماعه بالكامل يطلب منه البلاد التى كان فتحها عمه صلاح الدين رحمه الله . فاغاظ له وقال : قل لصاحبك ما أنا مثل العزيز ماله عندى الا السيف .

وفيها : فى آخر شعبان سافرت أنا الى بيت المقدس صحبة الفقيه عز الدين بن عبد السلام وغيره على سبيل الزيارة للأقصى والخليل وما هناك الديار من الآثار ورجعنا الى دمشق بعد أربعة عشر يوما .

وفيها : حج بالناس من الشام الشجاع بن السلار وهى آخر أمرته على الحاج وآخر السنين التى كان الحج فيها رضياً طيباً وانقطع ركب الحج بعدها مدة بسبب ما وقع بالشام من الاختلاف والفتن .

وفيها : حج من ميافارقين سلطانها شهاب الدين غازى بن العادل . قال أبو المظفر : وكان ثقله على ستمائة جمل ومعه خمسون هجينا على كل هجين مملوك وجهزه الأشرف جهازاً عظيما وسار غربى الفرات ، على قرقسيا ، والرحبة ، وعانة ، والكبيسات ، والمعمر ، والعين ، وشفاثا وكلها قرى فيها عيون جارية ونخل كثير . ومنها يجلب التمر الى الشام وعبر على كربلاء فزار المشهد ، ثم الكوفة وزار مشهد

أمير المؤمنين . وحج بالناس من العراق شمس الدين (؟) مملوك الخليفة وبعث الخليفة لشهاب الدين فرسين وبغلة وألفي دينار . وقال : تقدر من ملكي أنفقها في طريق الحج . وأوصى أمير الحاج بخدمته . وتصدق في مكة والمدينة وعاد إلى العراق ولم يصل الكوفة بل سار غربي الطريق التي سلكها وكاد يهلك هو ومن معه عطشا حتى وصل إلى حران .

وفيها : توفي بدمشق سلطانها الملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب . ملك الشام بعد أبيه من العريش إلى حمص ومابين الأرض المقدسة ومدينة النبي صلى الله عليه وسلم من الكرك . والشوبك ، والعلاء . وكان قد سير في سنة اثنتين وعشرين وستمائة وهي السنة التي حججت فيها ثانيا من مسح الأرض من باب الجابية الى جبل عرفات وكتبها له منزلة منزلة وسهل في طريق الحاج مواضع كانت وعرة كثيرة الصوان وكثر الميرلهم في اراضي الكرك ، والشوبك ، وتبوك ، والعلاء ، والمدينة على ساكنها السلام . وكان الحجاج يحمدون بذلك رفقا عظيما وبالجملة تفرد من بين الملوك بالجمع بين مواظبة الغزو والاشتغال بانواع العلوم والحج الى الحرمين بنفسه ، وإعانة غيره عليه وكان عديم الالتفات الى مارغب فيه الملوك من الأبهة والتعظيم والمدح وغير ذلك . فكان ينهى نوابه عن إمرة الحاج الشامي من مزاحمة الملوك في إطلاع الأعلام الى رأس جبل عرفات . فكنت ترى علمه مركوزا الى جانب محمله تحت الجبل ، وكان يركب وحده مرارا كثيرة ثم يتبعه من شاء من غلمانه طاردين خلفه وكان اذا كان بدمشق يأتي كل جمعة في الساعة الرابعة أو نحوها الى تربة والده قبالة دار العقيقي يجلس فيها هو ومن معه من أمرائه وخواصه إلى أن يؤذن المؤذن لصلاة الجمعة فيخرج حينئذ ماشيا الى تربة عمه صلاح الدين رحمه الله المجاورة للكلاسة فيصلي الجمعة بها مع الناس . أقام على ذلك زمانا . وكان جميل الصحبة مكرما لأصحابه ، منصفا لهم ، كأنه واحد منهم . أنشدني المحب بن أبي السعود البغدادي الحجازي وكان من الملازمين خدمته قال : نظمت فيه لما توفي رحمه الله تعالى :—

لئن غودرت تلك المحاسن في الثرى ... بوال فما وجدي عليك ببال

ومذ غبت عني ما ظفرت بصاحب ... أخي ثقة الا خطرت ببالي

سنة ٦٢٥ هـ

ثم دخلت سنة خمس وعشرين في دولة المستنصر بالله . ففي ثامن عشر صفر جاء منشور الولاية لداود من عمه الكامل محمد بن أبي بكر . وكانت الفرنج لعنهم الله وخذلهم قد تحركوا وانبثوا ببلاد الساحل لأن الهدنة كانت قد تمت وبقي المسلمون منهم في خوف ، فرأيت في المنام ليلة الثلاثاء تاسع صفر كأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد جاء للنصرة وعليه ردعان فرجية مفتوحة . وقال : سنأمر من ينادي بالرحيل الى الساحل ، ووعد بأن يستخلف على الشام اذا عاد رجلا شريفا شجاعا فاستبشر الناس لهذه الرؤيا . فلما كان أواخر ربيع وذلك في أيام عيدهم الذي بعد صيامهم اغار المسلمون على بلاد صور فغنموا غنيمة كبيرة من ابل ، وبقر ، وغنم مقدار ستة آلاف رأس وغير ذلك ، وخرج اليهم من الفرنج نحو مائتين فكانوا بين قتيل وأسير وغريق في البحر وما نجا الا القليل ومن جملة

الأسرى ابن والى صور وقيل الوالى وقيل خاصه المركب ، وخبرت أن بعد الوقعة خرج جماعة من الكفار لأخذ قتلاهم وأخذوا .

سنة وفى هذه السنة نزل العزيز عثمان بن أبى بكر بن أيوب على بعلبك ليأخذها وفيها ابن عمه الأمجد بهرامشاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب فأعان الناصر داود الأمجد على العزيز وأمره بالرحيل عنها فرحل واشتد حنقه على الناصر . قالوا : وكاتب العزيز الكامل وحثه على الإتيان الى بلد دمشق ليتسلمه وأوهمه أنه فى يده فجاء الكامل وانضاف اليه العزيز وجاءهم صاحب حمص المجاهد أسد الدين شيركوه ابن محمد بن شيركوه بن شادى وقد كانت له محاصرة والده ضغينة على عيسى بن أبى بكر لأنه كان نازل بلدة حمص وخرب ما حولها ونهبه فأراد استيفاء ما جرى على بلده بمحاصرة ولده فحسن ذلك فى رأى الكامل واستنجد الناصر بعمه الأشرف أبى الفتح موسى بن أبى بكر فجاءه وأكرمه غاية الاكرام، وذلك فى أواخر رمضان ثم دخل الأشرف الى الكامل واجتمع به بالقدس فاتفقا على أخذ البلاد من داود ابن عيسى وأن دمشق تكون للأشرف وانضاف اليهما من عسكر الناصر عمه الصالح اسماعيل بن أبى بكر وابن عمه شهاب الدين محمود بن المغيث عمر بن أبى بكر بن أيوب وجماعة من الأمراء مثل : عز الدين أيدمر ، والكريم الخلاطى وغيرهما . وجاء أخو الأشرف المظفر شهاب الدين غازى بن أبى بكر واجتمع الجميع بأرض فلسطين وقد كان الناصر خرج لأجل عمه الكامل وخدمته وظن أن الأشرف عنده قد أصلح أمره فوصل الى الغور وسمع باجتماع أعمامه عليه وانهم عازمون على القبض عليه فرجع الى دمشق وأخذ فى الاستعداد خوف الحصار وسنذكر ماجرى من ذلك فى سنة ست وعشرين .

وفى هذه السنة فى المحرم توفى جمال الدين عبد الرحيم بن على بن شيث بن اسحق الكاتب بدمشق ولد باسنا من أعمال قوص سنة سبع وخمسين وخمسمائة ونشأ بقوص وتأدب فيها بفنون العلوم . كان دينا حسن النثر والنظم وتولى الديوان ببلاد قوص ، ثم بالاسكندرية ، ثم ببيت المقدس ، ثم بكتابة الانشاء للملك المعظم عيسى حكى عنه القوصى فى معجمه .

وفى هذه السنة توفى الشيخ الصوفى هندولا فى السابع والعشرين من احدى شهرى ربيع ودفن بمقابر الصوفية . وفى أواخر جمادى الأولى توفى الشمس احمد بن القواص ، والشريف البهاء كاتب الحكم ودفنا بالجبل . وفى أوائل رجب توفى الشيخ الفقيه الصالح أبو الحسن على المراكشى المقيم بمدرسة المالكية ودفن بالمقبرة التى وقفها الرئيس خليل بن زويزان قبلى مقابر الصوفية وكان أول من دفن بها . وفى سادس عشر رجب توفى المحب اللبلى المعروف بالمغربى ودفن بمقبرة ابن زويزان أيضا . وفى سادس عشر رمضان توفى الفقيه ضياء الدين بن عبد الكافى ودفن بالجبل . وفى يوم عيد الفطر توفى التقى أبو عبد الله المغربى الجابرى ودفن فى مقبرة ابن زويزان وقد كان معنا فى المدرسة . وفى مستهل ذى القعدة توفى القابسى عبد الرحيم الذى كان يحفظ الوجيز ودفن بالجبل . وفى سادس عشر ذى الحجة توفى الجمال ابن القفصى المعروف ودفن بالجبل .

وفى هذه السنة توفى الفقيه عبد المحسن الحنبلى ، وموسى الموصلى بمصر ومعرفتنا شهوان السواق فى الدقيين بدمشق وخلق كثير غيرهم رحمهم الله .

وفيها : فى صفر عزل الصدر بن البكرى عن مشيخة الشيوخ بدمشق ووليها العماد بن صدر الدين شيخ الشيوخ . وفى سادس رمضان عزل ابن البكرى عن الحسبة أيضا وولها الرشيد بن عبد الهادى .

وفيها : فى شعبان توفى الأمين نفيس الدين أبو محمد الحسن بن على بن الحسن بن الحسن بن محمد الأسدى المعروف بابن اللبن حكى عن جده الحسن وغيره . ولم يدخل ركب الحجاز فى هذه السنة من طريق الشام .

وفيها : قدم قاضى البلقاء عبد الحق المالكى فى أول رمضان واجتمعت به .

سـنة ٦٢٦هـ :

ثم دخلت سنة ست وعشرين وستمائة فى دولة المستنصر بن الظاهر بن الناصر وسلطان دمشق داود بن عيسى . فى أواخر المحرم منها مات الشيخ شمس الدين الحسين بن هبة الله بن محفوظ ابن الحسن بن محمد بن صصرى التغلبى ، وكان له روايات كثيرة وعمر وأجاز فى جميع ما يرويه ولم أسمع عنه شيئا .

وفيها : فى أواخر صفر عزل القاضى نجم الدين احمد بن محمد بن خلف المقدسى ، وكان نائباً وتولى استقلالا مشاركا لشمس الدين الخوبى ، وتولى القاضى محى الدين أبو الفضائل يحى بن محمد بن يحى القرشى ، وجلس بالكلاسة فى الشباك الذى يلى المحراب الشرقى منها اماماً . قلت : كان ذلك يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر المذكور ، ثم جلس فى داره وكل من ذكرت من آبائه تولوا قضاء القضاة بدمشق . وكذا من قبله أخوه زكى الدين الطاهر بن محمد بن على .

وفيها : فى أول ربيع الآخر جاء الخبر بأن الكامل أخلى البيت المقدس من المسلمين وسلمه إلى الفرنج وصالحهم على ذلك وعلى تسليم جملة من القرى فتسلموه ودخلوه مع ملكهم الانبرور ، وكانت هذه من الوصمات التى دخلت على المسلمين وكانت سببا فى أن توغرت قلوب أهل دمشق على الكامل ومن معه ، ووجد بها الناصر طريقا فى الشناعة عليهم ، وفى هذه الشهر تقدمت جيوش الكامل مع اخوته الأشرف والمظفر . والعزيز . والصالح . وابنى أخيه الجواد بن محمد . وداود بن المغيث ومعهم صاحب حمص وعسكر حلب وحماة نزلوا عند الجسور وراء مسجد القدم ، وقطعوا عن دمشق أنهارها بانياس ، والقنوات ، ثم يزيد ، وثورا ، ونهبت البساتين ، واحرقت الجواسق ، وخربت رباع ، وبادت الأشجار بانقطاع الماء ، وجرت وقعات فقتل قوم وجرح آخرون ، وهدم كثير من الرباع والخانات حول البلد من خارج لاسيما على كل باب . ولما كان يوم السبت الرابع والعشرون من جمادى الأولى وقعت بينهم وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير وجرح جم غفير ، ونهب قصر حجاج والشاغور ، وأطلق فيها النيران ووصلت خيل المحاصرين إلى دور البلد من جوانبه ودخلوا الميدان الأخضر ، ثم رجعوا آخر النهار إلى خيامهم وقد كثرت القتلى والجرحى فى الفريقين ، وكثر الحريق والنهب ، ثم تسلموا حصن عزتا بما فيه من سلاح وغيره صلحا مع متوليه . وفى يوم الأحد تاسع جمادى الآخرة وصل الملك الكامل محمد ابن أبى بكر بن أيوب إلى دمشق ، ونزل بالقرب من مسجد القدم ، وأمر باجراء نهرى يزيد ، وثورا

لأجل سقى الأراضى . وخرج اليه الفاضل احمد بن عبد الرحيم بامان منهما ، وأنفذ الناصر من جهته فى اواخر النهار جماعة من كبراء البلد من العلماء ، خطيب الجامع جمال الدين الدولعى ، وقاضى القضاة شمس الدين الخوبى والقاضى شمس الدين الجوينى ابن الشيرازى ، وجمال الدين الحصيرى شيخ الحنفية إلى الكامل نيابة عنه فى الخدمة والسلام ثم عاودوا من الغد . وخرج يوم الثلاثاء حادى عشر الشهر عز الدين ايبك استاذ الدار الى الكامل باستدعائه وجرى الحديث فى الصلح وعاد ليلا ومضى وعاد مرات ، وكان يأتى اليه عماد الدين شيخ الشيوخ فلم ينتظم صلح فى الظاهر . ولما كان خامس عشر جمادى يوم السبت وقعت بينهم وقعة قبالة باب الحديد وفى الميدان وما بين ذلك وكان النصر فيه لأهل البلد . وفى الغد يوم الاحد وقع الحريق والنهب من ناحية باب توما ، واحرقت الطاحونة الأحد عشرية والخرشنية ، والتى فى مرج الشيخ ، وطاحونة الأشنان احرق بعضها ثم اطفىء ، ونهبت الدور حول ذلك ووقع الجرح والقتل ، وفى يوم الجمعة الحادى والعشرين من الشهر خربوا قريات من قرى الغوطة واخرجوا أهلها منها : جوبر ، وجديا ، وزملكا ، ثم خربت سقبا وغيرها والاسعار كلما مرت تغلوا ، والخوف حول البلد ، وقد انقطع عنه الجلب ، وبلغت أوقية الأشنان تسعة افلس . وحكى لى والدى أن شخصا اشترى أوقية بأربعة عشر فلسا ، وبلغت أوقية الخبز نصف درهم ، ورطل اللحم ستة دراهم . وأما الخبز فكان بحمد الله موجوداً كثيراً ، وكان أطيب شىء فيه وهو المثلث يباع رطله بثلاثة عشر قرطاسا. وسمعت والدى وجماعة من المشايخ الذين شاهدوا الحصارات المتقدمة فى دولة أولاد صلاح الدين يحكون أنهم ماروا أشد من هذا الحصار . ووصل الخبر بأن نائب الناصر بحصن الكرك وهو الأمير سعد الدين بن صارم الدين أخرج الأجناد الذين معه مع من أنضاف اليهم من العرب وكبس العسكر الذى نازلهم من جهة الكامل فأخذوهم برقابهم وفازوا بأسلابهم ، ثم أنهم زحفوا من ناحية الميادين مراراً والكرة عليهم ، واتخذوا مسجد خاتون ومسجد الشيخ اسماعيل وخانقاه الطاحون ، والجوسق ، الذى فى الميدان الأخضر حصونا وظهوراً لهم ، وأحرق الناصر لأجل ذلك مدرسة أسد الدين وخانقاه خاتون وما يليها من الخانات والدور وبستان ابن يمن والحمام وخربت خانقاه الطواويس وذلك فى أوائل رجب وزحفوا يوم الأحد تاسع رجب آخر النهار الى أن وصلوا محاذاة الباب الحديد ، ورأى شيخنا أبو الحسن على ابن محمد السخاوى ليلة السبت خامس عشر رجب كان قائلا يقول له بعد شهر تكون دمشق كانها جنة الخلد وكان تمام الشهر ليلة نصف شعبان وكان الناس فيها فى أطيب عيش لأن الصلح انتظم أول شعبان ومازال البلد والناس فى ترق من زوال الشعث وكثرت الخيرات ، ولهم فى ليلة النصف من شعبان موسم معلوم يحتفلون فيه ويكثرون الوقيد فى المساجد لكن عادتهم كل سنة تكثر الزحمة والضراب والنهب والعياط ولم يكن فى هذا النصف مثل ما كنا نعرف فى غيره بل كان الناس فى سكون مع قلة زحمة وهم فى سرور والصلح والرخص . فقلت : هذه الجنة التى أشار اليها المنام .

وكان سبب الصلح أن الناصر خرج ليلة الأربعاء رابع عشر رجب الى الكامل واجتمع به ثم اجتمعا مرات حتى تقرر الصلح بينهما على أن يبقى له مما كان فى يده بلاد الكرك ، وبلد نابلس ، وقرايا من الغور والبلقاء . ودخل عسكر الكامل دمشق يوم الاثنين مستهل شهر شعبان ، ورحل الناصر يوم الجمعة ثانى عشر شعبان من دمشق الى بلاده التى بقيت عليه ، ودخل الكامل وأخويه يوم الثلاثاء سادس عشر

الشهر فزار وبر والده ثم خرج الى مقدمه بجوسق العادل ثم دخل هو والأشرف القلعة يوم الخميس ثامن عشر شعبان ، ثم توجهت عساكر الكامل صوب حماة فنزلوا عليها يحاصرونها ومعهم صاحب حمص شيركوه والمظفر والمنصور بن تقى الدين وهو أخو سلطانها حينئذ . وتسلم الأشرف دمشق فى أواخر شعبان واعطى الكامل عوضها جملة من بلاد الشرق منها . حران ، والرها ، ورأس عين ، والرقه ، والمؤزر . ثم دخل الكامل فى تاسع رمضان صوب الشرق فنزل إلى خدمته صاحب حماة المحاصر بها حينئذ وهو الناصر صلاح الدين قليج أرسلان بن المنصور محمد بن المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وتسلم نواب الكامل حماة فى آخر رمضان ، وسار الكامل إلى بلاده التى جددت له فى الشرق وانتقل عسكره فنزل على بعلبك ورحل الأشرف من دمشق اليها وحاصروها .

وفيها : قدم الامجد بن فرخشاه وهو ابن عم الكامل فتسلموا البلد وبقى الحصار على القلعة ثم رجع الأشرف الى دمشق . وفى هذه السنة أعين جماعة من المنجمين . فى يوم الاثنين ثالث جمادى الآخرة علق هبة الله النصرانى الذى كان متولى خزانة السلطان علق بيده اليمنى على باب كنيسة مريم وفى رجليه لبنة من حديد وكان قد عزل عن الخزانة وحبس ، ثم اركب على بغل واتى به من الحبس مهانا والحديد فى رجليه والناس حوله ليشهدوا عذابه ، فعلق على باب الكنيسة وطلب منه أموال عظيمة وهرب أهله وقد كان الملعون تمكن من المسلمين وآذاهم ورفع منار النصارى وتسلطوا بجاهه على المسلمين ، وجدد لهم بناء كنيسة مريم ، وشيد بنيانها ، ورفع بابها ، وحسن عمارتها . ثم هدم ما زاده وأعيدت الكنيسة إلى ماكانت عليه فى شعبان بأمر السلطان الكامل ؛ وحضر ذلك جماعة من العلماء ، والعدول ، والشيوخ وخلق كثير من العامة وتولى النصارى هدم ذلك بأنفسهم ، وكتب لهم بذلك مكتوب وقد كان اشتهر الاشتغال بعلوم الأوائل بدمشق فى أواخر دولة المعظم بن أبى بكر ، وفى دولة ابنه داود وكثر ذلك حتى أخمده الله بالدولة الأشرفية .

وفيها : يوم الثلاثاء تاسع شعبان قدم علينا دمشق الشيخ الامام الزاهد الورع رشيد الدين عبدالعزيز ابن محمد بن الطاهر المعروف بابن عرف من ذرية عبد الرحمن بن عوف صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فقهاء الاسكندرية ومفتيها فى مذهب مالك بن انس رحمه الله لشغل عرض له ، واجتمعت به الغد من مجيئه بالمدرسة العادلية مع شيخنا أبى عمر ، وحكى لنا أن عمره إذ ذاك ستون سنة ؛ وكان يصوم يوما ويفطر يوما كصيام داود عليه السلام وأتى معه بدقيق من الاسكندرية فلم يزل يأكل منه حتى رجع ولا يتناول من غيره .

وفيها : مات جماعة من أصحابنا ومعارفنا وغيرهم فمنهم : سبعة كانوا من سكان مدرستنا ، وجماعة من الفقهاء المالكية ومن جملة من توفى من أصحابنا اثنان كانا من أعزهم على ، وأكثرهم لى اجتماعا أحدهما : زين الدين بن احمد بن يوسف الفرغانى اصابته نشابة فى كتفه يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الاولى ومات يوم الاثنين السادس والعشرين منه ودفن فى مغار الصوفية المشرفة على نهر بانياس . وكان رحمه الله فاضلا دينا خيراً حسن الأخلاق من أحسن ما رأينا من الأصحاب ، وكان قد زار كثيراً من البلاد وهو فى زى الفقراء لا يرجع إلى معلوم مع عرضه عليه وقدم علينا دمشق فى سنة خمس وعشرين وكان

قد حج من العراق فلما قضى حجه أتى مصر ثم جاء إلى الشام وكان رحمه الله قد عزم معى على المجاورة بالحجاز وكنا على هذا العزم فى هذه السنة فاخترمته المنية وكان مولعاً كثيراً بانشاد الأشعار الرقيقة أنشدنى فى عشية يوم أصابه السهم قال سمعت الشيخ شهاب الدين السهروردى ينشده :—

شربت الهوى والخمر صرفا كليهما ... فكان الهوى عندى أشدهما سكرا

أما والهوى لو ذقت طعما من الهوى ... لما كنت من بعد الهوى تشرب الخمرا

والثانى ظهير الدين عبد الغنى بن حسان بن عطية بن خلف الكنانى المصرى النحوى توفى عاشر شوال ودفن الغد فى مقابر ابن زويزان وكان من خيار من صحبت من الأصحاب له أخلاق حسنة وتعصب وقيام فى حق من يعرفه ولديه فضل وعلم وعبادة وأما كرمه وسخاؤه وجوده وأفضاله فشائع عنه مشتهر يعرفه الخاص والعام رحمه الله ورضى عنه أردت فى طريق الحجاز فى رجوعى منه سنة اثنين وعشرين وستمائة أن أسير اليه كتابا فى أوله : —

أنت الظهير على المكارم كلها ... من رد ذلك فهو عين معاند

عبد الغنى ولست عبداً للغنى ... بحر الفرائد حبر كل فوائد

ولم يكن لى صاحب أخص منه كنت آنس به وبحديثه وفى أضيق ما أكون من الهم أجتمع به فيزول عنى برحمة الله وكان اشتغل بالعربية على شيخنا أبى عمرو وصحبه فى الديار المصرية وفى سفره إلى الشام ولم يزل يعلق عنه ويشتغل عليه بالعربية والاصول إلى أن توفى وكان كثير الاعتناء بكلامه علق عنه أشياء كثيرة لم يعلقها أحد وقد حصلت والحمد لله بخطه فى ملكى . ومن جملة من توفى من أصحابنا مؤذن مدرستنا الشيخ الصالح أبو الحسن على المغربى المالقى وكان لديه علم وعمل رحمه الله توفى فى الثالث والعشرين من رمضان ودفن بمقبرة ابن زويزان وكان عازما على الرجوع الى المغرب إلى أهله ثم على الاقامة بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم والأذان فى منارته . وفى التاسع والعشرين من شعبان توفى فخر الدين على بن بكمش التركى النحوى تلميذ الشيخ العلامة تاج الدين أبى اليمن الكندى . وقال غيره توفى الشيخ فخر الدين ابو الحسن على بن بكمش بن عبد الله التركى النحوى البغدادى يوم الاثنين سلخ شعبان من السنة بدمشق والله أعلم . وفى رابع عشر رمضان مات أبو الحسن على بن أبى بكر الشاطبى التجيبى المقرىء ودفن بباب الفراديس وكان كثير التعبد وكان قد اشتغل بالقراءآت والنحو بالمغرب ثم صحب بمصر الشيخ الامام الحافظ أبا القاسم بن فيرة الشاطبى صاحب القصيدة وكان يكرمه لأجل انه من بلده . وفى يوم الاربعاء السادس والعشرين من جمادى الآخرة مات الرجل الصالح محمد السبتى النجار ودفن بالجبل وكان الجمع فى تشييعه متوفراً وكان رحمه الله كثير الاحسان لاسيما فى حق الغرباء والواردين ساعياً فى مصالحهم وكان محباً لأهل الخير متقرباً اليهم وجدد المسجد فى أول الشارع الذى هو غربى دار الزكاة على يسار الداخل إلى الشارع من ماله . وأخبرنى صاحبنا أبو حفص عمر بن محمد الموصلى . قال : حدثنى الشيخ أبو الحسن على المصمودى الضرير انه سمع الشيخ عبد الصمد الدكالى كان مجاوراً بالكلاسة ، وكان معدوداً من الصالحين يقول كلاما ما معناه : ها هنا رجلا من الأبدال . يعنى

محمد السبتي ، ولم يبينه المصمودي لعمر الموصلي إلا بعد موت السبتي قال : وكان الشيخ عبد الصمد أوصاه أن لا يعلم به أحداً . وفي هذه السنة جاءنا الخبر بوفاة المسعود أطسيس بن الكامل صاحب مكة واليمن ودفن بالمعلى وكان عسوفا لكنه قمع الخوارج ونفى الزيدية من مكة وأمن الحاج بها ، وكان الناس بمكة في أيام دولته في أمن وخصب ، وكان ملكها سنة تسع عشرة وستمائة وبنى القبة التي على المقام . وجاءنا الخبر من المدينة شرفها الله في آخر رمضان بموت الشيخ الصالح أبي عبد الله محمد الغفاري ، وكان مجاوراً بالحرمين من صغره ، وكان كثير الاحسان إلى الفقراء . وجاءنا الخبر من مصر بوفاة أبي الحسن علي بن صالح القلبي من قرية بمصر يقال لها قلين وكان من أصحاب الشيخ الشاطبي وحج مع شيخنا أبي الحسن السخاوي وهو الذي أنشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدة شيخنا الميمية وإياه عنى شيخنا بقوله : —

(واغفر لمنشدها على ذنبه)

وانقطع الحاج هذه السنة أيضا من الشام ومصر

وفيها : توفي البهاء ابن الحنبلي اخو الناصح والشهاب وهو الأكبر والناصح بعده بتسع سنين . والشهاب بعد الناصح بتسع سنين . ومات الشهاب سنة تسع عشرة وستمائة في شهر ربيع الأول .

سنة ٦٢٧ هـ:

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستمائة : في خلافة المستنصر بالله أبي جعفر المنصور بن الظاهر بن الناصر وسلطان دمشق الأشرف أبو الفتح موسى بن العادل بن أيوب . ففي ليلة الجمعة سادس عشر صفر توفي الشيخ أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة بن عبد الله بن الحسن الشافعي المعروف بزين الأمناء بن عساكر رحمه الله . وكان شيخا صالحاً كثير الصلاة والذكر وعمره نحو ثلاث وثمانين سنة إلا شهراً وأربعة عشر يوماً لأني رأيت بخطه أن مولده سلخ ربيع الأول سنة أربع وأربعين وخمسمائة وكانت له روايات كثيرة لكتب الحديث وغيرها عن غير الحافظ أبي القاسم علي ، والصائن أبي الحسن هبة الله بن الحسن ، وأمه أسماء بنت أبي البركات محمد بن الحسن بن الداني خالة محيي الدين القاضي ولم يزل الناس ينتفعون عليه بالسماعات حتى توفي . وكان قد أقعد في آخر عمره وكان يحمل في محفة إلى الجامع وإلى دار الحديث التي انشأها نور الدين بن زنكي رحمه الله ليسمع عليه . أجاز لي جميع مايرويه وسمعت عليه طائفة من كتب الحديث ودفن رحمه الله عند قبر أخيه الفقيه المفتي أبي منصور عبد الرحمن بن محمد المعروف بالفخر بن عساكر بالشرف القبلي ظاهر دمشق واجتمع في جنازته خلق كثير حضرت دفنه والصلاة عليه رحمه الله .

وفيها : في ربيع الآخر تسلم الأشرف بن العادل بن أيوب قلعة بعلبك من ابن عمه بهرام شاه ابن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب وقد كان حصارها قد طال ثم دخل الأشرف الى بلاد الشرق واستخلف على دمشق أخاه الصالح اسماعيل بن أبي بكر بن أيوب .

وفيها : في حادي عشر شهر جمادى الأولى توفي الشيخ بيرم المارديني صليت عليه بجامع دمشق وخرجت

فى جنازته الى الجبل فدفن شرق مقبرة ابن شيث على تل هناك . وكان شيخاً صالحاً . محبا للعزلة والانفراد، صابراً على الفقر والجوع ، كثير الصوم والمجاهدة . وكان مقيما بالزاوية الغربية بجامع دمشق المعروفة بزاوية الدولعى ، وتعرف قبله بزاوية القطب النيسابورى ، وقبله بزاوية نصر المقدسى . واسمه : بيرم أوله باء معجمة بواحدة من تحتها وهى مفتوحة وبعدها ياء ساكنة معجمة باثنتين من تحتها . وبعدها راء مفتوحة . وفى جمادى الآخرة جاء الخبر بأن خوارزم شاه ملك بلاد خلاط واستولى عليها ، وقتل كثيراً من أهلها . وجاء الخبر بأن الفرنج خذلهم الله استولوا على جزيرة ميورقة وقتلوا خلقا كثيراً ، وأسروا كذلك وقدموا ببعض الأسرى الى ساحل الشـــام فاستفك منهم طائفة فقدموا علينا دمشق وأخبروا بما جرى عليهم . وفى آخر شعبان المعظم حوط احمد بن عبد الرحيم بن على بن الحسن بن احمد البيسانى المعروف بابن القاضى الفاضل دارا بناها شمالى بركة الكلاسة شمالى جامع دمشق وجعل داخله مكانا يقرأ فيه القرآن والسنة ، ووقف خزانة كتب فى المقصورة التى تليها التى أنشأها والده ثم خرب ذلك جميعه وأضيف الى المسجد لما بنيت التربة الأشرفية وبقى ذلك يقرأ فيــه الحديث وفيه خزائن الكتب . وفى سابع عشر شهر شوال المكرم جاء كتاب الأشرف بن العادل بن أيوب بأنه التقى الخوارزمى وكسره وذلك فى أواخر رمضان ، وقد كان الخوارزمى قد استولى على بلاد خلاط فسار الأشرف من دمشق واتفق هو وملك الروم على لقائه فجمعوا العساكر والتقوا معه والتقى الجمعان للقتال يوم السبت ثامن عشر رمضان . وذكر شيخنا ابن الأثير فى تاريخه : ان ذلك كان فى الثامن والعشرين وانكسرت الخوارزمية ووقع منهم فى واد خلق فهلكوا . وهبت عليهم رياح ، ونهبوا وأخذوا وتبعوا الى يوم عيد الفطر ، وانبثت البشائر فى البلاد لأن هذا الخوارزمى كان لا يأخذ بلد إلا قتل أهله وسبى وسلب الأموال ، وفسقوا بنسائهم وأولادهم . وقد كان الأشرف قد رأى قبل الكسرة النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فوعده بالنصر عليهم . فقال : ياموسى انت منصور عليهم ، ومظفر بهم . أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم سار الأشرف فاسترد بلاد خلاط وأوغل فى طلب الخوارزمى فى بلاده ثم رجع وانقطع الحاج هذه السنة أيضا من الشام فصارت ثلاث سنين متوالية لانقطاع الحاج من الشام .

سنة ٥٦٢٨:

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستمائة فى خلافة المستنصر بالله أبى جعفر بن الظاهر وسلطان دمشق الأشرف بن العادل بن أيوب ونائبه فيها أخوه الصالح بن العادل فنى أولها : أحدثت الأمامة للصلوات الخمس بمشهد أبى بكر شرقى جامع دمشق جعل له امام راتب .

وفيها : ظهر الغلاء بالديار المصرية بأن نيلها نقص فى شوال سنة سبع وعشرين وهو الموافق لشهر مسرى من شهور القبط .

وفيها : فى صفر توفى الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن على بن حامد المعروف بالدخوار شيخ الأطباء بدمشق فى زمانه . وهو الذى وقف داره مدرسة الأطباء وهى بنواحى الصاغة العتيقة . ومولده بدمشق سنة خمس وستين وخمسمائة . قال النوصى أنشدنى الحكيم الفاضل أبو الحسن (١) بن التلميذ فى

(١) هو هبة الله بن صاعد الطبيب النصرانى لكن الشعر ليس لنفسه بل لابن أفلح كما فى أخبار الحكماء (ز).

الاسرائيلي صاحب المعنبر : ـ

لنا صديق يهودي حماقته اذا تكلم تبدو فيه من فيه
يتيه والكلب خير منه منزلة كأنه بعد لم يخرج من التيه

وفي صفر هذه السنة توفي أيضا مجد الدين البهنسي . واسمه : الحارث بن مهلب بن حسن المهلبي حكى عن والده مقطعات من شعره وغير ذلك . وكان والده نحوياً أديباً فقيهاً ، وكان قد وزر للأشرف بالشرق ، ثم نكب بحران واعتقل مدة وكشف عليه في حلب نعمته ثم أفرج عنه وأقام بدمشق الى أن توفي بها ودفن في التربة التي وقفها عليه أخوه بجبل قاسيون .

وفيها : في آخر ربيع الآخرة سافرت الى الديار المصرية فدخلت دمياط في جمادى الأولى ، والقاهرة ومصر في جمادى الآخرة . والاسكندرية في ذي الحجة (١) .

وفيها : ولد أخي أبو محمد بن اسماعيل . وفيها : في مستهل ذي الحجة توفي الزين النحوي يحيى بن معطي الزواوي رحمه الله بالقاهرة وأنا بها وصلى عليه بجنب القلعة عند سوق الدواب وحضر الصلاة عليه السلطان الكامل بن العادل ودفن بالقرافة في طريق قبة الشافعي رحمه الله على يسار المار اليها على حافة الطريق محاذياً لقبر أبي ابراهيم المزني رحمه الله . حضرت دفنه والصلاة عليه . وكان آية في حفظ كلام النحويين .

وفيها : توفي الزين الكردي أبو عبد الله محمد المقرىء وكان من أصحاب الشيخ أبي القاسم الشاطبي رحمه الله توفي بدمشق وأخذ مكانه في الجامع شيخنا أبو عمرو بن الحاجب . وحج الناس في هذه السنة من الشام ، ومصر . وفيها حج شيخنا ابن الصلاح ثم انقطع الحاج بعد هذه السنه .

وفيها : توفي الملك القاهر تاج الملوك اسحاق بن العادل والله أعلم .

سـنة ٦٢٩ هـ :

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة وأنا بالاسكندرية في خلافة المستنصر بن الظاهر بن الناصر وسلطان دمشق الأشرف بن العادل ، وفي الديار المصرية أخوه الكامل بن العادل .

ففيها : رجعت الى دمشق في سابع ربيع الآخر فوجدت العماد المحلي مريضاً ومات في تلك الأيام ليلة الأربعاء عاشر شهر ربيع الآخر واسمه : حسام بن غزي بن يونس وكان ظريفا شاعراً حسن المحاضرة ودفن في مقابر الصوفية حضرت دفنه وله ترجمة حسنة في معجم القوصي . وفي مستهل جمادى الأولى مات صاحبنا أبو القاسم بن ابراهيم المعروف بالعلم ابن النحاس ودفن بالجبل حضرت الصلاة عليه وكان شابا حسنا دينا حسن الخلق والسمت رحمه الله .

---

(١) وفي شوال من هذه السنة توفي بدمشق بهرامشاه بن فروخشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك كما استدرك ابن كثير (ز) .

وفيها : فى تاسع جمادى الأولى توفى القاضى شرف الدين اسماعيل بن ابراهيم بن احمد الشيبانى الحنفى المعروف بابن الموصلى ودفن بالجبل حضرت الصلاة عليه بجامع دمشق ومولده فى رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسمائة وأجاز لى جميع مايرويه وكان شيخاً ديناً لطيفاً .

وفيها : فى إحدى الجماديين عزل القاضيان الشمسان الخوبى وابن سنى الدولة وولى مكانهما قاضى القضاة العماد عبد الكريم بن الحرستانى وعزل فى سنة احدى وثلاثين وستمائة ، وتولى ابن السنى .

وفيها : وصل الينا الخبر بوفاة الشيخ ابن عيسى بالاسكندرية وكانت له مسموعات كثيرة على الحافظ السلفى وغيره وأجاز لى جميع مايرويه .

وفيها : توفى الجمال بن الحافظ عبد الغنى الحنبلى ودفن بالجبـــل . وفيها : توفى ضياء الدين عيسى بن العقيمة أبى الحسن بن سيدهم المصرى ويعرف أبوه بصمد(؟) بعقوب بدمشق عند يوسف بن أبى الحسن. وكان كما أخبرنى أديباً فاضلا ومن شعره : ـــ

أرسلت من كبد لما رميت به ... ما سار من كبد إلا الى كبد

وهذان المنتصر بن الظاهر بن الناصر وأنا بدمشق . ففيها أنشئت دار تعرف أولا بدار قايماز النجمى وولى الاستغال فيها مستهل رمضان قدومه من الحاج ولبث اذ ذاك بمصر وكان قد أنشدنى لأخيه : ـــ

القوس ابنها فقسدت تهن ... والأم قد تحنو على الولد

من الأبيات الفائقه .

سنة ٦٣٠ هـ :

ثم دخلت سنة ثلاثين وستمائة . فى خلافة المستنصر وفيها : تم بنـــاء دار الحديث الجديدة التى أنشأها الأشرف موسى بن أبى بكر بن أيوب . وفى هذه السنة توفى جماعة من السلاطين منهم : المغيث بن المغيث بن العادل ، والعزيز عثمان بن العادل وابنه . توفى العزيز عثمان ليلة الحادى عشر من رمضان وتوفى المغيث فى حصار حصن كيفا فى المحرم ومظفر الدين صاحب أربل وغيرهم. مولد العزيز عثمان فى ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة ومات بالنعيمة .

سنة ٦٣١ هـ :

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وستمائة فيها : توفى بهاء الدين بن أبى اليسر فى خامس عشر المحرم ومولده سنة خمس وستين وخمسمائة .

وفيها : مات الشيخ أبو الحسن على بن أبى على بن محمد بن سالم التغلبى المعروف بالسيف الآمدى ودفن بجبل قاسيون رابع صفر وكان حسن الأخلاق ، كبير القـــدر فى معرفة الأصولين ، والجدل ، والخلاف ، والمنطق ، وعلوم الأوائل ، وصنف فيها كتبا كثيرة .

وفيها : في شعبان توفي القاضي عبد الرحيم بن محمد بن الحسن بن عساكر . روى عن محمد وغيره ومولده سنة تسع وخمسين وخمسمائة بدمشق في رمضان المبارك .

وفيها : في شعبان أيضا توفي بالموصل العز علي بن محمد بن عبد الرحيم الجزري المعروف بابن الأثير المؤرخ (١) صاحب المصنفات ولد سنة خمسين وخمسمائة . وفيها : ولدت أم الحسن فاطمة بنت عبد الرحمن ابن اسماعيل في الثالث والعشرين من شوال جعلها الله ذرية مباركة .

وفيها : جاءنا الخبر الى دمشق بوفاة الشيخ العالم الزاهد أبي عبد الله محمد بن عمر بن يوسف القرطبي بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر صفر من هذه السنة وصلى عليه الشرف محمد بن أبي الفضل المرسي وأخبرني بدمشق أن وفاته كانت مستهل شهر صفر سنة احدى وثلاثين وستمائة ودفن بالبقيع قريبا من قبر عثمان رضي الله عنه . وكنت اجتمعت به بالمدينة وبمصر وأجاز لي رواية ما يصح عنه روايته . وكان اماما قدوة له قبول عند أهل الآخرة وأهل الدنيا .

وفيها : توفي عندنا بدمشق النجم التفليسي واسمه ثابت بن تاوان وكان كبير المحل . حسن الاخلاق مشتغلا بعلم الشريعة والطريقة ودفن في مقابر الصوفية . وفيها : توفي الزين بن قمرجل (؟) والشمس ابن قوام . وكانا من خيار عدول البلد . وفي ليلة الجمعة خامس شوال توفي البرهان أبو الحسن اسماعيل ابن أبي جعفر بن علي القرطبي أمام الكلاسة . ودفن من الغد بجبل قاسيون عند قبر والده وكانت له جنازة عظيمة . سمع من الحافظ أبي القاسم بن علي وعلى غيره وحضرت دفنه والصلاة عليه . وكان في حياته منقطعا بالمنارة الشرقية مشتغلا بالطهارة والصلاة . ثم مات الشيخ عبد الله الأرمني وكان شيخا صالحا منقطعا بالجبل بعد البرهان بخمس عشر ليلة أو نحوها . وكانت له جنازة حفلة رحمه الله . ثم جاءنا الخبر في هذه السنة من حلب بوفاة الفقيه العالم نجم الدين بن الخباز . وكان مشهورا بالعلم والزهد والتواضع رحمه الله . وفي هذه السنة أحدثت القيسارية التي وراء سوق النحاسين يفتح بابها الى الزيادة ونقل اليها سوق الصاغة وكذلك ما أحدث من الدكاكين في وسط الزيادة وكان في هذه السنة .

وفيها : وقعت وقعة بين سلطان الروم وبين ابن أيوب . ولم يحج في هذه السنة إلا من اليمن أو من ركب البحر من مصر .

سنة ٦٣٢ هـ

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وستمائة . فيها : توفي الشهاب ابن عصرون في ليلة الثامن والعشرين من المحرم وهو : أبو العباس عبد الله بن المطهر بن شرف الدين أبي سعد . وفي المحرم توفي البدر الوكيل بمجلس الحكم واسمه : عبد المولى بن عبد السيد بن ابراهيم ودفن بالجبل . روى عنه والقوصي في معجمه .

---

(١) مؤلف الكامل وأسد الغابة (د) .

وفيها : توفى القاضي بهاء الدين بن شداد بحلب واسمه يوسف بن رافع بن تميم . وكان من رؤسائها وكان للناس به نفع . وكنت قد اجتمعت بابن شداد بدمشق وأجاز لى جميع ما يرويه . ثم سمعت عليه بمصر وعندقبة الشافعي رحمه الله تعالى سنة ثمان وعشرين وستمائة . وفى هذه السنة جاءنا الخبر بموت صاحبنا صفى الدين حسن بن أبي طالب البغدادى المقيم بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان شاباً فاضلا ، أديبا . كتب لصاحب المدينة ثم وزر له . واشتد على قمع المفسدين بها فوثب عليه ليلة العشر من ذى الحجة سنة احدى وثلاثين جماعة من السفهاء على باب مسجد المدينة على ساكنها السلام قبيل العشاء الآخرة فضربوه بأسيافهم حتى قتلوه وهو داخل من باب المسجد . أخبرنى بذلك الشيخ أبو الفضل المرسى قدم علينا فى هذه السنة . وكنت قد اجتمعت بهذا الشهيد رحمه الله بدمشق مراراً وبالمدينة فى حجتى سنة احدى وعشرين واثنتين وعشرين وستمائة .

وفى مستهل سنة اثنتين وثلاثين توفى الشهاب السهروردى ببغداد . وكان كبير القدر والشأن ، وله تصانيف فى علم التصوف وقدم دمشق مراراً وأنا بها صغير . وعقد بها مجلس الوعظ ولم أره رحمه الله ومولده سنة تسع وثلاثين وخمسمائة . واسمه . عمر بن محمد بن عبد الله البكرى .

وفيها : فى ثالث جمادى الأولى ولد أخى عبد الحليم بن اسماعيل جعله الله مباركا . وفيها : فى سادس عشر شهر رجب المرجب توفى الشيخ العدل أبو على الحسن بن يحيى بن صباح المصرى ودفن بالجبل حضرت الصلاة عليه بظاهر دمشق خارج باب الفراديس سمعت عليه أكثر الخلعيات ولى منه اجازة ومولده بمصر فى جمادى الأولى سنة احدى واربعين وخمسمائة . وكانت له ديانة ، واصالة ، وأمانة ، وعدالة رحمه الله . وفى هذا الشهر خرب خان بالعقيبة . كان كثير الفسق والفساد ليجعل مسجدا يصلى فيه الجمعة ثم جامعا كبيراً حسنا سمى بجامع التوبة وذلك فى أيام الاشرف أبى الفتح موسى بن أبى بكر بن أيوب . وهو المجدد أيضا لمسجد جراح خارج باب الصغير . وفى ليلة الاحد تاسع شعبان توفى التقى بن ماسويه واسمه : أبو الحسن على بن أبى الفتح المبارك بن الحسن بن احمد بن ماسويه بدمشق ودفن بباب الصغير وكنت مريضا تلك الايام فلم يقدر لى شهود جنازته وكان شيخا خيراً حسن الاخلاق متواضعا لطيفا مشهورا بالقراآت سمع من الحازمى وغيره وأجاز لى رواية جميع ما يرويه . وذكر لى انه ولد سنة ست وخمسين وخمسمائة رحمه الله .

سنة ٦٣٣ هـ :

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وستمائة . فيها : توفى أبو الخطاب عمر بن دحية المحدث فى ليلة الثلاثاء رابع ربيع الأول بالديار المصرية ولى منه اجازة

وفيها : توفى البهاء الأرانى واسمه عبد الخالق بن الشافعى وكان شيخاً متديناً عالماً مشهوراً ببلاده ثم انتقل إلى دمشق فى آخر عمره ومات بها فى خامس عشر شوال من هذه السنة ودفن بالجبل حضرت الصلاة عليه وشيعته إلى المصلى بباب الفراديس.

وفيها : فى ذى القعدة وصل الينا خبر موت خطيب جامع مصر الشيخ الفقيه الدين أبو الطاهر محمد ابن عبد الرحمن الجابرى من ولد جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه . واشتهرت تسميته بالمحلى

وكان من أصحاب الشيخين الشاطبي ، والقرشي وكنت اجتمعت به في مصر غير مرة رحمه الله عليه . وله سنة أربع وخمسين وخمسمائة .

وفيها : مات أبو علي الحسن بن اسماعيل المعروف بالقاوي البغدادي ذكره القوصي في معجمه .

سنة ٦٣٤ ه :

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وستمائة ففي ثالث منها توفي الناصح بن الحنبلي الواعظ . واسمه : عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب من ولد سعد بن عبادة الانصاري . وكان واعظا متفننا . وله مصنفات . وله بنيت المدرسة التي بالجبل (١) للحنابلة رحمه الله ومولده سنة أربع وخمسين وخمسمائة . ومات أخوه شهاب الدين عبد الكريم بن نجم ثامن ربيع الأول سنة تسع وعشرين وستمائة ومولده سنة سبع وخمسين وخمسمائة .

وفيها : جاءنا الخبر بموت ابي عمرو عثمان بن دحية بالقاهرة وهو أخو أبي الخطاب المقدم ذكره رحمه الله .

وفيها : قدم دمشق الشيخ الفاضل الأصيل القاضي أبو مروان محمد بن احمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن احمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة بن رفاعة بن صخر بن سماعة اللخمي الاندلسي الاشبيلي من بيت كبير من الأندلس يعرف ببيت الباجي مشهور به ، كثير العلماء والفضلاء . أصلهم من ناحية القيروان وليس منهم أبو الوليـــد الباجي الفقيه ذاك بيت آخر من ناحية الأندلس . قدم أبو مروان حاجا من بلاده في البحر إلى عكا من ساحل دمشق ثم دخل دمشق سادس شهر رمضان من هذه السنة ونزل عندنا بالمدرسة العادلية وجده الأعلى احمد بن عبد الله بن محمد بن علي قدم الديار المصرية وحج منها ومعه ولده محمد بن احمد ويعرف بصاحب الوثائق وسمعوا بها جماعة من العلماء . وذكر أبو عبد الله الحميدي احمد بن عبد الله هذا في تاريخه « جذوة المقتبس » وكناه أبو عمر وذكر أنه سكن اشبيلية واثنى عليه كثيراً وقال مات في حدود الأربعمائة . روى عنه أبو عمر بن عبد البر وغيره . وأبو عبد الله بن محمد بن علي يعرف بالراوية . وذكره الحميدي أيضا . وذكر ابن بشكوال في كتاب الصلة : عبد الملك بن عبد العزيز جد هذا الشيخ القادم وأثنى عليه وقال : توفي في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وكان هذا أبو مروان سلمه الله حسن الأخلاق . فاضلا . متواضعا . محسنا . وسمعته يقول وقد سئل في إعارة شيء فبادر اليه بنفسه ثم قال : أنا عندي في قوله تعالى : (ويمنعون الماعون) هو كل شيء . واستفدنا من هذا الباجي فائدة جليلة وهو معاينة قدر مد النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندهم متوارث . وقد أخبر عن ذلك أبو محمد بن حزم في كتابه « المحلى » عايرته أخذته أنا بدمشق حينئذ وهو الكيل الكبير فوجدت مدنا يسع صاعين إلا يسيراً ووجدته بمسوحا يسع صاعا ونصفاً أو شيئاً فيكون مدان بمسوحان ثلاثة اصبع زائدة . عندي طاسة بيضاء صغيرة عايرتها به فوجدتها تسع مدين وهما نصف

(١) في الصالحية بنتها الصاحبية ربيعة خاتون اخت العادل وبها دفنت .

صاع . قرأت فى كتاب « المحلى » لابن حزم : وخرط لى مد على تحقيق المد المتوارث عند آل عبد الله ابن على الباجى ، وهو عند اكبرهم لا يفارق داره . اخرجه الى يعنى الذى كانت ذلك عبد الله بن احمد ابن عبد الله بن على المذكور . وذكر أنه مد أبيه ، وأن جده أخبره وخرطه على مد أحمد بن خالد واخبر أحمد بن خالد انه خرطه على مد يحيى الذى أعطاه إياه ابنه عبيد الله بن يحيى . وخرطه يحيى على مد مالك . قال أبو محمد : ولا شك أن أحمد بن خالد صححه أيضاً على محمد بن وضاح الذى صححه ابن وضاح بالمدينة . قال أبو محمد : ثم كلته بالقمح الطيب ثم وزنته فوجدته رطلا واحداً ونصف رطل بالفلفلى لا يزيد حبة وكلته بالشعير إلا انه لم يكن بالطيب فوجدته رطلا واحدا ونصف أوقية سألت عن الرطل الفلفلى فقيل لى هو ست عشرة أوقية كل أوقية عشرة دراهم وفى تقدير ابن حزم نظر والله أعلم توفى هذا الشيخ رحمه الله بمدينة القاهرة سنة خمس وثلاثين بعد رجوعه من الحج أتانا خبره بدمشق .

وفى هذه السنة جاءنا الخبر بأن الكفار من الترك وهم التتار خذلهم الله ملكوا مدينة اربل وفعلوا فيها ما هى عادتهم فى البلاد التى أخذوها قبل وكان دخولهم أيضاً فى التاسع والعشرين من شوال سنة أربع وثلاثين ، ثم هزمهم الله وشردهم على يدى عسكر الخليفة المستنصر بالله أبى جعفر المنصور بن الظاهر ابن الناصر .

وفيها : فى الساعة الأولى من يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة أربع وثلاثين وستمائة ولد لى مولود سميته محمد وكنيته أبا الحرم جعله الله مباركا ذرية طيبة . ثم مات فى أواخر جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة وله ثمانى سنين ونصف رحمه الله .

وفى هذه السنة : توفى جماعة من الملوك منهم : ملك حلب وأعمالها الملك العزيز محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب . ومنهم : صاحب بلاد الروم علاء الدين فى خامس شوال . وانقطع الحاج هذه السنة من ناحية العراق ، وخرج الحاج من الشام وجرت عليه نكبة شديدة من جهة العطش بأرض بسيط قبل وصولهم تيماء بنحو ثلاث مراحل .

سنة ٦٣٥ ه :

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وستمائة ففى رابع المحرم منها توفى بقلعة دمشق السلطان الملك الأشرف أبو الفتح موسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب ودفن بالقلعة إلى أن بنيت تربته جوار كلاسة الجامع فنقل اليها وتولى دمشق بعده بعهد منه أخوه الملك الصالح اسماعيل بن أبى بكر بن أيوب .

وفيها : توفى الشمس محمد بن عبد الكريم بن رزمين البعلبكى النحوى فجأة رحمه الله ورضى عنه

وفى أواخر ربيع الأول حوصرت دمشق وفيها الصالح اسماعيل بن أبى بكر بن أيوب حاصره الكامل أخوه وابن أخيه الناصر داود بن عيسى بن أبى بكر بن أيوب فجرى نحو الحصار المتقدم سنة ست وعشرين إلا أن هذا الحصار كان أكثر خرابا فى ظاهر البلد وحريقا ومصادرة وأقل غلاء ولم تطل مدته فان الصلح جرى فى أوائل جمادى الأولى من السنة يوم الأربعاء ووافق اليوم الذى كسرت فيه الفرنج على دمياط . واليوم الذى فتحت فيه آمد . كل ذلك يوم الأربعاء . وفى يوم الاحد الآتى بعد يوم الصلح

توفى خطيب دمشق جمال الدين محمد بن أبى الفضل بن ياسين الدولعى. قلت: توفى الدولعى يوم الأحد رابع عشر جمادى الأولى من السنة. ودفن بجيرون فى مدرسته التى أنشأها وتولى مكانه فى التدريس بالزاوية الغربية الشيخ الفقيه عبد العزيز بن عبد السلام وولى الخطابة بعد الكمال بن طاحه فى أواخر شعبان

وفيها: فى ليلة الخميس ثانى عشر جمادى الآخرة توفى القاضى شمس الدين محمد بن هبة الله بن الشيرازى ودفن من الغد فى الجبل وقد بلغ من العمر ستا وثمانين سنة أو نحوها. وكان آخر المشهورين بالرواية عن الحافظ أبى القاسم بن عساكر حضرت الصلاة عليه بجامع دمشق وشيعته إلى مصلى باب الفراديس عند مسجد فيروز رحمه الله ورضى عنه. ولقد كان حسن الأخلاق، طلق المحيا. عالما بمذهب الشافعى مفتيا فيه. تولى القضاء ببيت المقدس ثم بدمشق مرارا.

وفى ليلة الاثنين سادس جمادى الآخرة أمر السلطان الملك الكامل أن لا تصلى فى المسجد الجامع صلاة المغرب إلا خلف إمام واحد وهو خطيب الجامع وأبطل ما عداه من أئمة الحنفية والحنابلة والمشهدين. وذلك لما كان فى امامتهم من التشويش على المصلين فى صلاة المغرب لأنهم يسرعون فى الصلاة جملة بخلاف غيرها من الصلوات لأنهم يكونون فيها مترون.

وفيها: جاءنا الخبر بوفاة العز بن الناسخ توفى ليلة التاسع من جمادى الأولى وهو: أبو الحسن على بن نصر الله بن على بن الحسن بن الحسن بن أحمد الكلابى الدمشقى بمصر. وكان فقيها. فاضلا من أهل بيت علم دمشقى الأصل، وكان قد ولى التدريس بجامع السراجين بالقاهرة.

وفيها: يوم الجمعة سادس رجب توفى أمين الدين بن قوام وكان من خيار عدول البلد وأصله من الرصافة. وفيها: ليلة الخميس الثانى والعشرين من رجب توفى بقلعة دمشق السلطان الملك الكامل بن العادل محمد بن أبى بكر بن أيوب وكان مدة ملكه بدمشق شهرين ونصف شهر تقريبا وكان بينه وبين موت أخيه الملك الأشرف ستة أشهر وسبعة عشر يوما فسبحان من لا يزول ملكه. ودفن بقلعة دمشق إلى أن بنيت تربته جوار الجامع شماليه بين دور تى السميساطى. ونقل إليها ليلة الجمعة الحادى والعشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وستمائة وتولى دمشق والديار المصرية بعده ولده العادل. وكان نائبه بدمشق الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن العادل بن أبى بكر بن أيوب. وتولى بلاد الجزيرة، وديار بكر، وربيعة ولد الكامل الملك الصالح نجم الدين أيوب بن محمد.

وفيها: فى سادس عشر شعبان توفى القاضى زين الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدى. عرف بابن الأستاذ بحلب وهو قاضيها يومئذ بعد القاضى بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد الموصلى رحمه الله، وكان فاضلا، عالما، رئيسا حسن السمت والخلق عفيفا قدم دمشق مرات وكان أبوه من الصالحين.

وفيها: فى خامس ذى القعدة توفى القاضى شمس الدين يحيى بن هبة الله المعروف بابن سنى الدولة قاضى قضاة دمشق يومئذ ودفن بالجبل وكان كبير السن وله جنازة حفلة حضرت الصلاة عليه بالجامع

وشيعته إلى مصلى باب الفراديس رحمه الله وكان تولى القضاء بالقدس الشريف قديما . ثم تولى نيابة القضاء بدمشق مرات من قبل الزكى الطاهر بن محمد بن على ومن قبل الجمال عبد الصمد بن الحرستانى . ثم وليه شركة مع الشمس الخوبى مدة . ثم عزلا ... إلى العماد عبد الكريم بن عبد الصمد بن الحرستانى . ثم عزل ابن الحرستانى وولى ابن سنى الدولة استقلالا فلم يزل قاضيا حتى توفى فى التاريخ المذكور . وتولى بعده استقلالا شمس الدين أحمد بن الخليل الخوبى فهنأ جماعة من أهل البلد منهم كاتب هذه الأحرف أى منشىء الكتاب ، تولى الخوبى يوم الاثنين سابع ذى القعدة المذكورة.

وفيها : توفى الشيخ أبو العباس بن القسطلانى بمكة شرفها الله تعالى ودفن بالمعلاة رحمه الله .

وفيها : تولى كمال الدين بن طلحة الخطابة بجامع دمشق وخطب يوم الجمعة الحادى والعشرين من شعبان . وفى آخر سنة خمس قبض على الصفى ابراهيم بن مرزوق واستصفى جميع ماله واودع السجن ثم نقل إلى سجن حمص وانقطع خبره إلى جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وستمائة . ثم أنه أخرج من سجن حمص وقدم إلى دمشق . وفيها : قدم دمشق أبو الفضل جعفر الهمدانى من أهل الاسكندرية من أصحاب السلفى وسمع عليه بها .

سنة ٦٣٦ ه

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وستمائة وسلطان دمشق الجواد يونس بن مودود بن أبى بكر بن أيوب . وبالأراضى المقدسة وأعمالها الناصر داود بن عيسى بن أبى بكر بن أيوب . وبالديار المصرية العادل أبو بكر بن محمد بن أبى بكر بن أيوب .

وفيها : توفى شيخ أصحاب أبى حنيفة بدمشق جمال الدين محمود بن احمد بن عبد السيد البخارى المعروف بالحصيرى وكان رحمه الله مسناً فقيهاً ديناً متواضعاً مولده ببخارى فى جمادى سنة ست وأربعين وخمسمائة . وقدم دمشق فتولى تدريس النورية فى سنة إحدى عشرة وكان بها الشرف داود بعد برهان الدين مسعود وتوفى ثامن صفر من هذه السنة ودفن بمقابر الصوفية على حافة الطريق وبنى قبره بحجارة . حضرت الصلاة عليه بجامع دمشق تحت النسر بصحن الجامع المعمور . وكانت له جنازة حفلة رحمه الله .

وفيها : فى السادس والعشرين من صفر توفى بدمشق الشيخ أبو الفضل جعفر بن على بن أبى البركات ابن جعفر بن يحيى الهمدانى المقرىء المحدث من أصحاب الشيخ الحافظ أبى الطاهر السلفى . وكان قدم دمشق فى صحبة الناصر داود بن المعظم عيسى بن العادل أبى بكر بن أيوب وبلغ رحمه الله من السن نحو تسعين سنة ودفن بمقابر الصوفية قريبا من قبر النجم ثابت بن تاوان(؟) التفليسى رحمهما الله . حضرت الصلاة عليه خارج باب النصر وشيعته الى المقبرة المذكورة المطلة على وادى البردى . وكنت قد رأيته بجامع الاسكندرية عمرها الله سنة كنت بها وهى سنة ثمان وعشرين وستمائة فى آخرها . ثم رأيته بدمشق وأجاز لى ولولدى محمد وفاطمة رواية جميع مروياته .

وفيها : فى السادس والعشرين من جمادى الأولى توفى الشيخ عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ

صدر الدين علي بن حمويه فقفز عليه ثلاثة نفر داخل قلعة دمشق فقتله أحدهم ودفن في الغد بجبل قاسيون حضرت الصلاة عليه بجامع دمشق وشيعته الى مسرح سوق الخيل والغنم . وكانت له جنازة حفلة وكان من بيت علم وتصوف وإمرة رحمه الله . وكان من أعيان المتعصبين لمذهب الأشعري ومولده يوم الاثنين سادس عشر شعبان سنة احدى وثمانين وخمسمائة بدمشق .

وفيها : في مستهل جمادى الآخرة قدم دمشق مالكا لها السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب واستوزر الصاحب جمال الدين علي بن جرير وحاصر حمص وقصد الديار المصرية .

وفيها : توفي السديد أبو الفتيان بن عبد الرزاق الموصى الى في حق ولده عبد الله يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الآخرة ودفن على أبيه بباب الصغير ، وكان حج سنة عشر وستمائة صحبة والدى رحمه الله . وهي حجة والدى الأولى من أربع حجات . ومولده على ما رأيته بخط عمي أبي القاسم رحمه الله قال : ولد أبو الفتيان بن الشيخ الامين السديد أبي القاسم بن عبد الرزاق في العشر الأول من رجب سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة . وفي الليلة المذكورة حج والده الى مكة حرسها الله .

وفيها : يوم الجمعة سابع وعشرين جمادى الآخرة توفي الصاحب جمال الدين علي بن سلامة بن البطين ابن جرير (١) الرقي . وكان وزيراً للاشرف ثم وزر للصالح بن الكامل ودفن بمقابر الصوفية .

وفيها : ظهر بدمشق غلاء شديد لم يعهد مثله قبلها على ماذكره المشايخ بلغت غرارة الحنطة خمسة وعشرين ديناراً بالمصرية وذلك مائتا درهم وخمسة وعشرون درهما ، وزاد رطل الخبز الخرجي على درهم وجميع أنواع المطعومات غلت ، ثم ان الأسعار أخذت في الارتخاء في أواخر هذه السنة والحمد لله تعالى .

وفيها : توفي الحافظ زكي الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد البرزالي الاشبيلي بحماة رابع عشر رمضان ، جاءنا خبره الى دمشق . وكان رحمه الله معتنياً بعلم الحديث ، مفيداً لأصحابه متواضعا أقام بدمشق سنين كثيرة بمسجد دوس وغيره . وكان شيخ الزاوية بمشهد ابن عروة في الحديث ثم سافر في هذه السنة الى حلب فلما رجع الى حماة توفي رحمه الله .

سنة ٦٣٧ هـ :

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وستمائة وسلطان دمشق الملك الصالح أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب ، وبمصر أخوه لأبيه العادل أبو بكر سيف الدين . فقيها : في أولها مات الشيخ شمس الدين أبو طالب محمد بن عبد الله بن صابر السلمي ، عرف بابن سيده من أهل بيت كبير من دمشق من أهل العلم والحديث والتصوف وصحب الشيخ عتيقا وغيره رحمه الله وكان يخضب . وليلة عاشوراء مات التقي محمد بن طرخان بن أبي الحسن الصالحي الحنبلي . وكان من المشهورين برواية الحديث .

---

(١) وفي ابن كثير (ابن حديد) (ز) .

وفيها : توفى الضياء بن الأثير بالموزقة من بغداد وهو مرسل اليها ، وهو صاحب « المثل السائر » و « الوشى المرقوم » وكان قد وزر للأفضل .

وفيها : نقل الملك الكامل من مدفنه بقلعة دمشق الى تربته شمالى الجامع فى ليلة الجمعـــة الحادى والعشرين من ربيع الأول .

وفيها : يوم الثلاثاء التسع والعشرين من صفر قدم دمشق صاحب بعلبك وحمص الصالح اسماعيل بن أبى بكر بن أيوب بن شادى ، والمجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادى فدخلاها بعسكر وجند عظيمة من غير حصار ، وفى الغد ملكا القلعة ، وخربت بذلك دار الحديث الاشرفية وغيرها من الدور والحوانيت تحت القلعة ، وكان بقلعة دمشق المغيث بن الصالح بن الكامل بن العادل بن أيوب . وكان أبوه الصالح ببلاد فلسطين نازلا بنابلس فى عسكر له تقدم أوله الى غزة على عزم أخذ الديار المصرية من أخيه العادل بن الكامل ، فانفض عنه جمعه لما بلغهم أخذ دمشق من ولده ورجعوا الى دمشق وبقى فى جمع قليل فأخذه ابن عمه الناصر داود بن عيسى بن أبى بكر فسجنه بقلعة الكرك الى أواخر رمضان من هذه السنة فاخرجه الناصر واتفقا وقصدا الديار المصرية بأخذها وقبضا على العادل بن الكامل وكان دخولهما مصر فى ذى القعدة من هذه السنة ثم رجعوا الى دمشق فى ذى القعدة سنة اثنتين واربعين وستمائة .

وفيها : توفى فى المدرسة العادلية الفصيح محمد بن أبى النجم بن البطريق الشاعر الجزرى الأديب وله شعر حسن فائق رحمه الله .

وفيها : فى شهر رجب المرجب توفى صاحب حمص الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شادى بحمص وجاء الخبر الى دمشق وعمل له العزاء بها بجامع دمشق فى الحادى والعشرين من رجب رحمه الله .

وفيها : توفى بعد صلاة الظهر من يوم السبت سابع شعبان قاضى القضاة بالشام يومئذ شمس الدين احمد ابن الخليل بن سعادة بن جعفر الخوبى الشافعى بالمدرسة العادلية ودفن من الغد بجبل قاسيون ، حضرت دفنه والصلاة عليه وكان مولده سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة فيما قرأته بخط ولده محمد وكان رحمه الله حسن الأخلاق لطيفا كثير الأنصاف عالماً فاضلا فى علوم متعددة جمة محققا عفيفا متواضعا كثير المداراة محببا الى الناس ، وكانت له جنازة حفلة . وصنف تصانيف من جملتها عروض هو عندى بخطه فقلت فيه :—

احمد بن الخليل أرشـــده الله   لما أرشد الخليل بن أحمـد

ذاك مستخرج العروض وهـذا   مظهر السر منه والعود أحمد

ومن لطفه مافاته بالمئذنة الشرقية من اجتماع الفقر والقناعة انه قال : ما أقدر على امساك المناصب . وتولى القضاء بعده بدمشق والتدريس بالمدرسة العادلية رفيع الدين عبدالعزيز بن عبد الواحد بن اسماعيل ابن عبد الهادى بن عبد الله الجيلى الشافعى ، وكان قاضى بعلبك قبـــل ذلك لكن ظهر منه سوء سيرة

وعسف وفسق وجور ومصادرة فى الأموال لا سامحه الله .

وفيها : فى العشر الآخر من ربيع الآخر تولى الخطابة بدمشق أحق الناس بالامامة يومئذ الشيخ الفقيه عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم السلمى مفتى الشام يومئذ ، ناصر السنة ، قامع البدعة . قلت : ذكر العز بن عساكر فى المقاومات أنه تولى ابن خلكان خطابة دمشق فى يوم الأربعاء ثالث شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وستمائة والله أعلم . وفى ربيع الآخر يوم الاحد رابع عشره كانت وقعة الخيجاوى مع الفرنج على غزة وقتل ابن علكان .

وفيها : توفى العلم العطار الأشبيلى المحدث وكان فاضلا دينا فى شوال من هذه السنة ، والصفى ابن المركب فى يوم واحد ، ودفنا بمقبرة الصوفية حضرت دفنهما والصلاة عليهما .

وفيها : فى سادس عشر ذى الحجة من شهر حزيران فى أيام المشمش جاء مطر عظيم نهاراً جرت منه سيول عظيمة هدمت كثيراً من الحيطان والبيوت . وكنت يومئذ بارض المزة . وفيها : توفى بمكة الفقيه على الطبرى خطيب مكة وامام المقام رحمه الله تعالى .

سـنة ٦٣٨ هـ :

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وستمائة فى خلافة المستنصر بالله وسلطان دمشق الصالح اسماعيل بن أبى بكر بن أيوب . وبمصر ابن أخيه الصالح أيوب بن محمد بن أبى بكر بن أيوب . ففيها : سلم حصن شقيف أرنون الى الفرنج خذلهم الله تعالى سلطان دمشق وأنكر ذلك عليه شيخا الشافعية والمالكية بدمشق ابن عبد السلام وأبو عمرو فعزل ابن عبد السلام عن خطابة دمشق بذلك السبب وسجنا بقلعة دمشق وتولى الخطابة بجامع دمشق ، والتدريس بالزاوية الغربية خطيب بيت الآبار عماد الدين داود بن عمر بن يوسف المقدسى الشافعى .

وفيها : فى ثانى عشر ربيع الأول توفى الملك المظفر أبو الخطاب تقى الدين عمر بن الملك الأمجد صاحب بعلبك بارض نوى وحمـل الى دمشق ودفن بتربة والده وجده بالشرف الشمالى وكان له نظم حسن كأبيه . ذكره القوصى فى معجمه .

وفيها : فى ثالث عشر ربيع الأول توفى والدى رحمه الله ودفن على أبيه بباب الفراديس . وفيها : فى الثانى والعشرين من ربيع الآخر توفى بدمشق المحيى بن العربى واسمه : محمد بن على بن محمد بن العربى أبو عبد الله الطائى الحاتمى قرأته من خطه وذكره الزكى فى تاريخه ودفن بمقبرة القاضى محيى الدين بجبل قاسيون حضرت الصلاة عليه بجامع دمشق يوم الجمعة وشيعته إلى الميدان بسوق الغنم . وكانت له جنازة حسنة . وله تصانيف كثيرة . وكانت عليه سهلة ، وله شعر حسن ، وكلام طويل على طريق التصوف وغيره . وهو من بلاد الأندلس طاف البـلاد شرقا وغرباً وأقام بمكة مدة . وفى ثالث شعبان كسرت الخوارزمية بنواحى حلب .

وفيها : أسمعت ولدى محمد الحديث فى مستهل ذى الحجة من هذه السنة .

وفيها : توفى القاضى نجم الدين أبو العباس احمد بن محمد بن خلف بن راجح المقدسى الشافعى المعروف بابن الحنبلى بدمشق فى يوم الجمعة سادس شوال سنة ثمان وثلاثين وستمائة ودفن بجبل قاسيون حضرت الصلاة عليه بجامع دمشق ، وكان شيخا ، فاضلا ، دينا عارفا فى علم الخلاف وفقه الطريقة حافظاً للجمع بين الصحيحين للحميدى وكانت له رحلة فى طلب العلم إلى بلاد خراسان والعراق ، وكان متواضعا حسن الخلق رحمه الله . وكانت ولايته لقضاء دمشق نيابة عن يونس بن بدران المصرى ، واحمد بن الخليل الخوبى ، وعبد الكريم بن أبى الفضل الحرستانى ، ويحيى بن هبة الله بن سنى الدولة ، وعبد العزيز الجيلى الى أن مات . ودرس بالمدرسة العذراوية ، والصارمية ، والحسامية ، والصالحية .

وفيها : توفى الشيخ سالم المغربى الهكورى الهيلانى هيلان تجد من قبيلة هكوره المقيم ببيت الآبار ، ودفن بها فى الرابع والعشرين من ذى الحجة وكان من الصالحين . وفى آخر هذه السنة وأول التى بعدها ظهر نقصان المياه من السماء والأرض ، نقصت الأنهار ، ونقصت الآبار وهلك الزرع والثمار .

سنة ٦٣٩ هـ :

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وستمائة فى دولة المستنصر بالله وسلطان دمشق الصالح اسماعيل بن أبى بكر بن أيوب ، وبمصر الصالح أيوب بن محمد بن أبى بكر بن أيوب وعلى الأرض المقدسة الناصر داود بن عيسى بن أبى بكر بن أيوب . ففيها : توفى العفيف بن يسار بن خلف بن سراج الشاغورى وكان شيخا مسنا ، عدلا ، مرضيا ، فقيها رحمه الله . وذلك فى عاشر شهر صفر المظفر . وفى ذلك اليوم أيضا توفى العفيف عرب بن عمر بن على الشافعى ودفنا فى مقبرة باب الصغير بعد صلاة الظهر ، حضرت دفنهما والصلاة عليهما .

وفيها : فى نصف ربيع الآخر توفى المعلم الذى كان بمكتب جاروخ جوار المدرسة العادلية وكان روى الثمانين للآجرى عن الحافظ أبى الطاهر السلفى سماعا ، وقرأها لابنى فسمعها عليه بقراءتى . وكان شيخا ، أديبا ، شاعراً له شعر لابأس به رحمه الله .

وفيها : فى الثالث والعشرين من جمادى الأولى توفى المجد سليمان بن سالم بن مفلح العدل الفقيه الشافعى ودفن بمقبرة الصوفية رحمه الله تعالى .

وفيها : وصل الى الديار المصرية شيخنا عز الدين بن عبد السلام وحصل له من سلطانها الصالح بن الكامل قبول عظيم على مابلغنا وتولى الخطابة والقضاء بمصر .

وفيها : توفى الشيخ أبو طاهر اسماعيل بن ظفر (١) بن احمد النابلسى بجبل قاسيون فى رابع شوال وكان رحمه الله عنده سند عن اللبان عن أبى على الحداد ، وعنده عن أبى سعيد الصفار ، عن الفراوى أسمعت ولدى عليه من الطريقين فى ثانى شوال ثم توفى بعد الغد منه رحمه الله .

---

(١) وفى الشذرات (ظفر) (ز) .

وفيها : توفى بالموصل الشمس بن الخباز النحوى الضرير فى سابع رجب المرجب ، والكمال بن يونس الفقيه فى النصف من شعبان رحمهما الله . وكانا فاضلى بلدهما فى فنهما .

وفيها : توفى بدمشق عبد الواحد الصوفى الذى كان قساً راهبا بكنيسة مريم نحو سبعين سنة أسلم قبل موته بأيام ثم توفى شيخا كبيراً بعد أن أقام بخانقاه السميساطى أياماً ودفن بمقابر الصوفية وكانت له جنازة حفلة حضرت دفنه والصلاة عليه رحمه الله .

وفيها : فى يوم عرفة تولى قاضى القضاة بمصر الشيخ عز الدين بن عبد السلام ؛ وجمع له بين الخطابة والقضاء وذلك بعد وفاة القاضى شرف الدين الموقع ثم عزل نفسه مرتين وانقطع فى بيته .

سنة ٦٤٠ هـ :

ثم دخلت سنة أربعين وستمائة فى خلافة المستنصر أبى جعفر المنصور بن الظاهر بن الناصر . وسلطان دمشق الصالح اسماعيل بن أبى بكر بن أيوب ، وبمصر ابن أخيه الصالح أيوب ابن محمد بن أبى بكر . وبالأراضى المقدسة ابن أخيه الناصر داود بن عيسى بن أبى بكر . ففيها : فى سابع عشر ربيع الأول توفيت الأتابكية زوجة الأشرف . واسمها : بركات خاتون ابنة عز الدين مسعود ابن مودود بن زنكى ، وفى ليلة وفاتها كان وقف تربتها والمدرسة بالجبل .

وفيها : توفى الشيخ الصالح عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن الحسن يعرف بابن الدجاجية ، ويعرف جده بابن أبيه . توفى ليلة الأحد الخامس والعشرين من المحرم أحد الرواة عن الحافظ أبى القاسم بن عساكر محدث الشام سمع منه وهو ابن خمس ونحوها . سمعت منه أنا وولدى محمد أشياء من تصانيف الحافظ أبى القاسم ومروياته بسماعه لها منه ولله الحمد . وفى ثالث عشر صفر توفى كمال الدين بن احمد بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه بأرض غزة ؛ وكان مقدم العساكر الصالحية يومئذ . جاءنا خبره الى دمشق .

وفى يوم الجمعة سادس عشر رجب سنة أربعين وستمائة خطب بدمشق للامام المستعصم بالله احمد ابن المستنصر بالله أبى جعفر المنصور لوفاة أبيه وعقد له مجلس العزاء يومئذ رحمه الله .

وفيها : توفى زين الدين أبو زكريا المالكى بمدينة غزة رحمه الله ، وكان أديبا فاضلا وأسمعت عليه ولدى محمد صحيح مسلم .

وفيها : توفى يوم الجمعة سلخ رجب الشيخ الزكى ابو اسحاق ابراهيم بن الشيخ المسند أبى طاهر بركات ابن أبراهيم الخشوعى القرشى ودفن بعد صلاة الجمعة بمقبرة باب الفراديس على ابيه وجده حضرت الصلاة عليه وشيعته إلى قبره رحمه الله . وكان شيخاً مسنداً صالحاً ، ولم يخلف بعده من يروى عن الصائن بن أبى الحسن هبة الله بن الحسن باجازة ، ولا من يروى عن أخيه الحافظ أبى القاسم على بن الحسن مثله فى الكثرة . سمعت عليه أنا وولداى أبو الحرم محمد وأم الحسن فاطمة أشياء من آمالى الحافظ وغيرها ولله الحمد

سـنة ٦٤١ هـ:

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وستمائة فى خلافة المستعصم بالله . فيها : استولت التاتار لعنهم الله على بلاد الروم سهل الله عودها إلى المسلمين .

وفيها : خطب بدمشق يوم الجمعة الرابع والعشرين من ربيع الأول السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب ثم قطع ذلك من السنة المذكورة .

وفيها : فى سابع عشر ربيع الآخر توفى الشمس بن المنجى واسمه : أبو الفتوح عمر بن أسعد بن المنجى الحنبلى قاضى حران قديما وكان فقيها يدرس بالمدرسة السمسارية وتولى خدماً ديوانية فى الأيام المعظمية ، وكان يروى عن أبى المعالى بن صابر . والقاضى الشهرزورى . وابن أبى عصرون . اسمعت عليه ولدى محمدا عمر .

وفيها : فى ثامن عشر ربيع الآخر توفى الشيخ أبو البركات ميمون الدمورى (١) المغربى الضرير وكان من عباد الله الصالحين . فاضلا . عالما بعلم الطريقة . حسن المحاضرة وصلى عليه بجامع دمشق ودفن بجبل قاسيون شمالى مقبرة الشيخ عبد الصمد الدكالى فى مغارة الدم وتعرف تلك المقبرة بفقراء المغاربة حضرت الصلاة عليه رحمه الله .

وفيها : توفى العز بن المنجى أخو الشمس فى ذى القعدة من السنة ودفن بمدرسته بالجبل . فيها : فى خامس عشر جمادى الأولى توفى الشيخ الحافظ تقى الدين أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفنى رحمه الله ودفن بجبل قاسيون حضرت الصلاة عليه بجامع دمشق وشيعته إلى مصلى باب الفراديس ، وكان عالما بالحديث دينا . متواضعا رحمه الله . سمع عليه ابنى محمد .

وفيها : توفيت الشيخة أم الفضل كريمة بنت عبد الوهاب فى خامس عشر جمادى الآخرة . سمع عليها ابن محمد صحيح البخارى وغيره بقراءتى وقراءة غيرى .

وفيها : فى الحادى والعشرين من رجب توفى اتخاص عبد الواحد بن عبد الرحمن بن عبد الواحد ابن هلال العدل الدمشقى بها وكان أحد أصحاب الحافظ أبى القاسم وتوفى بجبل قاسيون سمع عليه ابنى محمد أجزاء بقراءتى عليه وقراءة غيرى .

وفيها : يوم الجمعة بعد الصلاة صبيحة عيد الأضحى قبض على أعوان القاضى الرفيع الجيلى الظلمة الأرجاس وكبيرهم الموفق حسين بن عمر بن عبد الجبار الواسطى المعروف بابن الرواس لا رحمهم الله وسجنوا ثم عذبوا بالضرب . والعصر ، والمصادرات ولم يزل ابن الرواس فى الحبس والعذاب إلى أن فقد فى أواخر جمادى الأولى من سنة اثنتين وأربعين وستمائة . وبلغنى أنه أخرج ليلا وخنق عند تل اليهود والنصارى ورمى ثم . وفى يوم الجمعة ثامن عشر ذى الحجة تحقق صرف هذا القاضى الظالم وعزله ثم اخرج من داره وسجن بالمدرسة المقدمية بباب الفراديس ثم اخرج ليلا وذهب به فسجن فى مغارة

---

(١) وفى بعض الرموزى (ز)

افقه من نواحي البطائح ثم انقطع خبره . وذكروا أنه توفى لا رحمه الله . فمنهم من قال : التى من شاهق ، ومنهم من قال : خنق . وفي يوم الجمعة الآتي الخامس والعشرين من ذي القعدة قرىء منشور ولاية القضاء لمحيي الدين محمد بن على بن محمد بن يحيي القرشي بالجامع فى الشباك الكمالى .

ســنة ٦٤٢ هـ :

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وستمائة فى خلافه المستعصم بالله . ففيها : توفى شيخ الشيوخ أبو محمد عبد الله بن حمويه رحمه الله فى سادس صفر ودفن على أبيه بمقبرة الصوفية ، حضرت دفنه والصلاة عليه بجامع دمشق . وكانت له جنازة حسنة ، وكان رحمه الله سخيا ، متواضعا ، عالما ، فاضلا ، دينا صحيح الاعتقاد . سمع الحافظ أبا القاسم ابن عساكر ، والفقيه مسعود النيسابورى وأبا الفرج الثقفى ، وأبا طاهر الخشوعى وغيرهم . سمعت عليه أنا وابنى محمد كثيراً وأجاز لنا جميع ما يرويه رحمه الله .

وفيها : تحقق موت القاضى الظالم الوضيع الملقب بالرفيع وأعوانه على ما سبق ذكره .

وفيها : مات جماعة من أصحابنا ومعارفنا منهم : الكمال مسعود بن احمد الحورانى الفقيه الشافعى توفى فى خامس جمادى الأولى ودفن فى مقبرة الصوفية . وبعده بيومين توفى الشمس محمد بن الجابى ودفن بمقبرة الصوفية أيضاً حضرت دفنهما والصلاة عليهما رحمهما الله تعالى . وفى هذا الشهر من السنة المذكورة كسرت الافرنج لعنهم الله ومن انضم اليهم من منافقى المسلمين كسرة عظيمة من عسقلان وغزة وغنم منهم أموال عظيمة وأسر من الفرنج خلق من ملوكهم وكبرائهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وذهب رؤوس المقتلين والمأسورين إلى مصر ووقع الرعب فى قلب صاحب دمشق فتهيأ للحصار وخرب رباعا كثيرة حول البلد ، وغرقت المساكن التى على حافة يزدى بين جسرى باب توما والسلامة بسبب خراب جسر باب توما وسده فرجع الماء وارتفع وصار بحراً فوقع ما كان على حافته والله المستعان . قلت : كانت هذه الوقعة بين عسكر مصر ومقدمه ركن الدين بيبرس الصالحى وبين عسكر الشام ومقدمه المنصور صاحب حمص ومعهم الفرنج الساحل يوم الاثنين ثانى عشر جمادى الأولى .

وفيها : فى نحو النصف من شعبان توفى الجمال سليمان بن عبد الكريم ابن اخت عبد العزيز الشيبانى ، والشمس احمد بن محمد بن عمارة الحرجى رحمهما الله

وفيها : فى خامس شهر رمضان توفى تاج الدين أبو العباس أحمد بن شيخنا القاضى شمس الدين أبى نصر محمد بن هبة الله بن الشيرازى رحمه الله ودفن بالجبل ، وكان خيرا ، متواضعا ، فاضلا ، امينا ثقة . سمع جده هبة الله بن محمد بن جميل ، وأبا عبد الله محمد بن على بن الحسن بن صدقة الحرانى وغيرهما ، وأجاز له الحافظ أبو طاهر السلفى . قرأت لولدى محمد عليه أشياء من ذلك فسمعها عليه وحضرت الصلاة عليه بجامع دمشق صلى الامام عليه ، وعلى المؤذن المعروف بديك العرش مؤذن بيت المقدس فى ساعة واحدة . وكان هذا المؤذن مسنا وابتلى بمرض طويل رحمه الله وقبره بمقابر الصوفية . وقد سمعه ابنى محمد على ابن الشيرازى المذكور صحيح مسلم ، بسماعه من الحرانى ، عن ابى عبد الله الفراوى ، عن الفارسى ، عن الجلودى ، عن ابراهيم ، عن مسلم .

سنة ٦٤٣ هـ :

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وستمائة فى خلافة المستعصم بن المستنصر بن الظاهر بن الناصر ، ومدينة دمشق يومئذ محاصرة . فى الثامن من المحرم ضويقت مضايقة شديدة وقد اجتمع عليها عساكر عظيمة من المصريين والخوارزمية وغيرهم . فى تلك الليلة احرق قصر حجاج ، والشاغور واستولى الحريق على مساجد وخانات ، ودور عظيمة ومن ذلك مسجد جراح خارج باب الصغير ، وكان جامعاً تقام فيه الجمعات ، ثم نصبت على دمشق المجانيق ورميت به بين بابى الجابية والصغير ، ونصبت أيضاً مجانيق داخل البلد وترامى الفريقان وأمر بتخريب حارة العقيبة خارج باب الفراديس ، وباب السلامة ، وباب الفرج ، واحرق حكر السماق خارج باب النصر ، واشتد الغلاء ، وعظم البلاء وزادت أوقية الخبز على نصف درهم وبلغ التبن أن بيع كل أوقيـــة بقرطاس . ثم احرقت العقيبة فى أول ربيع الأول .

وفيها : فى يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر توفى صاحبنا المحدث شرف الدين أحمد بن الجوهرى رحمه الله ، وكان فاضلا خيراً متواضعا مفتنلا مفيداً حريصاً على تحصيل المسموعات ، رحل فى طلب الحديث وسمع وحصل الأصول ثم توفى رحمه الله ودفن بالجبل صلينا عليه بجامع دمشق وشيعناه إلى داخل باب الفرج ولم يمكن الخروج لوجود الحصار المذكور ، ثم توفى بعده فى سادس شهر ربيع الأول القوام الاصبهانى ، وكان كاتباً ، فاضلا ، شاعراً ، والمعين الأرموى وكان شيخاً ظريفا ، معمراً فى ثامن ربيع الأول ، ثم توفى فى ثالث عشر ربيع الأول المنتخب الهمذانى المقرىء بالمدرسة الزنجيلية رحمه الله ، وكان مقرئا مجوداً قرأ على الشيخ أبو الجـــود بمصر . وانتفع بشيخنا أبى الحسن فى معرفة قصيدة الشاطبى ثم تعاطى شرح القصيدة فخاض بحرا عجز عن سباحته ، وجحد حق تعليم شيخنا له وأفادته فالله يعفو عنا وعنه . حضرت الصلاة عليه بجامع دمشق وشيعته إلى داخل باب الفرج ولم يمكن الخروج معه لأجل حصار البلد ، ثم توفى فى الثالث والعشرين منه التاج عبد الجليل الابهرى الصوفى وكان من أهل الحديث ذو سماعات كثيرة . وبخطه طبقات جمة ، ونسخ كثيراً من كتب الحديث والفقه أسمعت عليه ابنى محمداً وله أجازة .

وفى ذلك اليوم مات الصفى القارى امام الجنـــائز ، وقبلهما بيوم توفى النـــاصح سالم قيم دار الحديث النورية رحمهم الله ، ثم توفى الشيخ حسن الصقلى القزاز وكان من المشهورين بالصلاح كل ذلك فى ربيع الأول .

وتوفى فى ربيع الآخر سابع عشره الشيخ الفقيه الصـــوفى كمال الدين أبو العباس أحمد بن كامل الزمارى رحمه الله وكان شيخاً ، صالحاً ، فقيهاً ، مشهوراً ، من أصحابنا الشافعيين متضلعا من نقل وجود المذهب وفهم معانيه . وهو أحد من قرأت عليه المذهب فى صباى وكان كثير الحج والخير . وقف جميع كتبه وفيها مصنفات جليلة تقبل الله منه ، وهو الذى ذكره شيخنا أبو الحسن فى خطبة تفسيره وأثنى عليه وكان ملازم حلقة شيخنا وقت سماع التفسير وفى أيام ختمات الطلبة رحمه الله .

وفى يوم الأربعاء السادس والعشرين من ربيع الآخر توفى الشيخ الفقيه الامام مفتى الشام تقى الدين

أبو عمرو عثمان بن الصلاح رحمه الله بدار الحديث الأشرفية ، وحمل على الأصابع الى الجامع فصلى عليه بعد صلاة الظهر ، وكانت على جنازته هيبة ووقار ، وجمع متوفر ، ورقة شديدة واخبات وخشوع ثم خرج به الى باب الفرج ورجع النـــاس بسبب الحصـــار وخرج معه نفر دون العشرة الى مقابر الصوفية فدفن بها رحمه الله وانضاف اليهم بعد ذلك جماعة حضرت الصلاة عليه بالجامع وشيعته الى باب الفرج . ومنه استفدت على الحديث والفقه صغيراً وكبيراً وسمع عليه ابنى محمد جملة من تصانيفه ومعظم السنن الكبير للبيهقي وغير ذلك .

وبعده بيومين توفى التقى احمد بن العز محمد بن الحافظ عبد الغنى المقدسى الحنبلى بجبل قاسيون . وتوفى قبله بنحو من شهر ابن عمه أبو سليمان عبد الرحمن بن عبـــد الغنى وكانا من ائمة الحنابلة بدمشق والجبل ، وكان أبو سليمان من الصالحين . وفى جمادى الأولى توفى شرف الدين بن قريش بدمشق ، والقاضى الأشرف بن الفاضل بمصر بينهما سبعة أيام ، وفى ثالث جمادى الأولى لمـــا فتح دمشق توفى العز محمد بن تاج الأمناء أحمد بن محمد بن عساكر ، وكان كبير بيته يومئذ ، وله عناية بعلم التاريخ ، ومات فى ذلك اليوم العز محمد بن الخليلى شاب من المشتغلين بالعلم المحصلين له المجتهدين فيه من أصحاب شيخنا أبى الحسن واعزهم عليه رحمه الله . شهدت الصلاة عليهما وشيعتهما إلى داخل باب الفرج وذهب به إلى الجبل . وبابن عساكر إلى مقبرة جده بباب الصغير .

وفى خامسه يوم الجمعة توفى الشيخ المسند تاج الدين ابو الحسن محمد بن أبى جعفر امام الكلاسة كان مسند وقته ذو سماعات جمة صحيحة ، وأصول جليلة . وكان متواضعا خيراً دينا رحمه الله . سمعت عليه أنا وابنى محمد كثيراً . سمع من عبد المنعم الفراوى ، وأبى البركات الخشوعى ، وأبى الفرج الثقفى . والحافظ أبى محمد ، وعبد الوهاب بن سكينة ، وابن طبرزد ، وحنبل ، والقاضى أبى القاسم ، وأبى اليمن الكندى وغيرهم حضرت الصلاة عليه بالجامع بعد صـــلاة الجمعة وشيعته إلى باب الفرج وكانت له جنازة حفلة وحمل على الأيدى ودفن بجبل قاسيون عند أبيه وأخيه .

وفى ثامنه تحقق الصلح وزال الحصر عن البلد ورحل نائلئذ عن دمشق سلطانهـا الصالح اسماعيل بن العادل بن أبى بكر بن أيوب . وصاحبه المنصور ابراهيم بن أسد الدين إلى بعلبك وحمص ، ودخل البلد من الغد فى تاسع الشهر نائب صاحب مصر وهو الصاحب معين الدين حسين شيخ الشيوخ صدر الدين ونزل فى دار أسامة وهى الدار المعظمية الناصرية وزال الخوف والظلم عن البلد والمصادرات والوجل جعله الله فتحا مباركا برحمته .

وفى يوم الجمعة آخر جمعة فى الشهر توفى ولدى أبو الحرم محمد جمعنى الله وإياه فى الجنة ودفنته عند أمه بمقبرة ابن زيزان المجاورة لمقبرة الصوفية على حافة الطريق اليها رحمهما الله وايانا وأنا كنت قابله وغاسله وبلغ من العمر ثمانى سنين ونصفا وسمع من كتب الحديث وأجزائه ومن سائر العلوم شيئا كثيراً على جملة من المشايخ نحو مائة وأربعين شيخا . ثم توفيت أخته زينب بعده باربعة أيام . وفى ثالث جمادى الآخرة توفى الشهاب محمد بن على بن منصور اليمنى المعروف بابن الحجازى رحمه الله وكان من فضلاء الشبان . هو وأبوه من أصحاب شيخنا أبى الحسن المختصين به ودفن بجبل قاسيون ولم أشهده

لأنى كنت مريضاً

وفيها : ليلة الأحد ثانى عشر جمادى الآخرة توفى شيخنا علم الدين أبو الحسن على بن محمد السخاوى رحمه الله علامة زمانه ، وشيخ عصره وأوانه بمنزله بالتربة الصالحية وصلى عليه بعد الظهر بجامع دمشق ثم خرج بجنازته فى جمع متوفر إلى جبل قاسيون فدفن بتربته التى فى ناحية تربة بنى صصرى خلف دار ابن الهادى حضرت الصلاة عليه مرتين بالجامع وخارج باب الفرج وشيعته إلى سوق الغنم ثم رجعت لضعف كان من أثر مرض قريب العهد . وكان يوما مطيراً وفى الأرض وحل كثير . وكان على جنازته هيبة ، وجلالة . ورقة ، واخبات وختم بموته موت مشايخ الشام يومئذ . وفقد الناس بموته علما كثيراً ومنه استفدت علوما جمة . كالقراآت والتفسير . وعلوم فنون العربية وصحبته من شعبان سنة أربع عشرة ، ومات وهو عنى راض والحمد لله على ذلك رحمه الله وجمع بيننا وبينه فى جنته آمين

وفى يوم الأربعاء خامس جمادى الآخرة توفى الفقيه زين الدين يوسف بن ابراهيم بن يوسف الكردى والشيخ أيوب المعروف بالمراوحى ، والعماد على بن الحجة الحنفى ، والصدر ابراهيم بن الليث وغيرهم وصلينا على الجميع جملة بعد الظهر بالجامع وشيعت جنازة الزين الكردى إلى نحو باب الصغير رحمهم الله ثم توفى خطيب الجبل شرف الدين عبد الله بن الشيخ أبى عمر محمد بن احمد بن قدامة ، والضياء محمد بن عبد الواحد . والضياء محاسن . والسيف احمد بن عيسى بن شيخنا الموفق عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة ، وغيرهم من مشايخ الجبل . توفى الضياء محمد يوم الاثنين سابع عشر جمادى الآخرة من السنة وهو : محمد بن عبد الواحد بن احمد المقدسى ، وفى ليلة ثامن عشر شعبان توفى الفخر محمد بن عمر بن عبد الكريم الحميرى عرف بابن المالكى الساكن بالمنارة الشرقية فى بيت أبى جعفر ودفن من الغد فى مقبرة الصوفية رحمه الله .

وفيها : توفى النجم بن سلام وكان متولى ديوان دمشق بالقلعة بعد الشمس بن النفيس فى سنة اثنتى عشرة وستمائة ودام عليه وله احسان وخير ، وصدقة ، وتعصب ، وضيافة . وفى شهر شعبان أيضا من سنة ثلاث وأربعين وستمائة توفيت الصاحبة ربيعة خاتون ابنة نجم الدين أيوب أخت صلاح الدين والعادل وغيرهما من الملوك وعمة الكامل . والأشرف ، والمعظم وغيرهم من الملوك . زوج مظفر الدين صاحب اربل رحمهم الله ودفنت بتربتها بالجبل . وتوفى فيه أيضا الأمير سيف الدين قليج ودفن بمدرسته التى وقفها بمسكنه بدار الفلوس .

وفى السابع والعشرين من شعبان توفى الفقيه الشيخ الصالح علاء الدين بن الكردى عمر بن أبى بكر ابن جعفر وكان جارى بالمدرسة العادلية ودفن بمقابر ابن زويزان حضرت دفنه والصلاة عليه رحمه الله وفى ليلة الأحد الثانى والعشرين من شهر رمضان توفى بدمشق الصاحب معين الدين ابن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه وكان نائب السلطنة بها وهو الذى فتحها للملك الصالح أيوب بن الملك الكامل وأخذها من عمه اسماعيل بن أبى بكر بن أيوب صاحب بعلبك وصلى عليه بجامع دمشق جمال الدين ابن محيى الدين بن الجوزى ودفن بالجبل عند أخيه عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ رحمهم الله . ومولد معين الدين فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة . وفى يوم الجمعة العشرين من رمضان توفى شرف الدين محمد بن

القاضي شرف الدين أبي طالب عبد الله بن زين القضاة ودفن بالجبل حضرت الصلاة عليه بالجامع. وفي ثاني شهر شوال توفي الأمير نجم الدين القيمري عمر ناصر الدين ودفن بالجبل .

وفيها : اشتد الغلاء بسبب قطع الخوارزمية الطرقات . في ثامن عشر شوال بلغت غرارة القمح ستمائة درهم ناصرية نصفها بثلاثمائة درهم ، وبيع الخبز كل رطل بثلاثة دراهم أو بأربعة دراهم على تفاوت الأخبار والله يكشف هذا الضر برحمته وكان ذلك في تاسع شهر آذار وبقيت الصعاليك مرميين في الطرقات . كانوا يطلبون اللقمة ، ثم صاروا يطلبون فلساً يشترون به نخالة يبلونها ويأكلونها كما تطعم الدجاج ، وشاهدت ذلك بعيني . ثم اشتد الغلاء زيادة على ذلك فبلغ في آخر شهر شوال المذكور كل غرارة حنطة بمائة دينار صورية ثم ناصرية . ثم سمعت انه بيع عشرة غرائر بعشرة آلاف درهم وكتب بها وثيقة على المشتري إلى أجل شهرين ، واشتريت أنا الخبز كل رطل بأربعة دراهم غير مرة . ثم تفاقم الأمر في حادي عشر ذي القعدة فبيع الخبز الأسود كل أوقيتين بدرهم . وخبز الشعير كل أوقيتين ونصف بدرهم ، وبلغت الغرارة في ثاني عشر ذي القعدة ألفا ومائتي درهم وخمسين درهما فضة ناصرية ، وبيع الدقيق كل أوقية وربع أوقية بدرهم كل رطل بنحو عشرة دراهم . وبيع الشعير كل كيل بخمسين درهما الغرارة بستمائة درهم ، والزبيب كل أوقيتين بدرهم ثم بيع أوقية ونصف بدرهم ، وكذا الدبس بلغت الحلاوة الجوزية من الدبس كل أوقية بدرهم . وسمعت من ينادي عليها وقد نزل السعر بباب الجامع الغربي من باب البريد يقول : أرخص الله أسعار المسلمين كل أوقية بستة عشر قرطاساً . فقال بعض السامعين : كنا نأخذها بعشرة فلوس الوقية واليوم نفرح كيف وصلت إلى ستة عشر قرطاسا وبيع الباقلا الاخضر كل رطل بدرهم وربع ، والرز باللبن ثلاث أواق ونصف بدرهم . والارز اليابس كل أوقيتين ، والفحم الردى كل رطل بستة دراهم ، ولم تزل الأسعار في اشتداد وارتفاع إلى أن بيع مد الحنطة بعشرين درهما ونحوها وبلغت الغرارة ألفا وخمسمائة درهم وبيع الخبز كل أوقيتين إلا ربع بدرهم والرطل بسبعة دراهم في يوم عيد النحر وقبله . ثم أن الله تعالى نفس عن الناس بنزول السعر من بعد عيد الأضحى . ولم يزل يأخذ في النزول إلى أن بيع الخبز آخر السنة كل رطل بدرهمين . واللحم كذلك وفي سلخ المحرم بيع كل رطل وثلث بدرهم : وفي جمادى الآخرة رطل ونصف بدرهم

سـنة ٦٤٤ هـ :

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وستمائة أولها يوم الجمعة ، ففيه كسرت الخوارزمية أشد كسرة وقتلت ملوكهم وسبيت نساؤهم وغنمت أموالهم من أرض بعلبك وحمص كسرهم الملك المنصور ابراهيم بن المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص ومعه جيوش حلب وحماة وغيرها من البلاد ، وجاءنا الخبر بذلك يوم السبت ثاني الشهر إلى دمشق فبيع الخبز كل رطل بدرهم ونصف ، والحمد لله على هذه النعمة ونسأله المزيد بفضله ثم تسلمت قلعة بعلبك من نواب الصالح اسمعيل ، ثم تسلمت قلعة بصرى منهم . وممن قتل في تلك المعركة بركة خان مقدم الخوارزمية وسلطانهم وحمل رأسه إلى حلب .

وفي حادي عشر صفر توفي الملك المنصور ابراهيم بن المجاهد صاحب حمص بالبستان الأشرفي

بالنيرب ظاهر دمشق وحمل إلى حمص . وقبله بأيام توفى الضياء محمد بن حسان بن رافع العامرى بقصر حجاج. وكانت له سماعات كثيرة بالحديث . سمع الخشوعى . والحافظ أبا محمد . وأبا اليمن الكندى ، والقاضى أبا القاسم . وأبا حفص بن طبرزد . وحنبلا وغيرهم . وسمع شيء من حديثه رحمه الله تعالى ثم توفى الركن بن سلطان الحنفى ، والقاضى شرف الدين الحنفى الحورانى ، والكمال ابراهيم بن البانياسى وغيرهم فى العشر الأوسط من صفر .

وفى ثامن عشر ربيع الأول توفى العز الأربلى عبد العزيز بن عثمان بن أبى طاهر امام دار الحديث النورية بدمشق بقرية جوبر وحمل إلى مقابر الصوفية . وكان شيخا حسنا مسندا مكثرا عن أبى طاهر الخشوعى . وأبى محمد الحافظ . وأبى اليمن الكندى . وأبى حفص بن طبرزد ، وأبى القاسم القاضى ، وفاطمة بنت سعد الخير وغيرهم . اسمعت عليه ابنى محمداً كثيراً من الكتب والأجزاء .

وفى ربيع الآخر توفى الفقيه الحنفى المعروف بالعز عرفة مدرس الصادرية ، والمجد بن البعلبكى ، والجمال بن البلان (؟) وفى أول جمادى الآخرة توفى الحكيم سعد الدين الطبيب ، وبعده بثلاثة أيام توفى البدر العلائى الأشرفى الخادم . وفى الخامس والعشرين من جمادى الآخرة توفى الفقيه الامام تقى الدين محمد بن محمود بن عبد المنعم المرانى الحنبلى رحمه الله ودفن بالجبل حضرت الصلاة عليه وشيعته إلى خارج باب الفرج ، وكان عالما ، فاضلا . ذا فنون ولى به صحبة قديمـة وبعده لم يبق فى مذهب احمد مثله بدمشق .

وفى رجب ولد بمنزلى عبد العزيز بن احمد بن عبد الجبار الزينى أخو ابنتى من أمها جعله الله موفقا سعيداً ، وفى أول شعبان توفى الضياء عبد الرحمن المالكى العمادى الذى جلس مكان الشيخ أبى عمر وفى حلقته بالجامع ، وفى زاوية المالكية ومدرستهم رحمه الله وكان كريما شاعراً .وقبله الأمير عماد الدين داود بن موسك بن جكو . وجاءنا الخبر بوفاة الفقيه تاج الدين اسماعيل بن جهبل رحمه الله بحلب وكان فقيها ديناً كريماً سليم الصدر . وتوفى فى ثامن عشر شعبان الشيخ اسماعيل الكورانى المقيم بمقصورة ابن سنان الحنفية بجامع دمشق . وفى شهر رمضان توفى النجم عبد الكافى ، والشريف هاشم بن الشريف البهاء ، وجمال الدين محمد القلعى . والمخلص أبو بكر بن حماد الحنبلى ، وفى ذى القعدة توفى الناسخ احمد الصيداوى المشتغل بعلوم الفقه والحديث والرقائق .

وفى تاسع عشر ذى القعدة يوم الخميس سابع ساعة فيه دخل دمشق صاحبها الصالح نجم الدين أيوب ابن محمد بن أبى بكر بن أيوب وكان يوما عظيما بكثرة الخلق والزينة ونزل عندنا بالمدرسة العادلية الشيخ الفاضل الأمير ضياء الدين أبو الحسين محمد بن اسماعيل بن عبـد الجبار يعرف بابن أبى الحجاج المقدسى ، وصهره الأمير العالم الفاضل شمس الدين بن الجناب فاقام بهـا خمسة عشر يوما ثم رحل إلى بعلبك فكشفها ثم رجع ومضى نحو صرخد وتسلمها من صاحبهـا عز الدين ايبك المعظمى ، ورحل إلى بلاد بانياس وتسلم حصن الصبيبة من الملك السعيد بن العزيز بن العادل وهو ابن عم السلطان وفى خدمته ثم تسلم حصن الصلت من ابن عمه داود بن عيسى بن أبى بكر بن أيوب ، وفرق بدمشق نحو تسعين الف درهم على الفقراء لخان فيها المفرقون فنظمت فيهم قصيدة نحو أربعمائة بيت فى شرح حالهم فيها .

سنة ٦٤٥ هـ :

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وستمائة أولها يوم الأربعاء فرجع السلطان الصالح أيوب إلى مصر وأبقى العسكر بالساحل محاصرين لبلاد الفرنج خذلهم الله تعالى بعسقلان وطبرية ، فجاء الخبر بفتح طبرية فى عاشر صفر من هذه السنة ، وجاء الخبر بفتح عسقلان فى أواخر جمادى الآخرة .

وفيها : توفى النظام عبد الله بن زين الأمناء بن عساكر ، وفى العام قبله توفى أخوه الركن عبد اللطيف وكان متزهداً ذا وسواس .

وفيها : عزل الخطيب عماد الدين داود بن خطيب بيت الأبار من خطابة جامع دمشق وإمامته ومن التدريس بزاويته الغربية وولى ذلك القاضى عماد الدين عبد الكريم بن الحرستانى وذلك فى أواخر رجب ، وفى سلخه توفى المجد بن نظيف ، وفى شعبان توفى الشمس بن هلال ، وفى رمضان توفى الكمال على بن يعقوب الدولعى القاضى الشافعى وكان فقيها أديبا ، تولى القضاء ببعلبك ، ثم بصرخد ، ثم بزرة وبها توفى . قلت : وجدت بخط الدولعى المذكور انه على بن يعقوب بن اسحاق بن عبد الله بن أبى الحسن وهو كردى جوزقانى رحمه الله تعالى ، وكان شيخا فى الفقه .

وفى رمضان أيضا توفى الشيخ على المعروف بالحريرى المقيم بقرية بسر فى زاويته وكان يتردد إلى دمشق ، وتبعه طائفة من الفقراء وهم المعروفون بالحريرية أصحاب الزى المنافى للشريعة ، وباطنهم شر من ظاهرهم إلا من رجع إلى الله منهم ، وكان عند هذا الحريرى من الاستهزاء بامور الشريعة والتهاون بها من اظهار شعار أهل الفسوق والعصيان شىء كثير وانفسد بسببه جماعة كثيرة من أولاد كبراء دمشق ، وصاروا على زى أصحابه وتبعوه بسبب انه كان خليع العذار ويجمع مجلسه الغناء الدائم ، والرقص والمردان وترك الاحتجار على أحد فيما يفعله ، وترك الصلوات ، وكثرة النفقات فأضل خلقا كثيراً ، وأفسد جما غفيراً ، وقد افتى فى قتله جماعة من علماء المسلمين ثم أراح الله منه .

سنة ٦٤٦ هـ :

ثم دخلت سنة ست وأربعين وستمائة ففيها : استولى صاحب حلب على حمص ، وفى يوم الجمعة سادس عشر ربيع الآخر صلب مملوك تركى صبى بالغ كان لبعض الأمراء الصالحية النجمية يدعى السقسقينى زعموا أنه قتل سيده لأمر ما فصلب على حافة نهر بردى تحت القلعة فى آخر سوق الدواب وجعل وجهه مقابل الشرق ، وسمرت يداه ، وعضداه ، ورجلاه وبقى من ظهر يوم الجمعة إلى ظهر يوم الأحد ثم مات ، وكان يوصف بشجاعة ، وشهامة ، ودين وأنه غزا بعسقلان وقتل جماعة من الفرنج ، وقتل أسداً على صغر سنه وكان منه فى صلبه عجائب . فمن ذلك أنه جاد بنفسه للصلب غير ممتنع ولا جازع ، بل مد يديه فسمرتا ، ثم سمرت رجلاه وهو ينظر لم يتأوه ولم يتغير وجهه ، ولا حرك شيئا من أعضائه . أخبرنى من شاهد ذلك منه جماعة وبقى إلى أن مات صابراً ساكناً لم يئن ، ولم يزد على نظره إلى رجليه وجانبيه ، تارة يمينا وتارة شمالا ، وتارة ينظر إلى الناس . قيل أنه استسقى ماء فلم يسق ، وتألمت قلوب من عندهم رحمة وشفقة على خلق الله تعالى من أنه صبى صغير وقد ابتلى بمثل

هذا البلاء والمياه تتدفق بجوانبه وهو ينظر اليها ويتحسر على قطرة منها وهو صابر على ذلك فسبحان من له الامر والحكم . وأخبرت أنه رؤيت له منامات صالحة ونور غشاه قبل موته . وان شكواه للعطش كان فى أول يوم ثم سكن ذلك فقواه الله تعالى وثبته وصبره . وأخبرنى من سمعه يقول فى اليوم الثانى : سقيت البارحة ما أذهب عنى العطش . ثم لم يطلب الماء حتى مات . وصار يبصق بصقة رجل ريان الكبد ويحذف بها بعيداً : وبقى بعد موته معلقاً تمام يوم الاحد وانزل ضحوة يوم الاثنين من الغد رأيته اتفاقا وأنا مار إلى المدرسة الحسامية حالة انزاله . فشاهدته وقد اسودت أعضاؤه ، وتغيرت محاسنه وكثر الترحم والدعاء له . ولعله كان شهيداً رحمه الله . فانى اخبرت أنه دافع عن نفسه امرآ لم يرض وقوعه به والله يغفر لنا أجمعين . ومنها : أنه أسرع اليه الموت تخفيفاً من الله تعالى عليه فانه بقى يومين وليلتين . وأخبرت أن جماعة من الرجال جرى لهم مثل هذا الصلب والتسمير وأن المنية تأخرت عنهم أياما زيادة فى عذابهم وكان قد أصابه فى اليوم الثانى اختلال فلم يبق يحس بالألم والعطش ولم ينتظم كلامه بل صدرت منه ألفاظ دالة على اختلاله خفف الله تعالى بذلك عنه . وقد كان يغفى (١) أحيانا . ثم ينتبه مرعوبا لشدة الألم فتنقطع لذلك قلوب الناظرين اليه غير أنه يذكر الله تعالى .

وأخبرت أن بعض الموكلين به سأله عن حاله فى غداة يوم الأحد أو السبت وكان جوابه أن قال : طيب مع الله . وبلغنى لما سمر لم يسمع منه سوى كلمة واحدة وذلك أن الذى سمره لما وضع المسمار فى العضد صادف العظم فقال له : يا فتى تجنب العظم . وبلغنى أن الذى سمره توفى ذلك اليوم أو الذى بعده وهذا من عجائب ما اتفق . فاخبر الصبى بذلك ارادة اعلامه أن الله تعالى جازاه بفعله . فقال الصبى وهو فى تلك الشدة : هو فى حل لاذنب له لكن الذنب لمن أمره بذلك . وكان رحمه الله من اجمل الصبيان ، واحسنهم وجها ، واطولهم شعراً . قد كان ثمنه الوفا من الدراهم ، وكان فى قتلته مكشوف الرأس ، والذوائب من شعره مسترسلة خلفه ، ولعبت به الرياح فأدارتها إلى صدره فبقى يتناولها بولع بها ويتشاغل بالعبث بها . وبلغنى أنه قال : لى يومان ماصليت كالمتأسف على ما فاته من الصلاة وبعضهم قال يوم علقوه كان صائما ، وأخبرنى من أثق به أنه سمعه يلتمس من الناظرين اليه أن يبعدوا عنه ليريق الماء فعلوا فأراقه ، وكانت له نفس أبية ، وقوة شديدة أخبرنى جماعة أنه كان يحرك رجليه وهما مسمرتان فلم يزل بولع بتحريكهما إلى أن اتسع نخش المسمارين عليهما وصار يديرهما بمساميرهما لولا شدة تعلق المسامير بالخشب لقلعهما البتة ومما قيل فيه :ـــ

ومنفرد من فوق أعواد حتفه	يجود بنفس صانها خوف ربه
تسمرت الأعضاء منه فلم يطق	سجوداً فأوماً للسجود بقلبه
تمكنت الآلام منه مسمرا	كئيباً وكان الموت أيسر خطبه
يرى واحداً والناس من حوله جذعه	وعطشان والأمواه تجرى بتحته
فيا حسرة منه على شرب قطرة	لقد طار ذياك الشراب بلبه
وعريان إلا فى غلالة حسنه	ومكشوف رأس سائبات برحبه

(١) ينعس (ز)

تحول رياح الجو فيه وتعصف السوافى عليه كل ترب بقربه

وتشرق شمس الصيف من حر وجهه لقد زال ذاك الحسن مذ أشرقت به

مغيرة تلك المحاسن اذ غدا أحق بها منها فنادت بحربه

فيالك مزوعا من الماء ضلة تفتت الأكباد من عظم كربه

ويالك مصلوبا بظلم وقسوة تقطعت الأحشاء من سوء صلبه

ويبرد فى الليل البهيم فيشتكى نهاراً فلا يسلى المقر بذنبه

فياعجباً ممن أشار بصلبه الا اعجب وأخبر عن قساوة قلبه

صبى صغير فائق الحسن ناسك شجاع له الاقدام فى يوم حربه

صبور على هذى الشدائد كلها إلى أن أتاه الموت قاض انحبه

وفى سنة ست وأربعين وستمائة سقطت قنطرة عظيمة رومية كانت على علو سوق الرقيق بالسوق الكبير فانهدم بسببها حوانيت ودوركثيرة كانت عليها ومتصلة بها وقعت نهاراً . وفى ليلة الأحد الخامس والعشرين من رجب وقع الحريق فى المئذنة الشرقية بجامع دمشق فاحرق أعلاها وجميع مافيها من البيوت والمطائع جميعه فانه كان سقالات من خشب وسلم الجامع بفضل الله تعالى ورحمته . وبعده بايام يسيرة قدم السلطان الصالح أيوب بن الكامل مدينة دمشق فاقام بها وجهز العساكر الى حمص .

وفى شعبان توفى القاضى عز الدين محمد بن أبى الكرم الحنفى السخاوى وكان نائبا فى الحكم زمن الجمال المصرى قاضى القضاة الى أن مات . وفى الخامس من شهر رمضان توفى بمصر الأفضل الخونجى قاضى قضاة مصر وكان حكيا منطقياً ، وكان الحديث عنه فى مدة ولايته القضاء حسناً ، سمعت الشيخ ابن أبى الفضل وغيره يثنى عليه فى ذلك رحمه الله . وجاءنا الخبر فى ذى القعدة أن الشيخ أبا عمرو عثمان بن الحاجب رحمه الله توفى بالاسكندرية فى شعبان فساءة ذلك من سمعه من البرية فانه رحمه الله كان ركنا من أركان الدين فى العلم والعمل ، بارعا فى العلوم الأصولية وتحقيق علم العربية ، متقنا لمذهب مالك بن أنس رحمه الله . وكان من أذكى الأمة قريحة ، وكان ثقة حجة متواضعا ، عفيفا ، كثير الحياء ، منصفا ، محبا للعلم وأهله ناشراً له ، محتملا الأذى ، صبوراً على البلوى . قدم دمشق مراراً آخرها سنة سبع عشرة فاقام بها مدرسا المالكية ، وشيخاً للمستفيدين عليه فى على القراآت والعربية . ثم خرج هو والشيخ ابن عبد السلام بسبب تغير الوقت عليهما فسكنا مصر وكان خروجهما من دمشق سنة ثمان وعشرين وستمائة وأخبرنى صهره الكمال احمد بن سليمان انه دفن خارج الاسكندرية فى المقبرة التى بين المنارة قريب قبر الشيخ ابن أبى شامه رحمه الله .

سنة ٦٤٧ هـ :

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وستمائة فى خلافة المستعصم . وسلطان دمشق الصالح أيوب بن الكامل مقيم بها . قدم اليها فى أول شعبان من سنة ست فاقام بها خمسة أشهر ورحل منها يوم

الاثنين رابع المحرم طالباً الديار المصرية . وأمر ببناء المنارة الشرقية بالجامع وهى التى احترقت فعمرت على ماهى عليه الآن . وفى ذلك العام (١) وصلت الفرنج خذلهم الله تعالى اليها (٢) فى البحر ونزلوا على ساحلها من جهة بر دمياط ، واستشهد من المسلمين جماعة النجم ابن شيخ الاسلام ودخل الأمير جمال الدين موسى بن يغمور دمشق نائباً للسلطنة فى عاشر ربيع الأول (٣) منها ونزل بدرب الشعارين ووصل الخبر باخلاء دمياط من المسلمين ودخول الفرنج خذلهم الله اليها فى البحر واستيلائهم على ماكان فيها من المؤنة والاقامة . وجرت وقعة عظيمة هلك فيها داوية (٤) الفرنج . ثم ورد كتاب من مصر الى بعض أصحابنا تاريخه حادى عشر ربيع الأول قرأت فيه . وصل الفرنج فى العشرين من صفر ونزلوا فى الحادى والعشرين الى البر . وفى الثانى والعشرين أخليت دمياط ودخلها الفرنج وهم فيها الى الآن .

وفى ربيع الآخر توفى العدل صفى الدين عمر بن محمد بن عبد الوهاب يعرف بابن البرادعى وكان أحد من يروى عن الحافظ أبى القاسم بن عساكر رحمه الله . وتوفى فيه أيضاً الشيخ اسماعيل مقدم الخدام النبوية . وجاءنا الخبر بوفاة ابن أمية العبدرى بالقاهرة رحمه الله . وفى خامس جمادى الأولى توفى بدمشق الشريف عبد الصمد الحجازى الزاهد المقيم بالمسجد الذى بين القصاعين والفيسقار رحمه الله وشهد جنازته خلق كثير ، وحمل على أيدى الرجال وأصابعهم ، وكان على طريقة حسنة . حضرت الصلاة عليه بعد الظهر بالجامع وشيعته إلى المقبرة بين باب الجابية وباب الصغير رحمه الله . وعبر بسببه الأمير جمال الدين بباب البريد وشاهد ما أحدث من الحوانيت بطريق المسلمين فى رحبة الجامع فأمر بازالته والاقتصار على الصفين المجاورين للحائطين من الجانبين . وكان قد أزيل ذلك مرة أخرى فى زمن الملك العادل أبى بكر بن أيوب ثم رد بعد ثم أزيل هذا الوقت المذكور والله تعالى يجرى الخير على يد من يشاء من عباده .

وفيها . شرع فى بناء المسجد خارج دمشق على نهر يزيد عند جسر ابن البعلبكى المسامت للجسر الأبيض. وفى ليلة النصف من شعبان من هذه السنة توفى بعصر السلطان الملك الصالح أيوب بن محمد بن أبى بكر بن أيوب وأخفى بها وأرسل إلى ولده المقيم بحصن كيفا وهو الملك المعظم توران شاه بن أيوب فتنكر وقدم مع النجابين على زيهم وعبر على البلاد ولم يزل ملوك الأطراف حوله حتى وصل عانة وعدا الفرات ودخل الربة ودخل دمشق يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من رمضان فنزل بالقلعة وأقام بها وأحسن الى أهلها ثم سافر إلى مصر يوم الاثنين فى السادسة والعشرين من شوال فوصل المنصورة ثامن عشر ذى القعدة وبها عسكر المسلمين سحراً فى قبالة الفرنج الذين استولوا على دمياط وقبل وصول السلطان بايام ركب الفرنج وحملوا على المسلمين سحراً على غرة فدهموهم فى بيوتهم وخيامهم وتفرقوا فى أزقة المنصورة وبين بيوتها . وأيقظ الله تعالى المسلمين فاجتمعوا عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة منها الف وخمسمائة فارس ولم يفقد من المسلمين المعروفين سوى ثلاثين نفسا .

---

(١) يعنى فى صفر (ز) . (٢) أى إلى الديار المصرية (ز) . (٣) وفى ابن كثير صفر (ز).
(٤) هكذا فى الأصل .

وفيها : قتل فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ وهو آخر أخوته موتا ، وقتل أيضا صاحبنا الشيخ الفاضل ضياء الدين محمد بن أبي الحجاج صاحب ديوان الجيش رحمه الله ختم الله له بالحسنى وهي الشهادة على ما كان فيه من فضل وتواضع ولم ألق أحداً يعرف علم التاريخ مثله . وحصل كتبا عظيمة وكانت له همة عظيمة في تحصيل الكتب ، والفوائد ، والفضائل إلى آخر عمره رحمه الله . وقدم دمشق مرات في زمان شبيبته وحياة والده وفي زمان شيوخته ، وكان قدم بغداد وسمع العلامة تاج الدين الكندي ، وأباحفص عمر بن طبرزد ، والقاضي أبا القاسم الحرستاني وغيرهم وأنشدني لنفسه ولغيره .

سـنة ٦٤٨ هـ:

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وستمائة . ففي ثاني المحرم وهو يوم الأربعاء كسر السلطان المعظم توران شاه بن الصالح بن الكامل الفرنج الذين كانوا استولوا على دمياط وحاصروه بالمنصورة كسرة عظيمة قتل فيها وأسر قريب من ثلاثين ألفا ، وأسر ملك الفرنسيس وأخوه وجماعة من خواصه كانوا اختفوا في منية عبد الله من ناحية شرمساح فأخذوا برقابهم . وفي سادس عشر المحرم وصل الى دمشق غفارة الملك فرنسيس المأسور أرسلها السلطان المعظم إلى نائبه بدمشق الأمير جمال الدين موسى بن يغمور فلبسها ورأيتها عليه وهي اسكرلاط (١) أحمر تحته فرو سنجاب وفيها بكلة ذهب فنظم صاحبنا الفاضل الزاهد نجم الدين محمد بن اسرائيل مقطعات ثلاثاً ارتجالاً كل مقطعة بيتين في مدح السلطان والأمير أحدها :ـ

ان غفـــارة الفرنسيس التي	جاءت حبـــاء لسيد الأمراء
بيـاض القرطاس في اللون لكن	صبغتها سيوفنـــا بدماء

والثانية مخاطبة للأمير :ـ

يا واحـــد العصر الذي لم يزل	يحوز في نيل المعـــالي المدى
لا زلت في عز وفي رفعـــة	تلبس أسلاب ملوك العـــدى

والثالثة كتبها الأمير مقدمة كتاب الى السلطان :ـ

اسيد أملاك الزمان بأسرهم	تنجزت من نصر الإله وعوده
فلا زال مولانا يبيح حمى العدى	ويلبس أسلاب الملوك عبيـــده

وفي العشرين من المحرم دخل الناس كنيسة مريم بفرحة وسرور ومعهم مغاني ومطربون فرحا بما جرى وهموا بهدم الكنيسة ، وبلغني أن النصارى بيعلبك سودوا وسخموا وجوه الصور في كنيستهم حزنا على ماجرى على الفرنج فعلم بهم الوالي فجناهم جناية شديدة وأمر اليهود بصفعهم وضربهم واهانتهم.

---

(١) ملابس صوفية مدفئة .

وفى صفر سنة ثمان وأربعين وستمائة وصل الخبر بقتل المعظم توران شاه (١) بن الصالح أيوب بن الكامل بن العادل فى دهليز الخيمة بعد مدة السماط ضرب بسيف فانهزم ودخل برج الخشب فاحرق ، فرمى نفسه إلى ناحية النيل فادرك وقطع ثم بقرية فارسكور وكان ذلك من غلمان أبيه البحرية واستبدوا بالأمر بعده وأمروا عليهم أم ولد لأبيه الصالح . وأخبرنى من شاهد قتله أنه ضرب أولا فتلقى الضربة بالسيف فجرحت يده واختبط الناس وذلك بعد فراغهم من الأكل على السماط فاظهر أن ذلك من بعض الحشيشية فأشار بعضهم على الباقين باتمام الأمر فيه وقالوا : بعد جرح الحية لاينبغى إلا قتلها . فركبوا ولبسوا السلاح وأحاطوا بخيمته وبرجه الخشب لأنه كان فى الصحراء بازاء الفرنج خذلهم الله فدخل البرج خوفا منهم فأمروا زراقا باحراق البرج فامتنع فضربت عنقه ثم أمروا زراقا آخر فرمى البرج بنفط فأحرقه فخرج من بابه وناشدهم الله فى الكف عنه والاقلاع عما نقموا عليه وطلب تخلية سبيله فلم يجب إلى شىء من ذلك فدخل فى البحر إلى أن وصل الماء إلى حلقه فرجع فضربه البندقدارى بالسيف فوقع فى الماء ثم ضربه بالسيف ضربة أخرى على عاتقه فنزل السيف من تحت أبط اليد الأخرى فوقع قطعتين وكان قتله فى أواخر المحرم يوم الاثنين ، فبقى مكانه ذلك اليوم والغد إلى ليلة الأربعاء ونقل إلى الجانب الآخر من النيل مجروراً بطرف ثوبه فى الماء فحفر له فى الرمل ودفن وتغيب قبره . فانظر الى هاتين الوقعتين العظيمتين الغريبتين كيف اتفقتا فى شهر واحد إحداهما فى أوله : وهى الكسرة العظمى التى استأصلتهم . والثانية : قتل السلطان على هذا الوجه الشنيع .

وأخبرنا السيف بن الشهاب جلدك والى القاهرة كان أبوه : انه لما قتل رمى فى جرف على حافة البحر وأردم عليه التراب فبقى هناك ثلاثة أيام ثم كشفه الماء فنقل من ثم الى الجانب الآخر من البحر فدفن هناك .

وحكى لى قصة قتله عجبا وهو : أنه جر فى الماء بصنارة والجارله راكب فى مركب والصنارة بيده تجره فى الماء كأنه حوت إلى أن عدا به إلى الجانب الآخر فدفنه هناك . فكان قتله والناس فى غفلة وبهتة من امرهم وعوجل فلم يجد ناصراً . ولقد حكى لى المذكور أنه بقى يستغيث من أعلى البرج برسول الخليفة يا أبا عز الدين ادركنى وتكرر ذلك فركب فى أمره وكلمهم فيه فتركوه وخوفوه من القتل وخرق حرمة الخلافة فرجع . ولما فرغ من قتله نادوا لابأس . الناس على ماهم عليه انما كانت حاجة فقضيناها . واستبدوا بالأمر وأمروا عليهم عز الدين أيبك التركمانى (٢) الملقب الآن بالملك المعز صاحب الديار المصرية وهو واحد منهم ، ورجعوا إلى القاهرة وكاتبوا أمراء الشام باتباعهم فجرت فى ذلك فصول

---

(١) كان سيىء التدبير والسلوك ذا هوج وخفة راجع مرآة الزمان (ز) .

(٢) وفى خطط المقريزى (٣ — ٣٨٥) : كان قد انتقل الى الملك الصالح من أولاد ابن التركمانى فعرف بالتركمانى اه فيكون تركمانيا ولاء لانسبا لكن أستاذه المعروف بالتركمانى كان يدعى أنه غسانى النسب ، راجع تاريخ آل رسول فى اليمن فلا يكون تركمانيا لا نسبا ولا ولاء ، فيكون تركيا بالمعنى الأعم والنسب الواسع (ز) .

استقرت آخراً على أن قدمت العساكر الحلبية عن معهم من الملوك من بنى أيوب مع سلطانهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز بن محمد بن الظاهر بن صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله لأخذ البلاد والانتقام ممن أفسد هذا الأمر وقتل السلطان نزلوا على الغوطة والبلد فى أوائل ربيع الآخر . وفى يوم الأحد سابع ربيع الآخر دخل العسكر الحلبى مدينة دمشق نحوه الإسفار . وفى يوم الأربعاء عاشر الشهر دخل السلطان وأمن الناس وأزال عنهم اليأس وهو الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازى بن السلطان الكبير المجاهد صلاح الدين يوسف بن أيوب فاتح بيت المقدس ، ثم أرسل إلى القلاع المجاورة لها فسلمت كبعلبك . وبصرى . وصرخد وأعمالها ثم سلمت عجلون والسلط وتقدمت العساكر إلى صوب غزة . وامتنع حصنا الكرك والشوبك بالمغيث بن العادل ابن الكامل وكان قبل ذلك فى حبس الصالح أيوب بن الكامل بحصن الشوبك وأطلق فى أيام هذه الفتنة وتسلم الحصنين . وبلغنى أنه طالب فأبى وخاف ما جرى على ابن عمه المعظم بن الصالح ثم سار الملك الناصر يوسف لأخذ الديار المصرية ووصل ملاح تمرب الى العريش وخرج اليه عسكر الترك الذين بمصر فوقعت بينهم وقعة بسموط بين الخشبى (١) والعباسة فانهزم منها العسكر المصرى ونهب ثم انقطعت منهم طائفة وانهزم الشامى وذلك فى ذى القعدة وسلم السلطان وفقد جماعة كثيرة من أقاربه وأمرائه بين قتيل وأسير وهرب ووصلوا الينا فى أواخر الشهر . وممن قتل ضياء الدين القيمرى . وشمس الدين لؤلؤ ، وحسام الدين القيمرى . وتاج الملوك . وأسر المعظم (٢) . والنصرة (٣) ابنا صلاح الدين . والصالح بن العادل والأشرف بن المنصور بن أسد الدين . ثم خلص المأسورون وفقد الصالح اسماعيل ليلة الأحد عشرين ذى القعدة سنة ثمان وأربعين وستمائة ومولده سنة ثمان وتسعين وخمسمائة .

وفى تاسع عشر ذى القعدة توفى المجد الاسفرابنى قارىء دار الحديث الأشرفية من أول ما فتحت والى الآن . وهو : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمر بن الصفار من أهل بيت كبير باسفرابن وكان المجد رحمه الله من أهل العلم والدين مقيما بخانقاة السميساطى سمع المؤيد الطوسى وغيره . حضرت جنازته والصلاة عليه ظاهر باب النصر ومضوا به الى مقابر الصوفية رحمه الله ورجعت لأنى كنت ناقهاً من من مرض والحمد لله على العافية وعلى كل حال .

وفى الثالث والعشرين من ذى القعدة توفى عندنا بالمدرسة العادلية بدمشق الشيخ الصالح العالم أبو الحسن على بن عبد الله بن الهادى الضرير الأندلسى الأشبيلى رحمه الله وكان ساكنا بالبيت الملاصق لباب السقاية وكان رجلا . صالحاً . فقيهاً . فاضلا فى علوم شتى مقبلا على شأنه مشتغلا بأوراده رحمه الله ودفن بمقبرة الصوفية حضرت دفنه والصلاة عليه وكان ذلك بعد العصر من يوم الخميس . ورد من الأندلس فى سنة احدى وعشرين وستمائة فى البحر فأسره الفرنج ثم نجاه الله منهم ووصل الى الديار المصرية وحج وجاور وسافر الى بلاد اليمن ثم ورد مكة ومنها الى الشام . وسكن دمشق وأقرأ بها القرآن وحفظ التنبيه فى مذهب الشافعى وفهمه وعمل بعلمه رحمه الله .

---

(١) راجع السلوك (١ — ٣٧٤) (ز) . (٢) توران شاه (ز) .

(٣) نصرة الدين محمد (ز) .

سنة ٦٤٩ هـ :

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وستمائة فى خلافة المستعصم وسلطان دمشق الملك الناصر يوسف بن محمد بن غازى بن يوسف بن أيوب . فيها : توفى سعيد بن عبد الله بن جبير القرشى صاحبنا فى ربيع الأول ، ونجم الدين عثمان بن عمر بن عمر المراغى الشيخ الصالح فى ربيع الآخر ودفنا بمقابر الصوفية رحمهما الله .

وفيها : مات الموفق الخوى فى خامس شعبان ودفن بالجبل . وفيها : فى الثانى والعشرين من ذى القعدة توفى الحسام أبو بكر الخوى الواعظ بمسجد أبى اليمن ودفن بالجبل . وقبلها مات أخوه البدر بن الخوى الواعظ . وبلغ الحسام نيفاً وتسعين سنة . وفى ذى الحجة مات الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الكافى الربعى وكان قد درس بالكلاسة والأمينية وناب فى القضاء مدة بدمشق وحمص ودفن بالجبل .

وفيها : ولدت ابنتى رقية فى جمادى الأولى بالنصف منه . وفيها : فرغ اسماعيل التاريخ والروضتين .

وفيها : مات بالديار المصرية خطيب القاهرة الشيخ بهاء الدين على بن هبة الله . وكان أولا معيداً لشهاب الدين الطوسى بمنازل . ودرس بزاوية الامام الشافعى بجامع مصر . وهو ابن بنت الفقيه أبى الفوارس بن الجميزى رحمه الله وكان سمع من الحافظين ابن عساكر والسلفى بالشام ومصر ، ومن شهدة ببغداد .

وفيها : مات صاحبنا العفيف يعقوب المهورى بمنية ابن خصيب ، وكان قاضيها ومدرسها . وفيها : مات الرشيد عبد الظاهر المقيم بمسجد باب الزعومة رحمه الله .

سنة ٦٥٠ هـ :

ثم دخلت سنة خمسين وستمائة فيها : توفى الرشيد بن مسلمة فى ثامن عشر ذى القعدة ودفن بالجبل ، وفيها : توفى عمر ابن مطروح ، وفى الثالث والعشرين من ذى القعدة توفى الشريف عدنان ، والفقيه كمال الدين اسحاق بن احمد المقرىء المقيم ، كان بالمدرسة الرواحية ، وكان رحمه الله جامعاً بين العلم والعمل ، زاهداً ، مؤثراً ، متواضعاً حسن الأخلاق ، ودفن عند قبر شيخه تقى الدين بن الصلاح رحمه الله بالصوفية بالشرف القبلى بدمشق .

سنة ٦٥١ هـ :

ثم دخلت سنة احدى وخمسين وستمائة فى سادس المحرم توفى الفقيه كمال الدين أبو المكارم عبد الواحد خطيب زملكا رحمه الله . وكان فاضلا . عالماً ، خبيراً ، متميزاً فى علوم متعددة . وتولى قضاء صرخد ، ودرس ببعلبك ثم توفى بدمشق ودفن بمقابر الصوفية رحمه الله .

وفيها : فى شوال توفيت ابنتى رقية رحمها الله وعمرها سنتان وخمسة أشهر ودفنت بمقابر الصوفية عند قبر الجمال أبى الزهر خال أمها ، وكان أبوه الخطيب يعنى أبوه كمال الدين يسمى عبد الكريم هو

ابن خلف بن نبهان بن سلطان بن احمد بن خليل بن حسن بن سعيد الانصارى السماكى توفى الخطيب المذكور فى ذى الحجة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة هكذا وجدت فى تاريخ وفاته وقيل فى سنة خمس وثلاثين وستمائة .

سنة ٦٥٢ هـ :

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وستمائة . ففيها . توفى السديد بن علان وهو آخر من روى عن الحافظ أبى القاسم سماعا بدمشق .

وفيها : توفى بحلب النصرة (١) بن صلاح الدين . والشيخ كمال الدين بن طلحة وكان فاضلا ، عالماً ، تولى القضاء ببلاد بصرى ، والخطابة بدمشق ، ثم طلب لمنصب الوزارة فأيقظه الله تعالى وزهد فى رئاسات الدنيا وتزهد وانقطع وحج فى هذه السنة ولما رجع من الحج أقام بدمشق قليلا ، وسمع عليه فيها رسالة القشيرى ثم سافر إلى حلب فتوفى بها فى السابع والعشرين من رجب من السنة المذكورة رحمه الله . وفيها : توفى فارس الدين يوسف بن السلار بدمشق ؛ وقيل بمصر فارس الدين اقطاى الذى تغلب على البلاد وقهر أهلها وتقدم على البحرية الذين أهلكوا الناس واستقر ملك الديار المصرية لأيبك التركمانى ويلقب بالملك المعز .

وفيها : توفى العفيف احمد الصيداوى وكان شيخاً مشتغلا بالبحث فى أخبار النبى صلى الله عليه وسلم، والفقه ، وكتب الرقائق إلى أن مات رحمه الله فى شعبان . وفيها : توفى الكمال بن تميم . وفيها : فى رابع شوال توفى الناصح فرج بن عبد الله الحبشى المعروف بفتى الشيخ أبى جعفر رحمه الله وكان يسند كثير السماع ، خيراً ، صالحاً ، مواظبا على سماع الحديث وإسماعه إلى أن مات بدار الحديث النورية

وفيها : فى الخامس والعشرين من شوال توفى بدمشق الشيخ شمس الدين عبد الحميد بن عيسى بن أبى بكر بن أيوب وكان شيخاً نبيها ، فاضلا ، متواضعاً حسن الظاهر .

سنة ٦٥٣ هـ :

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وستمائة . ففيها : ليلة الاثنين ثامن عشر صفر توفى بحلب الشهاب الفقيه ضياء الدين سقر بن يحيى بن سقر رحمه الله وكان فاضلا ، دينا ، ورعا ومن شعره :ـ

من أدعى أن له حاجة — تخرجه عن منهج الشرع
فلا تكونن له صاحبا — فانه ضر بلا نفع

وله معجم حكى فيه عن شيوخه وعمل فيه بعض الفضلاء :ـ

كم معجم طالعتـه مقلتى فبدا — للحظها منه فضل غير منقوص
فلا سمعت ولا عاينت فى زمنى — أتم فى فضله من معجم القوصى

---

(١) يعنى نصرة الدين محمداً (ز) .

قلت : طالعته فرأيت فيه أغاليط كثيرة وتصحيف أسماء وتبديلها . وأول ذلك فى نسب نفسه بأنه انتسب إلى سعد بن عبادة الانصارى . وظن أن عبادة هذا هو عبادة بن الصامت . وإنما هو عبادة ابن دليم ، وعبادة بن الصامت صاحب كبير غير هذا . وصحف فى سند خرقة التصوف حبيباً أبا محمد حسبنا ورأيت كل ذلك بخطه .

وفيها : يوم الاثنين سابع عشر ربيع الأول توفى الشهاب القوصى بدمشق أبو العرب اسماعيـل ابن حامد بن عبد الرحمن الانصارى ودفن بداره بالقرب من الرحبة وكان قد وقفها دار حديث رحمه الله . وكان ظريفا حسن المحاضرة .

وفيها : فى الثالث والعشرين من شوال توفى الشمس محمد بن عبد العزيز بن خلدون الشاعر الكاتب وجده ذكر فى تاريخ دمشق رحمه الله . وفيها : بعد صلاة الصبح من يوم السبت الخامس والعشرين من شوال ولد لى ولد ذكر وأمه قرشية من بنى عبد الدار بن قصى فسميته احمـد وكنيته أبا الهدى جعله الله بفضله هاديا مهديا وجاءنى بعد خمس مرضات فدعوت الله أن يرزقنى ولداً ذكراً . وجاءنا الخبر من حلب بوفاة الشريف المرتضى نقيب الأشراف بها رحمه الله . ومن مصر بموت أبى العباس بن ثابت المقرىء .

سـنة ٦٥٤ هـ :

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وستمائة . ففيها : توفى الشيخ عماد الدين عبد الله بن الحسن بن الحسين المعروف بابن النحاس بمسكنه بالجبل رحمه الله . وكان زاهداً ، خيراً من كبار الناس ونبلائهم وكان فى أذنيه صمم فانتفع بذلك وخلص من استماع أحاديث الناس ، فانتفع بالعبـادة معتكفا بمسجده ، تاليا فى مصحفه ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من صفر رحمه الله تعالى

وفيها : فى ربيع الآخر توفى الزكى بن الفويرة أحد المعدلين بدمشق يوم الجمعة . وفى غد يوم السبت توفى الشمس عبد الرحمن بن نوح بن محمد بن ابراهيم المقدسى الشافعى مدرس الرواحية بعد شيخه التقى بن الصلاح ودفن فى أول مقابر الصوفية فى ثامن الشهر المذكور . وبلغنى أنه كان له جنازة حفلة وكنت غائبا عنها رحمه الله . وكثر موت الفجاءة فى تلك الأيام فمات بها جماعة منهم : مؤذن مدرستنا العادليـة الشمس الخوارزمى وغيره .

وفيها : توفى صاحبنا الأمير مظفر الدين ابراهيم بن الأمير عز الدين أيبك المعظمى أستاذ الدار لصاحب صرخد رحمه الله . وتوفى أبوه قبله بالديار المصرية ثم نقل إلى تربته فى القبـة التى بناها بمدرسته التى على طريق الميدان الأخضر الكبير الشمالى وله مدرسـة أخرى داخل دمشق بالكشك تعرف قديما بدار ابن منقذ .

وفيها : ليلة السادس عشر من جمادى الآخرة خسف القمر أول الليل وكان شديد الحمرة ثم انجلى وكسفت الشمس فى غده احمرت وقت طلوعها وقريب غروبها وبقيت كذلك أياما متغيرة اللون

ضعيفة النور والله تعالى على كل شيء قدير . واتضح بذلك ما صوره الشافعي رحمه الله من اجتماع الكسوف والعيد (١) واستبعده أهل التنجامة . وجاء الى دمشق كتب من المدينة على ساكنها السلام بخروج نار عندهم فى خامس جمادى الآخرة وكتبت الكتب فى خامس رجب والنار بحالها ووصلت الكتب الينا فى عاشر شعبان . وفى أول يوم رمضان شنق العز الحلاطى نفسه فى بيته بالمدرسة العادلية أعاذنا الله تعالى من البلاء . بسم الله الرحمن الرحيم ورد الى مدينة دمشق حرسها الله تعالى فى أوائل شعبان من سنة أربع وخمسين وستمائة كتب من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها شرح أمر عظيم حدث بها فيه تصديق لما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الابل ببصرى » . فأخبرنى بعض من أثق به ممن شاهدها بالمدينة بلغه أنه كتب بتيماء على ضوئها الكتب . قال وكنا فى بيوتنا تلك الليالى ، وكأن فى دار كل واحد منا سراجا ولم يكن لها ضوء بقدر عظمها وانما كانت آية من آيات الله تعالى وهذه صورة ما وقفت عليه من الكتب الواردة فيها : لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ظهر بالمدينة دوى عظيم ثم زلزلة عظيمة رجفت منها المدينة ، والحيطان ، والسقوف ، والأخشاب ، والأبواب ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكور ثم ظهرت نار عظيمة فى الحرة قريباً من قريظة نبصرها من دورنا بداخل المدينة كأنها عندنا . وهى نار عظيمة اشعالها أكثر من ثلاث منائر وقد سالت أوديةمنها بالنار الى وادى شظا سيل الماء . وقد سدت سيل شظا وما عاد يسيل . والله لقد طلعنا جماعة نبصرها فاذا الجبال تسير نيراناً وقد سدت الحرة طريق الحاج العراقى فسارت إلى أن وصلت الحرة فوقفت بعد أن أشفقنا أن تجيء الينا ورجعت تسير فى الشرق وتخرج من وسطها سهول وجبال نيران تأكل الحجارة . فيها أنموذج عما أخبر الله تعالى فى كتابه العزيز فقال عز من قائل : (انها ترمى بشرر كالقصر كانه جمالات صفر) . وقد أكلت الأرض وقد كتبت هذا الكتاب يوم خامس رجب سنة أربع وخمسين وستمائة والنار فى زيادة ماتغيرت وقد عادت الى الحرار فى قريظة طريق عير الحاج العراقى الى الحرة كلها نيران تشتعل نبصرها فى الليل من المدينة كأنها مشاعيل الحاج . وأما أم النار الكبيرة فهى جبال نيران حمر والأم الكبيرة التى سالت النيران منها من قريظة وقد زادت وما عاد الناس يرون أى شيء بعد ذلك والله يجعل العاقبة الى خير وما أقدر أن أصف هذه النار .

وفى كتاب آخر : ظهر فى أول جمعة من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة فى شرق المدينة نار عظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم انفجرت من الأرض وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد ثم وقفت وعادت الى الساعة ولاندرى ماذا تفعل . ووقت ماظهرت دخل أهل المدينة إلى نبيهم

---

(١) قول الفلكيين مبنى على الواقع فى جارى العادة . وقول الإمام على الاحتمال العقلى المجرد ، وأما قول المؤرخ فى حادثة الخسوف والكسوف هنا ففى حاجة إلى حسن ضبط وتوثيق بل ظن بالنيرين الكسوف والخسوف ، من نار الحجاز الخارجة فى تلك المدة (ز) .

عليه الصلاة والسلام مستغفرين تائبين إلى ربهم وهذه دلائل القيامة .

وفي كتاب آخر : لما كان يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة وقع صوت يشبه الرعد البعيد تارة وتارة أقام على هذه الحال يومين فلما كان ليلة الأربعاء ثالث الشهر المذكور تعقب الصوت الذي كنا نسمعه زلازل فتقيم على هذه الحالة ثلاثة أيام يقع في اليوم والليلة أربع عشرة زلزلة فلما كان في يوم الجمعة خامس الشهر المذكور انبجست الحرة بنار عظيمة يكون قدرها مثل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي برأى العين من المدينة نشاهدها وهي ترمى بشرر كالقصر كما قال الله تعالى وهي بموضع يقال له اجلين . وقد سال من هذه النار واد يكون مقداره أربع فراسخ وعرضه أربعة أميال . وعمقه قامة ونصف وهي تجرى على وجه الأرض ويخرج منها أمهاد وجبال صغار ويسير على الأرض وهو صخر يذوب حتى يبقى مثل الآنك . فاذا خمد صار أسود . وقبل الخمود لونه أحمر . وقد حصل بطريق هذه النار اقلاع عن المعاصي والتقرب الى الله تعالى بالطاعات . وخرج أمير المدينة عن مظالم كثيرة الى أهلها .

ومن كتاب شمس الدين سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الحسيني قاضي المدينة الى بعض أصحابه : لما كان ليلة الأربعاء ثالث شهر جمادى الآخرة حدث بالمدينة في الثلث الأخير من الليل زلزلة عظيمة أشفقنا منها وباتت باقي تلك الليلة تزلزل كل يوم وليلة قدر عشر نوبات والله لقد زلزلت مرة ونحن حول حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم اضطرب لها المنبر إلى أن أوجسنا (١) منه صوتا للحديد الذي فيه واضطربت قناديل الحرم الشريف النبوي ودامت الزلزلة إلى يوم الجمعة ضحى ولها دوى مثل دوى الرعد القاصف ، ثم طلع يوم الجمعة في طريق الحرة في رأس اجلين نار عظيمة مثل المدينة العظيمة وما بانت لنا إلا ليلة السبت وأشفقنا منها وخفنا خوفا عظيما ، وطلعت إلى الأمير وكلمته وقلت له : قد أحاط بنا العذاب أرجع الى الله فاعتق كل مماليكه ورد على جماعة أموالهم فلما فعل هذا قلت له أهبط الساعة معنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فهبط وبتنا ليلة السبت والناس جميعهم . والنسوان وأولادهم ولا بقى أحد لا في النخيل ولا في المدينة إلا عند النبي صلى الله عليه وسلم . وأشفقنا منها وظهر ضوءها الى أن أبصرت من مكة ومن الفــلاة جميعها . ثم سال منها نهر من نار وأخذ في وادي اجلين وسد الطريق ثم طلع الى بحرة الحجاج وهو بحر نار يجرى وفوقه جمر يسير إلى أن قطعت النار الوادي وادي الشظاة ، وماعاد يجيء في الوادي سيل قط لأنها حرة تجيء قامتين وثلث علوها . والله يا أخي ان عيشتنا اليوم مكدرة والمدينة قد تاب جميع أهلها ولا بقى تسمع فيها رباب ، ولا دف ، ولا شرب . وتمت النــار تسير إلى أن سدت بعض طريق الحاج وبعض بحرة الحاج وجاء في الوادي منها الينا قتير وخفنا أنها تجيئنا ، واجتمع الناس ودخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وباتوا عنده جميعهم ليلة الجمعة . وأما قتيرها الذي مما يلينا فقد طفىء بقدرة الله سبحانه وتعالى وإنها الى الساعة مانقصت إلا ترمى مثل الجبال حجارة من نار ولها دوى ما يدعنا نرقد ، ولا نأكل ، ولا نشرب . وما أقدر أصف لك عظمها ، ولامافيها من الأهوال ، وأبصرها أهل ينبع وندبوا قاضيهم ابن أسعد وجاء وعدا اليها وما أصبح يقدر أن يصفها من عظمها . وكتب الكتاب

---

(١) أي سمعنا (ز) .

يوم الخميس من رجب وهى على حالها ، والناس منها خائفون ، والشمس والقمر من يوم طلعت ماتطلعان إلا كاسفين فنسأل الله العافية .

قلت : بان عندنا بدمشق أثر الكسوف من ضعف نورهما على الحيطان وكنا حيارى من ذلك إلى أن جاءنا الخبر عن هذه النار . ومن كتاب آخر من بعض بنى القاشانى بالمدينة يقول فيه : وصل الينا فى جمادى الآخرة نجابة من العراق وأخبروا عن بغداد أنه أصابها غرق عظيم حتى دخل الماء من أسوار بغداد الى البلد وغرق كثير من البلد ودخل الماء دار الخليفة وسط البلد ، وانهدمت دار الوزير وثلاثمائة وثمانون داراً ، وانهدم مخزن الخليفة ، وهلك من خزانة السلاح شىء كثير بل تلف كله . وأشرف الناس على الهلاك وعادت السفن تدخل إلى وسط البلد وتخترق أزقة بغداد . قال : وأما نحن فانه جرى عندنا أمر عظيم لما كان بتاريخ ليلة الأربعاء الثالث من جمادى الآخرة ومن قبلها بيومين عاد الناس يسمعون صوتا مثل الرعد ساعة بعد ساعة وما فى السماء غيم حتى نقول انه منه يومين إلى ليلة الأربعاء ، ثم ظهر الصوت حتى سمعه الناس ، وتزلزلت الأرض ورجفت بنا رجفة لها صوت كدوى الرعد فانزعج لها الناس كلهم وانتبهوا من مراقدهم وضج الناس بالاستغفار الى الله تعالى وفزعوا إلى المسجد وصلوا فيه ودامت ترجف بالناس ساعة بعد ساعة الى الصبح وذلك اليوم كله يوم الأربعاء وليلة الخميس كلها . ويوم الخميس وليلة الجمعة ، وصبيح يوم الجمعة الخامس من الشهر ارتجت الأرض رجة قوية إلى أن اضطرب منار المسجد بعضه ببعض وسمع لسقف المسجد صرير عظيم وأشفق الناس من ذنوبهم وسكنت الزلزلة بعد صبيح يوم الجمعة الى قبل الظهر ، ثم ظهرت عندنا بالحرة وراء قريظة على طريق السوارقية بالمقاعد مسيرة من الصبح الى الظهر نار عظيمة تنفجر من الأرض فارتاع الناس لها روعة عظيمة ، ثم ظهر لها دخان عظيم فى السماء ينعقد حتى يبقى كالسحاب الأبيض الى قبل مغيب الشمس من يوم الجمعة ، ثم ظهرت لها ألسن تصعد فى الهواء الى السماء حمراء كأنها العلقة وعظمت وفزع الناس الى المسجد النبوى وأقروا بذنوبهم وابتهلوا الى الله سبحانه ، واستجاروا بنبيه عليه السلام ، وأتى الناس الى المسجد من كل فج ومن النخل ، وخرج النساء من البيوت والصبيان واجتمعوا كلهم فاخلصوا لله وغطى حمرة النار السماء كلها حتى بقى الناس فى مثل ضوء القمر ، وبقيت السماء كالعلقة ، وأيقن الناس بالهلاك منها أو العذاب ، وبات الناس تلك الليلة بين مصل ، وتال للقرآن ، وراكع ، وساجد ، وداع الى الله ، ومتنصل من ذنبه ، ومستغفر وتائب ، ولزمت النار مكانها ، وتناقص تضاعفها ذلك ولهيبها ، وصعد الفقيه والقاضى الى الأمير يعظونه ، فطرح المكس ، وأعتق مماليكه كلهم وعبيده ، ورد علينا كل مالنا تحت يده وعلى غيرنا . وبقيت تلك النار على حالها تلتهب التهابا وهى كالجبل العظيم ، وكالمدينة العظيمة ارتفاعا وعرضا ، تخرج منها حصى يصعد فى السماء ويهوى فيها . ويخرج منها كالجبل العظيم نار ترمى كالرعد وبقيت كذلك أياماً ، ثم سالت سيلانا فى وادى أحيلين تنحدر مع الوادى الى الشظاة حتى كادت تقارب حرة العريض ، ثم سكنت ووقفت أياما ، ثم عادت النار تخرج وترمى بحجارة خلفها وأمامها حتى بنت لها جبلين خلفها وأمامها ، وما بقى يخرج منها من بين الجبلين لسان لها أياماً ، ثم أنها عظمت الآن وسناها الى الآن وهى تتقد كأعظم مايكون ، ولها كل يوم صوت عظيم من آخر الليل الى ضحوة ، ولها عجائب ما أقدر أن أشرحها لك على الكمال ، وانما هذا طرف منها كبير يكفى ، والشمس والقمر كانهما

منكسفان الى الآن . وكتبت هذا الكتاب ولها شهر وهي في مكانها ماتتقدم ولا تتأخر حتى قال فيها بعضهم أبياتا : —

ياكاشف الضر صفحاً عن جرائمنا لقد أحاطت بنا يارب بأساء
نشكو اليك خطوبا لا نطيق لها حملا ونحن بها حقاً أحقاء
زلازلا تخشع الصم الصلاب لها وكيف يقوى على الزلزال شماء
أقام سبعاً ترج الارض فانصدعت عن منظر منه عين الشمس عشواء
بحر من النار يجرى فوقه سفن من الهضاب لها في الأرض ارساء
يرى لها شرر كالقصر طائشة كأنها ديمة تنصب هطلاء
ينشق منها قلوب الصخر ان زفرت رعبا وترعد مثل السيف أضواء
منها تكاثف في الجو الدخان الى ان عادت الشمس منه وهي دهماء
قد أثرت سفعة في النار لمحتها فليلة التم بعد النور ليلاء
تحدث النيرات السبع ألسنها بما يلاقي بها تحت الثرى الماء
وقد أحاط لظاها بالبروج الى ان كاد يلحقها بالأرض إهواء
فيالها آية من معجزات رسول الله يعقلها القوم الألباء
فبأسمك الأعظم المكنون ان عظمت منا الذنوب وساء القلب أسواء
فاسمح وهب وتفضل وأمح واعف وجد واصفح فكل لفرط الجهل خطاء
فقوم يونس لما آمنوا كشف العـ ـذاب عنهم وعم القوم نعماء
ونحن أمة هذا المصطفى ولنا منه الى عفوك المرجو دعاء
هذا الرسول الذى لولاه ماسلكت محجة في سبيل الله بيضاء
فارحم وصل على المختار ماخطبت على علا منبر الأوراق ورقاء .

ونظم بعضهم في هذه النار وغرق بغداد بيتين : —

سبحان من أصبحت مشيئته جارية في الورى بمقدار
أغرق بغداد بالمياه كما أحرق أرض الحجاز بالنار

قلت : كان ينبغي أن ينبه على أن الأمرين في سنة واحدة وإلا فالاغراق والاحراق يقعان كثير فالصواب أن يقال : —

في سنة أغرق العراق وقد أحرق أرض الحجاز بالنار

وفيها : فى ليلة الجمعة أول ليلة من شهر رمضان هذه السنة وهى سنة أربع وخمسين وستمائة احترق مسجد المدينة على ساكنها السلام . ابتدأ الحريق من زاويته الغربية من الشمال وكان دخل أحد القومة الى خزانة ثم ومعه نار فعلقت فى الآت ثم واتصلت بالسقف بسرعة ثم دبت فى السقوف آخذة قبلة فاعجلت الناس عن قطعها فما كان إلا ساعة حتى احترقت سقوف المسجد جميعها ، ووقع أساطينه وذاب رصاصها وكل ذلك قبل أن ينام الناس ، واحترق سقف الحجرة النبوية على ساكنها السلام ، ووقع ما وقع منه فى الحجرة وبقى على حاله لما شرع فى عمارة سقفه وسقف المسجد . وكان ذلك ليلة الجمعة وأصبح الناس فعزلوا مواضع للصلاة وعدوا ما وقع من تلك النار الخارجة وحريق المسجد من جملة الآيات وكأنها منذرة بما يعقبها فى السنة الآتية من الكائنات على ما سنذكره انشاء الله تعالى . ونظمت فى حريق مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم :ـــ

لم يحترق حرم النبى لحادث	يخشى عليه ولا دهاه العــار
لكنها أيدى الروافض لامست	ذاك الجناب فطهرته النـار

وقلت أيضا لسبب السنة :ـــ

بعد ست من المئين وخمسين	لدى أربع جرى فى العـام
نار أرض الحجاز مع حرق	المسجد مع غريق دار الســلام
ثم أخذ التاتار بغــداد فى	أول عام من بعــد ذاك العـام
لم يعن أهلها وللكفر أعوان	عليهم يا ضيعة الاسـلام
وانقضت دولة الخلافة منهـا	صار مستعصم بغير إعتصـام
رب سلم وصن وعاف بقايا	المدن ياذا الجلال والاكرام
خننانا على الحجاز ومصــر	وسلام على بلاد الشـام

وفى ذى القعدة توفى مجير الدين يعقوب بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى يوم الأربعاء سادس عشر الشهر المذكور ودفن بمقبرة والده بالمدرسة العادلية .

وفى الخامس والعشرين من ذى القعدة توفى معين الدين محمد بن عبد الله بن عصرون . وكان أيضاً شاباً حسناً فاضلا متميزاً أحد من اشتغل على رحمه الله . ومات قبله بايام ابن عمه مجير الدين بن محيى الدين ابن عصرون . وكان أيضاً شاباً حسناً من أولاد الأكابر بدمشق .

وفى يوم الجمعة ثالث ذى الحجة توفى العز عبد العزيز بن أبى طالب بن عبد الغفار التغلبى يعرف بابن الحنوى وجده لأمه هو القاضى جمال الدين أبو القاسم الحرستانى الانصارى رحمه الله تعالى .

وفى يوم الخميس تاسع ذى الحجة وهو يوم عرفة توفى شمس الدين محمد بن المبارك السنجارى وكان شيخا فاضلا . سمع منى كثيراً من كتب الحديث وغيرها لما أسمعت ولدى محمداً رحمه الله . واسمه ثمة فى طباق كثيرة . ثم سافر الى مصر وحج وجاور سنين كثيرة بالحرمين ، ثم قدم دمشق فاقام بها نحو

عامين وتوفى رحمه الله تعالى .

وفيها : ليلة الثلاثاء الحادى والعشرين من ذى الحجة توفى الشيخ شمس الدين يوسف سبط الإمام أبى الفرج بن الجوزى الواعظ رحمه الله بمنزله بالجبل ودفن هناك وحضر جنازته خلق عظيم سلطان البلد فمن دونه وكنت مريضاً حينئذ فلم يقدر لى حضورها ، ورأيت موته مناماً تلك الليلة قبل أن أسمع به يقظة إلا انى رأيته فى حالة منكرة ورأى غيرى كذلك نسأل الله العافية . ودرس بالمدرسة الشبلية مدة كان سكنه يومئذ بالتربة البدرية الحسنية قبالتها على ثوراء ، وكان فاضلا ، عالما ، ظريفا منكراً على أرباب الدولة ماهم عليه من المنكرات لزم آخر عمره سنين كثيرة ركوب الحمار طالعاً عليه إلى منزله بالجبل ونازلا عليه الى مدرسة العزية بالشرف الشمالى والى غير ذلك مقتصداً فى لباسه ، مواظبـا على المطالعة والاشتغال والجمع والتصنيف منصفا لأهل العلم والفضل مباينا لأولى الجبرية والجهل يأتى الملوك وأرباب الدول اليه زائرين وقاصدين ، ورزق طول زمانه فى جاه عريض عند الملوك والعوام نحو خمسين سنة ، وكان مجلس وعظه مطربا وصوته فيما يورده فيه حسنا طيبا رحمه الله ورضى عنه .

وفيها : يوم الأربعاء الثانى والعشرين من ذى الحجة توفى الشيخ بدر الدين المراغى شيخ خانقاه الطاحون وقع به سلم من أعلاها الى الوادى ، وكان شخصاً حسناً صالحاً فقيهاً تولى العقود مدة ، والقضاء بوادى بردى ، ثم انقطع فى هذه الخانقاه فى آخر عمره إلى أن توفى بها رحمه الله ورضى عنه .

سنة ٦٥٥ ﻫ :

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وستمائة فى أول ربيع الأول توفى الأمير بدر الدين بن الحسن المعزى الميروقى ، وكانت له بنت عندنا بالمدرسة العادلية ودفن بالجبل بمقبرة ابن يغمور رحمه الله وهو من أقارب الميروقى الملك المشهور ببلاد الغرب .

وفيها : فى ثامن ربيع الأول توفى الشيخ تقى الدين عبدالرحمن بن ابى الفهم اليلدانى بقرية يلدا ودفن بها ، وكان شيخاً صالحاً مشتغلا بالحديث سماعا إلى أن توفى وله نحو من مائة سنة . أخبرنى أنه كان مراهقا فى سنة سبع وستين رحمه الله حين طهر(١) نور الدين بن زنكى ولده وانه حضر الطهور ولعب الأمراء بالميدان فى فرشة مع الصبيان . وأخبرنى أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : يارسول الله بالله ما أنا رجل جيد ؟ فقال : بلى أنت رجل جيـد . أسمعت عليه ولدى أبا الحرم محمدا رحمه الله كثيراً بقراءتى عليه وقراءة غيرى ، وأجاز لابنى أبى الهدى احمد أنشأه الله صالحاً رواية جميع مايجوز له عنه روايته رحمه الله .

وفيها : فى منتصف ربيع الأول توفى الشيخ شرف الدين محمد بن أبى الفضل المرسى رحمه الله فى طريقه من مصر إلى الشام ودفن بمنزلة الزعقه بين العريش والداروم ، وكان شيخا فاضلا مفتياً كثير الحج محقق

---

(١) أى ختانه (ز) .

البحث مقتصداً فى أموره ، كثير الكتب معتنيا بالنفيس منها محصلا لها . وقد كان أعطى قبولا بالبلاد الاسلامية ، لايحل فى بلد إلا ويكرمه رؤساؤها وأهلها وا كثر مقامه بالحجاز ومصر والشام . وفى أوائل شهر ربيع الآخر جاءنا الخبر من ديار مصر بموت ملكها حينئذ عز الدين ايبك التركمانى أحد مماليك نجم الدين ايوب بن الكامل بن العادل بن ايوب وهو الذى غلب عليها بعد قتل ابنه المعظم بن الصالح بن الكامل ويلقب بالملك المعز وكثر الظلم والقتل بتلك الديار من المماليك المعروفين بالبحرية فى أموال المسلمين ونسائهم وأولادهم إلى أن قتل رفيقه فارس الدين آقطاى ثم مات هذا التركمانى بداره بغتة ولا يعلم سبب موته وتعصب أصحابه لاقامة ابنه مقامه ولقبوه بالملك المنصور نور الدين على وضرب الدراهم باسمه واتهموا زوجة التركمانى انها قتلته فاعدموها وكانت جارية لسيدهم الملك الصالح أيوب بن الكامل تكنى ام خليل بابن له منها درج ويلقب شجرشاه . الله يصلح امور المسلمين . وكانت أيضاً قد خنقت وزيرها القاضى الأسعد شرف الدين الفائزى

وفى هذه السنة نظمت قصيدتى فى أم ولدى احمد ست العـــرب ابنة شرف الدين محمد بن على بن دنو القرشى العبدرى الأندلسى المرسى وكان من أهل الفضل والرئاسة فى الدنيا ومن وجوه بلده :ـ

تزوجت من أولاد دنو عقيلة   بها من خصال الخير ماحير العقلا

مكملة الأوصاف خلقا وخلقه   فاهلا بها أهلا وسهلا بها سهلا

ولود ودود حـــرة قرشـيـة   مخدرة مع حسنها تكرم البعلا

وباذلة نظيفـــة ولطيفة   من اظرف انسان وأحسنهم شكلا

صبور شكور حلوة وفصيحة   ومتقنة أى تتقن القول والفعلا

تغار من أسباب النقائص كلها   وتحفظ مال الزوج والنفس والأهلا

حصان رزان ليس فيها تكبر   قنوع فلا شرب يدوم ولا أكلا

مطاوعة للبعل يقظى أديبـــة   موافقة قولا وفعلا فيا أعلا

صغيرة سن فى الكلام كبيرة   نهاها يرى بالهـا الحلم والجهلا

يشرن عليها بالفـــرج مرة   فتأبى وقعر البيت فى عينها أحلى

مدارية الأهل ان عتبت وان   احبت فلا عقد لديها ولا غلا

رفيقة قلب مع سلامة دينها   فلست ترى شبهاً لها فى النسا أصلا

خدوم بقلب فى جميع أمورها   مباشرة للكل ما دق أو جلا

ملازمة للشغل فى البيت دائما   على صغر من سنها لاتنى فعلا

مطرزة خياطـــة ذهبية   مفصلة خطاطة تحـــكم الغزلا

تنقل فى الأشغال من ذا وذا وذا   وتفعل حتى الكنس والطبخ والغسلا

وما ذاك من عدم ولا بخل بينها ... من امرأة يكفى إذا شامت الفعلا

ولكنها اعتاضت نظافة شغلها ... وعافت فعال الأكل واحتملت فعلا

خفيفة روح مع وقار ذكية ... فتفهم ما يلقى لديها وما يتلى

وإن نظرت ما لم تعرفه صممت ... عليه إلى أن تحتويه وما اختلا

لها همة عليا تطوف روحها ... على صعب الأشغال تتركه سهلا

مربية حنانة ذات رحمة ... وكل يتيم واجد عندها فضلا

نفور إذا ارتابت ألوف لأهلها ... تمهلا إذا قيس النساء بها مهلا

كذلك كان الحظ لما تعرضت ... له حاصلا فيها صحيحا وما اعتلا

سريعة دمع العين من رقة بها ... فما بعد أن تلقى لها فى النسا مثلا

عديمة لحظ والتفات إذا مشت ... صموت فلا قطعا ترد ولا وصلا

ولم يتكشف منها بنان لجار من ... مشى معها فى حفظها يدها قبلا

يعز على من يطرق الباب لفظها ... جوابا فلا عقد تراه ولا حلا

يطيل وقوفا لا يجاب محرم ... عليها كلام الأجنبى وإن قلا

تميز حتى فى الكلام فلا ترى ... لها لفظة إلا وقد وقعت فصلا

ولست ترى من لثغة فى كلامها ... وألفاظها در ينضد أو أغلا

إذا أبصرت ما فيه عيب لها أبت ... وتفعل ما تهوى طريقتها المثلى

وحافظة للغيب صالحة أتت ... لحق إذا كانت مناقبها تتلى

ووانية صوامة ومدلة ... بعقل وتدبير تراه العدا بخلا

يقر لها بالفضل فى العقل كل من ... يراها من النسوان ما تعرف الهزلا

من المحصنات الغافلات فمن رمى ... حصانتها يلعن وذاك به أولى

تجمع فيها عفة ونزاهة ... وعزة نفس فهى نكلا ولا تفلا

وأحسن من ذا كله أن هذه ... الخصائل طبع لم تكلف لها حملا

تقل نظير فى نساء زماننا ... فلا تعذلونى فى محبتها عذلا

بنيت بها بنتا لأربع عشرة ... وهذه الخصال الغر فى ذاتها تحلا

وأوصافها فى كل عام تزايدت ... ولم تتغير قط سيرتها الأولى

وحسبك عشر من سنين لها انقضت ... معى لم أقل أف لديها ولا كلا

لقد جعلت لا غير الله ما بها عشيرتها والامر من بعد ذا أعلى
فلله حمـد دائم وثنائه مزيد الذى أسدى وتتميما أولى
ولكن فيها نفرة وتغيضا وسرعة غيظ عند لفظ لها يعلا
فوالله ما أدرى اذ لك مسقط مناقبها عند الجحود لها أم لا

وفى خامس عشر جمادى الآخرة توفى بدمشق الشيخ ابو العباس احمد بن يوسف التلمسانى المقيم بالمنارة الشرقية بالجامع من سنين كثيرة ، وكان شيخا معمراً منقطعاً عن الناس محباً للعزلة ودفن بالجبل وكان يروى كتاب الأحكام الصغرى لعبد الحق الاشبيلى عن البرهان بن غاوش مدرس المالكية بدمشق عن المصنف رحمه الله .

وفى يوم الأربعاء ثامن عشر ذى الحجة عمل صلاة الغائب عن الشيخ نجم الدين البادرائى هو : أبو محمد عبد الله بن أبى الوفاء محمد بن الحسن بن عبد الله بن عثمان بن أبى الحسن حسون مولده يوم الجمعة بعد العصر سلخ المحرم سنة أربع وتسعين وخمسمائة . وتوفى يوم السبت مستهل ذى الحجة سنة خمس وخمسين وستمائة ببغداد ودفن قريبا من الجنيد رضى الله عنه . درس بالنظامية وبمدرسته التى أنشأها بدمشق فى موضع دار أسامة ، وكان شيخا فاضلا صالحا ، فقيها ، كريما ، متواضعا وكان يقدم الشام والديار المصرية رسولا من قبل آخر خلفاء بغداد وهو : المستعصم بن المستنصر بن الظاهر بن الناصر ابن المستضىء ، وبنى بدمشق المدرسة المذكورة وهى مدرسة حسنة للفقهاء الشافعية ، ووقف عليها وقوفا حسنة ، وجعل بها خزانة كتب جيدة ثم رجع إلى بغداد فى هذه السنة فولى قضاة القضاة بها على كره منه لذلك . واخبرنى من حضر موته ببغداد أن وفاته كانت أول يوم من ذى الحجة ودفن بمقبرة الشونيزى وبقى فى القضاء سبعة عشر يوما وبعد موت البادرائى بأيام قلائل نزلت التاتار خذلهم الله على بغداد والخليفة بها يومئذ هو المستعصم بن المستنصر بن الظاهر بن المستضىء بن المستنجد واستولوا عليها فى السنة الآتية كما سيأتى ذكره .

وفى ذى الحجة من هذه السنة توفى الشيخ يوسف الواسطى الأعرج المقرىء كان بجامع دمشق تحت قبة النسر وكان أحد القراء بالتربة الاشرفية وكان أحد الشيوخ الصلحاء الصابرين على البلاء كان مصابا بيديه ورجله ومع ذلك هو مرابط على الطهارة ، والصلاة ، وقراءة القرآن وايثار الفقراء ، وهو من أصحاب الطائفة الرفاعية الواسطية ومن مشايخهم بدمشق ، وكانت وفاته بالمدرسة الصادرية بحضرة باب الجامع من جهة باب البريد رحمه الله . ومات سيف الدين المشد (على بن عمر بن قزل الشاعر صاحب الديوان) فى تاسع المحرم .

سنة ٦٥٦ هـ :

ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة . ففى أولها فى المحرم استولى التاتار خذلهم الله على بغداد فقتلوا ونهبوا وفعلوا ما جرت عادتهم عند استيلائهم على بلاد العجم على ما ذكرناه فى

كتاب السيرة العلائية والجلالية والاخبار فى تفصيل ذلك كثيرة استولى على الخليفة وأهله بمكيدة دبرت مع وزير بغداد فمن احسن ما أنشد فى ذلك بيت لابن التعاويذى :

بادت وأهلوها معاً فبيوتهم ببقاء مولانا الوزير خراب

وجاء كتاب من بعض من سلم منهم ببغداد يقول : والأمر أعظم مما بلغكم من الأخبار اللهم عافنا وبلادنا من كل سوء .

وفى صفر توفى صاحبنا الشيخ شمس الدين محمود النابلسى وكان شيخا صالحا مرتاضا حسن الصحبة والأخلاق فقيراً فاضلا ناب عنى فى الصلاة بالمدرسة العادلية مدة فى مرضى ، وفى غيبتى زمن الخروج إلى البساتين ثم قرأ القرآن بجامع التوبة بالعقيبة إلى أن توفى ودفن بمقبرة ابن زويزان حضرت دفنه والصلاة عليه رحمه الله .

وفى صفر أيضاً توفى الشيخ الصالح خليل يعرف بالشيخ يوسف الكردى كان أكثر مقامه بمسجد الربوة ويدخل إلى الجامع بدمشق ويخرج إلى الربوة عشية منفرداً دائم الذكر والصلاة والانقطاع عن الناس ، وكان الله قد ألبسه الهيبة والوقار وذلك من علامات الأبرار رحمه الله ورضى عنا به وبأمثاله

وفى أوائل ربيع الاول توفى علاء الدين حمزة بن الحجاج أحد الشهود المعدلين بدمشق من أهل البيوتات وكان فقيها ديناً بقى عندنا بالمدرسة العادلية مدة بعد مقامه بحلب ثم صار من الشهود المرتبين بباب الجامع رحمه الله . وفى هذا الشهر توفى الموفق محمد بن بنت البكرى شاب شريف حسنى صالح فقيه بار بوالديه رحمه الله .

وفيها : توفى عون الدين بن العجمى ناظر ديوان الجيش . والنور الأسعردى الشاعر . والمجير الكتبى وعبد الله البعلبكى أحد رجال الحكم وكان يبذل نفسه لقضاء حاجة من ينتدبه بالمدرسة رحمه الله . وفى أول ربيع الاول توفى الشمس على بن النشبى نائب الحسبة كان فى زمن ولاية الصدر البكرى لها . وكان من أهل سماع الحديث واسماعه وقرأ منه كثيرا على شيوخ ابن العساكر العادين الحافظ ، وشيخنا الآخران الفخر وزين الأمناء ، وغيرهم . ومات أيضا القاضى احمد من باب شرقى . والبرهان السويدى بمدرسة العادلية ووقف كتبه بمدرسة ابن رواحه . ومات النجم اخو البدر ، وكان يسمع برواية ابن الفاضل بالكلاسة باجازته من السلفى . وفى يوم الجمعة ثانى عشر ربيع الآخر توفى الخطيب بدر الدين يحيى بن الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام خطيب جامع التوبة بالعقيبة ودفن بباب الصغير على قبر جده وكان الجمع فى جنازته كثيراً . وفى ذلك اليوم مات الفخر بن عوضة .

وجاءنا الخبر من حلب بموت الشيخ أبى عبد الله الفاسى . وكان صالحا . عالما ، فاضلا ، وشرح قصيدة الشيخ الشاطبى شرحا حسنا . وفى شهر جمادى الأول توفى الشمس أبو القاسم بن اللهيب متولى الحشرية بدمشق ودفن بجبل قاسيون حادى عشره . وقال فيه صاحبنا الكمال على بن الظهير لما كان ينال الناس منه :

اليوم زار ابن اللهيب أباه ورأى الذى قد قدمته يداه

لم ينتفع بالظلم لكن ضره إذ كان حسب الظالمين الله

وفى ثانى عشره توفى الكمال بن الازرىى أحد متولى الدواوين السلطانية بقلعة دمشق كان مشكوراً فيها . وفى ثالث عشر توفى الفخر الياس عتيق الشيخ تاج الدين الكندى وكان مشرفا بالجامع على فرشه وزيته ، وكان لنا رفيقا عام حججنا سنة اثنتين وعشرين وستمائة رحمه الله . ووقع وباء كثير فى زمن الربيع وهو من أعجب مايؤرخ فعم الناس المرض وكثر الموت . فمن مات فيه الفقيه البغدادى المعروف بالنكرة الشافعى ، والزين بن عبد الملك المقدسى الحنبلى وكيل الجوبر بن صارم الدين . والمنتجب عباس الحنفى الساكن بالمدرسة الصادرية ، ومكى خطيب زملكا ، وسيف الدين بن صبره والى شرطة دمشق . وذكروا أن حية عظيمة خرجت عليه عند موته فضربته بين أفخاذه وقيل غير ذلك . وقيل انها اندرجت معه فى أكفانه . وسألت عنه فقيل لى كان نصيرياً . رافضياً . خبيثاً . مدمن خمر نسأل الله تعالى العافية .

ومات أيضا أبو كامل محمد الحورانى جارنا بحارة الخاطب . ومحمد بن الزين خالد . والشيخ ابراهيم الاسود خادم قبر الشيخ رسلان ، والملك الصالح ابن أخى صاحب الجزيرة المعظم سنجر شاه وكان أبوه يلقب الناصر سنجر شاه بن مودود بن زنكى . والملك الناصر داود بن المعظم عيسى بن العادل أبى بكر بن أيوب وكان سلطان دمشق بعد أبيه نحواً من سنة ثم اقتصر له على الكرك وأعماله ثم سلب ذلك كله وصار متنقلا فى البلاد موكلا عليه وتارة فى البرارى إلى أن مات موكلا عليه بالبويضا قريه قبلى دمشق كانت تكون لعمه مجير الدين بن العادل وحمل منها فصلى عليه عند باب النصر ودفن بجبل قاسيون عند أبيه بالمقبرة المعظمية بدير مران . وخلف أولادا كثيرة واتباعا من أهله . ومات أيضا النجم بن أخى نقيب الأشراف يومئذ بهاء الدين على وكان متجاهراً بالرفض .

وفى مستهل جمادى الآخرة توفى محتسب دمشق فتح الدين بن العدل بمنزله بالجبل . وكان خيراً وقوراً متواضعاً رحمه الله . وتولى مكانه الحسبة أخوه ناصر الدين . وفى ذلك اليوم أيضا توفى سعد الدين محمد بن الشيخ محى الدين محمد بن العربى رحمه الله وكان من الفضلاء العقلاء كتب الى من نظمه يستعير منى الروضتين الذى صنفته : —

بك ملة الاسلام عاد شبابها	يامن بفتياه استبان صوابها
هـذى ثمار الروضتين زكاتها	وجبت عليك غداة تم نصابها
فامنن على بها لعلى اجتنى	ثمرات علم راحتاك سحابها
وأنا الكفيل بحفظها وبحفظها	ويكون أسرع من نداك إيابها
وأجل قدرك أن أرى متحيراً	طلباً لها وتكون أنت شهابها

وفى ثالث جمادى الآخره توفى نظام الدين المولى الحلبى وكان كاتب الانشاء لدمشق وحلب الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازى بن السلطان الكبير صلاح الدين يوسف بن أيوب كان كاتبه وصاحب سره ، وكان عاقلا ، ثابتا متواضعا مشكوراً فيما كان فيه ودفن بالجبل . ومات فى الشهر الماضى جمادى الأول شخص زنديق يعرف بالشهاب القماش ، وكان يتعانى الكلام على طريقة الحكماء وانكار النبوات والازراء بما أهل الاسلام عليه ، وكان يسكن بالمدرسة النورية ويجلس كثيراً على باب مشهد

على فتح قبة يزيد بالجامع ويجتمع اليه عدد من جنسه الزنادقة لا رحمه الله .

وفي سادس جمادى الآخرة توفي النجيب بن الشقيشقة أبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن أبي غالب الشيباني المعروف بابن الصفار أيضاً . كان قد سمع كثيراً لكنه لم يكن بحال أن يؤخذ عنه . كان مشهوراً بالكذب ورقة الدين وغير ذلك نعوذ بالله من شرور أنفسنا . وهو أحد الشهود المقدوح فيهم ، فمن استشهده احمد بن يحيى بن هبة الله الملقب بالصدر بن سني الدولة في حال ولايته قضاء القضاة بدمشق . وكان مراعياً لأرباب الجاهات كثيراً . فلما استشهده لأجل جاه كان النجيب متصلا به ، وميزه بأن جعله عاقداً للأنكحة بباب جامع دمشق فعجب الناس منه وانكروا ما فعله وأنشدني البهاء الحافظ لنفسه في ذلك أبياتاً منها : —

جلس الشقيشقة الشقي ليشهدا ... بابيكا ماذا عـدا مما بدا

هل زلزل الزلزال أم قد اخرج الـ ... دجال أم عدم الرجال ذوو الهدى

عجباً لمحلول العقيـدة جاهل ... بالشرع قد اذنوا له أن يعقدا

وفي سادس عشر جمادى الآخرة توفي النجم محمد بن خضر المعروف بابن طاوس ، كان نقيب القاضي صدر الدين بن سني الدولة فاثرى بعد فقر كحال مخدومه . ومات الشيخ يوسف التوزري الذي كان مقيما بشرقي الكلاسة ويقرأ عليه القرآن وكان منسوبا إلى الصلاح رحمه الله .

وفي أواخر شهر رمضان توفي جمال الدين ابراهيم المعروف بصهر المكرم وكان يومئذ خطيب دومة توفي بها وحمل إلى جامع التوبة فصلى عليه به وذهب به الى الجبل وكان شيخاً بها متودداً رحمه الله . وفي آخر رمضان توفي العز بن القيسراني متولي ديوان المظالم بالقلعة بدمشق . ومات أيضا الرشيد النهاوندي الصوفي الذي كان مقيما بالكلاسة قديما زماناً طويلا وفي ثالث ذي القعده توفي الشرف الأربلي واسمه الحسين بن ابراهيم . وكان شيخا مسنداً له سماعات كثيرة عن الخشوعي . والحرستاني . والكندي والحافظ البهاء وغيرهم . وفي رابع ذي القعدة توفي الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري بالقاهرة رحمه الله ورضي عنه . وفي العشرين منه توفي الأمير سيف الدين استاذ الدار الناصري . والتاج الساوي بعده بيومين . وجاءنا الخبر من مصر بموت صدر الدين الحسن بن محمد البكري توفي في حادي عشر ذي الحجة . وبهاء الدين زهير الكاتب . والمعين بن وردان وكثرت الرجفات بقصد التاتار بلاد الشام ونزولهم على الفرات الى بلاد آمد وغيرها . وقتك فيهم صاحب ميافارقين الكامل بن شهاب الدين غازي بن العادل أيده الله بنصره لما حاصروها وصبر على مجاهدتهم أكثر من سنة ونصف ورحلوا عنها بالخيبة والعجز .

سنة ٦٥٧ هـ :

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وستمائة . ففي رابع المحرم توفي البهاء بن الحافظ المعروف بابن الدجاجية وكان شيخا فاضلا ، شاعراً رحمه الله . وفي سابع صفر توفي المعين المؤذن العادلي وكان

معدوداً من أمراء دولة نور الدين زنكي رحمه الله . وخدم صلاح الدين فمن بعده من الملوك إلى أن
قعد في بيته زمناً قبل موته بسنين . ثم توفي وقد جاوز المائة

وفي خامس عشر صفر توفي المجد الأربلي النحوي المعروف بالحلي وكان يشهد بباب الجامع ويقرىء
في حلقة ابن طاوس بجوار الكلاسة بالجامع وهو الموضع الذي كان يقرىء فيه قبله الفخر بن المالكي
وقبله الفاضل الساطي . وقبله الوجيه بن اليوني رحمه الله وكان موته فجأة . اللهم عافنا من ذلك . وفي
سابع عشر صفر توفي الشمس أبو الفتح الذي كان يقرىء بالتربة الصالحية . هو : الشمس أبو الفتح محمد
ابن علي بن موسى بن محمد الأنصاري الدمشقي مولده سنة خمس عشرة وستمائة تقريبا ودفن من الغد رحمه
الله . وفي العشرين من صفر توفي العماد يحيى بن عمر الحموي امام مسجد حارة الخاطب وكان قرأ معي
القرآن العظيم على الشرف أبي منصور الضرير في سنة ثلاث عشرة وستمائة ونحوها رحمهم الله وتولى اشراف
السبع مرة . وتوفي أيضا شمس الدين ... على الفلسفة والنظر في علوم الأوائل ويسكن مدارس فقهاء
المسلمين ، وقد أفسد عقائد جماعة من الشباب المشتغلين فيما بلغني ، وكان يتجاهر باستنقاص الأنبياء
عليهم السلام لا رحمه الله ولا رضي عنه ولاعن أمثاله وهو يعرف بالفخر بن البديع البندهي . كان أبوه
يزعم انه من تلامذة الفخر الرازي بن خطيب الري صاحب المصنفات وفي حياة والده مات .

وفي عاشر جمادى الأولى توفي الزين بن مزهر الساكن بحيل قاسيون قبالة المدرسة الهمسية رحمه الله
وكان قبل ذلك هو وأخوه ... تاجرين معروفين وكان له لسان وبيان وفرة جنان وحسن توصل إلى
أغراضه . وفي خامس عشره توفي التقي يونس الاسود امام مسجد درب الخبالين وكان فقيها بالشامية
ويتولى القرايا الموقوفة على المدينة النبوية واشتغل بعلم الفقه والنحو ودفن بباب الصغير رحمه الله . وفي
جمادى الآخرة مات النجم بن العلوي وجدت بخط الحافظ اليغموري سألت النجم أبا القاسم علي بن
العلوي عن مولده فقال : يوم السبت ثاني المحرم سنة تسع وتسعين وخمسمائة بالمأمونية من أعمال بغداد
والمجد ... . والنجم الكنجي المؤذن وكلاهما من سكان المدرسة العادلية . والخاص الصوفي ... الشمساطي مات فجأة ونظمت في آخر جمادى الآخرة : —

الثوب واللقمة والماوية   القانع من عيشة راضيه
وما يزد فالنفس ابست به   وان تكن مالكة راضية

وفي سهر رجب تولى القاضي محي الدين بن عزة تدريس المدرسة الناصرية بالقدس الشريف وتولى
شهاب الدين محمد بن القاضي شمس الدين احمد بن الخليل الخوبي قضاء القدس الشريف وسافرا من دمشق
الى هنالك أيضاً . وفي سادس عشر شعبان توفي بدمشق شخص يعرف بيوسف القميني كان يأوي دائما
الى الشعير والمزابل ويغلب مأواه قمين حمام نور الدين الذي بسوق القمح العتيق بدمشق ويلبس ثيابا
طوالا تكنس الأرض وهو حاف حاسر طويل الصمت قليل استعمال الماء وللناس فيه اعتقاد صلاح
وتكلم ... ولم يظهر لنا منه شيء غير ملازمته لهذه الطريقة الشاقة على النفس مدة سنين كثيرة
وعنده ... عوام الناس يتقربون اليه بالمأكول والمشروب فيتناول بعد جهد مقدار حاجته ويترك

فى مشيته مسبلا أكمامه مع طولها وفى الجملة كان أمره عجيبا . اللهم انفعنا ببركات الصالحين . وتوفى مسلمين ودفن رحمه الله بالجبل بمقبرة الموفقين

وفى أول شهر رمضان جاء الخبر بموت صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ مملوك بيت أتابك زنكى . وفى تاسع عشر رمضان توفى سيف الدين بن الفرس خليل وكان أحد حجاب السلطان مشكورا فى ذلك وكان أبوه والى شرطة دمشق فى زمن المعظم عيسى بن أبى بكر بن أيوب . وفى ذلك اليوم أيضا توفى صدر الدين أسعد بن المنجا الحنبلى أحد عدول دمشق المتمولين بها وبنى مدرسة للحنابلة بدمشق مقابلة التربة سيف الدين قليج مجاورة لتربة القاضى جمال الدين المصرى وفى عاشر شوال توفى الملك عثمان بن يوسف . والقاضى عز الدين محمد ابن القاضى الأشرف احمد ابن القاضى عبد الرحيم البيسانى رحمهما الله . وفى رابع عشره توفى الفخر بن هلال رحمه الله تعالى . وفى رابع ذى الحجة توفى الرضا بن النجار أحد أعوان القضاة المذكور فى وصدة الصدقات منهم ابن النعمان الأشرح تمام (١) القضايا فى دار قاضى القضاة . وفى سابع عشر ذى الحجة توفى الشيخ صالح الأمساطى أبو محمد عبد السميع عثمان الرومى الساكن بالجبل رحمه الله وفى سلخ ذى الحجة توفى نجم الدين المظفر بن محمد بن الياس السابرجى أحد العدول الكبار من الدمشقيين . وتولى الحسبة بها ونظر الجامع رحمه الله .

وفيها : ورد الخبر من مصر بالقبض على ملكها الصبى نور الدين على الملقب بالمنصور بن التركمانى واستيلاء مملوك أبيه قطز على الملك . وفى هذه السنة كثرت الأراجيف بدمشق بسبب التاتار أهلكهم الله وردت الأخبار بأنهم قطعوا الفرات وأغاروا على بلاد حلب فهرب كثير من الدمشقيين وباعوا حواصلهم وخرجوا على وجوههم متفرقين فى البرارى والجبال والحصون وصادف ذلك أيام الشتاء وقوة البرد فمات كثير منهم ونهب آخرون . وثبت فى البلد من وفى الله عليه وإيمانه وبالله التوفيق .

سنة ٦٥٨ هـ :

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة يوم الخميس . فى يوم الأحد بعد العصر ثامن عشر المحرم ولد لى مولود ذكر سميته باسم والدى اسماعيل وكنيته أبا العرب جعله الله مباركا ووافق يوم مولده كانون الثانى فى قوة البرد وكانت تلك الأيام كثيرة الأراجيف والتشويش من جهة التاتار خذلهم الله . وفى منتصف صفر ورد الخبر إلى دمشق باستيلاء التاتار على حلب بالسيف وهرب صاحبها من دمشق بأمرائه الموافقين له على سوء تدبيره وزال ملكه عن تلك البلاد . وكان نزول التاتار على حلب فى ثانى صفر واستولوا عليها بعد سبعة أيام فى تاسع صفر وأمنوهم ثم غدروا بهم وقتلوهم وكان رسل التاتار عندنا بقرية حرستا فأدخلوا دمشق ليلة الاثنين سابع عشر صفر وقرىء فى غدها يوم الاثنين بعد صلاة الظهر بالجامع فرمان جاء من عند ملكهم معهم فيه أمان أهل دمشق وما حولها . وشرع أكابر أهل دمشق فى تدبير أمرهم معهم . وفى يوم قرىء الفرمان صلى بالجامع على جنازة الشريف بن عصرون . وفى سابع عشر ربيع الأول وصل إلى دمشق نواب التاتار وتلقيهم كبراء البلد بأحسن ملتقى وقرىء ما معهم من الفرمان المتضمن للأمان بالميدان الأخضر ووصلت عساكرهم من جهة الغوطة مارين من وراء الغوطة الى جهة الكسوة واهلكوا فى مرهم جماعة كانوا تجمعوا متحزبوا . وعدم بسبب ذلك

غيرهم منهم : جماعة من أهل قرية حزرما . وشجاع أبو هرماس المؤذن . وصالح . وقاسم وغيرهم.

وفى السادس والعشرين جاء منشور من هولاكو ملك التاتار للقاضى كمال الدين عمر بن بندار التفليسى بتفويض قضاء القضاة اليه بمدائن الشام ، والموصل ، وماردين ، وميافارقين ، والاكراد وغيره . كتب له بحلب فى خامس عشر الشهر ، وقرىء المنشور المذكور بالميدان الأخضر وفيه تفويض جميع الوقف إلى نظره وخاصة وقف الجامع المعمور بدمشق المحروسة ، وكان قاضى قضاة دمشق وأعمالها قبله احمد ابن السنى وليه من جمادى سنة ثلاث وأربعين الى الآن وذلك خمس عشرة سنة إلا شهرين أو نحوها . وكان كمال الدين هذا نائبه ويفعل الله فى خلقه ما يشاء . وفى الثالث والعشرين من ربيع الأول توفى بالجبل الشيخ عماد الدين عبد الحميد بن عبد الهادى بن يوسف بن محمد بن قدامه المقدسى رحمه الله وكان شيخا حسنا لطيفا ، علم جماعة كثيرة كتاب الله العزيز وابتلى بمرض مزمن فى آخر عمره وكان له رواية للحديث عن الثقفى وغيره . وقد أجاز أولادى رواية ما يجوز له عنه روايته . وهم محمد رحمه الله ، واحمد . واسماعيل . وفاطمة جبرهم الله .

وفى الخامس والعشرين توفى الجمال بن الخطيرى الذى كان مصاهراً المحيى القاضى ، وجاءنا الخبر بوفاة جمال الدين بن قوام قتلته التاتار بارض الغور رحمه الله . وفى أوائل ربيع الآخر فى العشرين من آذار توفى الأوحد المدرس بحلب الذى كان قبل مدرسا بمنبج وقاضياً وكان مشهوراً وفى ربيع الآخر رجعت عساكر التاتار التى كانت عبرت على دمشق بعدما عاثت فى بلاد حوران ، وأرض نابلس وما حولها وقيل بلغت غاراتهم أرض غزة وبيت جبريل ، والخليل ، والصلت ، وبركة زيزى ، وموجب الكرك ونحو ذلك فقتلوا على عادتهم الرجال ، وسبوا الصبيان والنساء واستاقوا من الأسارى والغنائم من البقر والغنم والأسلاب شيئا كثيراً ووصلوا بذلك الى دمشق فاشترى من الأسرى شيء كثير وهرب بعضهم واستجيراخانها كثيرا . والله تعالى يديم علينا ستره وعافيته بمحمد وآله . الحمد لله الذى عافانا مما ابتلى به غيرنا . وممن قتل فى هذه الكرة بنابلس الامير مجير الدين بن سيف الدين بن أبى زكرى وكان شجاعا بلغنى أنه قتل من التاتار قبل أن يقتل جماعة بسيفه ومازال يضرب به حتى خطف النصل من يده فصار يقاتل بنفسه يضرب بالدبوس ويتقى به الضرب ويرفس برجله من يصل اليه من الفرسان حتى قتل سبعة عشر أو تسعة عشر ثم قتل رحمه الله . وكان التاتار يتعجبون منه وأتوا بنصل سيفه الى دمشق ووقف عليه أمراؤهم وقد كانت قلعة دمشق امتنع بها الوالى والنقيب فى جمع كثير بها فاحتيج الى حصارها فجاءها من التاتار خلق كثير وصلوا يوم الأحد ثانى عشر جمادى الأولى فباتوا تلك الليلة حتى قطعوا من الأخشاب ما احتاجوا اليه وكانوا استصحبوا معهم المجانيق تجرها الخيل وهم ركاب عليها ، وقدموا قبل ذلك أسلحة تجرها البقر على العجل ، وأصبحوا يوم الأثنين يجمعون الحجارة لرمى المجانيق فاخربوا حيطانا كثيرة وأخذوا الحجارة من أساسها ، وأخربوا طرقا من القنوات بسبب الحجارة وهيأوها للرمى ونصبت المجانيق فى ليلة الثلاثاء وكانت أكثر من عشرين منجنيقاً وأصبحوا يرمون بها رميا متتابعا كالمطر فاخرب كثيراً من القلعة من غربها فما أمسوا حتى طلبوا الأمان فاومنوا وخرجوا من الغد ونهب مافى القلعة وأحرق فيها مواضع كثيرة وهدم من أبراجها أعاليها ثم ساروا الى بعلبك فتسلموها

وحاصروا القلعة وأخذوها . وساروا الى نابلس وغيرها ووكلوا بخراب كل مدينة بين برجين من قلعة دمشق ففعل ذلك . الحكم لله العلي الكبير . وأما السلطان الملك الناصر يوسف كان بعساكره بغزة فلما بلغه خبر نابلس توجه الى مصر فنزل العريش ثم قطيا ثم تفرق عسكره فتوجه الترك الى مصر مع الأثقال وتوجه هو مع خواصه الى وادى موسى ثم نزل بركة زيزى وكبسه نائب التاتار كتبغا بها فهرب ثم استأمن له بعض أصحابه هو حسين الطبردار وصار اليهم وكان معهم فى ذل وهوان ثم قتلوه ببلادهم .

وجاءنا الخبر عن الهاربين من دمشق الى مصر بموت الجمال يوسف الدبابيسى أحد المعدلين ، وشرف الدين بن المعز المؤذن ، وقبض على خواص السلطان . وفى يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الأولى طيف بدمشق برأس مقطوع مرفوع على رمح قصير معلق بشعره فوق قطعة شبكة زعموا أنه رأس الكامل محمد بن شهاب الدين غازى بن العادل صاحب ميافارقين الذى دام التاتار على حصاره أكثر من سنة ونصف ولم يزل ظاهراً عليهم إلى أن فنى أهل البلد لفناء زادهم وبلغنى أنه دخل عليه البلد فوجد مع من بقى من أصحابه مرتى أو مرضى فقطع رأسه وحمل الى البلاد فطيف به بدمشق ثم علق على باب الفراديس الخارج رحمه الله وقلت فى ذلك :—

ابن غاز غزا وجاهد فى ا ... لله قوما أثخنوا فى المشرقين
والعراقين ظاهرا غالبا وبها ما ... ت شهيداً بعد صبر عليهم عامين
لم يشنه أن طيف بالرأس منه ... فله اسوة برأس الحسين
وافق السبط فى الشهادة والحمـ ... ـل لقد حاز أجره مرتين
جمع الله حسن دين الشهيديـ ... ـن على قبح دينك الفعلين
ثم واروا فى مشهد الرأس ذاك الـ ... ـرأس فاستعجبوا من الحالتين
وارتجوا أنه يحيى لدى البعـ ... ـث رفيق الحسين فى الحسنيين

رضى الله عنه ثم وقع من الاتفاق العجب أن دفن فى مسجد الرأس داخل باب الفراديس شرقى المحراب فى أصل الجدار ، وغربى المحراب طاقة يقال ان رأس الحسين رحمه الله دفن بها . وفى غده يوم الأربعاء قرىء فرمان القاضى محى الدين بالجامع تحت قبة النسر وفيه توليته القضاء من قنسرين الى العريش ونائبه أخوه لأمه شهاب الدين اسماعيل بن أسعد بن حبش وحضر قراءة الفرمان نائب ملك التاتار من المغل (ابل سيان) وزوجته قعدت معه على طراحة نصبت لها بين زوجها والقاضى الى جانب العامود الشرقى الكبير الأوسط من أبواب النسر بالجامع وشرع القاضى فى جر الأشياء الى نفسه وأولاده ومن يتعلق به بعدم الأهلية . وأضاف الى نفسه ، وأولاده وأخيه ونحوهم عدة من المدارس ، كالعذراوية ، والسلطانية ، والفلكية ، والركنية ، والقيمرية ، والكلاسة انتزعها من الشمس الكردى ، وانتزع منه أيضا الصالحية ، وسلمها إلى العماد بن العربى ، ونزع الامينية من العلم القاسم وسلمها الى ولده عيسى ، ونزع الشومانية من الفخر النقجوانى وسلمها إلى الكمال بن النجار ، ونزع الربوة من الجمال محمد اليمنى وسلمها إلى الشهاب محمود بن القاضى شرف الدين عبد الله بن زين القضاه عبد الرحمن بن سلطان وهو

ابن عمه كل هذا مع ماعرف منه من التقصير فى حق الفقهاء فى المدرستين اللتين كانتا بيده من قديم الزمان العزيزية والتقوية ، وعدم انصافه فيهما ، وولى ابنه عيسى مشيخة الشيوخ بخوانق الصوفية واستناب اخاه لأمه فى القضاء ومعه من المدارس ، الرواحية ، والشامية البرانية مع أن شرط واقفهما أن لايجمع المدرس بينها وبين غيرها . وبقى كذلك إلى أن ملك المسلمون فى أواخر رمضان فبذل أموالا كثيرة على أن يقر القضاء والمدارس المذكورة فى يده ويد أخيه وولديه ففعل ذلك فبقى نحو شهر ثم سافر مع السلطان إلى مصر وتولى القضاء نجم الدين أبو بكر بن صدر الدين رحمه الله ابن سنى الدولة وقرىء منشوره بشباك الحكم بالجامع يوم الجمعة الحادى والعشرين من ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة .

وفى عاشر جمادى الآخرة توفى الفقيه شرف الدين عبد الواحد بن الحسام الواعظ المعروف بابن الحموى ودفن من الغد بالجبل رحمه الله . وفى يوم الاثنين صبيحة الأحد جاءنا الخبر من بعلبك بوفاة القاضى صدر الدين احمد بن يحيى بن هبة الله المعروف بابن سنى الدولة وكان قد سافر مع القاضى محيى الدين المذكور إلى ملك التاتار ثم رجعا على طريق بعلبك فمرض صدر الدين فاقام بها وتوفى بعد صلاة الجمعة ثامن جمادى الآخرة رحمنا الله واياه وأخبرنى العلاء على بن الشيرازى أنه رآه فى المنام فسأله عن حاله فقال : لما وصلت قيل هاتوا الدرة . اللهم عفوك وعمل عزاؤه بالجامع يوم الثالث عشر من جمادى الآخرة ، ووصل الخبر باستيلاء التاتار على قلاع الصلت ، وعجلون ، وصرخد ، وبصرى والصبية وهدم الجميع ووقعوا على العرب عند زيزى وحسبان فهزموهم وغنموا أولادهم ، ونساءهم ، وأنعامهم شيئا كثيراً واستاقوا الجميع وهرب سلطان البلاد الناصر يوسف بن محمد إلى البرارى فساقوا خلفه فاخذوه وقد بلغ شربة الماء نحو مائة دينار وأتوا به الى نائب التاتار كتبغا فوقفه وأهانه وقرعه ثم أتوا به دمشق مع من قدم من الكرك من الدمشقيين الذين كانوا هربوا اليها قدم بهم القاضى كمال الدين التفليسى بعد مشقة شديدة وجدوها فى الطريق من ترددهم مع التاتار كيما داروا فبقوا فى الطريق من الكرك إلى دمشق نحواً من خمسة وثلاثين يوما ثم وصلوا فى سادس رجب . وسار جماعة من التاتار بالملك الناصر صاحب الشام إلى هولاكو وذلك فى رابع عشر رجب ومعه ابنه العزيز فاقام عندهم إلى أن قتلوه فى سنة تسع وخمسين الآتى ذكرها لما بلغ هولاكو كسرة التاتار الذين كانوا بالشام مع ملكهم كتبغا فضربوا رقبته ، ورقبة أخيه ، والصالح بن شيركوه وغيرهم على مابلغنا . وفى أواخر جمادى الآخرة توفى النجيب بن النحاس نقيب القاضى نجم الدين بن الصدر سنى الدولة ، ثم توفى المهمندار سيف الدين غلام النظام بن المولى .

وفى نصف شعبان أغارت العرب على خيل الجشار (١) التى للتاتار ومن يتعلق بهم فاستاقوها وكانت ترعى بالمرج بتل راهط وما حوله . وخرج التاتار من دمشق وما حولها خلفها ، وكان قد وصل دمشق الأشرف بن المنصور ابن المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادى صاحب حمص كان نزل فى داره وقرىء فرمانه بتسليم نظره فى البلاد فخرج مع التاتار خلف خيل الجشار ثم رجعوا ولم يقعوا عليها .

(١) مرعى الخيول (ز) .

وفى شعبان ضربت رقبة والى قلعة دمشق بدر الدين بن قراجا ، ورقبة النقيب جمال الدين بن الصيرفى الحاكى بالمعسكر وغيرهما . وجاءنا الخبر من مصر فى شهر رمضان بوفاة الحكيم جمال الدين بن الرحبى الطبيب ابن الطبيب وكان دينا خيراً فاضلا فى المعالجة الطبية مصليا جيد العقيدة رحمه الله . وفى خامس رمضان توفى الشيخ محمد المعروف بالأكال . قلت : هو محمد بن خليل بن عبد الوهاب بن بدر البيطار من جبل بنى هلال مولده بقصر حجاج خارج دمشق سنة ستمائة كما ذكر وهو الذى كان يأكل من أطعمة الناس بالاجرة ، وكان يتم له فى ذلك نوادر وعجائب قد ذكرت طرفا منها فى موضع غير هذا . وكان حسن الأخلاق محسنا إلى الفقراء صالحا رحمه الله . وتوفى أيضا النجم بن الوجيه بن البونى . وكان رجـــلا حسنا ، صالحا ، وأبوه شيخ مشهور بالقراءات ، قرأت عليه فى صغرى الجزء الأول من سورة البقرة وكان إمام مقصورة الحنفية التى خلف مقصورة الخضر رحمهما الله . ومات أيضا فى رابع رمضان الشيخ سليمان المغربى المقيم بالكلاسة فى زاوية الشيخ عبد الصمد الدكالى شيخ المغاربة وكانا من أهل الخير رحمهما الله .

ووصل الخبر فى ثامن رمضان باستيلاء التاتار على صيدا من بلاد الفرنج ونهبها وثلاثمائة أسير منها . وفى أواخر شهر رمضان مات الرشيد من بنى الحنبلى ، وجاءنا الخبر من بعلبك بوفاة الشيخ محمد اليونينى شيخ الحنابلة ببعلبك وكان شيخا ضخما واسع الوجه كبير اللحية يلبس على رأسه قبع فرو أسود صوفه إلى الخارج بلا عمامة ونفق على جماعة من الملوك والأمراء وحصل منهم دنيا واسعة ورفاهية عيش وهو الذى صنف أوراقا فيما يتعلق بإسراء النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وأخطأ فيه أنواعا من الخطأ الفاحش ، فصنفت أنا فى الرد عليه كتابا سميته « الواضح الجلى فى الرد على الحنبلى » وكان موته على ما أخبرنى به ولده يوم السبت تاسع عشر رمضان رحمـــه الله . والله تعالى يرحمنا وإياه وسائر المسلمين .

تمام ماجرى فى سنة ثمان وخمسين وستمائة

من ذلك كسرة التاتار خرج عساكر أهل مصر مع من انضوى اليهم من العرب وغيرهم لقصد التاتار الذين بالشام وملكهم يومئذ الملك المظفر قطز بن عبد الله التركى مملوك التركمانى الذى كان قبـــله ملك مصر فاجتمع معه خلق عظيم . ولما كان ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان جاءنا بدمشق الخبر بأن عسكر المسلمين وقع على عسكر التاتار يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان عند عين جالوت وما قاربها من البلاد فهزموهم وقتلوهم وأخذوهم ومعهم ملكهم كتبغا فقتل وأخذ رأسه وأسر ابنه فانهزم تلك الليلة من كان بدمشق من التاتار ايل سبان نائب الملك وأتباعه وتبعهم الناس وأهل الضياع ينهبونهم ويقتلون من ظفروا به منهم ولله الحمد والشكر . وممن قتل بعد المعركة الملك السعيد بن العزيز بن العادل صاحب الصبيبة وبانياس بقى محبوسا بقلاع الشام بعد موت الصالح أيوب وابنـــه توران شاه وكسر الفرنج بالديار المصرية سنين كثيرة وآخرها بقلعة البيرة على الفرات . فلما وصلت التاتار اليها أخرجوه وصار معهم ثم قدم مع مقدمهم كتبغا دمشق وحضر فتح قلعتها وتسلم بلاده فلما قدم العسكر المصرى فى هذه الكرة كان مع التاتار فلما وقعت الكسرة عليهم جاء الى الملك المظفر قطز

وفى ظهر تاريخ الأحد سابع عشرى رمضان ورد كتاب وهو أول كتاب ورد منه إلى أهل دمشق يخبرهم بهذه الكسرة الميمونه وبمواصلة الزحف اليهم بعدها. وفى التاسع والعشرين من رمضان قتل بالجامع الفخر محمد بن يوسف الكنجى وكان من أهل العلم بالفقه والحديث لكنه كان فيه كثرة كلام وميل الى مذهب الرافضة جمع لهم كتبا توافق أغراضهم ويقرب بها إلى الرؤساء منهم فى الدولتين الإسلامية والتاتارية . ثم وافق الشمس القمى فيما فوضه اليه من تخليص أموال الغائبين وغيرهم فانتدب له من تأذى منه والب عليه بعد صلاة الصبح فقتل وبقر بطنه كما قتل أشباهه من أعوان الظلمة مثل : الشمس بن الماسكينى وابن البغيل الذى كان يسخر الدواب ، ومن العجائب أن التاتار كسروا وأهلكوا بأبناء جنسهم من الترك وقلت فى ذلك : ـــ

غلب التاتار على البلاد فجاءهم   من مصر تركى يجود بنفسه
بالشام أهلكهم وبدد شملهم   ولكل شىء آفـــة من جنسه

وجاءنا الخبر بوفاة الأمير حسام الدين بن أبى على بالديار المصرية فى أواخر شعبان من هذه السنة وقد كان النصارى بدمشق قد شمخوا بسبب دولة التاتار وتردد ايل سيان وغيره من كبارهم الى كنائسهم وذهب بعضهم إلى الملك هولاكو وجاء من عنده بفرمان لهم اعتناء بهم وتوصية فى حقهم ودخلوا به البلد من باب توما وصلبانهم مرتفعة وهم ينادون حولهـــا بارتفاع دينهم واتضاع دين الإسلام ، ويرشون الخمر على الناس وبأبواب المساجد فركب المسلمين من ذلك هم عظيم فلما هرب التاتار من دمشق ليلة الأحد السابع والعشرين من رمضان اصبح الناس إلى دور النصارى ينهبونها ويخربون ما استطاعوا منها وكانت النصارى قد عبروا من باب توما قاصدين درب الحجر ووقفوا عند رباط الشيخ أبى البنان ونادوا بشعارهم ورشوا الخمر بباب الرباط وفعلوا مثل ذلك على باب مسجد الحجر الصغير والمسجد الكبير والزموا الناس من دكاكينهم بالقيام للصليب ومن لم يفعل ذلك اخرقوا به وأقاموه غصباً وشقوا به السوق إلى عند القنطرة آخر سويقة كنيسة مريم . فقام بعضهم على الدكان الوسطى من الصف الغربى بين القناطر وخطب وبجل دين النصارى ووضع من دين الإسلام ثم عطفوا من خلف السوق إلى الكنيسة التى أخربها الله بعد ذلك وكان ذلك فى ثانى عشرى رمضان ، وفى الغد صعد المسلمون مع قضاتهم وشهودهم الى ايل سيان بالقلعة فأهانوهم ورفعوا قسيس النصارى عليهم وأخرجوهم من القلعة بالضرب والإهانة وفى غد حضر ايل سيان فى الكنيسة وفى الغد كانت الكسرة واخرب المسلمون من كنيسة اليعاقبة واحرقوا كنيسة مريم حتى بقيت كوماً والحيطان حولها تعمل النار فى أخشابها وقتل منهم جماعة واختفى الباقون وجرى عليهم أمر عظيم اشتفى به بعض الاشتفاء صدور المسلمين وهموا بنهب اليهود فنهب قليل منهم ثم كفوا عنهم لانهم لم يصدر منهم ما صدر من النصارى .

وفى يوم الجمعة ثانى شوال خطب بجامع دمشق الأصيل المسعودى الذى كان خطيبا به أول دولة نجم الدين أيوب ثم عزل بالشيخ عز الدين بن عبد السلام ثم خطب عماد الدين بن خطيب بيت الأبار ، ثم خطب القاضى عماد الدين بن الحرستانى نحو ثلاث عشرة سنة ثم عزل بهذا الأصيل.

وكان له صوت حسن فى الخطابة والقراءة فبقى متوليا للخطابة والإمامة بجامع دمشق الى سلخ شوال مدة شهر واحد ، ثم سافر مع السلطان الملك المظفر الى مصر واعيد منصب الخطابة والإمامة الى القاضى عماد الدين بن الحرستانى الذى كان به من قبل ، وجاءنا الخبر بأن المنهزمين من رجال التاتار ونسائهم لحقهم الطلب من المسلمين بأرض حمص ونحوها فسيبوا ما كان معهم من اسرى المسلمين وتهججت خيولهم فتخففوا مما معهم حتى انهم رموا أولادهم وضربوا رقاب من عجزوا عن حمله من نسائهم وعرجوا نحو طريق الساحل وخطف منهم خلق وقتل ناس وأسر جمع والطلب خلفهم ليستأصلوهم ان شاء الله .

وجاءنا الخبر فى سادس شوال بموت العماد أبى حامد الحسين بن عماد الدين على بن الحافظ بهاء الدين القاسم بن الحافظ الكبير أبى القاسم على بن الحسين المعروف بالحافظ بن عساكر ، وكان قد خرج من دمشق الى مصر أيام الجفلة من التاتار ولما بلغه استقامة الشام وأمنه خرج مع غيره من مصر على طريق الشوبك والكرك فمرض وتوصل الى نحو زرع فمات رحمه الله . وفى رابع عشر رمضان جرت على حكاية من نائب التاتار المذكور واسمه ايل سبان لعنه الله واياهم اهانة وتهديدا بضرب الرقبة على أن وضعت خطى لهم بمبلغ كبير من المال ظلما وقهرا فلم تمض بعد ذلك اليوم الا عشرة أيام حتى كسر التاتار بأرض كنعان بعين جالوت وما والاها كسرة عظيمة مشهورة كسرهم الملك المظفر المذكور كما تقدم وهرب ايل سبان ومن كان بدمشق معهم ليلة جاءهم الخبر وعجب الناس من سرعة هذا الفرج وقيل فى ذلك : —

تفرق جمع الكفر لما تعرضوا	أبا شامة ظلماً وكدر ورده
ارادوا به كيداً وما هيب عاله	فغار له الرحمن اذ هو عبده
فما كان بين الجور منهم وكسرهم	لدى رمضان غير عشر نعده
تحاشى لمفتى الشام يهمل أمره	ويخفض ذو علم ويرفع ضده
له اسوة بالانبياء وصالحى الـ	برية فيه ليس يخلف وعده
يعز علينا ما جرى غير أننا	نسر به حيناً فلا كان فقده

والحمد لله على النصرة عليهم والله المستعان . وفى شهر رمضان توفى الحاج سليم الفقيه كان بالمدرسة الشامية رحمه الله واسمه : سليم بفتح السين وكسر اللام . وفى ثانى ذى القعدة توفى امام المدرسة الحسامية جمال الدين النابلسى أخو الزين خالد المحدث ودفن بالجبل رحمه الله . وفى ثانى عشر ذى القعدة توفى على ابن حديد بن عبيد البلبيسى المصرى الفقيه المقرىء وكان من سكان المدرسة الأمينية وهو من أصحاب الشيخ أبى عمرو بن الحاجب رحمه الله وممن خدمه كثيراً من حين جاء معه من مصر سنة سبع عشرة وستمائة إلى أن توفى وكان رجلا حسنا متنقلا بنفسه صالحا دينا ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله . وفى الحادى والعشرين منه قرىء منشور نجم الدين بن سنى الدولة بولاية القضاء بدمشق . وفى الثامن والعشرين من ذى القعدة توفى الجمال ابو الحرم مكى بن محمد بن المسلم بن أبى الخوف رحمه الله ، وقبله

توفى من أهل حارة الخاطب أيضا القطب ابن الليوانى وكان من مشايخ الفقراء منقطعا بمسجد الحمارة ظريفا لطيفا كريماً رحمه الله . وجاءنا الخبر بوفاة الزكى اللبنى ببعلبك وكان قاضيا بها وكان قبلها تولى القضاء ببانياس ثم ببصرى رحمه الله . ووصل الخبر بأن الملك المظفر قطز الذى ملك مصر والشام وكسر التاتار قتل فى رجوعه من الشام الى مصر قبل دخوله مصر بين الغرابى والصالحية وكان مدة ملكه منذ قبض على ابن استاذه التركمانى إلى أن قتل نحو من سنة واحدة والله تعالى يولى على المسلمين من يهتم بنصرة الإسلام وإقامة شريعة النبى صلى الله عليه وسلم . وكان قطز هذا موصوفا بمواظبة الصلاة والشجاعة وتجنب شرب الخمر رحمه الله . واتفق بين كسره لجيش التاتار وبين قتله قريب مما كان بين قتل المعظم ابن الصالح بن الكامل وكسره الفرنج الذين كانوا بدمياط على ماسبق ذكره فى أخبار سنة ثمان وأربعين هاتين الأعجوبتين المتشابهتين نحو من عشرة سنين إلا أن السابقة كانت فى أوائل سنة ثمان وأربعين وهذه المتأخرة كانت فى أواخر سنة ثمان وخمسين والله تعالى يحسن العاقبة .

وتولى السلطنة بدمشق عقيب ذلك الأمير علم الدين سنجر المعروف بالحلبى التركى وكان قطـــز قد استنابه فيها فلما بلغه قتل قطز استحلف الناس وتسلطن وسكن القلعه . وفى رابع ذى الحجة توفى الشيخ ابراهيم الفارقى أبو صالح وكان شيخا كبيراً صالحا ملازما أكثر أوقاته المجاورة بالزاوية التى فيها الشباك الكمالى بجامع دمشق وهو الشباك الذى اعتاد القضاة الصلاة فيه يوم الجمعة واصله كان من اسعرد وكان يرعى جانبه من جهة السلطان الأشرف بن العادل واخوته وبيتهم ودفن بالجبل رحمه الله . وفى سادس ذى الحجة يوم الجمعة خطب بدمشق لمن تولى السلطنة بالديار المصرية بعد قطز وهو: بيبرس البندقدارى التركى الموصوف بالشجاعة والاقدام ولقب بالملك الظاهر ركن الدين . وذكر بعده الذى تولى دمشق علم الدين سنجر الحلبى ولقب بالملك المجاهد وضربت الدراهم باسمهما . وفى سابع عشر ذى الحجة توفى العفيف بن رحمه شيخ صالح مجاور بالجامع يخيط فيـــه . وهو والد الشرف بن رحمه المشتغل بسماع الحديث ودفن بمقابر الصوفية العليا . صليت عليه إماماً خارج باب النصر وحضرت دفنه . ولما رجعت مررت بدار الحديث الاشرفية فرأيت ما هى عليه من الشعث والخراب صورة ومعنى بسبب قـــلة الاشتغال بها وخراب وقفها فتذكرت ما كانت عليه زمان كنا بها فى سنى نيف وثلاثين وستمائة وشيخها يومئذ شيخنا الفقيه الحافظ تقى الدين عثمان بن الصلاح فقلت بديها مشيراً اليها :ـــ

من بعد ما مات رنطار والتقى بن الصلاح ... هذاك للوقف والشيخ للعلوم الصحاح

رنطار هذا كان يعرف بالحاج رنطار كان الملك الأشرف واقف دار الحديث قد اعتمد عليه فى عمارتها ووقفها والنظر فى ذلك فى خدمة الأثر الشريف النبوى بها وكان رزقها فى أيامه متوفراً. واختل ذلك بموته كما اختل الاشتغال فى الدار المذكورة بعد موت الشيخ بن الصلاح رحمهم الله . ونظير ذلك لأن نجم الدين بن سلام كان ناظر التربة الصلاحية . وكان الجماعة فى أيامه دارة أرزاقهم فلما توفى قال فيها شيخنا علم الدين السخاوى رحمه الله وكان يتولى الاقراء بها يومئذ مخاطبا للجماعة المشتغلين بها :ـــ

والله والله لا أفلحتم أبداً ... من بعد ماقد هوى النجم بن سلام

وكان الأمر على ما ذكر اختل الوقف بعده والله المستعان.

وفى الرابع والعشرين من ذى الحجة توفى المجاهد قايماز الإقبالى أحد معتقى جمال الدولة اقبال صاحب المدرستين بدمشق، وكان هذا المجاهد رجلا ديناً خيراً رحمه الله ودفن بالجبل صليت عليه اماماً بجامع بنى أمية بدمشق وشيعته إلى مقبرة باب الفراديس ثم مضى به الى الجبل. وفى هذا الشهر توفى الحاج على الجمال المعروف بدويخ وكان أحد المقومين فى طريق الحج.

وفى هذه السنة كثر تغير الدول ومتولى الحكم بالشام فكان الشام أول السنة إلى نصف صفر فى مملكة الناصر يوسف بن محمد بن غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى، ثم صار فى مملكة التاتار الى الخامس والعشرين من رمضان، ثم صار فى مملكة المظفر قطز صاحب الديار المصرية إلى أن قتل فى ذى القعدة، ثم صار فى سلطنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى ويفعل الله ما يشاء. وكان القضاء فى أول السنة تولاه الصدر احمد بن سنى الدولة مستقلا به من خمس عشرة سنة إلى أن ولى التاتار كمال الدين محمود بن بندار التفليسى، ثم ولوا محيى الدين يحيى بن الزكى، ثم ولى قطز نجم الدين بن الصدر ابن السنى وابتلى الناس فى هذه السنة بغلاء شديد عام فى جميع الأشياء من المأكول والملبوس وغيرهما. بلغ رطل الخبز درهمين، ورطل اللحم خمسة دراهم، وأوقية القنبريس درهما، والجبن درهما ونصف، والثوم أوقية بدرهم، والعنب رطل بدرهمين، ومن أكثر أسبابه ما أحدثه الشرنح من ضرب الدراهم المعروفة باليافية وكانت كثيرة الغش بلغنى أنه كان فى المائة منها خمسة عشر درهما فضة والباقى نحاس، وكثرت فى البلد كثرة عظيمة، وتحدث فى ابطالها مراراً فبقى كل من عنده شيء حريصا على إخراجه خوفا من بطلانها فتراه يدأب فى شراء أى شيء كان فيتزايد فى السلع بسبب ذلك إلى أن بطلت فى أواخر السنة فعادت تباع كل أربعة منها بدرهم ناصرى مغشوش أيضا بنحو النصف.

سنة ٦٥٩ هـ:

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وستمائة أولها يوم الاثنين لايام خلون من كانون الأول فى أول المحرم جاءنا الخبر بجفلة أهل حلب وما والاها الى دمشق بسبب تجمع التاتار الذين كانوا بحران وغيرها من بلاد الجزيرة، وانضم اليهم من انهزم من وقعة كسرتهم وضعفوا بما كان عندهم من شدة الغلاء بحران وكانت البلاد قد خربت فاضطروا إلى الاغارة على بلاد حلب فانجفل الناس منهم، ثم جاءنا الخبر فى سابع المحرم بانهم كسروا بارض حمص كسرة عظيمة فضربت البشائر بذلك وكانت الكسرة عند قبر خالد بن الوليد رضى الله عنه الى قريب الرستن وذلك يوم الجمعة خامس المحرم وقتل منهم نحو الف رجل ولم يقتل من المسلمين سوى واحد. وفى ثالث عشر المحرم طيف برؤوس طائفة منهم فى أسواق دمشق من القتلى مرفوعة على عصى بأيدى الصبيان يجبى عليها بالفلوس. وفى يوم تاسوعاء توفى الشرف حسن بن الجمال عبد الله بن الحافظ عبد الغنى المقدسى رحمه الله وكان رجلا خيراً، ثم جاءنا الخبر فى نصف المحرم برجوع التاتار ونزولهم على حماة فجفل الناس الى دمشق وقدم صاحب حمص وصاحب حماة فى طلب النجدة واجتماع المسلمين على القتال، ونزل المجاهد الحلبى الذى كان قد تسلطن بدمشق عن السلطنة وانقاد الجميع لسلطنة صاحب مصر لقوته بالمال والرجال ثم ورد الخبر برجوع

التاتار وتخطف صاحب صهيون منهم جماعة وقتل الحشيشية لصاحب سيس لعنه الله ووقع السيف بين التاتار وابن صاحب سيس الله يصدق ذلك ويتم نصر المسلمين . وفى خامس صفر توفى جمال الدين يوسف بن الناصح على بن مرتفع بن افتكين وكان هو وأبوه وأخوه من عدول البلد ويتولون المدرسة السرورية رحمه الله ودفن على أبيه بالجبل . وفى ليلة الأحد ثانى عشر صفر هرب سنجر الحلبى الذى كان تسلطن بدمشق ونزل فى قلعة بعلبك وقبض على أعوان الظلمة الذين كانوا منصوبين لمصادرة الناس. فمنهم : المجاهد سليمان، وغلامه سيف الدين ، والأسعد المسلمانى . ثم قبض عليه من بعلبك وأرسل تحت الحوطة إلى مصر . وفى العشرين من صفر توفى الكمال القزوينى أحد القراء بالتربة الأشرفية وكان شيخا صالحا ومقرئا حسنا رحمه الله تعالى .

وفى الحادى والعشرين درس القاضى نجم الدين بن الصدر بن سنى الدولة بالمدرسة العادلية وعزل الكمال التفليسى عنها وا عتقل بسبب الحياصة الناصرية التى تسلمها التاتار وكانت رهنا بمخزن الأيتام على الدين الذى اقترضه الناصر صاحب دمشق من ورثة عرفة الدنيسرى فبقى الكمال فى الاعتقال خمسة عشر يوما . ثم ألجىء فى السنة الآتية إلى التحول من دمشق الى مصر ففارق ما كان فيه وسكن مصر . وفى يوم الجمعة ثانى شهر ربيع الأول توفى الخطيب زين الدين خطيب حماة رحمه الله وكان له معروف كثير ووقف أوقافا حسنة وكان حسن الخطابة كثير الخير والصدقة . وفى هـذا الشهر تجمع الفرنج وخرجوا على المسلمين وهم تسعمائة فارس فنطارية ، وألف وخمسمائة تركلى ونحو ثلاثة آلاف راجل وأخذ الجميع قتلا وأسراً ولم يفلت منهم سوى واحد وبعض من كان معهم وانضاف اليهم من رجالة تلك الضياع من ضعاف المسلمين فى الدين وأسر جماعة من ملوكهم .

وفى يوم الأثنين ثالث ربيع الآخر توفى ابنى الصغير اسماعيل جعله الله فرطا صالحاً لأبويه ورحمه وإيانا وصليت عليه خارج باب النصر ودفنته تحت أخوته بمقبرة ابن زوزان المجاورة للصوفية وعمره يوم مات سنة واحدة وشهران ونصف شهر . وفى ذلك اليوم توفى الخادم سابق الدين الأشرفى المجاور بالتربة الأشرفية وكان خادما خيراً رحمه الله . وفى عاشر ربيع الآخر توفى التاج السامى المغربى وكان شيخا ذا خير وسكون وحياء مقربا عند الحاكم بدمشق الصدر بن سنى الدولة رحمه الله . وفى الخامس والعشرين من ربيع الآخر توفى الشريف المخلص من بنى أبى الحسن الحسينى التاجر بقيسارية الفرس وكان شيخا كبيراً وأحد عدول القاضى بدمشق رحمه الله . وفى تاسع جمادى الأولى عقد مجلس العزاء بالجامع المعمور بدمشق للسلطان الملك الناصر يوسف بن محمد بن غازى بن يوسف بن أيوب الذى كان سلطان حلب ثم ملك دمشق وأعمالها وهرب من التـاتار وسلم اليهم بلاده ثم سلم نفسه اليهم فأهانوه ومضى إلى ملكهم هولاكو فجاءنا خبره أنه ضرب رقبته مع جماعة لما بلغهم أن العسكر المصرى كسر عسكر التاتار بعين جالوت وقتل ملكهم كتبغا فكأنهم اقتصوا منه رحمـه الله . ومات قبل ذلك بيومين الشجاع بن سنقر شاه الذى كان يتناول وقف يبوس بقرية داعية رحمه الله .

وفى هذه الشهور توفى شهاب الدين الرفيع الشاهد تحت الساعات . وذبح زين القضاة عبد الرحمن ابن سلطان بالجبيل ، ثم ورد الى دمشق أولاد بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وهما صـاحب الجزيرة

يومئذ وصاحب الموصل بعيالهم وأموالهم ومعهم من أهل البلاد من كان له قدرة على السفر لخوف عرض لهم وساروا إلى مصر ثم رجعوا مع سلطانها فى آخر السنة ومضوا إلى بلادهم طاهرين على العدوان ان شاء الله .

وفى تاسع عشر رجب قرىء بدمشق بالمدرسة العادلية كتاب ورد من مصر من السلطان الملك الظاهر بيبرس يتضمن أنه قدم عليهم مصر أبو القاسم احمد بن الظاهر محمد بن الناصر لدين الله أحمد أمير المؤمنين وهو أخو المستنصر بالله الذى بنى المستنصرية ببغداد وانه جمع له الناس من مدينتى مصر والقاهرة من العلماء والأمراء والتجار وأثبت نسبه عند قاضى القضاة بذلك المجلس فلما ثبت بشهادة جماعة من الحاضرين عرفوه انه ولد الظاهر بن الناصر اسجل الحاكم عليه بثبوت ذلك ثم بايع له الناس بعدما بدأ السلطان له بمبايعته ورضوا جميعا بخلافته وأمر بنقش اسمه على الدينار والدرهم وأن يخطب له على المنابر وكان ذلك الاثبات والمبايعة فى رابع ساعة من يوم الاثنين ثالث عشر رجب وسر الناس بذلك سروراً عظيما وشكروا الله على عود الخلافة العباسية بعد ما كان الكفرة التاتار قطعوها بقتل الخليفة المستعصم بن الظاهر وهو ابن أخى هذا الذى بويع بمصر وبسبب تخريب بغداد وقتل أهلها وذلك سنة خمس وخمسين فبقى الناس بغير خليفة نحو أربع سنين ونصف وصورة الكتاب الوارد الى قاضى دمشق هذه المكاتبة الى القاضى نجم الدين يعلمه بما تجدد من أمر يبهج الأمة ويستدعى الرحمة ويأخذ الثار ممن هتك للاسلام حرمه وهو انه ورد علينا الامام أبو القاسم احمد بن الامام الظاهر بن الإمام الناصر سلام الله عليه فى أمر نسبه وأخذ البيعة له لحضر جماعة شهدوا بالاستفاضة انه ولد الإمام الظاهر وثبت ذلك عند قاضى القضاة لدينا ثبوتا شرعياً واسجل عليه بحضور العالم وعند ذلك بسطنا لمبايعته راحتنا واقتفى أثرنا الأمراء والحلقة والناس كافة فى مبايعته والرضى بخلافته وذلك فى رابعة يوم الاثنين ثالث عشر رجب وتقدمنا بأن يخطب له ويتوج مفرق الدينار والدرهم باسمه الشريف ونحن بصدد اهتمام نصرة الإسلام على يديه ، واهداء كرائم الأموال والذخائر اليه فليستند من منصبه الشريف الى إمام صحيح النسب شريف الحسب ويحمل استناد احكامه الى ولايته الصحيحة ومبايعته الصريحة وليعلن هذا الخبر السار فى البادين والحضار

وفى سابع عشر شعبان توفى بحماة الشيخ شرف الدين محمد بن ((١)) الجوبرانى كان مشهورا بالعلم . وفى خامس رمضان توفى الشهاب بن خواجا أخو الضياء المعروف بالجوبرانى أحد فقهاء المدرسة الحسامية وكان رجلا صالحا سليم الصدر به نوع اختلال يسكن فى تربة منقال الجدار قبالة تربة سركس بجبل قاسيون فى قبالة تربة خاتون رحمهم الله تعالى . وفى شوال قتل قطب العالم أخو العز الخلاطى الذى شنق نفسه بالمدرسة العادلية . وفى يوم الاثنين سادس ذى القعدة وصل إلى دمشق العساكر المصرية مع السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى المعروف بالبندقدارى ومعهم الخليفة المستنصر بالله أبو القاسم احمد بن الظاهر بن الناصر واحتفل الناس للقائهما وكان يوما مشهوداً ونزل الظاهر بالقلعة ونزل الخليفة بالتربة الناصرية بجبل قاسيون ، ثم يوم الجمعة عاشر ذى القعدة دخل الخليفة الى جامع دمشق من باب البريد وجاء السلطان من باب الزيارة ودخلا مقصورة الخطيب سبق الخليفة وبعده جاء

---

(١) بياض فى الاصل.

السلطان وحضرا الخطبة والصلاة ثم خرجا بعد الصلاة والناس يدعون لهما بالنصر والإعانة على قمع الكفرة أعداء الدين . وفى ثانى عشر ذى القعدة توفى الزين عمر بن عقيل التنوخى وكان قليل الدين مخلطا اللهم استرنا واغفر لنا . وجاءنا الخبر فى ذى القعدة من الديار المصرية بوفاة الصفى ابراهيم ابن مرزوق التاجر المحظوظ فى التجارة وكان فى زمن الملك الأشرف موسى يدعى بالصاحب وبقى بالشام مدة يتصدق عنه كل يوم بحملة من الخبز .

وفى يوم الخميس الثالث والعشرين من ذى القعدة سافر الخليفة بمن صحبه من العساكر إلى نحو العراق فى طريق البرية ، وسافرت قطعة من العساكر إلى أرض حلب وحران وطائفة ساروا إلى بلاد الفرنج نصر الله المسلمين فاغاروا ثم عادوا ووقع الصلح بينهم . وفى يوم الخميس ثامن ذى الحجة عزل عن قضاء دمشق النجم بن الصدر بن سنى الدولة وتولى القاضى شمس الدين أحمد بن بهاء الدين محمد بن ابراهيم بن أبى بكر بن خلكان الذى كان نائباً فى الحكم بالقاهرة سنين كثيرة وجلس مكان النجم وأبيه بالمدرسة العادلية ثم وكل على النجم وأمره بالسفر إلى الديار المصرية وكان حاكما جائراً ، فاجراً ظالماً متعديا فاستراح منه العباد والبلاد وهو الذى شاع عنه انه أودع كيساً فيه الف دينار فرد بدله كيساً فيه فلوس وذكر ذلك فى القصيدة التى هجى بها لما تولى الحكم ورفعت الى الملك المظفر . والمولى الأمير المجير . وابن وداعة . وفى الجملة تولى الحكم فى زماننا ثلاثة مشهورون بالفسق هذا الظالم . والرفيع الجيلى . وابن الجمال المصرى ، كان نائباً لأبيه وقلت فى حصر القضاة ونوابهم :ـــ

دمشق فى عصرنا مع فضلها بليت من القضاة بجهال وأوقاح

بالعجمين ومصرى وصائغهم والأربلى وخياط وفلاح

هم ضعف ستة والنواب كلهم ضعفان أحزانهم أضعاف أفراح

أى هم اثنا عشر : الزكى . وأخوه ، وابن الحرستانى ، وابنه . والجمال المصرى ، والخوبى . والرفيع والتفليسى ، وبنو سنى الدولة ثلاثة ، وابن خلكان ، والنواب شرف الدين بن زين القضاة ، وابن الشيرازى ، والسراج مدرس القيمازية ، وابن الموصلى ، والشرف الحورانى ، والنجم الحنبلى ، وابن المصرى ، والسنجارى . وملكشاه . وعبد الله . والبكرى ، وقاضى العسكر ، وابن عبد الكافى ، وابن العجمى . واسحاق ، والبدر بن خلكان . وأخوه المحيى . وابنه . وقلت فى نظم الاثنى عشر :ـــ

هم الزكى والحرستانى معا وجمال مصر ثم الخوبى ثم ذو الراح

رفيعهم وبنو السنى ومجيبهم وخلكان مع التفليس يا صاح

ثم سافر الحاكم المعزول إلى مصر تحت الحوطة يوم الخميس خامس عشر ذى الحجة ، والدعاء عليه كثير ، والتظلم منه شائع والدعاوى عليه كثيرة .

وفى الغد يوم الجمعة قرىء بالشباك الكمالى بجامع دمشق وأنا حاضر فيه تقليد القضاء للقـاضى شمس الدين بن خلكان الأربلى ويتضمن أنه فوض اليه الحكم فى جميع بلاد الشام من العريش الى سلمية يستنيب فيها من يريده وفوض اليه النظر فى أوقاف الجامع والمصالح ، والبيمارستان ، والمدارس وغيرهما مما كان تحت يد الحاكم المعزول وفوض اليه تدريس سبع مدارس كانت تحت يد المعزول وهى : العزراوية ، والعادلية ، والناصرية ، والفلكيه ، والركنية ، والاقبالية ، والبهنسية ، وأنشدنى العماد داود بن الخوى لنفسه فى ذلك القاضى المعزول : —

نجم أناد ضياء الشمس فاحترقا ... وراح فى لجج الادبار قد غرقا

ناحت عليه الليالى وهى شامتة ... وعرفته صروف الدهر ما اختلفا

وحدثتـه الأمانى وهى كاذبة ... بأنه لايرى بعـد النعيم شقا

وجاد بالمال كى تبقى رياسـته ... وفتق الشرع والتقوى وما رتقا

فجاءه سهم غرب جل مرسـله ... فمات معنى وما اخطاه من رشقا

وألقيت فى قلوب الناس بغضته ... لكنهم قد غدو فى ذمه فرقا

ففرقة بقبيح الظلم تذكره ... وفرقة حلفت بالله قد فسقا

وفرقة سلبته ثوب عصمتـه ... بانه من رباط الدين قد مرقا

وراح قسراً الى مصر على عجـل ... موافقا للذى من قبله سبقا

مفارقا لنعيم كان منغمساً ... فيـه ولذة يوم بدلت أرقا

وزدت أنا : —

وفرقة وصفته بالخـلاعة مع ... خبث وكبر وكل منهم صدقا

وفى يوم السبت سارت العساكر مع سلطانها الظاهر راجعة إلى مصر ، وجاءنا الخبر من عانة بوصول الخليفة اليها وأنه اتفق مع الخليفة الآخر الذى كان أقامه برلو بمدينة حلب ويلقب بالحاكم ونقش اسمه على الدراهم وخطب له على المنابر فلما قدم صاحب مصر والشام بالعساكر وتوجه الخليفـة إلى العراق تزلزل أمره ووفق بينهما فاصطلح الحاكم المستنصر بسبب أنه الأصغر وذاك الأكبر ووقع الاتفاق وزال الشقاق ولله الحمد . ثم جاءنا الخبر فى آخر السنة خرج عليهم طائفة من التتار وأصحابهم قبـل وصولهم بغداد فقتلوا الخليفة وأكثر من كان معه وجاء الخليفة الأصغر هاربا الى العراق وقدم جماعة منهم دمشق هاربين وأخبروا بما جرى عليهم وممن كان معهم وفقد الكمال بن السنجارى ، وابن العمرى ، وعبد العزيز ابن عبد الملك بن عساكر وغيرهم .

سـنة ٦٦٠ هـ :

ثم دخلت سنة ستين وستمائة ففي يوم الأربعاء ثاني عشر المحرم ذكرت الدرس بالمدرسة الركنية الملاصقة للمدرسة الفلكية . وابتدأت بها درساً من مختصر المزني رحمه الله بحضرة قاضي القضاة وغيره . وفيها : في أوائل صفر توفي البرهان ابراهيم السمرخدي .

وفيها : في ثاني عشر صفر قتل الزين مظفر بن اسماعيل التاجر المعروف بالزين الصـانع صاحب الأملاك بقريتي داعية وحمورية وغيرهما قتل بعد صلاة الجمعة وهو داخل من جبل قاسيون قبل أن يصل إلى مقبرة ابن صاحب قرقيسيا على حافة الساقية المقابلة للزرعة المعروفة بالسميرية . قتله شخص من أهل قرية تل منين متبعه من الجبل وقد عاينه باع شيئاً واستوفى ثمنه ولم تمكنه الفرصة إلا هناك ، ثم مسك القاتل فاقر فشنق بعد يومين بين الميدانين يوم الاثنين ودفن الزين من الغد بجبل قاسيون رحمه الله يوم السبت ثالث عشر صفر .

وفيها : يوم الأحد الثاني والعشرين من صفر . دخل الخليفة الحاكم الذي كان بايعه راو بحلب وأنزل في قلعة دمشق مكرما وذلك بعد الوقعة التي قتل فيها الخليفة المستنصر وكان معه فهرب وسلم ثم سافر الى مصر يوم الخميس السادس والعشرين من صفر . وفي ذلك اليوم توفي عثمان الكيال الأحول الساكن بحضرة حمام الحوين ودفن بباب الصغير .

وفيها : في أواخر ربيع الآخر توفي العز الضرير الأربلي الذي كان يقرىء علوم الأوائل في بيته لمن يتردد اليه من أهل الملك مسلمها ، وكافرها ، ومبتدعها ، من الرافضة . واليهود ، والنصـارى ، والسامرة وكان قليل الدين لكنه كان ذكيا فصيحا حسن المحاضرة والله تعالى يختم لنا بخير آمين . وفي أول جمادى الأولى توفي بمكة التاج أبو الحسن بن زين الأمناء وصلى عليـه بجامع دمشق يوم الجمعة رابع عشر ربيع الخطيب عماد الدين بن الحرستاني عندما صح خبر موته رحمه الله .

وفيها : جاءنا الخبر من مصر بوفاة الشيخ عز الدين أبي محمد عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله وعمل عزاؤه بجامع العقيبة يوم الأثنين الخامس والعشرين من جمادى الاولى سنة ستين وستمائة ، ثم جاء من حضر جنازته وأخبر أن وفاته كانت يوم الاحد عاشر جمادى الأولى أو حادي عشره وكان يوما مشهوداً حضر جنازته الخاص والعام ، ونزل السلطان الظاهر بيبرس وصلى عليه مع الناس بالقرافة ودفن في آخر القرافة مما يلي الجبل من ناحية البركة ، وصلى عليه في جامع دمشق وغيره من الجوامع بالشام يوم الجمعة سلخ جمادى الأولى رحمه الله ، ونادى النصير المؤذن بعد الفراغ من صلاة الجمعة : الصلاة على الفقيـه الامام شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام .

وفيها في حادي عشر جمادى الأولى توفي الجمال عبـد الوهاب بن المصري الاعور وكان قديماً بالمدرسة الجاروخية في حياة شيخنا فخر الدين بن عساكر ثم صحب بني سني الدولة وانتفع بهم وكف بصره في آخر عمره ودفن. وفيها : في رجب من هذه السنة جرى على الشمس محمد بن مؤمن الحنبلي

أمر بتعصب أهل الجبل عليه بأن حمل والى دمشق على صفعه وبحريصه على حمار بدمشق وبالجبل .
وجاءنا الخبر من مصر بوفاة الصاحب كمال الدين عمر بن أبى جراد الحنفى المعروف بابن العديم فى العشرين من جمادى الأولى وصلى عليه بجامع دمشق صلاة الغائب رحمه الله . وكان فاضلا متواضعا ، حسن المحاضرة ، كثير الإفادة . وسود تاريخا لحلب ، وبيض بعضه . وفى تاسع عشر جمادى الأولى توفى الجمال عبد الله بن عبد الملك الحنبلى المعروف بعفان . وفى السادس والعشرين من جمادى الأولى توفى التاج عبد الرحمن بن عبد الباقى بن الخضر الحنفى المعروف بابن النجار ، وكان أحد شهود باب الجامع ، ومدرساً فى بعض مناصب الحنفية رحمه الله . وهو الذى كان عقد نكاحا على مذهبه باذن الصدر بن سنى الدولة الحاكم الشافعى ثم أذن الصدر لنائبه الكمال التفليسى فى نقضه فنقضه وجرى فى ذلك انكار عظيم على الناقض والآذن وصنف فى ذلك تصنيفا فانتصر التفليسى لما حكم به بجمع جزء فنقضه عليه بتصنيف آخر . صليت عليه إماما ظاهر باب الفراديس ، واتفق حينئذ عبور نائب السلطنة بدمشق وأعمالها الحاج علاء الدين طيبرس الوزيرى فترجل وصلى معنا عليه ثم مضى به إلى جبل قاسيون .

وفيها : فى ثانى عشر جمادى الآخرة توفى البدر المراغى الخلافى المعروف بالطويل وكان قليل الدين تاركا للصلاة مغتبطا بما كان فيه من معرفة الجدل والخلاف على اصطلاح المتأخرين رحمنا الله وجميع المسلمين .

وفيها : فى السادس والعشرين من جمادى الآخرة توفى صاحبنا ناصر الدين محمد بن داود بن ياقوت الصارمى ودفن بمقبرة الباب الصغير حضرت دفنه والصلاة عليه ، وكان رجلا صالحا ، عالما مفيداً لطلبة الحديث باذلا كتبه وخطه فى ذلك ، اشتغل بسماع الحديث كثيراً ، وكتب مجلدات وأجزاء كثيرة ، وطباق السماعات المكتوبة بخطه من أحسن الطباق وأنورها وأصحها رحمه الله . وفى ذلك اليوم توفى جمال الدين محمد عبد الخن بن خلف الحنبلى بجبل قاسيون فلم أحضر جنازته لاشتغالى بجنازة ناصر الدين المذكور رحمهما الله . وكان حسن الأخلاق ظريفا يتولى التوريق بالجبل ويورخ الوقائع فى أيامه .

وفى ليلة الأحد سلخ جمادى الآخرة ولد ابن ابنتى حسن بن عبد الرحمن بن محمد البكرى جعله الله مباركا

وجاءنا الخبر من مصر فى رجب بانه شنق قاضى المقيس بها . كان ذلك فى عشية الثلاثاء ثامن عشر جمادى الآخرة من السنة وهو : الكمال خضر بن أبى بكر بن أحمد الكردى أحد أقارب قاضى سنجار وذلك لأنه تعرض لإقامة دولة باجتماعه مع جماعة من الاكراد والشهرزورية فقبض عليه وعلق فى رقبته تواقيع كان كتبها . وبنود من شعار الدولة التى كان قد رام اقامتها . وكان قبل ذلك قد صنع خاتماً وذكر انه وجده وجعل تحت فصه رقعة باسماء جماعة من أولى الثروة بما عندهم مودع ورام استئصال أموالهم والتقرب بها إلى ولاة الأمر فاطلع على محاله فاهين وصفع فقيل فيه :

ماوفى الكمال فى أفعاله	كلا ولا صدق فى أقواله
يقول من أبصره يصر	نادما على ماكان من محاله
قد كان مكتوبا على جبينه	فقلت لا بل كان فى قذاله

وسألت الحاكم شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر عن هذه القضية فاخبرني ان إهدا الكمال خضرا كان قد عاق به حب التقدم عند الملوك بسبب انه كان قد تقدم عند عز الدين ايبك التركماني وهو الملك المعز ثم ابعد ، واتفق انه لما صنع الخاتم المذكور وحبس كان في الحبس شخص آخر يدعى انه من بني العباس ، وكانت الشهرزورية أرادت مبايعته بالخلافة وهيأوا الأمر لها بعده فلما تبددشملهم أخذ هذا وحبس واتفق خضر معه في الحبس على أنه يسعى له في ذاك الأمر ويكون هو وزيره فاتفق موت العباسي فلما خرج خضر سعى في اتمام الأمر لابنه فتم ما تم . قال : وكان من زمن الامام الناصر أحمد قد ورد الى اربل شخص يسمى الأمير القريب كان يدعى انه ولد الناصر ثم توفى سنة اربع عشرة وستمائة فادعى هذا الشخص انه ابنه عند الشهرزورية فقدموه لحبس ومات وخلف ولداً صغيراً فسعى الكمال في المبايعة له فجرى ما جرى ، وقد خاب من افترى .

وفي ثامن رجب توفى الشريف عبد الرحمن بن صدقه وكان من أترابي ورفقائي في تلقن القرآن العظيم عند العفيف الضرير محمود شيخ القاضي الخوبي . وفي المدرسة الأمينية أيام الجمال المصري رحمه وفي ثالث عشر رجب توفى البرهان الخلخالي وكان فقيها مناظراً مقبول الشهادة رحمه الله . وفي رابع عشر رجب توفى الشمس الكردي الاعرج الذي كان يصحب الامير حسام الدين بن علي وكان مدرساً بالكلاسة وغيرها ودفنه حمود تقي الدين بن أبي اليسر بالجبل عند قرابته وجده رحمهم الله .

وجاء الخبر إلى دمشق بالتقاء التاتار لعنهم الله المقيمين على بلاد الموصل بعسكر الامير برلو من المسلمين وجرت بينهم مقتلة عظيمة قتل فيها من أعيان فرسان المسلمين سنجر جكم الاشرفي وابنه ، وبكتوت الحراني وغيرهم .

وفيها : يوم الاثنين الثاني والعشرين من رجب توفى نقيب الأشراف الطالبيين بدمشق وهو : بهاء الدين علي من بني أبي الجن ، وولي بعده النقابة الفخر بن النظام البعلبكي . وفيها : يوم الخميس خامس وعشرين رجب توفى الشيخ عبدالرحمن بن خطيب اربل الذي كان ساكنا بمنارة جامع دمشق الشرقية رحمه الله . وجاءنا الخبر من مصر بوفاة القاضي المسكين بن كامل في نصف رجب . ومن تل السلطان بحلب بوفاة عز الدين ايبك الحيوى عتيق محيي الدين بن المدرس وزير الجزيرة . وكان شابا ذكياً فاضلا حسن الخط وكان يقرأ علي في صغره بمصر شيئا من العربية رحمه الله . وفي هذه السنة نظر في امر أئمة المساجد بدمشق فمنعوا من الاستنابة ورجع على بعضهم بما كان تناوله اذ لم يقم بالوظيفة . منهم التاج المحرور . والجمال الموقاني . وابن بنت غانم . وابن عبدالسلام وغيرهم ونقص كثيراً من جامكياتهم المقررة وكان المتولي لذلك والي الشرطة بدمشق وهو الافتخار اياز . وكان شيخاً كبيراً ولي دمشق في أول هذه السنة ومكن من النظر في المساجد فجرى ما جرى ، وامر اهل الاسواق بالصلاة وعاقب من تخلف عنها . وكان يخدمه شخص من أبناء الحنابلة يعرف بالفخر بن الصيرفي وله مسجد بقبة اللحم له فيه كل شهر ستون درهما وتركه بحاله لم ينقصه من جامكيته مع نقص غيره فقال فيه بعض أئمة المساجد :

يا واليـــا متزهداً متجنبـــاً بتصلف
لم لاتساوى بالمساجد مسجد ابن الصـــيرفى

فاجابه آخر على لسان الوالى لما كان مهتما بمراعاة الحنابلة فقال : —

قال الأمير الحنبـــلى جواب من لم ينصف
أنا مبغض للشـــافعى والمالكـــى والحنفى
فلذاك أقصـــدهم وارعى جانب ابن الصيرفى

وفى شعبان توفى الحاج أبو بكر بن بطيخ التاجر برحبة دمشق . وفى هذه السنة سار عسكر الشام مع من قدم عليهم من عسكر مصر ونزلوا على مدينة أنطاكية فشعثوا منهـــا . ثم جاءهم أمر من مصر بالرحيل عنها فرحلوا ودخلوا دمشق فى سلخ شعبان ، وفى التاسع والعشرين من شعبان توفى النجم ابراهيم ابن الضياء يوسف بن خطيب بيت الأبار وكان من الشهود المتصرفين بدوان السبع رحمه الله .

وفى أول هذه السنة نزل التاتار لعنهم الله الذين كانوا هربوا من الشام مع من انضوى اليهـــم من المفسدين على مدينة الموصل فحصروها إلى شعبان ، ثم جاءنا الخبر بأنهم دخلوا وفتكوا فيها على عادتهم وملكوها وقتلوا وأسروا صاحبها ابن لؤلؤ . وجاءنا الخبر بان الخلف وقع بين التاتار ببلاد العجم وموت ملكهم الأكبر ، وانتصار بركة على هولاكو لعنه الله . وفى النصف من رمضان وقع بدمشق ارجاف عظيم من جهة التاتار وتجهز الناس منها للهرب الى الديار المصرية وباع الامراء حواصلهم حتى حواصل القلعة وتهيئوا للهرب . والزم ولاة الأمر كبراء دمشق بالرحيل بأهاليهم الى مصر ورسموا عليهم بذلك . وضيقوا عليهم بسببه ، وألزموا أرباب الدواوين المتصرفين لهم بارسال نسائهم الى مصر وبقائهم فى خدمتهم فى دمشق سواء فى ذلك القادر والعاجز ، وألزموا جمعاً كبيراً بذلك من أهل الأسواق الذين بالقيسارية الفخرية والخواصين وغيرهما من جماعة من صناع القواسين وغيرهم . وأطلقوا أصحاب القراسين وكل من كان بينه وبين التاتار تعلق وأخرجوهم الى مصر كرهاً . منهم : القاضى التفليسى ، وابن عنتر ، وقيدوا جماعة منهم مثل : ابن اللبودى ، وابن المسلم ، وابن الأردنى وجفل الناس من حمص وحماة وغيرهما الى دمشق ، ورحل من دمشق فى نصف شوال فما بعده قفل كبير الى مصر بعد قفل وأخذ بعضهم فى الطريق وجرح بعض ، وكان الماء عليهم فى الطريق قليلا والحر شديداً . وبلغنا أن مثل هـــذه الإرجاف وقع أيضاً فى بلاد العدو من التاتار ، وفى بلاد الفرنج أيضا . وفى الديار المصرية .

وفيها : توفى جمال الدين الواسطى الساكن بالعزيزية وكان يصلى بها التراويح رحمه الله ، وفى أوائل شوال قتل الشيخ اسكندر الواسطى بقرية زملكا من حرامية نزلوا عليه رحمه الله . وفى شوال أيضاً توفى حميد الأخرس بن أبى الفتح ، وتوفى فيه خميس الخفير الذى كان بمقبرة باب الفراديس . وفى سلخ شوال توفى عز الدين عبد العزيز بن الشيخ شمس الدين يوسف سبط ابن الجوزى الواعظ الحنفى وكان قد درس مكان أبيه بعده بالمدرسة العزيزيه التى فوق الميدان الكبير رحمه الله ودفن فى مقبرة أبويه بجبل قاسيون ، وفى أوائل ذى القعدة توفى العفيف بن الوزار .

وفيها : فى ثالث ذى القعدة وصل من مصر الى دمشق عسكر مقدمه الأمير عز الدين الدمياطى وبكر للدخول الى دمشق فخرج الناس يتلقونه وفيهم الحاج علاء الدين طيبرس الوزيرى نائب السلطنة بدمشق فلما وصل اليه وأهوى أن يكارشه على ما جرت به عادة الملتقين قبض الدمياطى بيده الواحدة عضد طيبرس وبيده الأخرى سيفه وأنزله عن فرسه وأركبه بغلا وشده عليه وقيده ثم تركه بمصلى العيد فلما دخل الليل وكل به وسيره الى مصر وكان القبض عليه عند ذيل عقبة شحورا وهرب من خرج معه من أصحابه ، ثم استخرجت أمواله التى تبقت بعد ماسير منها ما كان سير مع العرب وقبضت حواصله . وكان طيبرس المذكور قد أهلك أهل دمشق باخراجهم من بلدهم والترسيم على الأكابر باخراج عيالهم وبأنفسهم واهاناتهم وضيق على الناس بتمكين العرب من شراء الغلات من دمشق وتخويف الناس من التاتار ، وكان البدوى يجلب الجمل ويبيعه بأضعاف قيمته ويشترى به الغلة رخيصة لأن الناس بين خائف يبيع حاصله ليتجهز به ومحتاج الى الجمال لسفره وبين من هو موكل عليه ليسافر ولابد فهو مضطر الى كل ذلك وبلغ كراء الجمل بالمحارة من دمشق الى مصر نحو مائتى درهم والحمد لله على كشف تلك الشدة .

وفى الخامس من ذى القعدة مات الأمير المعروف بالاصبهانى مخموراً . وفيها يوم السبت السابع والعشرين من ذى القعدة وصل الى دمشق من عسكر التاتار لعنهم الله نحو مائتين مابين فارس وراجل بنسائهم وصغارهم هاربين الى المسلمين . وذكر أن سببه ان عسكر هولاكو كسره عسكر ابن عمه بركة (١) فهرب جماعة هولاكو وتشتتوا فى البلاد فقصد كل طائفة جهة وتوجهت هذه الطائفة إلى بلاد الشام ففرح المسلمون لهذا الخبر وزال عنهم ما كانوا فيه من الغم بسبب الأخبار السابقة التى أوجبت أن جفلوا الى مصر ، وأخبر بعض هؤلاء المنهزمين أن ملك التاتار الأعظم منكوقان توفى وقام بالملك بعده أخوه الأصغر غزى بكو وكان الأخ الاكبر قبلاى غائباً بالهند فانف وقصد أخاه بعسكره فتقابلا ونصر بركة لغزى بكو فكسروا عسكر قبلاى فلما سمع هولاكو عز عليه وكره تملك غزى بكو وجمع العساكر وقصد بركة وسار بركة اليه ونزل فى أرض الكرج ونزل هولاكو بصحراء سلماس وخوى وأخبرنى من أثق به عن من يثق به انه اجتمع ببعض غلمان من كان فى أسر التاتار من الأمراء أنه اخبر بحضرة الأشرف صاحب حمص أنه حضر كسرة بركة لهولاكو وقال : كان جيش بركة قد كسر عسكر هولاكو الذى سيره مع ابنه وقتل ابنه فجمع هولاكو بقية من قدر عليه من عساكر وسار الى بركة فلقيه بناحية شروان فقتل من الفريقين خلق عظيم ووقعت الكسرة على عسكر هولاكو فبقى السيف يعمل فيهم أياما وهرب هولاكو الى قلعة بلا (٢) وهى فى وسط بحيرة باذربيجان فدخلها وقطع الطريق اليها فبقى كالمحبوس فيها .

وفيها : فى ثامن ذى الحجة توفى الأمير سيف الدين بلبان المعروف بالزردكاش الذى كان استنابه طيبرس موضعه بدار العدل وعلى دمشق لما سافر إلى حصار انطاكية وكان ديناً خيرا يحب العدل والصلاح رحمه الله .

---

(١) الملك المغولى المسلم حاكم ماوراء القوقاس وصديق الظاهر بيبرس (ز) .

(٢) لعله تلا (ز) .

وفيها : جاء يوم الثلاثاء ثامن ذى الحجة جماعة من المسلمين أعرف بعضهم معهم شيخ زعموا أنه نصرانى معروف بابيع اللحم بدمشق وانه رأى رؤيا وقد جاء مسلما فاخبرنى أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة جاءه وكان مضطجعاً من أثر مرض فقال له : قم واخرج من الضلالة الى الهدى وسر الى أبى شامة واسلم على يده وأخبره أن الملك الأشرف يعنى صاحب حمص يملك بلاد سيس ويهلك العدو بها ، وان صاحب مصر فى السنة الآتية يهدم عكا ويملكها وتكون انت تخدم مسجد صالح بها ، ثم ارتفع صلى الله عليه وسلم الى نحو السماء وهو فى صورة لا أقدر أصفها ولا أشبهها بالقمر ولا الشمس هى أكمل من ذلك وأتم . فقلت الى أين يارسول الله ؟ قال : أسأل ربى فى الناس نصرهم على الكفرة أوكما قال ، قال : فانتبهت وبقيت فى حيرة من أمرى فلما كان ليلة السبت رأيت مثل ذلك المنام . ثم ليلة الأحد كذلك ثلاث ليال متوالية ثم صممت على الدخول فى الاسلام فسألت عن من يقال له أبو شامة من المسلمين فدلونى عليك . وأمرته بالاسلام فأسلم والحمد لله رب العالمين .

وفيها : توفى البدر احمد بن شرف الدين عمر بن السابق بأرض نابلس رحمه الله . وفى أواخر ذى الحجة توفى العز التاجر المعروف بابن مشرف ويلقب بابن الجرذان . ووجد النظام قيس بن العربينى مقتولا بالصالحية وكان هذا المذكور ذكر عنه أنه قتل زوجة له وغيرها . وهو : أبو سعيد قيس بن عثمان ابن عمرو بن كامل هبة بن على الانصارى وعربين قرية بغوطة دمشق. وقدم الى دمشق واليا عليها من جهة مصر الأمير جمال الدين اقوش المعروف بالنجيبي ورحل علاء الدين التركى الى مصر ، وتولى عز الدين ابن وداعة الوزارة على الدواوين وما يتعلق بها ، وتولى نظر الدواوين شمس الدين بن علان وانعزل عنه شرف الدين بن الوزان وتحرك سعر الغلة فى أواخر هذه السنة . وطابت الأخبار من جهة التتار والحمد لله .

سنة ٦٦١ هـ :

ثم دخلت سنة احدى وستين وستمائة وسلطان الديار المصرية والشامية الملك الظاهر بيبرس الصالحى المعروف بالبندقدارى ولا خليفة للناس يذكر بل السكة تضرب باسم المستنصر بالله على ما كان الأمر عليه . والنائب بدمشق عن السلطنة جمال الدين اقش النجيبي وقاضيها شمس الدين ابن خلكان . وفى خامس المحرم توفى الزين بن أبى طالب الفراش صهر المجد بن سنى الدولة وكان يتولى الدواوين مع الأمراء وغيرهم .

وفيها : يوم الجمعة سادس عشر المحرم خطب بجامع دمشق وسائر الجوامع للخليفة الحاكم أبى العباس احمد بن الحسين بن الحسن من أولاد المسترشد بتوقيع بقلعة القاهرة ومصر فى ثامن المحرم من السنة التى كان سافر الى مصر .

وفيها : جاءنا الخبر بأن صاحب مصر بايع له وأمر بالخطبة له فى البلاد . وفى ليلة الأحد ثالث صفر سمر شاب ذكر أنه كان يرسل زوجته وتدخل فى بيوت النساء فتحسن للمرأة الخروج معها لابسة أنفس ثيابها وحليها وتشوقها بأن تقول لها هاهنا عرس أو وليمة وقد اجتمع فيه جماعة من النساء الاكابر

فلا تترکن من الزينة شيئا ليحصل لك التجمل بينهن فتفعل تلك المغرورة أقصى ماتقدر عليه وتخرج معها فتجىء بها الى بيت زوجها فيأخذ جميع ماعليهـا ثم يخنقها ويرميها فى بئر فى داره فعل ذلك بجماعة من النساء . وهو نظير ما فعله شخص يعرف بالمكحلة فى سنة ثمان وعشرين وستمائة وسمر وبقى أياما ومات. ثم هتكه الله تعالى فاخذ هو وامرأته فضربا فاعترفا . فأما المرأة فخنقت وجعلت فى جولق وعلق الجوالق تحت الخشب الذى سمر عليها . فأصبح الناس يوم الأحد فوجدوا الجولق المعلق والرجل المسمر خارج باب الفرج على يسار الخارج من الباب وكان الزمان فى سـابع عشر كانون الأول وسمر وهو فى ثوب واحد خلق مكشوف الرأس فبقى ليلتين ويوما . وفى اليوم الثانى خنق بطرف الحبـل وربط فى الخشبة التى سمر عليها وكان أبوه حيا وهو رجل حسن يعرف بعلى الصانع له ثروة وقدر بين الناس وجده أيضا حى . وتوفى ذلك اليوم نصر الفراش بالتربة العادلية سقط من سطح فمات رحمه الله . وفى العشرين من صفر توفى أبو الحرم العطار بباب البريد وهو ابن البدر بن مسلم العطار باللبادين .

تمام حوادث سنة احدى وستين وستمائة فيها نظمت قصيدة فى شرح الحال وكنت قد اشتغلت بزراعة ملك لى وعمارته فانقطعت عن المدرسة فعوتبت فقلت :ــ

أيها العـاذل الذى إن تحرى	قال خيراً ونال بالنصح أجرا
لا تلمنى على الفلاحة واعلم	انها من أحل كسب وأثرى
كيف لا ألزم الفلاحة باقى	عمرى لا زال حصـداً وبذرا
وبها صنت ماء وجهى عن الناس	جميعا وعشت فى القوم حرا
اذ بها صار منزلى ذا غلال	مع عيال من بعـد ماكان قفرا
مشبع الأهل والأقارب والا	زام منها فليس يشكون فقرا
ولكم واقف ببـابى يعطى	صدقات من الغل وبرا
كم فقير وكم يتيم وكم	أرمـلة نال من نصيبى وفرا
وكذا الطير والبهـائم ترعى	من زروع ومن ثمار تترى
كل ذا فيـه الأجر جاء	أحاديث بهذا الذى الأئمة تقرا
اتخذ حرفة تعيش بهـا	يا طالب العلم ان للعلم ذكرا
لا تهنـه بالاتكال على الوقـ	ـف فيمضى الزمان ذلا وعسرا
انما تحصـل الوقوف اشريـ	ـر ونذل من العـلوم مبرا
أو لمن يلزم الأكابر لايـ	ـبرح فى خـدمة لهم ومدح وإطرا
طالبا جاههم بجبيا الى كـ	ـل أمور لهم عكوفا مصرا
فترى قاضى القضـاة ومن يذ	كر درسا يرعاه سراً وجهرا

قاصداً قربه فيصغى اليـــه   فاعلا ما يريد نفعـــا وضرا

والضعيف المشغول بالعـــلم يلق   ى ولاة الوقوف هجرا وهجرا

وهو المستحق لو أبصروا الحـ   ـق ولكن عموا فيارب غفرا

انما كانت المدارس عونا   لأولى العلم حسب فى الناس طرا

درست فى زماننـا إذ تولا   ها أولوا الجهل والحماقة قهرا

قربوا شبههم وأقصوا وآذوا   حامل العـــلم أسكنوه قبرا

وتراهم لا يعزنون هـــذا   انهم فى الضلال والغى سكرا

باله منصباً تداوله من   ليس أهلا له دهاء ومكرا

جعلوا موضـــع المفقه والمر   شد من لا يدرى وفى الشر يدرى

وأولوا الأمر المالكون يظنو   ن صوابا فيهم وخيراً وطهرا

فاذا مارأوهم هكذا كا   ن لهم فعلهم على الظلم إغرا

ويظنون كل صـــاحب علم   هكذا فعـــله فيجعل جسرا

فمليك المعاش يا طالب العلم   ولا تترك المعيشـــة كبرا

واقتنع بالذى تسهل واشكر   تجـــد الرزق فاض فيضا ودرا

واترك الوقف اذجرت صورة الام   ر كذا بينهـــم فبئس المجرا

اجتنب فعلهـــم توكل على الحـ   ـى الذى لايموت واسأله سترا

كن أبيـا لما يشين أما تأ   نف من أن يكون عيشك يزرى

اذ يماثل الأوقاف أوساخ الأموا   ل كوقف الزمنى ووقف الاضرا

والمساكين واليتامى فكل   صدقات منها اللبيب تبرا

لايرى أنه يشارك ذى الأصـ   ـناف فيها يعيش عيشا مرا

لجنها مع أنه مستحق الـ   ـوقف مايستقل منه ويكرى

ودع العجز يا أبى اذا أنـ   ـصفت فى الفكر لم تجد لك عذرا

لاتزاحم ولا تكاثر بما تأخـذ   منه فقـــد عرفت الأمرا

وان احتجت خذ كفافاً بكره   وبعزم أن لايدوم العمرا

كان من قبلنا أئمة هذا الد   ين والوقف بعد ذاك استقرا

لم يكن ذاك مانعا طالب العلـ من العلم فاقف ذاك الأثرا
معطيا كن ودع من الوقف اخذا إن يد الإعطاء اعلى وارفع قدرا
صدقات الوقوف ينفر منها كل حر تأتيه صفواً ويسرا
كيف حال الذى يذل لهـا بالقول والفعل كى يحصل نزرا
دائباً فى التردد آت صفيق الـ ـوجه عند اللقاء شيئاً أمرا
ذاهب العمر فى النفاق وفى الـ خدمة لا يالى ذهابا ومرا
بائعاً دينه بدنيا غيره لقد خاب بائع الدين خسرا
لا حياء له ويطلب ما ليس يحق له لقد جاء نكرا
فلهذا اعتزلت يا رب تمم ما به قد منتت انك أدرى
ثم لو لم يكن تصدق بالوقـ ـف لقد كان البعد عنه أحرى
حين قد صار الأخذ منه يسمى منصباً فيهم يباع ويشرى
فتعاطاه صاحب المال والجاه فنال المقصود منه وضرا
وأقاموه فى المواريث حتى أخذوه ارثاً صغاراً وكبرا
وغدا المستحق حيران ندما ن من الغبن ينظر العيش شزرا
نبت الله بعضهم بغنى النفـ ـس فلم يكترث وقد عاش دهرا
حب هذه الدنيا أصم وأعمى أخذ الوقف أغنياء وأغرى
وأولو اللب والعقول يرون الـ أخذ منه مع الغنى عين إزرا
والفقير الحريص منهم مكد وكذا من يسالها مع الإثرا
غير أن الفقير يعذر فيها والغنى الغبي يزرى ويذرى
عجباً من مدرسين قضاة يتبارون فى اللباس بطرا
وهم فى نفوسهم فى عظيم يركبون البغال عزاً وزهرا
حق كل منهم يكون حزيناً ان أجاد المعنى واحسن فكرا
ابدا ذا يعيش بصدقات الـ ـناس باسم الوقف لا يتبرا
وعليه من الشروط تكاليف فان لم يقم بها فهو أدرى
كم رأينا مدرسا ومولى حقه أن يكون منه معرا
ضحكة للورى المدرس والحا كم تلقى وليس يحسن يقرا

يالها وصمة على أهل ذا الـ مصر يكفيك ما رأيناه خبرا
ان منهم من كان يلثغ بالقاف ومنهم من كان يلثغ بالراء
وهما من أماثل القوم فاعجب واعتبر وانشر الغرائب نشرا
والذى ألبس الغباء ذا الكـ نة والظـالم المردى المهرا
والذى كاتب التاتار ومن سار اليهم قصداً فاثنى وأطرا
والذى قد أتى الفواحش واستكبر فاسأل ماذا جرى إذا تجرى
والذى ميـله إلى نظم دو بيت وتقريب من يذاكر شعرا
وله فى أكل الحشيشة رأى وافق الفرع فيه ليلا وفجرا
ولديه أبو الفوارس مهتر بما رمى الشباب عجبا وسكرا
فتولى المنـاصب والأشياخ قـد عطلوا فيشكون صغرا
ورعاد العدل الرضى حاضرا مجلس الاثبات شاهدا مستمرا
قائلا ذا اثنى عليه بنو عا ان والأقربون أولاد صصرا
فيل لا تعتمد عليهم لهم أغ راض سوء زوراً وبهتا ووزرا
عد واسأل سواهم تعرف الحـ ـق فاذ أعذرتنى نلت إصرا
انت فى حق غيره واقف ان كنت بالشام أو تفارق مصرا
عجبـاً ما تراك به توقف لقد بث أمره منك سراً
كلما قلت دولة الحاكم الجائر زالت قامت علينا أخرى
وتصدوا لأكل الأوقاف حتى ذمهم عارفوه نظما ونثرا
فـلذا صارت المعيشة أولى بأولى العلم والصلاح وأحرى
ولقد كنت قبلها من غنى النفس مليـا فالحـمد لله شكراً
بيـد انى أنفت من صدقات الفقه شبهتها بوقف الاسرى
وتأنفت من مزاحمة النـد ل عليها يرى الوقاحة فخرا
فتمنيت مـنذ زمان أرى رزقى عنهـا بمعزل فاستدرا
بارك الله فى المعـاش كما شاء له الحمد إذ بدا واستمرا
فأنا اليوم أنزه القوم نفساً بخلاصى منهم واروح سرا

حسدتني جماعة قال منهم ... قائل ذا ومن أين أثرى
وبحهم ربنا هو الرزاق ... يعطي قلا ويعطي كثيرا
عنده الملتقى فيا خجلة الـ ... ـمغتاب والمفترى الذي هو أجرى
مايبالى ماذا يقول سنجزى ... فى غد حين يحشر الناس حشرا
ولئن قلت الأصل كان من الوقف فما ضر ذا ولا بى أزرى
سيما كان انما اتجه اللوم ... على من على الوقوف أصرى
كسلا غير عاجز عن معاش ... فهو كل على الورى ليس يبرى
صانني الله عن مزاحمة ... القوم على منصب فيارب صبرا
يارب سلم فيما تبقى ولا تحوج ... إلى من يستعبد الناس قسرا
فتراهم لأجل حاجتهم بين ... يديه فى قضية الذل اسرا
أقرب الناس عنده ذو نفاق ... حين يسقيه من محال الا طرا
من يخالف يقصى ومن وافق ... القوم يكن منهم فحسبك شرا
جملة الأمر ذا وكم قد سترنا ... وشرحنا مما ذكرناه صدرا
كل من كان منصفا عرف الحـق فقد شاع الأمر برا وبحرا
عد أبياتها هنيدة عمرة ... باعدادها وطولت عمرا
وأرى انها ستزاد عشرا ... فى أمور جرت وعشرا وعشرا

وفى أول صفر من سنة احدى وستين وستمائة توفى بديار مصر شرف الدين محمد بن أحمد بن عنتر الدمشقى الذى كان محتسبا بدمشق فى أيام التتار . وهو وأبوه من أولى الثروة بدمشق ومن المعدلين فيها رحمه الله . وفى ثانى ربيع الآخر توفى البرهان الطويل المتصرف فى الدواوين كان عاملا بديوان الجامع تارة ، وبالحشرية أخرى ، وبديوان المدارس الحدث فى الأيام المعظمية وبعدها رحمه الله . وفى الرابع والعشرين منه توفى النجم الكحال بن الصفى العبادى فجأة . كان أبوه مقرئا حسنا ضريرا وتعلم هو وأخوه قبله صناعة الكحالة فبرعا فيها وتوفى أخوه قديما فبقى هو كحالا بالبلادين ثم بالبيمارستان وفى رابع جمادى الأولى توفى عبد العزيز المغربى إمام مسجد الجورة بالعقيبة رحمه الله . وفى الرابع والعشرين منه توفى العدل جمال الدين بن القلانسى بن أخى المؤيد رحمه الله . وقبله توفى الجمال الأشارى الساكن بالجامع بالمنارة الغربية الحنبلى له سماعات كثيرة من عبد القادر الرهاوى وغيره ، وهو الذى كان يصلى بالمتأخرين صلاة الصبح بالجامع فيطيل بهم اطالة مفرطة خارجة عن المعتاد بكثير الى أن يكاد تطلع الشمس وهو فى تطويله لا يتركه كل يوم رحمه الله . وفى سابع رجب توفى العالم المغربى

النحوى وكان معمراً مشتغلا بأنواع العلوم على خلل فى ذهنه ، واسمه : أبو محمد القاسم بن أحمد بن السداد اللورقى هكذا رأيت نسبه بخط مشايخه الذين قرأ عليهم بالمغرب بن الحصار وغيره ، وكان هو لا يكتب ابن أبى السداد ويجعل مكانه الموفق وكان ابا السداد كنيته الموفق ولورقة بليدة من أعمال مرسية ودفن من الغد فى مقابر باب توما قريباً من قبر الشيخ رسلان رحمه الله .

وفى سادس عشر رجب توفى العماد مظفر بن البهاء على بن الحسن من بنى سنى الدولة وهو ابن عم الصدر احمد بن يحيى القاضى وكان من عدوله رحمه الله . وفى السابع والعشرين من رجب توفى الشهاب ابن الضياء الكاتب للشروط بباب الجامع الشرقى ويعرف باجير البهاء لأنه كان يخرج فى كتابة الشروط بالشريف بهاء الدين عبد القادر بن عقيل العباسى كاتب الحكم للزكى الطاهر وبعده الى أن مات وكان فريد وقته فى ذلك فرع هذا الأجير حتى كان الفقيه عز الدين بن عبد السلام يفضله على كتاب عصره ونفقت سوقه رحمه . وفى ثالث عشر شعبان توفى الشيخ الياس الأربلى الذى كان يكون مقيما بالجامع فى رواق الحنابلة . ثم سكن جبل قاسيون وبه توفى ودفن رحمه الله . وفى تاسع عشرين شعبان توفى الأمير مجير الدين خوشترين الكردى وكان من أمراء مصر وحضر كسرة التاتار لعنهم الله بعين جالوت مع المظفر قطز رحمه الله وغزا يومئذ حتى فتح الله على المسلمين ودفن بالجبل وأبوه مات محبوسا مع عماد الدين بن المشطوب فى بلاد الأشرف الشرقية . وفى خامس عشر رمضان توفى العفيف الحنفى زوج الذهبية بنت الدميرى جارتنا رحمه الله وتزوجت بعده علاء الدين احمد بن القاضى محيى الدين بن الزكى وفى السابع والعشرين من شهر رمضان ولد لى مولود ذكر سميته محمودا وكنيته أبا القاسم بكنية نور الدين ابن زنكى الملك العادل رحمه الله وباسمه ولقبه جعله الله مباركا صالحا عفيفا تقيا كما كان سميه رحمه الله ، وكانت ولادته فى الساعة السادسة من يوم السبت السابع والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وستين وستمائة بدار العطافية غربى المدرسة العادلية وذلك اليوم كان فى شهر آب نحو أربعة أيام وهو زمان البطيخ الاصفر . وكسفت الشمس فى غد ذلك اليوم بعد العصر من يوم الأحد الثامن والعشرين من رمضان . وفى خامس شوال توفى الفخر أحمد بن ابراهيم الحنفى أحد مدرسى الحنفية من الشيوخ وكان أحد الشهود تحت الساعات ودفن من الغد رحمه الله . وفى سابع شوال توفى الشرف يحيى بن المغربى الحاج الدقاق فى الحنطة خان أخى محمد رحمه الله مات لجأة وكان قد عزم على وقف أملاكه على زاوية المغاربة ففاجأه الموت بغتة . ومن العجائب أن بعض معارفه مات قبله لجأة فجاءنى وقال أريد تعجيل وقفى لملكى خوفا من أن أموت لجأة كما مات فلان ثم أخر فمات لجأة كما ظنه وبالله التوفيق وفى سادس عشر شوال نظمت هذه الأبيات :ــ

ايا لائمى مالى سوى البيت موضع	أرى فيه عزاً أنه لى أنفع
فراشى ونطعى فروتى فرجيتى	لحالى وأكلى ما يسد ويشبع
ومركوبى الآن الآتان ونجابها	لأخلاق أهل الدين والعلم اتبع
وقد يسر الله الكريم بفضله	غنى النفس مع شىء به أتقنع

أوفره للأهل خوفا براهم ... عدو بعيش ضيق فيشنع

واصبر فى نفسى على ما ينوبنى ... وأطلب عفو الله فالعفو أوسع

ومادمت أرضى باليسير فاننى ... غنى لغير الله ما كنت اخضع

وربى قد آتانى الصبر والغنى ... عن الناس فى هذا الى العز أجمع

وقد مر من عمرى ثلاث أعدها ... وستون فى روض من اللطف أرتع

ووجهى من ذل التبذل مقتر ... مقل ومن عز القناعة موسع

ومن حسن ظنى ان ذا يستمر لى ... إلى الموت ان الله يعطى ويمنع

وانى لا الجأ إلى غير بابه ... فأبقى كما قد قيل والقول يسمع

(نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع)

فطوبى لعبد آثر الله ربه ... وجاد بدنياه لما يتوقع

وفى ذى القعدة توفى الشيخ الصالح صلاح الدين أبو زيد الدينورى صاحب الشيخ عز الدين الدينورى وهو الذى بنى له زاوية بسفح جبل قاسيون غربى الجامع المظفرى وصار جماعة يذكرون الله عقيب صلاة الصبح بأصوات حسنة . ثم مات عز الدين وبقى الشيخ الصلاح يقوم بهذه الوظيفة بت عنده ليلة فى الزاوية المذكورة رحمه الله . وكنت قد نظمت قبل ذلك أبياتا فى هذا المعنى وهى : —

صان ربى عن التبذل على ... فله الحمد بكرة وأصيلا

لم يشن بالسؤال وجهى بل ... بارك فيما أعطى فكان جزيلا

وغنى النفس والقناعة كنـ ... ـزان فكانا لما ذكرت دليلا

كم رأينا من عالم عز بالعلم ... واضحى بالحرص منه ذليلا

احفظ الله وابذل الفضل ... تغنم من غنى النفس عزة وقبولا

وتعرف اليه يعرفك فى الشدة ... فاتبع فيما يقول الرسولا

يفعل الله ما يشاء فلا تسخط ... وكن راضيا زمنا قليلا

كل ما قد قضاه خير لمن ... آمن فاصبر عليه صبراً جميلا

وعد الصابرين خيراً فأيقن ... انه كان وعده مفعولا

وفيها : فى ثانى عشرين ذى الحجة توفى العز بن النشو الشاهد تحت الساعات ، وفى الغد الثالث والعشرين توفى الشهاب تمام بن الجبوبى التاجر بالخواصين رحمهما الله . وجاءنا الخبر من ديار مصر بأنه مات فى هذه السنة بهاء الدين الضرير صهر الشيخ الشاطبى رحمهما الله ، وشرف الدين بن السيسى يحيى بن فضل الله أمام المدرسة الصالحية رحمه الله وكان من أصحاب شيخنا أبى الحسن السخاوى رحمه

الله بدمشق . وهو أول من أم بدار الحديث الأشرفية فى زماننا ثم انتقل الى القاهرة فأقام بالمدرسة الصالحية النجمية وكان عنده تعصب وكرم وله مراءة حسنة .

سنة ٦٦٢ ه :

ثم دخلت سنة اثنتين وستين وستمائة فى سابع المحرم توفى التقى أبو بكر البغدادى المقرىء الساكن بالمدرسة العادلية رحمه الله . وفى تاسع عشره توفى الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزى من غلمان العزيز بن الظاهر بن صلاح الدين . وكان له أثر مذكور فى كسرة التاتار خذلهم الله تعالى على أرض حمص المتقدم ذكرها . وفى عاشر صفر توفى بحمص الملك الأشرف بن المنصور ابن المجاهد شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شادى وهم ملوك حمص وأعمالها كابراً عن كابر رحمه الله . وكان شابا عفيفا عما يقع فيه غيره من الشراب وله فى كسرة التاتار الثانية على حمص أثر جليل وقبله بقليل توفى الزين خضر المعروف بالمسخرة كان من ندماء الأشرف موسى بن العادل وجاءنا الخبر بوفاة الكمال عريف الصاغة ، والضياء النابلسى بمصر . وكان مولد النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاثنين ثانى عشر ربيع الأول على قول الأكثرين فاتفق فى هذه السنة أن كانت ليلة الثانى عشر من ربيع الأول هى ليلة الاثنين . وفى ذلك اليوم توفى النجم أحمد القرائين بزى الجنائز وكان يؤذن بالمئذنة الغربية من جامع دمشق وهو شيخ كبير رحمه الله . وفى يوم الجمعة سابع ربيع الآخر صلى بالجامع عقيب صلاة الجمعة صلاة الميت الغائب بالنية على ضياء الدين على بن محمد المعروف بابن البالسى أحد كتاب الحكم المعدلين تحت الساعات وكان له اشتغال باستماع الحديث وكتابته ، ثم سافر الى مصر متحملا لشهادة فتوفى بها رحمه الله تعالى ليلة السبت رابع صفر ودفن خارج باب النصر شرقى القاهرة

وفى هذه الأشهر توفى بصرخد سيف الدين الرومى (؟) الذى ملكه بقربه بقربه رحمه الله . وكان شابا حسنا شجاعا . وفى حادى عشر ربيع الآخر توفى الشريف بن الطورى الملقب بالجمال الذى كان نقيب القاضى الخوبى . وفى ثانى جمادى الأولى توفى بمصر الرشيد العطار المحدث رحمه الله . وفى عاشر جمادى الأولى توفى الحاج نصر بن بردس التاجر بقيسارية الفرش وكان رجلا موسراً ملازما للصلاة بالجامع من أهل الخير رحمه الله ودفن بالجبل . وفى ثالث عشر جمادى الأولى توفيت الشيخة الصالحة عابدة المقيمة برباط زهرا خاتون وكانت امرأة عذراء متعبدة عمياء مشهورة بالخير والصلاح رحمها الله . وفى خامس عشر توفى الحاج محمد بن الحاج مسعود الذهبى رحمه الله .

وفيها : بعد صلاة الصبح من يوم الأحد التاسع والعشرين من جمادى الأولى توفى القاضى الخطيب عماد الدين عبد الكريم بن القاضى جمال الدين عبد الصمد بن محمد المعروف بابن الحرستانى رحمه الله . وكان من أهل بيت قضاء ، وعلم ، وصلاح تولى قاضى القضاة فى الأيام الأشرفية ، وناب فى القضاء عن أبيه فى الأيام العادليـة ، وعن شمس الدين احمد بن الخليل الخوبى عام حجه ، ثم تولى الخطابة بجامع دمشق ، وتدريس الزاوية الغربية ، ومشيخة دار الحديث الأشرفية ، واستمر ذلك له من الأيام الصالحية النجمية وقبلها إلى أن توفى بدار الخطابة ودفن فى مقابر الجبل قريبا من أبيه وأهله وصلى عليه

بجامع دمشق قاضى القضاة بدمشق ابن خلكان وصليت أنا عليه إماما ظاهر البلد تحت القلعة خارج باب الفرج . وكان يوما مشهودا حضر جنازته خلق كثير وانتشروا فى تلك الصحراء الواسعة رحمه الله .
وتوليت مكانه بدار الحديث الأشرفية وحضر عندى فيها أول يوم ذكرت الدرس فيها قاضى القضاة وأعيان البلد من المدرسين والمحدثين وغيرهم . وذكرت من أول تصنيفى فى كتاب « المبعث » الخطبة والحديث ، والكلام على سنده وفقه مع زيادات على ذلك من مكان آخر . وكان بحمد الله تعالى وحوله وقوته مجلسا جليلا عليه سكون واخبات وجلالة وانصات من الحاضرين . ووقار من المستمعين . وعمل فى ذلك بعض الأدباء أبياتا منها :

العلم والمعلوم قـد أدركته ❊ وسماعك البحر المحيط لحادث
وبحثت فى دار الحديث بمعجز ❊ وابان له عنك افتتاح المبعث
مكثت به الألباب طائعة الندا ❊ والحسن من طرب به لم يمكث

وفى رجب توفى نور الدولة بن دحيرجان المنادى على الأشياء الضائعة ، وكان قصيراً ظريفاً هو وأبوه من قبله ودارهم بالمطرزين خارج حصن جيرون معروفة بهم رحمه الله . وفى ثانى عشر رجب توفى العفيف بن أبى الفوارس وكان شابا حسنا تولى عمالة الجامع ، وعمالة مخزن الإمام جمعا له لحذقه بهذه الصناعة كما قيل رحمه الله . ودفن بالتربة التى أنشأها والده جوار الخانقاه الشبلية بسفح جبل قاسيون وكان أبوه قد أعد القبر لنفسه فدفنه فيه وهو المذكور فى قصيدة الملاحة الرائية . وقبله بيوم فى حادى عشر رجب توفى الأثير عبد الكريم بن ضياء الدين الحسين بن القاضى الأشرف احمد بن القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على رحمه الله بقرية البلاط ملك جـده وأهله وحمل منها فدفن بجبل قاسيون وصلى عليه بعد صلاة الجمعة بجامع العقيبة المعروف بجامع التوبة ، وهو أصغر أولاد الضياء وهم أربعة غريبون عن الفضل خلاف ما كان عليه سلفهم . ثم توفى أخوه صدر الدين عبد الله فى سلخ ذى القعدة من سنة اثنتين وستين وستمائة .

وفى الخامس والعشرين من رجب توفى الحكيم شمس الدين المعروف بطراز الشام الطبيب رحمه الله وفى حادى عشر شعبان توفى الزين يحيى بن بكران الجزرى أحد المعدلين بدمشق وكان قبل ذلك تاجرا وتولى ديوان الحشر وغيره . وكان طلق المحيا ، ظريف الحركات ودوداً رحمه الله ودفن بباب الصغير وعمه هو المعز الجزرى وكان شيخاً يسكن برأس درب التمارين فى الصف الشامى من سوق العطارين الذى يلى قنطرة الحبالين . وكان يعلق الرماح وغيرها من آلات الحرب بعرقه فوق رأس الدرب المذكور وكان إذا قدمت العساكر مع السلطان فى زمن العادل أبى بكر بن أيوب ومن بعده ، أو قدمت الرسل من بغداد يتلقاهم مع الناس فوق رأسه مصحف كريم فى كيسه يحمله وهو راكب ومات سنة (١)
وفى العشرين من شعبان توفى المحيى بن سراقة مغربى ، عالم ، دين ، متواضع ، كريم ، حسن المحاضرة ، كان نزل بحلب ثم عبر علينا بدمشق إلى مصر فتولى دار الحديث الكاملية بالقاهرة مع الزكى عبد العظيم وماتا رحمهما الله بعد ابن دحية .

---

(١) بياض بالأصل

وفيها : فى التاسع والعشرين من شعبان توفى تاج الدين أيوب بن فخر الدين محمود بن عبد اللطيف ابن سيما وكان أحد الشيوخ المعدلين بدمشق من أهل البيوتات بها وأبوه كان محتسب دمشق مدة ودفن على والده بالجبل وكان موته ببستانه عند طاحونة مقرى رحمه الله . وفى ثانى شهر رمضان توفى بقرية كفر بطنا الشرف النميرى المقيم بتربة قاضى كفر بطنا وكان يلقب نفسه زعيم غير . كان يكون عندنا بالمدرسة الأمينية ثم بالمدرسة الحسامية . وكان ينظم الشعر على طريقة المغرب رحمه الله . وفى يوم الجمعة ثامن شهر رمضان صلى خطيب جامع دمشق بالناس عقيب صلاة الجمعة صلاة الجنازة على الشيخ محمد المعروف بالقبارى شيخ مشهور بالزهد والورع بالاسكندرية كان يكون فى غيط له وهو البستان وهو فلاحه يخدمه بنفسه ويأكل من ثماره وزرعه ويتورع فى تحصيل بذره حتى بلغنى أنه كان إذا رأى ثمرة ساقطة فيه تحت أشجاره ولا يشاهد سقوطها من شجره يتورع من أكلها خوفا من أن تكون من شجر غيره قد حملها طائر فسقطت منه فى غيطه رحمه الله . كنت اجتمعت به فى آخر سنة ثمان وعشرين وستمائة مع جماعة صادفناه وهو يسقى فى جرار ماء من الخليج على حمار له يسقى به غيطه . وكان الماء فى الخليج حينئذ قليلا فاجلسنا إلى أن تم عمله ثم قدم لنا من ثمر غيطه وكذا كانت عادته مع كل من يزوره من الملوك وغيرهم . وأخبرنى القاضى عبد المجيد بن الخليل أن موته كان فى سادس شعبان وأن الأثاث الخاص عنه لو كان لغيره قيمته نحو خمسين درهما فبيع بنحو عشرين ألف درهم تزايد الناس فيه رجاء البركة حتى فى الابريق الذى كان يتوضؤ فيه .

وفى يوم الجمعة خامس عشر شهر رمضان صلى خطيب جامع دمشق عقيب صلاة الجمعة صلاة الجنازة على الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن شيخ الشيوخ بحماة ومات بها رحمه الله . وكان شيخا فاضلا حسن الصورة والمحاضرة وله نظم حسن فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم وغيره . وقرأ على الشيخ أبى اليمن الكندى وسمع عليه وعلى بن كليب سمع عليه جزء ابن عرفة مراراً وكانت وفاته ليلة الجمعة ثامن شهر رمضان من سنة اثنتين وستين وستمائة رحمه الله . وفى الثامن والعشرين من شهر رمضان توفى محيي الدين عبد الله بن صفى الدين ابراهيم بن مرزوق بداره بدمشق المجاورة المدرسة النورية رحمه الله وفى ثالث شوال توفى النظام النصيبى وكان من أهل القرآن والفقه ومن المعدلين بدمشق وهو ابن اخت الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة رحمهما الله . وفى أواخر رمضان ظهر فى الشرق كوكب ذو ذنب فى الأفق نحو الغرب فى منزلة الهنعة وكان الفجر ومنه يطلع ثم الذراع والنثرة وبقى يطلع كل يوم قبل الفجر خلف النجم المعروف بكوكب الصبح ثم صار يتقدم كل يوم قليلا إلى أن صار يبدو مرتفعا عن كوكب الصبح وبقى ضوء ذنبه ظاهرا ولم يتغير موضعه من منزلة الهنعة بعدد منها إلى جهة المشرق نحو رمح طويل وبقى ظاهراً ثم يرتفع بارتفاعها ، ويسرى لسيرها ثم يقرب من منزلة الهنعة ثم بقى فى أوائل ذى القعدة إلى تغلب عليه ضوء الصباح فيغيب . وكان يظهر له قبل بروزه شعاع كثير فى جو السماء . وظهر أيضا من قبل المغرب بثمان بعد العشاء الآخرة من ليال عدة فى أواخر رمضان وأوائل شوال خطوط معتدلة كهيئة الأصابع مرتفعة فى جو السماء واحمرت الشمس فى آخر الرابع من شوال قريب مغيبها وذهب ضوءها بحيث توهم كثير من الناس انها كسفت وغربت وهى كذلك ، ولما كان عند العشاء

الآخرة أصاب القمر مثل ذلك ليلة الخامس من شوال بحيث توهم أنه كسف . وجاءنا الخبر من مصر بموت العز السركسي رحمه الله ، والفخر المصري في يوم واحد ، وتوفي في الحادي والعشرين من شوال الشمس النابلسي جابي المدرسة الحسامية والشامية . وجاءنا الخبر من حلب بموت قاضيها كمال الدين أحمد بن القاضي زين الدين بن الأستاذ وكان تولى قضاءها بعد أبيه فبقي على ذلك إلى أن أخذ التاتار حلب فنكب مع من نكب وجاء بأهله إلى دمشق وخرج إلى مصر فبقي فيها إلى هذه السنة فرجع إلى حلب فتوفي بها رحمه الله في خامس عشر شوال وكان فاضلا وابن فاضل وجده من الصالحين وجمع كتابا في شرح الوسيط كان تعب فيه أبوه من قبل .

وجاءنا الخبر انه وصل إلى ديار مصر رسل الملك بركة يوم الأحد سادس ذي القعدة ومعهم الأشرف بن الملك المظفر شهاب الدين غازي بن العادل صاحب ميافارقين بما يسر الإسلام وأهله . وفي رابع عشر ذي القعدة توفي بدمشق الشيخ أبو الخير صاحب الشيخ علي رحمه الله . والشيخ شعيب الساكن بالجبل معرفة بني سني الدولة رحمه الله . وجاءنا الخبر من مصر بوفاة الفخر المصري عثمان المعروف بعين عين رحمنا الله وإياه ، ثم توفي بدمشق الجمال بن بدر بن نحلة . وفي السابع والعشرين من ذي القعدة توفي الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي البكري المراكشي والد علي وعبد الرحمن جد حسن رحمه الله ودفن بالصوفية . وجاءنا الخبر بوفاة جمال الدين علال بن حجاج وكان ينوب في الحكم مدة سنين بالأعمال الحلبية وغيرها رحمه الله . وفي يوم السبت ثالث ذي الحجة توفي من أهل دار الحديث الاشرفية شيخان أحدهما : جمال الدين يوسف بن يعقوب الأربلي الذهبي ابن أخي العز الأربلي وكان له سماعات كثيرة من حنبل ، وابن طبرزد ، والكندي ، والقاضي الحرستاني وغيرهم : والآخر جمال الدين الغماري المالكي رحمهما الله . وفي ثامن عشر ذي الحجة توفي الشمس الوتار الموصلي وكان قد حصل شيئاً من علم الأدب وخطب بجامع المزة مدة رحمه الله وأنشدني لنفسه في الشيب وخضابه :ـ

وكنت وإياها مذ اختط عارضي كزوجين في جسم وما نقضت عهدا
فلما أتاني الشيب يقطع بيننا توهمته سيفا فالبسته غمدا

سـنة ٦٦٣ هـ :

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وستمائة ففي العشرين من المحرم توفي علاء الدين قرابة صاحب حماة والعفيف بن السعردي ضمير التاج الاسكندري . وفي سادس عشرين منه توفي الشيخ أبو العباس احمد بن (١) العراقي وكان صالحا دينا منقطعا بجامع دمشق يقرىء القرآن ويجتمع به أهل العلم قبالة اللازوردة على يمين باب دار الخطابة مستنداً إلى سارية الرواق الأوسط صليت عليه اماما خارج باب الفرج ومضى به إلى جبل قاسيون فدفن هناك رحمة الله عليه . وفي ثامن صفر توفي النظام عبد الله بن البانياسي ببستانه بكفر سوسة وحمل إلى الجبل رحمه الله وكان قد طال مرضه بالفالج وسمع ببغداد من جماعة . وفي ثاني شهر ربيع الأول توفي فجأة معين ابراهيم بن مجد الدين

القرشي ابن بنت القاضي محي الدين محمد بن علي بن يحيى القرشي رحمه الله ، وكان له سماعات كثيرة وبخطه توجد أكثر الطباق في زمانه وكان يكتبها كتابة حسنة صحيحة وهو أحد المعدلين بدمشق من أكابر البيوت الدمشقيين ودفن بالجبل صليت عليه اماما خارج باب الفراديس بمصلى ابن مرزوق وذهب به الى الجبل . وفى تاسع ربيع الأول توفى الشهاب محمد بن المعروف بالقليجى بخدمة سيف الدين بن قليج . وفى الحادى والعشرين من شهر ربيع الاول توفى الشيخ محمد المعروف بابن امرأة الشيخ على القزوينى الزاهد الساكن بجبل قاسيون رحمه الله .

وفيها : خرجت العساكر من مصر وتوجه بعضها الى الفرات فانهزم من كان ثم من جموع التاتار لعنهم الله الذين كانوا قد حاصروا قلعة البيرة وأفسدوا فى تلك الديار وتعطلت السكنى بتلك البلاد لسببهم وخربت ، ثم خرج السلطان بيبرس من مصر بعساكره فنزل ببلاد الساحل ونازل قلاع الفرنج لعنهم الله واستدعى بالرجال والآلات من دمشق وغيرها .

وجاءنا الخبر لدمشق بانه دخل مدينة قيسارية ثالث ساعة من يوم الخميس ثامن جمادى الأولى وهو يوم نزوله عليها ، ثم تسلم القلعة يوم الخميس خامس عشر وهدمها وانتقل الى غيرها . وبلغنا ان فى رابع جمادى الأولى توفى النجم المغربى القصرى الاكتع وكان متفننا فى علوم شتى وهو الذى كان نظم المفصل مات بأسيوط من أعمال مصر رحمه الله . وفى الثامن والعشرين من جمادى الأولى توفى الشيخ سعيد المغربى التلمسانى الذى كان مقيما بمسجد فى محلة طواحين الأشنان خارج باب توما وكان رجلا صالحا خيراً منقطعاً زاهداً رحمه الله صلينا عليه بجامع التوبة الذى فى العقيبة وحمل الى الجبل فدفن به .

وفيها : يوم الجمعة سلخ جمادى الأولى توفى الشيخ زين الدين خالدين يوسف بن سعد النابلسى المحدث وكان حافظا لأسماء الرواة ولكثير من الألفاظ اللغوية رحمه الله صليت عليه إماما خارج باب الصغير قبالة مسجد جراح وكانت له جنازة حفلة ودفن فى مقابر الباب الصغير . وفى أول جمادى الآخرة توفى العز إيبك عتيق القاضى جمال الدين المصرى وكان وكيلا بمجالس الحكام من بعد وفاة معتقه الى الآن رحمه الله ، وفى تاسع جمادى الآخرة ونحن بدار الحديث الأشرفية والجماعة مجتمعون لسماع سنن النسائى على تقى الدين اسماعيل بن أبى اليسر أيده الله ، فاخذ بعض الجماعة النعاس وخ به فدافعه فلم يندفع فاشير عليه بأن يضع على جبهته ماء ففعل فمال رأسه الى ورائه فانشد ابن أبى اليسر متمثلا بقول سحيم وقد تمثل به الحجاج فى خطبته : —

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا　　متى أضع العمامة تعرفونى

فعاد ذلك الخجل منه تهللا واستحسنته أنا والحاضرون وذكرت لهم الحكاية المذكورة فى تاريخ دمشق فى ترجمة ابراهيم بن هشام المخزومى حين خطب على منبر المدينة وكان أميرها ومعه عصا فوقعت منه فاشتد ذلك عليه فاخذها بعض حرسه فناوله إياها وأنشد : —

فالقت عصاها واستقر بها النوى　　كما قر عينا بالأياب المسافر

فبرى عن ابراهيم ما كان فيـه . وفى سادس عشر جمادى الآخرة توفى العز أبو العز بن صالح بن وهيب الحنفى المدرس بالمدرسة الشبلية بسفح قاسيون وهو ابن أخى الصدر سليمان بن وهيب نائب الحكم بمصر يومئذ ، وكان فقيها ، دينا ، مشكوراً رحمه الله . وفى سحر يوم الاثنين ثانى رجب ولد سبطى الحسين بن عبد الرحمن بن محمد بن على البكرى جعـله الله مولوداً مباركا . وفى ذلك اليوم توفى النجم البغدادى المتصرف وكان قد صار فى آخره مستوفيا على جباة الأوقاف التى تحت يد القاضى ، كالترب وديوان السبع ، والمدارس ونحوها . وفى ثالث عشر رجب توفى التقى أخو التاج عبد الرحمن ببستانه بجورة لجأة رحمه الله . وفيه جاءنا الخبر باستيلاء المسلمين على مدينة ارسوف عنوة وقتل من كان بها من الفرنج وأسرهم واغتنام أموالهم وضرب البشائر بذلك . وفى رابع عشر رجب توفى بالقاهرة قاضى سنجار بدر الدين الكردى الذى تولى قضاة القضاة بالديار المصرية مراراً ، وكانت له سيرة معروفة من أخذ الرشا من قضاة الأطراف والشهود ، والمتحاكمين إلا أنه كان كريما جواداً وحصل له ولأتباعه بأخرة تشتت ومصادرات . وفى رجب أيضاً توفى بالقاهرة الشرف محاسن بن الصورى عريف سوق الكتب بها وعمره مائة واثنتا عشرة سنة وأنشدنى عنه سعد الدين بن مسعود بن شيخ الشيوخ بن حمويه قال : أنشدنى الحافظ السلفى :ـــ

اذا عزل المرء واقيته	وعند الولاية استكبر
لأن المولى له صولة	ونفسى على الذل لاتصبر

ومولده سنة إحدى وخمسين وخمسمائة . حكى لى عنه القاضى احمد بن خلكان قال : اجتمعت به فى الإيوان الكبير بدار الوزارة عند البادرائى رسول الديوان فقال لى : دخلت هذه الدار فى أيام شاور ورأيته جالساً فى صدر هذا الإيوان . قال : قلت ما كان عمرك يومئذ ؟ قال : اثنتى عشرة سنة .

وفى يوم الاثنين أول يوم فى شعبان توفى الأمير جمال الدين موسى بن يغمور . وفى ثالث شهر شعبان توفى بدمشق شرف الدين عثمان بن السابق الكاتب بباب الجامع ، وكان أحد كتاب الحكم وله خط حلو وصدقات ومعروف ملازم للصلوات فى الجماعات بالجامع من العدول المبرزين رحمه الله تعالى صليت عليه اماماً بمصلى ابن مرزوق خارج باب الفراديس وحمل إلى الجبل ودفن فيه وكانت له جنازة حسنة حفلة . وفى ثامن عشر شعبان توفى جمال الدين المصرى الذى كان مشارفا بالبيمارستان النورى وهو صهر تقى الدين بن أبى اليسر على ابنته فاطمة بعد كمال الدين الزملكانى رحمه الله . وكان رجلا خيراً منقطعاً مقتنعاً صليت عليه اماما خارج باب النصر ثم شيعته مع الجماعة الى مقابر الصوفية فدفن بها وكان أبوه وزير الأمير الجناح (؟)

وفيها : ورد إلى دمشق كتاب يتضمن انه ورد الى القاهرة فى جمادى الآخرة من هـذه السنة كتاب من المغرب يتضمن نصر المسلمين على النصارى فى بر الأندلس ومقدم المسلمين سلطانهم أبو عبد الله بن الأحمر أيده الله وكان الفنش ملك النصارى قد طلب منه الساحل من طريف إلى الجزيرة ومالوقة الى المرية فاجتمع المسلمون و لقوهم فكسروهم مراراً وأخذ أخو الفنش أسيراً ثم اجتمع العدو

فى جمع كثير ونزل على غرناطة فقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة فجمع من رؤوسهم نحو خمسة وأربعين الف رأس فعملوها كوماً وطلع المسلمون عليها وأذنوا وأخذوا منهم عشرة آلاف أسير وكان ذلك يوم الخميس رابع عشر رمضان من سنة اثنتين وستين وستمائة وراح الفنس الى اشبيلية منهزماً وكان قد دفن أباه بجامع أشبيلية فأخرجه من قبره خوفا من استيلاء المسلمين عليها وحمله الى طليطلة ورجع الى المسلمين اثنان وثلاثون بلداً من جملتها اشبيلية ، وقرطبة ، ومرسية ، والرقة وشريش وجمع عساكر المسلمين على شاطبة وبلنسية والله ينصرهم برحمته .

وفى يوم الخميس الخامس والعشرين من شعبان توفى الحاج احمد المعروف بالسلامى الزملكانى الخشاب ، ونجيب الدين فراس العسقلانى . وكان أحد العدول ذوى الثروة وله سماع حديث من الخشوعى وغيره ، ودفنا بباب الصغير رحمهما الله . وفى يوم الثلاثاء سلخ شعبان توفى النجم مظفر بن عبد الصمد رحمه الله . وفى يوم الجمعة ثالث رمضان صلى بالجامع صلاة الغائب على الامير جمال الدين موسى بن يغمور رحمه الله وكانت وفاته مستهل شعبان عند توجهه إلى ديار مصر من الساحل لما كان مع السلطان الظاهر بيبرس فى محاصرة الفرنج وفتح قيسارية وارسوف ثم عمل له العزاء بجامع دمشق يوم الجمعة عاشر شهر رمضان . وفى سادس رمضان نعت حسبة الجبل لبدر الدين على بن عمر بن أحمد ابن عمر بن الشيخ أبى عمر بن محمد بن قدامة . وفى سابع عشر رمضان توفى الأمير عز الدين عثمان بن تميرك وكان ثقيل السمع كثير الوسواس فى أمر الطهارة رحمه الله . وفى السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر توفى الفخر بن أبى الفوارس والد العفيف ودفن بمكانه بالجبل رحمه الله . وفى أول جمادى الأولى توفى الناهض معالى بن أبى الزهر المعروف بابن الحبشى ودفن بالجبل رحمه الله . وفى ثالث جمادى الأولى توفى الحاج على المغسل المعروف بالقباقبى ودفن بباب الصغير رحمه الله وكان حج فى سنة اثنتين وعشرين وستمائة معنا وكان مواظبا على الصلوات فى الجماعات كثير الصدقات والاحسان الى الفقراء واليتامى وكان إذا صلى الصبح مع الإمام بالجامع يخرج فيقف بالباب الأوسط من أبوابه باب البريد فيكبر ويهلل بصوت عالى ويدعو بصلاح المسلمين ونحو ذلك لايكاد يقطع هذه العادة ، صليت عليه اماما عند مسجد جراح خارج باب الصغير . ودفن فى مقابره حذاء تربة ابن الشيرجى ، وكانت له جنازة حفلة جامعة لأصناف الخلق من الخاصة والعامة وكنت ترى اليتامى وغيرهم يقرءون ويترحمون ويبكون رحمه الله وذلك يوم الخميس ثالث جمادى الأولى . وفى عشية ذلك اليوم توفى الجمال احمد بن عبد الله بن شعيب الذهبى الكتبى رفيقنا فى القراءة على شيخنا علم الدين السخاوى رحمه الله . وكان تزوج ابنته فولدت له وماتت هى وولدها قديما ، ثم بقى عندنا مدة عمره وخلف كتباً كثيرة وثروة ووقف داره على فقهاء المالكية وأوصى لهم بثلث ماله وحرضته أن يقف شيئاً من أصول كتبه فلم يفعل . صليت عليه اماما بمصلى ابن مرزوق ودفن بالجبل يوم الجمعة رابع جمادى الأولى .

وفى سادس جمادى الأولى جاء من مصر من السلطان الملك الظاهر بيبرس الصالحى ثلاثة تقاليد للقضاة شمس الدين محمد بن عطاء الحنفى ، والزين عبد السلام بن الزواوى المالكى ، وشمس الدين عبد

الرحمن بن الشيخ أبي عمر الحنبلي وجعل كل واحد منهم قاضي القضاة من المذاهب الأربعة ولكل منهم نائب وهذا شيء ما أظنه جرى في زمان سابق فلما وصلت العهود الثلاثة لم يقبل المالكي فوافق الحنبلي واعتذر بالعجز ، وقبل الحنفي فانه كان نائبا للشافعيـة فاستمر على الحكم والله يسدد الجميع بفضله ورحمته . ثم ورد كتاب من مصر بالزامهما بذلك وأخذ ما بأيديهما من الأوقاف ان لم يفعلا فأجابا ثم أصبح المالكي فأشهد على نفسه بأنه عزل نفسه عن القضاء وعن الأوقاف فترك واستمر الحنبلي ثم ورد الأمر بالزامه فقبل واستمر الجميع لكن امتنع المالكي والحنبلي من أخذ الجامكية على القضاء وقالا : نحن في كفاية . فأعفيا منها ، ومن العجب اجتماع ثلاثة على ولاية قضاء القضاة في زمن واحد وكل منهم لقبه شمس الدين واتفق أن الشافعي منهـم استناب من لقبه شمس الدين فقال بعض الظرفاء : ـــ

أهـل دمشق استرابوا   من كثرة الحـكام
وهم جميعاً شموس   وحالهـم في ظـلام

وقيل أيضاً : ـــ

بدمشق آيـة قد ظهرت للناس عاما
كلمـا ولى شمس قاضيـاً زاد ظـلاما

وقيل أيضاً : ـــ

قضاتنـا كلهم شموس   ونحن في أكثف الظلام

وقيل أيضاً : ـــ

أظـلم الشـام وقد   ولي الحـكم شموس
ليس فيهم من يبت   الحكم علماً أو يسوس

وفي سابع شعبان يوم الجمعة صلي بالجامع صلاة الغائب على الرضي بن الدهان الواسطي التاجر . وفي حادي عشر شعبان توفي شرف الدين عبد الرحمن بن بهاء الدين سالم بن الحسن بن صصري وكان من أكابر أهل دمشق جاها وثروة وبيتا. صليت عليه اماما خارج باب الفرج ودفن بالجبل بعد موت أخيه البهاء بستة أشهر وسبعة أيام . وفي ثالث عشر شعبان توفي الكمال بن الكمال إمام المدرسة الشامية ابن أخي الزين خالد رحمنا الله واياه بمنه وكرمه ورحمته وعفا عنا وعنه وعن جميع المسلمين والمسلمات وفي شهر رمضان من سنة ثلاث وستين وستمائة شرع في تبليط ما بين باب الجامع الغربي الذي عند القناة المعروفة بباب البريد وجدد في الصف القبلي من ذلك بركة وشادروان (١) وكان موضعهما

---

(١) قال شمس الدين بن الفخر رحمه الله ولم تزل تلك البركة والشادروان الى سنة اثنتين وسبعين

قناة جددت قبل ذلك بحرى اليها الماء من نهر القنوات وكان الناس ينتفعون به زمان انقطاع نهر بانياس الذى منه ماء الجامع بدمشق . وفى ذى القعدة سافر الأمير جمال الدين أقوش النجيبي نائب السلطنة بدمشق الى مصر لاستدعاء السلطان له ثم قدم دمشق .

وفيها : توفى المجد بن حرب الحلبي كان شاهداً بباب الجامع . وفى ثامن ذى الحجة توفى تاج الدين ابن الحموى أخو الزين والمعين وكان شيخاً متودداً وتولى ديوان الجامع والمواريث الحشرية . ودار الضرب وغير ذلك ودفن بباب الصغير رحمنا الله واياه . وتوفى قبله النجيب بن الوزان الذى كان ساكناً بالمدرسة العزيزية فى البيت الكبير الأسفل .

وفيها : يوم الجمعة ثانى عشر ذى الحجة أخبرنى أخى برهان الدين ابراهيم وفقه الله تعالى أنه رأى فى المنام بكرة ذلك اليوم كأنه جالس الى جانبى وأنا أكتب شيئا وأقرؤه فكان ما كتبته قوله تعالى : (سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلايصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون) .

وفيها : فى رابع عشر ذى الحجة توفى الشمس بن السنى الحركاوى (؟) رحمه الله تعالى ، وجاءنا من زار بيت المقدس فى وقفة هذا العام وأخبر أنه صلى يوم عيد النحر ببيت المقدس على الشيخ أبى القاسم الذى كان بقرية حوارى وهو شيخ مشهور له أتباع وثروة ، ثم صلى عليه بدمشق يوم الجمعة تاسع عشر ذى الحجة . وصلى يوم العيد أيضا ببيت المقدس على ضياء الدين على بن خطيب نابلس ، وكان شيخاً ، بهيا ، فقيها ، دينا وتولى قضاء الكرك مدة رحمه الله . وفى سابع عشر ذى الحجة توفى التاج الاسكندرى المعروف بالشحرور ودفن بالجبل صليت عليه إماما بمصلى ابن مرزوق بالنقيبة رحمه الله وايانا . وفى هذه السنة توفى شمس الدين بن الحباب رحمة الله .

سنة ٦٦٤ هـ :

ثم دخلت سنة أربع وستين وستمائة ففى أوائلها يوم الثلاثاء جدد الحوض الذى هو فى شرقى القناة الشامية بباب البريد بحرى اليه الماء من القناة المذكورة فى أنابيب وشادروان فى

وستمائة ثم ولى شهاب الدين بن السلعوس نظر الجامع فازال البركة والشادروان وعمل موضعهما حانوت سباع وهى الحانوت الخامس الغربى من الصف القبلى وكان الغرض بذلك محو الآثار التى جددت فى زمن الظاهر بيبرس رحمه الله تعالى فان الشادوران والبركة كانا فى غاية اللطافة والحسن وفوق الشادوران اسم الملك الظاهر ونائب السلطنة اقوش النجيبي والمتولى فخر الدين الحرانى فازيل ذلك جميعه مع حاجة الناس اليه زمن انقطاع الماء . وخرب الحمام الذى بناه الملك السعيد ولد الظاهر على باب السر تحت القلعة ولم يبن حمام مثله كل ذلك لمحو آثار الظاهر وكذلك أمر بمحو السباع التى كانت رنك الملك الظاهر على القلعة حتى عمل بعض الظرفاء فى ذلك أبياتا :

ما للسباع الظاهريه وقد مالت عليها دولة الأشرف

تروم محو الرسم من رنكة الظـ ـاهر والظاهر لا يختفى

حائط القناة . وفى سابع المحرم توفيت تاج خاتون ابنة الأمير فخر الدين ايازمركس صاحب قرية بيت سوا رحمهما الله . وفى ثامن عشر المحرم توفى عبد الله بن أيبك بن عبد الله عتيق ناصر بن القواص ويعرف بالقاضى رحمه الله . وفى العشرين من المحرم توفى العلاء على بن البدر عبد المولى الوكيل بمجلس الحكم رحمه الله . وفى الحادى والعشرين منه توفى الشرف بن الصيرفى الساكن بدرب الأسديين رحمه الله . وفى الخامس منه توفى عبد الله بن عثمان الوكيل بمجلس الحكم ويعرف بالمؤذن كان أبوه مؤذنا بالكلاسة رحمهما الله . وفى رابع صفر توفى بهاء الدين الحسن بن سالم بن الحسن بن صصرى أحد المعدلين بدمشق من بيت مشهور بالثروة وجده الحسن كان من أهل الحديث من أصحاب الحافظ أبى القاسم وله رحلة الى العراق رحمه الله ودفن بالجبل . وفى ذلك اليوم توفى الشمس محمد بن احمد الحنفى الأشقر خال ولد الصدر سليمان رحمه الله . وفى السادس والعشرين من شهر ربيع الأول توفى الصفى اسماعيل بن ابراهيم بن الزرعى الحنفى رحمه الله ودفن بباب الفراديس وعمره اثنتان وتسعون سنة ومولده سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة . سمع على الخرقى وغيره . وفى خامس ربيع الآخر توفى الشرف يعيش المقرىء وكان شيخا مسناً وعهدى به شيخا ونحن صبيان نقرأ عليه بالسبع الكبير ثم بقى الى هذه الغاية وقل ما بيده فكان كل ليلة بعد العشاء يخرج ويدور فى الدروب والحارات وهو يتلو القرآن العزيز ثم من وضع فى يده شيئا أخذه وكنت آنس بقراءته إذا عبر على باب مسكننا رحمه الله .

سنة ٦٦٥ ﻫ :

ثم دخلت سنة خمس وستين وستمائة أولها يوم الأحد . فى ثانى محرم الحرام خرج السلطان الظاهر من دمشق الى مصر رحمه الله تعالى .

وفيها : توفى بمصر الشرف محمد بن البكرى أخو الصدر بن البكرى رحمه الله فى رابع المحرم . وفى سادس صفر توفى شمس الدين ملكشاه الحنفى مدرس المدرسة المعينية بعد الرشيد النيسابورى وكان يعرف بقاضى بيسان . وتولى نيابة الحكم بدمشق فى أول ولاية الصدر احمد بن سنى الدوله ودفن فى مقابر باب الصغير رحمهما الله. وفى الثانى والعشرين من صفر توفى الشرف احمد بن رضوان ومولده سنة ستمائة ، وكان صحب شيخنا تقى الدين بن الصلاح فى صغره بالمدرسة الرواحية ثم صار يشهد بمسجد سوق القمح رحمه الله صليت عليه إماما خارج باب النصر ودفن بمقابر الصوفية قريباً من قبر ابن الصلاح رحمهما الله . وفى ذلك اليوم توفى الحاج عسكر بن طاهر شيخ كبير من فلاحى قرية بيت سوا ، وداعية . وخلف أولاداً كثيرة وماسكا بداعية رحمه الله

وفى سادس ربيع الأول توفى الضياء بن خواجا أمام والد الشريف وكان إماما بمسجد مثقال الجدار على حافة نهر يزيد بجبل قاسيون وكان رجلا صالحاً منقطعاً رحمه الله . وفى ليلة السابع توفيت جدة ابى احمد ومحمود أم أمهما خالة ابراهيم رحمهما الله تعالى . وفى سابع ربيع الأول توفى الشيخ على الواسطى إمام المدرسة الفلكية وكان مقرئا عندنا بالتربة الاشرفية وكان كثير الذكر والصلاة رجلا صالحاً خيراً رحمه الله صليت عليه إماماً قبالة مسجد جراح ودفن فى أول مقابر الباب الصغير خلف مسجد جراح . وفى حادى عشر ربيع الاول توفى الشمس يوسف بن مكتوم وكان شيخاً كبيراً له

سماعات كثيرة على الخشوعي ، والدولعي وغيرهما رحمه الله . وجاءنا الخبر بموت الأمير ناصر الدين القيمري بالساحل رحمه الله وعمل عزاؤه بالجامع يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الاول وهو الذي بنى مدرسة الشافعية بناحية مئذنة فيروز في سوق الحرميين بدمشق وكان موته يوم الاحد ثالث ربيع الاول. وفي العشرين منه توفي الشيخ مؤمن الضرير الخلاطي المقرى، وكان أحد السبعة عندنا بدار الحديث الاشرفية رحمه الله . وأخبرني الضياء عبد الرحمن بن الجمال عبد الكافي في رابع عشر ربيع الآخر أنه رأى ليلة هذا اليوم كأن شخصاً معروفاً يقرأ في إيوان شيئاً من التصريف وحوله جماعة ، ثم جاء آخر فقعد يقرىء جماعة بحذائه وانصرف من عند الاول بعض جماعته الى الثاني فبينا هم كذلك إذ أشرفت عليهم من طاقة في أعلا حائط الإيوان وعلي ثياب بيض من صوف والعمامة كذلك وفوقها شيء مسبل عليها وقاية لها كصورة ما يفعله من يجعل على عمامته منديلا أو نحوه لأجل مطر وحر فلما أشرفت عليهم هيئة من حيث لم يكونوا يتوقعون ذلك قلت قال رسول صلى الله عليه وسلم فذكرت حديثا في السنة والرأي قال فبكى القوم وبكيت أنا — أعني الذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فقال قائل من الجماعة في فضائل رجب أي أسمعنا في فضائل رجب ثم انتبهت . قلت له : هو شيء يحدث من الخير ان شاء الله تعالى في رجب هذه السنة بقرينة فضل رجب وذكر النبي صلى الله عليه وسلم واتعاظ الجماعة والبكاء بورك بالفرح والسرور من ذلك الأمر بتوفيق الله تعالى . ورأت امرأة كأن لنا داراً واسعة كبيرة مبيضة وزواياها ملاءى من الخبز المثلث الأبيض بعضه فوق بعض .ثم رأى أخي كأن لي بستانا كبيراً وبها عيناً فيه وفي وسطه بركة مد البصر وقال ليوسف افتح الماء ففتح لجري فيها أنابيب .

وفي الحادي والعشرين توفي الجمال علي بن عثمان الرسعني أحد الشهود بمسجد سوق القمح رحمه الله وكان بيني وبينه معرفة واجتماع بالمدرسة العزيزية في مجلس عز الدين بن عبد السلام أيام كان المدرس بها شيخنا السيف الآمدي رحمهم الله .أنشدني شرف الدين المغربي قال : أنشدنا قاضي حماة ابن البارزي لنفسه : —

دمشق لها منظر رائق ... وكل الى حسنها شائق
وأنى يقاس بها بلدة ... أبى الله والجامع الفارق

وفيها : في الحادي والعشرين من شعبان توفي الفخر يحيى بن الجمال علي بن التاج عبد الواحد بن الفخر ابن أبي الخوف رحمه الله ودفن بالجبل عند أبيه وجده وجد أبيه الفخر رحمهم الله . وفيها : آخر يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شعبان توفي الفقيه شرف الدين القزويني الشافعي وكان رجلا صالحا فقيها متواضعاً خيراً وكان أبداً معيداً بحلب ثم بدمشق في المدرسة العادلية والشامية المجاورة للبيمارستان وكان ساكنا بأهله بالمدرسة وبها توفي ودفن يوم الأربعاء بكرة بمقابر الصوفية بالشرف القبلي رحمه الله . ولم أشهد جنازته كنت غائبا بيبت لهيا وخلف ولدين صغيرين عبد الرحيم وعبد المجير جبرهم الله تعالى . وفي ثامن رمضان توفي ابن عمتي العز عبد الغفار بن علي الكناني ودفن بمقابر الصحابة بباب الصغير رحمه الله .

وفي هذا الشهر وصل السلطان الظاهر بيبرس من الديار المصرية بعساكره ونازل حصون الفرنج وبلادها وشن الغارة عليها من جميع نواحيها واستدعى بالجنانين من دمشق . وجاءنا كتاب بعتق أولاد

الملوك تاريخه يوم الجمعة خامس شهر رمضان من جهة المنازلين لهم من ساحل حمص وأعمالها من ناحية حصن الأكراد وأعمال طرابلس بأنهم قد أستولوا على ستمائة أسير من الرجال وما يقارب الألف من النساء والصبيان من ثلاثة حصون وستة عشر برجا والله تعالى يديم نصر الاسلام بمنه وفضله . وفي ثامن عشري شهر رمضان وصل الى دمشق (علي ولد) الخليفة المستعصم بن المستنصر بن الظاهر بن الناصر (بنزل) بالمنازل وهو شاب كان التاتار أستولوا عليه لما قتلوا أباه المستعصم وملكوا البلاد وبقي عندهم إلى أن كسر بركة هولاكو فاتصل ولحق بعرب خفاجة فبقي عندهم إلى أن جاء جماعة معه منهم الى دمشق في التاريخ المذكور فتلقي وأنزل على الدار الأسدية مقابل المدرسة العزيزية . وفي سابع جمادى الآخرة جرت لى محنة بداري بطواحين الاشنان فالهم الله الصبر وفعل الله تعالى فيها من اللطف مالا تقدر على التعبير عنه بوصف . وكان قيل لى قم واجتمع بولاة الأمر فقلت : قد فوضت أمري الى الله فما أغير ما عقدته مع الله وهو يكفينا سبحانه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ونظمت في ذلك ثلاث أبيات : —

قلت لمن قال أما تشتكي ماقد جرى فهو عظيم جليل

يقيض الله تعالى لنا من يأخذ الحق ويشفي الغليل

اذا توكلنا عليه كفى فحسبنا الله ونعم الوكيل

وجاءنا الخبر بأنه توفي بالقاهرة الضياء صالح بن الشيخ ابراهيم الفارقي ، والقاضي صدر الدين موهوب الجزري وكان رفيقنا في الاجتماع عند الشيخ علم الدين السخاوي ، والشيخ عز الدين بن عبد السلام ثم ناب عنه بالقاهرة في الحكم بها رحمه الله ومات في تاسع رجب في هذه السنة . وفي العشرين من رجب توفي الكمال اسحاق بن خليل السقطي المعروف بقاضي رزا رحمه الله صليت عليه إماما بمصلى ابن مرزوق ودفن بالجبل وكان ممن اشتغل على شيخنا فخر الدين بن عساكر . وفي شهر رجب حفر السلطان الظاهر بيبرس خندقا لقلعة صفد وعمل فيه بنفسه وعسكره وفي بعض تلك الأيام بلغه أن جماعة من الفرنج بعكا تخرج منها غدوة وتبقى ظاهرها إلى ضحوة فسرى ليلة ببعض عسكره وكمن لهم في تلك الأودية فلما أبعدوا عن عكا خرج عليهم من ورائهم فقتل وأسر وضربت البشائر بدمشق بذلك .

وجاء الخبر من مصر بموت قاضيها تاج الدين عبد الوهاب بن خلف المعروف بابن بنت الاعز في السابع والعشرين من رجب ومولده في سنة أربع وستمائة مستهل رجب وهو: تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب ابن خلف بن محمود بن بدر العلامي ومولده بالقاهرة ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى . وفي يوم الأحد ثامن عشر شعبان توفي الجمال محمد بن نعمة النابلسي وكان رجلا صالحا رحمه الله توفي ببستانه ودفن بمقابر باب كيسان عند أبيه .

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

كثيراً إلى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل

وافق الفراغ من نسخه بكرة يوم الثلاثاء رابع عشري شهر جمادى الأول من شهور سنة ٩٦٧ ه

على يد الفقير المعترف بالذنب والتقصير الراجي عفو اللطيف الخبير

محمد بن محمد بن علي عامله الله بلطفه الخفي بمنه وكرمه .

فهارس كتاب

رجال القرنين السادس والسابع

فهرس الوقائع والحوادث الهامة

الصفحة

ملك المغرب والفونس ملك طليطلة . انكسار الفونس وحصار يعقوب لطليطلة .
خروج والدة الفونس وبناته ونسائه الى يعقوب وطلبهم العفو والصفح . اجابة يعقوب لطلباتهم .
سنة ٥٩٣ ﻫ : فتح الملك العادل ليافا . قصة الأربعين خيالا من الفرنج . ١٠
عودة الاسطول المصرى الى القاهرة . استعادة الفرنج قلعة بيروت . وصول أبي الهيجاء ١١
السمين الى بغداد مع ابن أخيه عز الدين كروالفرس . استقباله رسميا واكرام الخليفة
له . قصة الكواز وعز الدين كروالفرس . اداء عز الدين سامة فريضة الحج وعمارته
القبة على قبر أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه .
سنة ٥٩٤ ﻫ : نزول الفرنج على تبنين . قدوم العزيز من مصر لمساعدة العادل . رجوع العزيز الى ١٣
مصر والعادل الى دمشق بعد مهادنة الفرنج . عودة الاسطول المصرى من الغزو ومعه
اربعمائة وخمسون أسيراً . امارة تقى الدين قراجا مملوك صلاح الدين لحاج الشام
سنة ٥٩٥ ﻫ : استدعاء الخليفة لضياء الدين الشهرزورى الى بغداد . تولى وجه السبع امارة الحاج ١٥
الافراج عن الشيخ أبي الفرج بن الجوزى
فتنة الحنابلة بدمشق . منعهم اقامتهم الصلوات فى المسجد ١٦
سنة ٥٩٦ ﻫ : حصار دمشق واحراق جميع ما هو خارج باب الجابية من الفنادق . ظهور العجمى
المدعى بأنه عيسى بن مريم بدمشق وصلبه . قيام العامة على الشيعة
محاولة قتل الباطنية لخوارزم شاه ١٧
حصار الأفضل والظاهر لدمشق . ذهاب الأفضل والظاهر الى رأس الماء وافتراقهم .
تتبع العادل الأفضل وكسره لعساكر الأفضل .
سنة ٥٩٧ ﻫ : هبوط نيل مصر وفرار الناس الى المغرب وغيره من البلاد . ذبح الناس لأولادهم . ١٩
تكفين السلطان لمائتى الف وعشرين الفا من الأموات بسبب الجوع . صلاة امام
جامع الاسكندرية على سبعمائة جنازة فى يوم واحد .
حدوث زلزال عظيم وموت خلق كثير بمصر والشام والساحل وهدم مدينة نابلس ٢٠
اشتداد الوباء والغلاء بمصر وبلوغ ثمن أردب القمح ستة دنانير مصرية . بيع الناس
لأنفسهم لمن يؤويهم ويطعمهم واقرارهم بالعبودية . موت ثلاثين الفاً تحت الهدم .
هدم الزلزال لصور وعكا وجميع قلاع الساحل . امتداد الزلزال الى دمشق . تهدم
قلعة بعلبك مع عظم حجارتها . امتداد الزلزال الى اخلاط ، وارمنيه ، واذربيجان
والجزيرة . تقدير من هلك من الناس بألف الف انسان ومائة الف انسان . قوة
الزلزال كانت بمقدار ما يقرأ الانسان سورة الكهف .
حصار دمشق من قبل الأفضل والظاهر . احراقهم فندق تقى الدين . احداث الخلف
بين الأخوين بواسطة العادل . رحيلهم عن دمشق . دخول العادل دمشق . تولية
طاشتكين امارة الحج بعد أن أفرج الخليفة عنه ورد اليه أملاكه

الصفحة

الصفحة

الصفحة

فهرس الوفيات والتراجم على ترتيب السنين

فهرس البلدان

فهرس الأعلام (١)

(١) لم نعتبر فى تركيب الأعلام كلمات (أبو) و (أم) و (ابن) ويجد القارىء بازاء بعض الأعلام علامة ═ وذلك بمعنى أنظر .

(غ)

(ف)

الصفحة

الصفحة



الرجاء إصلاح الأغلاط كالآتى :

٣/ ١١ : أنباء ، ٦/ ٣٠ : كوساته، ٧/ ١٨ صارى، و٢٣ : بيثر، ٨/ ١٧ : ابن القصاب، ١٠/ ٤ :حيث
٤/١١ : أسامة، و٦ : كور الفرس ، و٣٠ : المقتفوى ، ٧/١٢ : تحققوا ، و٣٠ : ابن زهير
٧/١٤ : فاتبه، ٦/١٥ : الفرج، و٢٣ : خارج ، و٢٥ : يحي، ٢/١٧ : أرسلان ، ١١/١٩ : فى
١/٢٠ : العزن ، ٢٦/٣٢ : عليه ، ١/٢٧ : وطبقته ، و٢٩ : سمته ، ٢٤/٤٠ : والإسراء
و٢٦ : سفطه ، و٢٧ : والأخبار ، و٢٨ : فى خطه ، ٢٨/٤٥ : عفر (أعفر) ،
٧/ ٤٨ : قل ، ١٠/ ٥٠ : قتل ، ٢٦/ ٥٢ : ابن المستوفى ، ٥/ ٦١ : موش ،
و٩ : بدرالدين مودود ، و١٦ : الدجيل، ٥/٦٢ : عبدالله، ١٤/٦٤ :اثنان
٢٢/ ٧٥ : بخلاط ، ٢٧/ ٧٩ : أبو الغارات ؛ ١٩/ ٨٠ : وخلف ،
١٩/٨١ : بالألموت، ١٦/٨٤ :المال، ٢٥/٨٦ :صرخد، ٢٩/٩٦ :سبطاين،
٨/١٠١ : أجى، و٩ :عسكره، و٢٩ : بالبزك، ٢٧/١٠٨ : ٦١٥هـ،
١/١٠٩ : ٦١٥هـ ، و١٠ : منبج ، ١/١١٠ : ٦١٥هـ،
١٦/ ١١١ : من بلاد الكرج ، و٣٠ : محمود ؛
٢١/١١٣ : سرمساخ ، ٢١/ ١١٩ : بنو إخوتها ،
١٩/١٢٩ : أرسلوا ، ٧/١٣٣ : توران شاه ؛
١٦/١٣٤ : عشرة، ١١/١٤٢ : (سيلانات؟)
ــ لعله معرب ساليانات أى المخصصات السنوية ــ
٢٢/١٥٣ :الشريف، ٣٠/١٥٧ :يعنى، ٢٨/١٦٠ : بعلبك
٢٤/١٦٣ : ٦٣٣هـ ، ٢٦/١٧٥ : كاتب ،
٢٤/١٧٨ : الخوارزمية ، ١٩/١٧٩ : جكو
١٢/١٨٠ :الجوزقانى، ٢٥/١٨١ : يجود
١١/١٨٥ : بالسيف، ٢٩/٢٣٠ :
حلب، ٧/٢٤٤ : كورالفرس،
١٦/ ٢٦٦ : الألموت ،
٨/ ٢٧١ : موش

بسم الله العظيم وبعونه وتوفيقه وبركة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وبمعاونة أستاذنا وملاذنا مولانا المحقق الكبير صاحب الفضل والفضيلة الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثرى وكيل المشيخة الاسلامية فى الخلافة العثمانية سابقاً ونزيل القاهرة الآن أمد الله فى عمره وأبقاه تم طبع كتاب تراجم رجال القرنين السادس والسابع لمؤلفه الامام العلامة المؤرخ أبى شامة المقدسى المتوفى سنة ٦٦٥ هـ بعد مراجعته على النسختين الفوتوغرافيتين المحفوظتين احداهما : بدار الكتب المصرية والثانية : بالمكتبة التمورية ومراجعة بعض المواضع فى كتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى المحفوظ بدار الكتب المصرية هذا وانى أتضرع الى الله سبحانه وتعالى أن يوفقنى لنشر الكتب العلمية المفيدة بفضل ارشاد ومعونة مولانا نبراس العلوم والمعارف العلامة الكوثرى كما انى أرجو من كل قارىء كريم ان يطلب من الله لمؤلفه الرحمة ولناشره التوفيق فى الدنيا والرحمة والغفران فى الآخرة والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل .

كتبه ناشر الكتاب الفقير الى الله سبحانه وتعالى راجى عفوه وغفرانه السيد عزة

ابن المرحوم الشيخ امين بن المرحوم محدث الديار الشامية ، وبدر بدور

البلدة الدمشقية ، الحاوى لمرتبتى المعقول والمنقول ، الحائز

لفضيلتى الفروع والأصول العالم العلامة والبحر الفهامة

المرحوم الشيخ سليم العطار الدمشقى بن المرحوم

الشيخ ياسين بن شيخ فقهاء الديار الشامية

المحدث الكبير الشيخ حامد بن الشهاب

احمد العطار

فى شهر شوال سنة ١٣٦٦ هجرية الموافقة لسنة ١٩٤٧ ميلادية